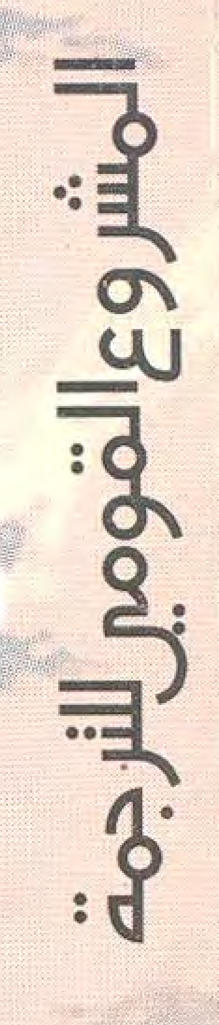
حركات التحرير الأفريقية

النضال المعاصر ضد الأقلية البيضاء







تأليف : ريتشارد جيبسون

ترجمة : صبرى محمد حسن

مراجعة وتقديم : حلمى شعراوى

363

المشروع القومى للترجمة

حركات التحرير الأفريقية

تأليف : ريتشارد جيبسون

ترجمة : صبرى محمد حسن

مراجعة وتقديم : حلمى شعراوى



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة الدراسات الأفريقية : إشراف حلمى شعراوى

- العدد : ٣٦٣
- حركات التحرير الأفريقية
النضال المعاصر ضد الأقلية البيضاء
- ريتشارد جيبسون
- صبرى محمد حسن
- حلمى شعراوى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

AFRICAN LIBERATION MOVEMENTS

Contemporary Struggles Against White Minority Rule.

تأليف : **Richard Gibson**

الصادر عن : **OXFORD UNIVERSITY PRESS - 1972**

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

محتويات الكتاب

تقديم

حركات التحرير الأفريقية فى الستينيات

حلمى شعراوى

يمثل كتاب "ريتشارد جيبسون" عن حركات التحرير الأفريقية - الصادر عام ١٩٧٢ - مكانة خاصة فى عملية التأريخ لمسار حركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث ؛ فهو يركز بتفاصيله على فترة الستينيات التى تقع بين انطلاقتها الأولية فيما بعد الحرب العالمية الثانية، ودخولها دهاليز "السياسات الدولية" والحرب الباردة بشكل حاد بعد ذلك فى السبعينيات.. ولذا أتيح له بالأساس "حكى" الكثير عن فترة ازدهارها فى الستينيات ، وإن كان "جيبسون" لم يشأ - فى روايته لتاريخ هذه الفترة - أن يرى الكثير من جوانب هذا الازدهار بسبب بعض انحيازاته التى سنراها.

ومن حسن حظى أن أتيح لى - خلال اشتغالى المبكر فى الشئون الأفريقية - أن أكون قريبا من حركات التحرير الأفريقية التى تحدث عنها "جيبسون"؛ حيث كان " ٥- أحمد حشمت بالزمالك" هو مقر تمثيل معظم هذه الحركات بالقاهرة والمألوف دوليا ما بين عام ١٩٥٧ وحتى أواخر السبعينيات، بل والثمانينيات، وكان احتكاكى بأكثر من خمسة وعشرين تنظيما سياسيا وطنيا من أنحاء أفريقيا، مصدر ثراء نفسى وفكرى ومعرفى لشخصى لا حدود له؛ حيث توفر الالتقاء بقيادات وطنية رئيسية ، وكوادر التدريب الصغرى فى حركات التحرر ممن كانت تعج بهم القاهرة أو فى تنقلها بين القاهرة والجزائر، وبينهما وبين أكرا مما لم يره "جيبسون" جيدا. ولابد أن يذكر هنا اسم عبد العزيز إسحاق ، ومحمد فايق ، وفؤاد جلال، وأحمد فهيم ، ويوسف السباعى ، بالتقدير الخاص فى مجال علاقة مصر طوال هذه الفترة بحركات التحرير الأفريقية .

يغلب على "جيبسون" طابع العمل الصحفى الجيد، ووفرة الاتصالات، ونثر المعلومات ، والسعى وراء الوقائع قبل اللجوء للتحليل أو تصنيف الظواهر، وقد جعله ذلك يحد من رؤيته للبعد السياسى الذى اكتسبه وجود حركات التحرير الأفريقية فى

الشمال الأفريقى ، بينما يبدو واسع المعرفة بوقائع تحركات هذه التنظيمات فى منطقة الجنوب الأفريقى ، وخاصة من مقر لجنة "تحرير المستعمرات الأفريقية" فى دار السلام بتنزانيا، كما ارتهن تفكيره – وكذا أحكامه – على حملات الهجوم المتبادل بين حركات التحرير أو القوى الداعمة لها.

و"جيبسون" كاتب أفرو أمريكى، يراسل صحف "المسألة الزنجية" فى الولايات المتحدة الأمريكية بكل شحنات هذا الوضع من حماس مشروع ضد سياسات الأقلية البيضاء فى أفريقيا- محور هذا الكتاب الرئيسى – والنظر لسياسة التحالفات – فى جنوب أفريقيا مثلا- من هذه الزاوية بالأساس، ولكنه كأمريكى أيضا لم يستطع إلا أن يرى العالم من منظور تصاعد الحرب الباردة، والنظر بريبة ملحوظة للموقف السوفيتى بوجه خاص من حركات التحرر الوطنية فى العالم.

لقد دفعه هذا الموروث لأن يمضى بعيداً مع موجة العداء للسوفيت التى شنت حملاتها بالتالى على حركات التحرير الأفريقية – بل ودول التحرر الوطنى- المتعاونة مع السوفيت فى هذا المجال ، ورغم القيمة الكبيرة التى لا يمكن إنكارها عن هذا التعاون فإن أخطاء السوفيت العديدة بدورها ورؤاهم الضيقة أو الاستبدادية – إن شئت – تتيح الكثير فى هذا الشأن إلى حد ابتلاع المحتجين عليه للكثير من مشكلات الصينيين فى أفريقيا، ناهيك عن السياسات الأمريكية المعادية على نحو ما فعل جيبسون.

لقد جلب هذا الموقف على "جيبسون" أحيانا اتهامات- لا أعرف عن حقيقتها الكثير- عن طبيعة "علاقاته الأمريكية"، خاصة حين لاحظ البعض تسجيله فى أكثر من موضع طبيعة "المساعدات" التى تلقتها حركات التحرير الأفريقية من "مصادر أمريكية"! مقابل المساعدات السوفيتية وغيرها، وفات "جيبسون" تركيز هذه المساعدات الأمريكية مثلا على شخوص مثل "روبرتو هولدن" وصديقه "موبوتو" فى "زائير" لأهداف لا تخفى ضد حركة التحرر الأساسية فى أنجولا، وقس على ذلك العديد من انحيازاته لهذه الحركة أو تلك ؛ مما قيض الزمن كشفها فى "علاقاتها الأمريكية" مثل "يونيتا" التى يسعى بها سافمبى وهو فى رئاستها حتى الآن فى رحاب المخابرات الأمريكية، ومن قبلها "كوريمو" فى موزمبيق ، كما تنكشف انحيازاته ضد المؤتمر الوطنى

الأفريقى فى تلك النهاية التعيسة لحزب الوحدة الأفريقية PAC الذى منحه المؤلف كل هذا التقدير فى النص الذى تحت أيدينا ، بينما لم يتوفر له مقعد واحد فى برلمان جنوب أفريقيا بعد التحرير!

لقد قدم "جيبسون" تصنيفًا خاصًا لحركات التحرير بناء على معايير من واقع الصراع الدولى والحرب الباردة حرمه من رؤية الواقع والقيادات التاريخية لحركات التحرير الأفريقية بشكل موضوعى أكبر ؛ إذ لا يتصور الكثيرون إمكان تجاهل المساهمات النضالية والفكرية والتنظيمية التى قدمها "أميلكار كابرال" مثلاً رغم أنه زعيم إقليم محدود مثل "غينيا بيساو والرأس الأخضر" اكتفاءً- مثل جيبسون- بعرض سردى محدود لحزب الاستقلال" فى هذا الإقليم على النحو الذى جاء به ، وبالمثل يمكن النظر إلى مساهمات حزب "سوابو" بناميبيا بقيادة "سام نجوما" ونضاله لوضع ناميبيا على خريطة التنظيم الدولى والشرعية الدولية إلى جانب نضاليته على المستوى الأفريقى ، ذلك النضال الذى جعل الأمم المتحدة تسحب اعترافها بسلطة جنوب أفريقيا فى ناميبيا - رغم عدم القدرة على التنفيذ العملى لهذا الموقف بالطبع- وتأسيس معهد ناميبيا الخاص فى لوساكا ، وكأنه مركز الاعتراف بشعب ناميبيا المستقل وحركة تحريره التى تقيم معسكراتها إلى جانبه.

قد يكون عذر كتاب "جيبسون" أنه لم يمتد إلى تطورات السبعينيات التى شهدت ازدهار حركة تحرير غينيا بيساو وإعلانها للاستقلال من جانب واحد عام ١٩٧٣، كما لم يشهد تطورات الوضع فى ناميبيا وجنوب أفريقيا، ناهيك عن أنجولا وموزمبيق، وفشل سياسة جنوب أفريقيا العنصرية بتحالفاتها مع الولايات المتحدة (خطط كيسنجر) أو إسرائيل بتحدٍ خطير لحركة التحرر الوطنى التى أمعنت بدورها فى تحالفاتها مع السوفيت وكوبا على النحو الذى شهدته سنوات السبعينيات والثمانينيات وتطوراتها الخطيرة ، وكل ذلك لا يجعلنا نشكك بهذا القدر- مثل "جيبسون - فى قوة حلف حركات التحرير الوطنية واستقلاليته طوال هذه الفترة خاصة مع تعاونها الأصيل والمخلص مع دول مثل : مصر ، والجزائر ، والهند ، وتنزانيا... إلخ التى لا يمكن اعتبارها - بدورها - مجرد منفذ للسياسات السوفيتية على نحو ما يلمح جيبسون .

وكانت حركات التحرير الكبرى تطلق على نفسها – فى ذلك الوقت – الحركات الأصيلة The authentic Movements لتضم كتلة المؤتمر الوطنى الأفريقى (جنوب أفريقيا) وسوابو (ناميبيا) "، وزابو" (زيمبابوى) ، وفريليمو (موزمبيق) ، و"مبالا" (أنجولا)، و"حزب الاستقلال" (غينيا والرأس الأخضر) فضلا عن بعض الحركات الصغيرة الأخرى فى موريشيس وجزر الكومورو... إلخ.

ولا يعنى ذلك أن التاريخ قد أنصف هذه الحركات حتى النهاية ؛ إذ إن هذا التاريخ حمل لهذه الحركات مثلما حمل لدول التحرر الوطنى من الخيبات ما وصل بالجميع إلى ما شهدناه عند نهاية القرن العشرين! وقد يكون الافتقار الدائم إلى تحليل "اقتصادى سياسى"- اجتماعى بل وثقافى مبكر فى معظم دراسات حركات وموجات التحرر الوطنى معوقًا للوصول بالدراسة إلى النتائج الهادية أو إلى مؤشرات المستقبل الصحيحة، ولا يكفى فى هذا الصدد سهولة القول "بدور النخبة" السلبى- على نحو ما رصد "جيبسون" بشكل ملح – كما قد لا يكفى مجرد التحليلات الطبقية المتواضعة على النحو الذى استنكره مبكرًا زعيم مفكر مثل أميلكار كابرال، وحتى صيحات "فرانزفانون" المخلصة لم تجد فى وقف التدهور الذى لحق بشعوب القارة و"معذبو الأرض" القائمين عليها؛ ذلك أن واقع "الاقتصاد السياسى" على صعيد عالمى قد لعب دورا فاق كل العوامل الداخلية ، وخاصة ضد السياسة النابعة من منهج تحليل النخبة ، والتى يذكرها البعض بتفصيل يجعلها موضع التقدير الأساسى لتطور الأوضاع سلبيا كما فعل "جيبسون" أحيانا ؛ مما جعله يبتعد تدريجيا – فى تحليلاته – عن أثر السياسات الاستعمارية نفسها، بل ودور الاستعمار الجديد إزاء حركات التحرير ودول التحرر الوطنى التى دعمتها وتعرضت أثرها لموجه انقلابات عسكرية ونكسات معروفة طوال الستينيات ، وهذا كله فى إطار جديد آخر للاقتصاد الرأسمالى الدولى والسياسة الأمريكية التى تحركت فى إطاره واستثمرته ممثلا فى الشركات متعددة الجنسية وأدوارها المعروفة مع نظام الأبارتهيد فى جنوب أفريقيا وناميبيا، كما كان هناك الصراع الدولى حول أنجولا وموزمبيق فى مواجهة الدور الكوبى والسوفيتى الذى ارتبط بهذا الصراع ، وأثار الكثير من الغبار حول آليات التحرير الوطنى .

إن قراءة كتاب متضمنا كل هذه التفاصيل عن حركات التحرير الأفريقية فى فترة مهمة من تاريخها بقلم كاتب يعرف موضوعه مثل ريتشارد جيبسون، يعتبر إضافة للثقافة السياسية فى مصر التى لم يتوفر لها الكثير فى هذا المجال رغم قيام بعض الشباب الباحثين فى الدراسات الأفريقية بمحاولة الإضافة خاصة عن جنوب أفريقيا أو ناميبيا وأنجولا.. إلخ ، لكن هذا المجال يظل مفتوحًا لمعرفة أكثر وتوثيق أشمل، لم يتم بعد فى مصر سواء لانغلاق الأرشيفات المصرية والعربية عمومًا أمام الباحثين، أو عدم توفر الإمكانيات للحركة الواسعة أمام الباحثين فى المناطق الأفريقية ليلتقوا بصناع التاريخ الحديث لأفريقيا مثلما أتيح لريتشارد جيبسون مبكرًا، وهذا أمر جدير بالتفكير الدائم -بل وبالمسئولية- من قبل الجماعة الثقافية والأكاديمية وصناع القرار على السواء .

ولا يسعنى إلا أن أشكر الأستاذ الدكتور صبرى محمد حسن على جهده لنقل هذا العمل إلى تراث اللغة العربية، وأن أشكر المجلس الأعلى للثقافة على نشر الكتاب ضمن سلسلة حديثة للدراسات الأفريقية الحية .

مقدمة المؤلف

هذا المسح لحركات التحرير الأفريقية المعاصرة ، هو نتاج لما يزيد على عشر سنوات من الأسفار والبحث فى أفريقيا ، وتطوير وتوسيع ملاحظات دونها واحد من مراسلى الشئون الأفرو - أمريكية ، تنقل فى مهامه من الجزائر إلى زامبيا ، كما حظى بامتياز الاتصالات والصلات الودية المطولة مع كثير من قادة التحرر ، ومع الساسة فى كثير من الأقطار الأفريقية ، ومع المسئولين أيضًا فى منظمة الوحدة الأفريقية فضلا عن اتصاله بكثير من الرجال والنساء الذين انخرطوا فى صفوف حركات التحرير وصبروا وصابروا على تحمل أشق الأعباء فى النضال المرير للقضاء على البقية الباقية من آثار الحكم الاستعمارى وحكم الأقلية البيضاء فى القارة الأفريقية ؛ ولولا مساعدة كل هؤلاء لى وتشجيعهم إياى لما استطعت أن أكتب هذا الكتاب ، زد على ذلك ، أننى أدين - بصورة خاصة - لأشخاص كثيرين - لست فى حل من ذكر أسمائهم هنا - كشفوا عن قدر كبير من الشجاعة الشخصية والثقة عندما ناقشوا معى فى صراحة ، أمورًا ودّ آخرون لو أنها ظلت فى طى النسيان إلى الأبد !

ولما كنت شقيقًا ، ومناضلاً ومقاتلاً من أمريكا السوداء يسعى إلى أضوائه الخاصة ، فأنا لايمكن لى أن أدعى الحياد أو النزاهة فى هذا التقرير الذى أكتبه عن المعارك التى خاضها شعبى ، فى سبيل الحرية ، ومع ذلك فأنا على يقين - من جانب آخر - أن الصدق والحقيقة مهما كانت قسوتهما ، هما اللذان سيتوجان هذه المعارك بالنجاح ، ومن ثم ، لم أحاول من جانبى تفسير النكسات الخطيرة أو أوجه النقص والعيوب - التى أخص منها التشرذم بشكل خاص - تفسيرًا خاطئًا ، على طريق مازلت أعتقد أنه سوف ينتهى بالتحرر الوطنى ، برغم العوائق الكبيرة التى تنتج عن هذه الانتكاسات والنقائص والعيوب ، ومدى الالتزام فى الكتاب يتساوى مع التزامى بذلك الاعتقاد ؛ فقد كتبت الكتاب دونما خجل أو تخوف ، كما أننى لم أكتبه ليكون دفاعًا من جانب رجل أسود

وبرغم تقديم المادة بطريقة منظمة ، بحيث تغطى كل قطر وكل تنظيم على حده - بحيث يسبق كل ذلك سرد مختصر للخلفيات التى يتعذر بدونها فهم مدى تشابك

الحقائق الأفريقية – إلا أن هذا الكتاب يعد – فى الأساس – كتابًا فى التاريخ والتحليل السياسى ، ولما كانت معارك اليوم حصادًا لمعارك سابقة – قد ننساها أحيانًا – خلال فترة الكفاح الأولى ضد الاستعمار والتعدى الأوربيين – فقد وجدتنى مضطرًا إلى أن أضمن الكتاب نبذة تاريخية عن تلك المعارك من ناحية ، وعن آخر الجهود الأفريقية المبذولة فى مقاومة التعاظم الأبيض داخل أطر النظم الاستعمارية من الناحية الأخرى ، كما وجدت أن من المناسب أيضًا– وإن كان ذلك على حساب التضحية بمنظر الغابة حفاظًا على الأشجار – أن أتناول كل قطر وكل حركة على حده ، ومن هنا ربما يشكل ذلك شيئًا من التكرار ، ولكن فى اعتقادى أن ذلك أخف وطأة من الحذف وبخاصة فى المواضع التى يحول الموقف فيها بين القارئ المتعجل وبين الدراسة الدقيقة لأجزاء من الكتاب ربما تبدو غير ذات علاقة بدراسة بلد بعينه أو حركة بذاتها .

ولولا تشجيع السيدة شيلا باتيرسون ما كتبت هذا الكتاب قط ؛ فقد كانت ترى أنه ربما كانت له قيمة برغم تحفظها على بعض آراء المؤلف السياسية ، ومع ذلك فقد أدرجت ضمن الكتاب بعضًا من المقالات التى كتبتها السيدة /باتيرسون أيام أن كانت تعمل محررة فى نشرة نيوزليتر Newsletter التى تصدر عن معهد العلاقات العرقية .

أما وقد تغير اسم المجلة إلى الأعراق اليوم Race Today فإن المحررين بيتر واتسون ، والكسندر كيربى اللذان تعاقبا العمل فى تحرير تلك المجلة ، شجعانى على المضى قدمًا فى كتابة الكتاب ، ولم يحثنى فحسب سيمون أبوت نائب مدير المعهد على المضى قدما فى المخطوطة بل ساعدنى أيضًا هو وديل جنثورب على إنهائها ، ويجب أن أعترف بفضل دورين ديفز فى نسخ مخطوطة هذا الكتاب الصعبة ، وأنا هنا أعترف أيضًا بفضل مقترحاتها المفيدة حول تحسين النص .

وبطبيعة الحال يجب أن أنسب الفضل أيضًا إلى كثير من الشخصيات فى أفريقيا ، وأنا جد آسف لأنى لم أستطع أن أشكر فضل كل منهم على حدة ؛ كما أوجه شكرى ، بصفة خاصة إلى الأصدقاء الأفارقة الذين قرءوا أجزاء مختلفة من المخطوطة ، وحاولوا تصحيح بعض الأخطاء ، ومنهم ريتشارد هوف من زمبابوى ، تنجورو هوراكا من جنوب غربى إفريقيا ، وجورجى سانجومبا من أنجولا ، وديفيد سابيكو من جنوب أفريقيا ، وأوجه شكرى أيضًا إلى السيدة / كارول بينا من مكتب العمل الدولى فى

چنيف ، التى لم أكن أغيب عن بالها عندما كانت تجد فى بحثها الخاص الذى كانت تعده عن إفريقيا ، ما قد استطيع أن أفيد منه فى كتابى .

وأخص بالشكر من بين جميع المؤلفين الكثيرين الذين أدين لهم صديقى جيرارد شاليان ، الذى يعد كتابه : النضال المسلح فى إفريقيا Lutte Armee En Afrique الذى نشرته دار ماسبيرو – فى باريس فى العام ١٩٦٧ الميلادى ، بمثابة طليعة الكتب السياسية الخطيرة عن حركات التحرر المعاصرة ، وقد وجدت فى كتاب جون .إيه . ماركوم المعنون : الثورة الأنجولية Angolan Revolution والذى نشرته دار كمبردج فى ولاية ماساتشوستس فى العام ١٩٦٩ ، كثيراً من المعلومات الدقيقة ، ولو توفر لحركات النضال الأفريقية الأخرى من الباحثين من يسجلها بمثل هذه العدالة والدقة والاهتمام البالغ فإن مستقبل التسجيل التاريخى لأفريقيا سيكون مستقبلاً باهراً .

وفى النهاية يتحتم على أن أعترف بفضل أصدقائى الأوفياء الذين ألحوا على بأن الكتاب يعد أمراً مقضياً علىّ ولابد أن أكتبه ، وكلما كان يدب اليأس فى نفسى حول تكملة الكتاب ، كانوا يشجعوننى على المضى قدماً فى العمل ، والآن ، وبعد أن أنهيت الكتاب ، أتمنى أن يرقى – ولو إلى حد ما – إلى مستوى الآمال التى كانوا يعلقونها عليه .

ريتشارد جيبسون

القسم الأول

مقدمة : مفهوم التحرر الوطنى فى أفريقيا

من الضروری علی أية دراسة تعنی بتطور النضال ضد أشكال الاستعمار والأشكال الأخری لحكم الأقلية البيضاء فی أفريقيا فی النصف الثانی من القرن العشرين ، أن تبدأ مثل هذه الدراسة بمحاولة وضع هذه الحركات النضالية المتشابكة ضمن إطار جغرافی ، اقتصادی ، اجتماعی ، وتاريخی محدد .

ومفهوم التحرر الوطنی نفسه ينطوی علی وجود كيان وطنی ذی صبغة تاريخية حتی فی حالة خضوعه لقوة خارجية أو عندما يظهر مثل هذا الكيان من خلال الآمال الشعبية التی تبلورت أثناء الكفاح ضد أجنبی غريب قاهر يتعذر النيل منه ، وبهذا المعنی لم تكن الجزائر فی الحقيقة فرنسية قط ، وإن كانت هناك لحظات ظنت فيها أقلية قليلة من السكان المسلمين أن ذلك ربما كان أمرًا ممكنًا ، ولكن الدماء التی سالت والآلام التی تحمَّلها الشعب فی معركة الاستقلال فی الفترة من العام ١٩٥٤ إلی العام ١٩٦٢ أزالت كل تلك الأوهام ، وطبعت وعی هؤلاء السكان بأمتهم ،علی كل طبقات الشعب الجزائری ، وزد علی ذلك أن الوطنيين الجزائريين - حتی قبل أن يحصلوا علی استقلالهم - أجبروا فرنسا بشیء من الجهد وتحاشی العصيان المسلح فی أماكن أخری علی أن تمنح السواد الأعظم من الدول الناطقة بالفرنسية فی إفريقيا - جنوبی الصحراء [1] - استقلالاً اسميا فی أضعف الأحوال !

وفی الدول الأفريقية الناطقة بالإنجليزية ، كان الاستعمار البريطانی - بحكم تجربته السابقة فی الهند وبورما - علی استعداد لمنح غانا استقلالها فی العام ١٩٥٧ ، خلال فترة وجيزة نسبيًا ، فضلاً عن استعداده أيضًا لمنح الاستقلال لمعظم الدول الأفريقية التی كانت تحت الحكم البريطانی ، وبخاصة الأماكن التی لم يكن المستوطنون البيض فيها علی درجة من القوة تسمح لهم بمقاومة نقل السلطة إلی الأغلبية السوداء ؟ ففی كينيا :ضحی المسئولون بمصالح المستوطنين من أجل المصالح البريطانية السياسية والاقتصادية التی كانت أهم من ذلك بكثير ،كما كانت هناك أيضا مجموعة مؤتلفة من العوامل مثل : الماوماو والحنين إلی الأرض ،فضلاً عن إحساس وطنی قوی ومتزايد ، بين السواد الأعظم من الناس ، كان يكشف عن نفسه سياسيًا من خلال حزب الاتحاد الوطنی الأفريقی الكينی (كانو) KANU هذا بالإضافة أيضًا إلی الضعف النسبی للمستوطنين والدسائس التی كانت تدور فی مجلس الوزراء

البريطانى ؛ مما أدى إلى حكم الأغلبية الأفريقية ،ثم إلى الاستقلال فى النهاية ، وفى أقصى الجنوب أدى انهيار الاتحاد الفيدرالى لوسط أفريقيا الذى كان يسيطر عليه المستوطنون إلى استقلال كل من زامبيا وملاوى،كما أدى أيضًا إلى التخلى عن روديسيا للسادة البيض المحليين .

وكان الكنغو البلجيكى واحدة من المناطق التى ظل الأفارقة فيها محرومين من التقدم السياسى المضطرد فترة طويلة من الزمن ، ومع ذلك سارعت بلجيكا وهى تواجه بزوغ القومية الكنغولية – برغم سيولتها القومية ، وطبيعتها المتناقضة – سارعت إلى منح الكنغو الاستقلال ، ولم تكن الحرب الأهلية التى أعقبت ذلك فى الكنغو ، فضلا عن المذابح والصراع القبلى فى غيرها من المحميات البلچيكية السابقة فى كلٍ من رواندا وبوروندى سوى جزء واحد فقط من تراث المستعمرين البلجيكيين .

وفى أماكن أخرى من ذلك الجزء الذى كان يطلق عليه اسم أفريقيا البريطانية استطاعت كل من : روديسيا ، وجمهورية جنوب أفريقيا ، وجنوب غربى أفريقيا [٢] وحدها أن توقف حكم الأغلبية ، أما الديموقراطية التى حرمت على الدولة الأم فى البرتغال ، أيام ديكتاتورية سالازار ،فقد كان من الصعب على البرتغاليين أن يسمحوا بها للأفارقة فى أنجولا وكابيندا ، وغينيا وجزر الرأس الأخضر وموزمبيق ، زد على ذلك أن حكام البرتغال الفقيرة إستفادوا – إلى حد كبير – من الاستغلال الفائق لمستعمراتهم فيما وراء البحار ، وعلى أمل مواجهة المطالب الوطنية الأفريقية راح البرتغاليون يدعمون عمدًا أسطورة مفادها أنه فى الوقت الذى كانت فيه دول أوربية أخرى تعد دولا استعمارية بالفعل – فإن البرتغال – إلى حد ما – خلقت حضارة متعددة الأجناس (لوسوتروبيكال) بلغة القوم فى منطقة الليزوفون الإستوائية [*] ؛ هذا بالإضافة إلى أن مساعدات الغرب العسكرية والاقتصادية التى مكنت البرتغال – التى لم تكن تستطع بغير هذا الطريق تحمل مثل هذا الإسراف – من تسليح تلك الأعداد المتزايدة من القوات التى كانت بحاجة إليها لقمع القلاقل فى المدن ومقاومة الحرب الثورية التى كانت تنتشر فى الريف الأفريقى .

بعد ذلك خاضت دول أوربية أخرى معارك من طراز معارك [٣] حرس المؤخرة ، فى أجزاء أخرى ،أثناء مواجهتها للاستقلال الأفريقى ، وردًا على الأسباب الخاصة

(*) الليزوفونية Lusophone فى المناطق البرتغالية هى معادل الفرانكفونية والإنجلوفونية بالنسبة للدول الاستعمارية الكبرى (المحرر) .

بتلك الاستثناءات تمسكت فرنسا بعدد من الجزر الافريقية - مثل جزر الريونيون والكومورو - حيث اتخذت المطالبة بالاستقلال فيها طابعًا وطنيًا ، وبالطريقة نفسها رفضت إسبانيا مجرد إعطاء الحكم الذاتى لجزر الكنارى ، وفى القرن الأفريقى سارعت فرنسا وأعادت تسمية أرض الصومال باسم ساحل العفرو والعيسى وذلك فى محاولة منها لإحباط المطالب الصومالية الوحدوية مع جيبوتى ، والإصرار من جانب أثيوبيا على المطالبة بميناء حيوى لها على البحر الأحمر .

فى المناطق التى كانت تتحصن فيها الأقليات البيضاء لم يكن أمام الوطنيين الأفارقة من سبيل سوى الكفاح المسلح لتحقيق التحرر ، وواصلت الأقليات البيضاء الحاكمة فى جنوبى أفريقيا سحقها كل الآمال التى كانت تراود الناس عن تقدم سياسى ، وديموقراطية غير عنصرية ، بل إن تلك العناصر ، راحت على العكس من ذلك ، تروج لنظام التفرقة العنصرية على أنه الغطاء الأيدولوجى للإبقاء على الرجل الأسود فى وضع يجعل منه وحشًا له وزنه الثقيل عند بحث كل أمر من الأمور ، وهنا حدث ارتداد ونكوص دستوريان عن الحقوق المحدودة الهزيلة لغير البيض مما أدى إلى رفض عنصرى كامل لحقوق المواطنةً للعبيد السود وسُمر البشرة ، وقام الحكم الأبيض بقمع الاحتجاج غير العنيف بقدر من العنف أصبح معه لجوء الأفارقة إلى العنف بمثابة إجراء للدفاع عن النفس والحفاظ على الحياة أكثر منه تحديًا مطلقًا لنظام اجتماعى وسلمى ظالم ، والعنف عنصر لصيق وملازم للمجتمع فى كل من جنوبى أفريقيا ، وجنوبى غرب أفريقيا اللذان لا يمكن أن يتفككا بغير ذلك .

ولولا العنف لأصبح الحكم الأوربى فى أفريقيا أمرًا مستحيلاً : ذلك أن البيض الذين تسلطوا خربوًا على مر القرون ،ليس فحسب الموارد الطبيعية فى الأرض بل أحكموا قبضتهم أيضًا على الملايين من الشعب الأفريقى واتخذوا منهم عبيدا [٤] ، وكانت مجموعات متفرقة من القبائل هى التى تكاد تقوم بصورة مستمرة على أمر تنظيم المقاومة الأفريقية الأولية ، وبرغم مناداة القادة الأفارقة ذوى البصيرة ، مرارًا وتكرارًا بالوحدة فى كثير من الأماكن المختلفة ؛ إلا أن ما تحقق من الوحدة كان هشا وسريع الزوال ، وما تزال أصداء تلك المعارك القديمة من أجل الحرية تدوى فى خلفية النضال المعاصر من أجل التحرير ، ومهما يكن من أمر ،فإن الأحزاب الوطنية

الحالية – من حيث المبدأ – فى أفضل الأحوال استطاعت أن تجعل النضال الذى كان يتمركز فى القبائل نضالا يستند إلى الوعى الوطنى الناشئ ، وفى الوقت الذى يبدو ذلك فيه للصفوة التى تصطبغ بالصبغة الأوروبية ، على أنه ليس أمراً طبيعيًا فحسب ، بل وضروريًا أيضًا ، نجد أن التحول يعنى – فى أغلب الأحيان – عملية صعبة من التكيف بالنسبة للجماهير وبخاصة فى الريف ؛ حيث يتعين على الجماهير أن تشن المعارك وتخوضها بنفسها .

وسوف نرى أن ذلك التحول لم يتحقق إلا بصعوبة بالغة فى قليل من الأماكن ، زد على ذلك ، أن الركود الذى وضع النضال داخل حدود عرقيه كان بمثابة الثمن الباهظ الذى تحتم دفعه ثمنا لذلك الفشل ، كما سنرى من ناحية أخرى ، أن النخبة التى اصطبغت بالصبغة الأوربية واتخذت لنفسها مراكز فى غير أوطانها بدأت تواجه فشلاً مماثلاً نتيجة عجزها فى أن تضرب جذورها فى المجتمعات القبلية ،التى تسيطر على الريف الأفريقى ظنا منها أن الوعى الوطنى الناشئ يمكن أن يكون بالضرورة بمثابة امتداد لمواقفها الحضرية .

وتعنينى فقط فى هذه الصفحات حركات التحرير الوطنى الأفريقية التى قامت فى مواجهة الأشكال الاستعمارية والأشكال الأخرى لحكم الأقلية البيضاء ، وأنا فى ذلك أسير على هدى من الخطوط الرئيسة لمنظمة الوحدة الأفريقية ، وكما طبقتها بالفعل "لجنة تحرير إفريقيا "، غير أن هذه اللجنة لاتعترف ببعض التنظيمات الواردة ضمن هذا البحث ، ومن سوء الطالع ، أن ذلك يعنى أنى لن أتناول بالدراسة بعضًا من أشكال النضال الثورى الحقيقى ضد بعض النظم الحاكمة الأفريقية ؛ إذ لاتزال تلك الأشكال خارج سياج منظمة الوحدة الأفريقية ، وقد حذر باكارى جيبو رئيس حزب صوابا – الذى لايحظى بالحماية القانونية فى النيجر – عند تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية ، من أن تلك المنظمة يمكن أن تتحول إلى شكل من أشكال النقابة التى يتحكم فيها أصحاب السلطة الذين يناضلون من أجل أن يدعم بعضهم بعضا كى يتسنى لهم فى النهاية مقاومة التيارات الشعبية (٥) ، لكن المبدأ المعلن عن عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ، وإن انتُهك كثيراً فهو من مبادئ العلاقات الدولية الطبيعية !

وسواء شجب الثوار الأفارقة بعض الحكام بأنهم عملاء للاستعمار الجديد أو طغاة يفرضون حكمًا مركزيًا على أقاليم كانت مستقلة أو كانت تتمتع بحكم ذاتي من قبل ، كما هو الحال بالنسبة لزائير منذ سقوط باتريس لومومبا - والتي كان يطلق عليها من قبل اسم الكنغو كينشاسا - أو كما هو الحال بالنسبة لأثيوبيا في عهد هيلاسلاسي وموقفها من إرتيريا فإن منظمة الوحدة الأفريقية كانت تتحاشى - بصورة تثير الشك والريبة - تقديم أقل القليل من المساعدات للمتمردين فضلاً عن تشجيعهم القليل لهم بغض النظر عن الأسباب التي يقوم عليها شجب الثوار الأفارقة لبعض الحكام .

وفي يناير من العام ١٩٦٩ ادرك حزب مؤتمر باسوتولاند في ليسوتو أنه برغم وقفة الحزب الوطني الأفريقي الخالية من العيوب ؛ والدليل القاطع الذي قدمه الحزب أيضًا على استيلاء الرئيس ليبوا جوناثان على السلطة ، بتأييد ومساندة من حكومة جنوب أفريقيا فإن منظمة الوحدة الأفريقية لم تكن لديها أية نية لتشجيع إعادة الديموقراطية إلى ليسوتو عن طريق النضال الثوري ، وعلى أي حال ، فإن تلك الصراعات الداخلية تدخل في إطار الثورة الاجتماعية في كل أنحاء أفريقيا المستقلة ، وبرغم أن تلك الصراعات لا ترتبط بأي حال من الأحوال بالكفاح من أجل التحرر في مواجهة حكم الأقلية البيضاء إلا أن تشابكها يجعل من المستحيل أن نوردها في كتاب كهذا محدود الحجم والمجال ، ومن حقنا أن نتطلع إلى قيام المراسلين والباحثين بتكريس المزيد من الاهتمام لتسجيل وتحليل تلك الالتفافات ، وسوف ألقى نظرة عابرة على التاريخ المحزن لحزب اتحاد شعوب الكاميرون وهو أول حزب يشن نضالاً مسلحًا ضد الحكم الاستعماري في أفريقيا جنوب الصحراء .

وقد تأسس حزب اتحاد شعوب الكاميرون UPC أصلاً في العام ١٩٤٧ كقسم كاميروني من التجمع الديمواقرطي الأفريقي لمناطق غربي أفريقيا الفرنسية ، وعندما يئس حزب اتحاد شعوب الكاميرون من التقدم الدستوري في اتجاه حصول الكاميرون على الاستقلال من فرنسا ، ونظرًا أيضًا للحماس الذي أصاب الحزب إزاء خسارة فرنسا لمعركتها ضد الوطنيين الجزائريين ، انخرط الحزب في سلك (الكفاح المسلح) (٦) اعتبارًا من يوم ١٢ من يوليو من العام ١٩٥٦ ، وفي العام ١٩٥٨ قتلت القوات الفرنسية السكرتير العام للحزب روبن أوم نيوبي ، أما رئيس الحزب فيلكس موميَ ، فقد اغتاله

عميل فرنسي في جنيف في العام ١٩٦٠ ، وفي ذلك التاريخ كانت فرنسا قد منحت الكاميرون الاستقلال الرسمي ، غير أن حزب اتحاد شعوب الكاميرون (يوبك) UPC ظل يواصل النضال ، كما حاول بعض قادة الحزب توجيه النضال في داخل البلاد من أحد مراكز رئاسة الحزب في المنفى في كل من كوناكري واكرا، وغني عن القول إن حزب اتحاد شعوب الكاميرون لم يحصل على أي دعم من منظمة الوحدة الأفريقية التي كانت الكاميرون – برئاسة الرئيس أحمدو أهيدجو – من بين الدول الأعضاء فيها ، وقد انقسم اتحاد شعوب الكاميرون إلى جناحين : جناح موالٍ للسوفيت برئاسة ما يسمى " اللجنة الثورية " التي تضم كلا من مساجا وونجلي وآخرين ، وجناح عسكري آخر موالٍ للصين – اللجنة الإدارية – برئاسة أوسندى أفانا ، وافانا هذا اقتصادي لامع ، انضم إلى القوات المسلحة الثورية داخل الكاميرون ،تحت رئاسة قائد بارز آخر من زعماء حزب اتحاد شعوب الكاميرون ، فضلا عن نائب رئيس الحزب إيرنست أواندى الذي كان يعمل ضمن حركة الكفاح المسلح منذ عام ١٩٦١ ، وقتلت القوات الحكومية أفانا في اليوم الخامس عشر من شهر مارس من العام ١٩٦٦، يضاف إلى ذلك أن أواندى الذي ظن الكثيرون أنه مات منذ عام ١٩٦٣ ،جرى أسره في الثامن عشر من شهر أغسطس من العام ١٩٧٠ ، كما ألقى القبض أيضًا ، في التاسع عشر من شهر أغسطس من العام ١٩٧٠ ، على أسقف نيكونجو سامبا الكاثوليكي الروماني "المونسنيور إلبرت ندونجمو" لمشاركته في العصيان [٧] ، وقد حكم بالإعدام على أواندى واثنين آخرين أقل منه رتبة في قيادة حزب اتحاد شعوب الكاميرون ، أما الاثنان الآخران فهما : روفائيل فوتسنج ، وجبرائيل تابيو ، وقد وجهت إلى الثلاثة تهمة الخيانة العظمى والعصيان ، وجرى تنفيذ حكم الإعدام فيهم في يوم ١٥ من يناير من العام ١٩٧١ بصورة علنية وبأيدى فرقة الإعدام في مدينة بافوسام ، في المنطقة التي كانت في وقت من الأوقات بمثابة القلب من أرض العصيان ، كما حكم على المونسينور نودنجمو أيضًا بالإعدام الذي خُفِف إلى السجن مدى الحياة ، وبات واضحًا أن نظام الحكم الاستعماري الجديد قام بسحق الحزب الوطني الثوري الذي كان يتمركز – برغم كل ذلك – في جماعات إثنية محدودة داخل البلاد غير أن الواقع كان أكثر تشابكًا وتعقيدًا ؛ إذ كان من الصعب التيقن من صحة الأسباب [٨] التي أدت إلى الهزائم

المتلاحقة التى حاقت بحزب اتحاد شعوب الكاميرون ، ومع ذلك ،لايمكن لأى إنسان أن ينكر على حزب اتحاد شعوب الكاميرون فضل أنه شن نضالا من أجل استقلال الكاميرون ؛ وأنه أصر فى معركته غير المتكافئة تماما على إقامة نظام حكم اشتراكى ديموقراطى .

وعلى كل حال ، لم يكن ذلك هدفًا من أهداف لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية ؛ ذلك أن لجنة تحرير أفريقيا تحدد هدفها فى الحصول على الاستقلال الرسمى للمناطق التى لاتزال تحت نير حكم الأقلية البيضاء ، بل إن هذا المطمح المقيد ذاته كانت ترتاب فيه علانية بعض الدول الأفريقية ، بقيادة القوى المحافظة ، وبخاصة الدول الناطقة بالفرنسية بقيادة الرئيس فليكس هوفى بوانييه ، رئيس ساحل العاج ،الذى طالب باعتراف صريح بنظام الحكم الأبيض فى جنوب أفريقيا والتخلى عن مناضلى الحرية السود ، بينما هو يدافع عن سياسة تخفيف الأبار تهايد فى جنوب افريقيا عن طريق الاتصالات الدبلوماسية ، وأيضا عن طريق التجارة مع جنوب أفريقيا ، والضغط عن طريق الرأى العام الإفريقى الخير والرأى العام العالمى ،على الحكام البيض فى جنوب إفريقيا : ومعنى هذا الاختلاف المتزايد فى الآراء أن مبلغًا صغيراً ، هو الذى جرى تسديده إلى ميزانية التحرير المخصصة للجنة تحرير أفريقيا التى ورد فى أحد التقارير أنها كانت محددة بحوالى ٧٥٠٠٠٠ جنيه إسترلينى [٩] فى العام ١٩٦٨-١٩٦٩ ، ومع أن الميزانية مفروض أن تكون أمراً سرياً ، إلا أن رجلاً ساخطاً ملونًا من جنوب افريقيا فى المنفى كشف أمراً مؤداه أن مبلغ ٥٠٤٠٠٠ جنيه إسترلينى كان مخصصًا للعتاد والمعدات ، علاوة على مبلغ ٦١٠٠٠ جنيه إسترلينى أخرى كانت مخصصة للإدارة وأغراض الدعاية ، وإن لجنة تحرير أفريقيا ، التى يرأسها ماجومبى السكرتير التنفيذى التنزانى الجنسية وتمارس عملها من مركز رئاستها فى دار السلام . وفى المقام الأول ، فإن لجنة تحرير إفريقيا كانت سبباً رئيساً من أسباب الوحدة الأفريقية ، كما أن تلك اللجنة ذاتها استعملت فى تبرير كل الحلول الوسط اللازمة لإخراج منظمة الوحدة الأفريقية إلى حيز الوجود ، وذلك فى أديس أبابا فى العام ١٩٦٣ ، والواقع أن بعض الدول الأفريقية ، وبخاصة غانا ، والجزائر والجمهورية العربية المتحدة [١٠] كانت تقدم مساعدات كبيرة لبعض

حركات التحرير ، كما أن حركة الحرية الموحدة لشرقى أفريقيا ووسطها [١١] ، ثم بعد ذلك لجنوبى أفريقيا كانت تحاول تقديم المساعدات لبعض حركات التحرر ، أما الدول الأعضاء الأساس فى لجنة تحرير أفريقيا فهى :الجزائر وزائير (الكنغو كينشاسا) وأثيوبيا ، وغينيا ، ونيجيريا ، والسنغال ، وتنجانيقا ، وأوغندا ، والجمهورية العربية المتحدة ثم انضمت إليها مؤخراً كل من : زامبيا ، والصومال .

وقد حددت منظمة الوحدة الأفريقية للجنة تحرير إفريقيا هدفين محددين : أولهما : وضع ميزانية لتمويل الكفاح من أجل تحرير أفريقيا ، وثانيهما : تنسيق الكفاح على أساس إقليمى وداخلى فيما بين الأقاليم المختلفة ابتداءً باستئصال الأحزاب المتنافسة وتكوين جبهات متحدة ، هذا وقد باءت بالفشل الذريع جميع الجهود التى كانت تبذل من أجل فرض الوحدة على كل من الحركات التى تختلف مع بعضها لأتفه الأسباب ، وعلى الحركات المتقاتلة فى البلدان المختلفة .

وكما رأينا بالفعل فإن الجهود التى كانت تبذل لتوفير الأموال ،أصابت ما هو أقل من النجاح المظهرى ،بل إن لجنة تحرير أفريقيا ،فى العام ١٩٦٦ الميلادى كادت تُلغى بعد نقد مرير وُجه إليها من الدول اليمينية التى زعمت أن الجزء الأكبر من الأموال كان ينفق فى النواحى الإدارية ، وحسابات سفر قادة الحركة ، ولم تنجح سوى الجهود المخلصة التى بذلها الرئيس جوليوس نيريرى وحده لوقف الهجوم على لجنة تحرير إفريقيا ولكن أعداء تلك اللجنة ، داخل أفريقيا وفى الخارج ، لم يتوقفوا قط عن الهجوم عليها على أمل أن ينجحوا فى حل تلك اللجنة فى النهاية ، وعلى ضوء ما وصلت إليه الأمور ، فإن معظم حركات التحرير التى كانت تتلقى معونات من تلك اللجنة أثبتت أنها لايمكن أن تبقى على قيد الحياة فترة طويلة مالم تتلق معونات مالية ومساعدات مادية مباشرة من الصين ، والاتحاد السوفيتى ، وكوبا ، بل حتى من الجزائر ومن الجمهورية العربية المتحدة .

وحدث أخطر تحدٍ لسلطة لجنة تحرير أفريقيا [١٢] فى العام ١٩٦٩ عندما نظم الاتحاد السوفيتى – بصورة غير مباشرة – عَقد مؤتمر فى الخرطوم تحت نفوذه لحركات التحرر ، وقد رعى ذلك المؤتمر بصورة رسمية ، كل من جناح منظمة تضامن الشعوب

الأفريقية والأسيوية والمجلس العالمى للسلام الخاضعين لتوجيهه من مركزيهما فى أفريقيا ، وفشل مؤتمر الخرطوم فى أن يحل محل لجنة تحرير أفريقيا ، التى استمرت فى مساندتها لحركات التحرر ، سواء أكانت هذه الحركات موالية للصين ، أم غيرها من الحركات التى كانت تهرب من سيطرة موسكو – ولكنها فى الأصل من المجموعة التى تدور فى فلكها تماماً ويتزعمها المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا ، وشارك فى المؤتمر أيضاً الأعضاء المؤسسون لمؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية ، الذى يعد الحليف الأصغر لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى – فى تحالفهما العسكرى – وحذا حذوهم أيضاً كل من اتحاد شعب زمبابوى الأفريقى ومنظمة شعوب جنوب غرب أفريقيا ، وكما سنرى فإن ذلك كان مجرد انتكاسة واحدة فقط من الانتكاسات المختلفة التى أصابت سياسة التحرر الأفريقية على إثر الانقسام الصينى – السوفيتى المدمر الذى حدث فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية .

فالرئيس ماوتسى تونج – رئيس الحزب الشيوعى الصينى – كان يرى الصراع فى أفريقيا على أنه واحد من الصراعات التى لها أهمية بالغة فى الحركات الثورية العالمية والواقع أن تقييم الصينيين لأولوية الثورة فى كل من أفريقيا ، وآسيا وأمريكا اللاتينية يعد واحداً من النقاط الرئيسية فى نزاع الصينيين مع القادة الشيوعين المراجعين (١٣) من السوفييت ، وقد أعلن القادة الصينيون فى واحد من مقترحاتهم الخاصة بالخط العام للحركة الشيوعية الدولية أن مناطق هذه القارات الثلاث تعد أشد المناطق ضعفاً فى ظل الحكم الاستعمارى ، فضلاً عن كونها أيضا مراكز للعواصف فى حركة الثورة العالمية (١٤) ، وفى عدم تبصرة تقول اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى وثيقة أخرى وجهتها إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى : من المستحيل على الطبقة العاملة فى الدول الرأسمالية فى كل من أوربا وأمريكا أن تحرر نفسها ما لم تتحد هذه الطبقة والدول المغلوبة على أمرها ، ومالم تتحرر هذه الدول (١٥) ويعتقد الشيوعيون الصينيون أن القيادة السوفيتية كانت ترغب فى التضحية بمساندتها الأخوية لحركات الثورة فى القارات الثلاث كجزء من اتفاق عالمى للتعايش السلمى مع الولايات المتحدة والدول الغربية ،.وفى الحقيقة أن الصينيين قدموا المساندة المالية والمادية لأصدقائهم الأفارقة ، غير أن التحليل الجاد والدقيق لتلك المساعدة يؤكد

أن حجمها كان يضخمه – بشكل كبير – كل من النقاد السوفيت والغربيون الذين انطبع فى أذهانهم الخطر الأصفر القديم طيفًا مخيفًا فى ثوب حديث أكبر من آخر شكل ظهر به ذلك الخطر على المسرح العالمى .

وبدا من جديد أن الأمر فى حقيقته كان أكثر تعقيداً وتشابكًا ، إذ ثبت أن جميع الأفكار التى كانت تبسط المساعدة (١٦) والمشورة الصينية كانت غير صحيحة فى مجملها ، والسبب فى ذلك أن الذى يفعله الصينيون علانية ، كان يتمثل فى مطالبتهم للثوار بأن يعيدوا دراسة أشكال نضالهم الذى يتحتم أن يكون نضالاً مسلحًا داخل الإطار المحدد للحقائق الوطنية لكل قطر من تلك الأقطار على حدة ، وبينما كان الصينيون يقدمون المال والسلاح ويعيدون إلى الأذهان تجربتهم الثورية الطويلة ؛ لم يتوقفوا قط عن تذكير أصدقائهم فى أفريقيا أن أولى فضائل النضال الثورى الناجح هى الاعتماد على النفس .

زد على ذلك أن البرامج الأيديولوجية لحركات التحرر الأفريقية تدل على خليط من التأثيرات فى اللغة والأفكار ؛ كما إنها تتدرج من الديموقراطية البرجوازية فى أوروبا وأمريكا – فى القرن الثامن عشر – إلى المانيفستو الشيوعى ، ومنها إلى آخر لهجات النزاع الصينى – السوفيتى ، وليس هناك فحسب تطرف فى كثير من الحركات وبخاصة عندما نكتشف أن جميع طرق التقدم المنظم صوب الاستقلال قد سُدَت ، بل إن هناك أيضًا – فى غياب التطرف – نزوعًا فى كثير من الأحيان إلى البلاغة الثورية التى تعتمد على العبارات الطنانة الجوفاء ، يضاف إلى ذلك أن بعض الأحزاب – التى كانت تنظر بازدراء إلى الرأسمالية الغربية –كانت تتردد فى بداية الأمر فى إعلان التزامها بالاشتراكية : ففى عام ١٩٦٣ ، صرح أميلكار كابرال ،السكرتير العام للحزب الأفريقى لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر ، بأن الثورة الأفريقية تعنى تغيير الحياة الاقتصادية الحاضرة بمايتمشى مع حركة التقدم ، غير أنه لم يحدد أشكالاً جديدة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية النامية فى كل أنحاء القارة (١٧) ، وبطبيعة الحال كان من الصعب على أرهف الرأسماليين حسًا ألايدرك ذلك التهديد الذى تقنع بقناع رقيق جداً ، وراح يقف وراء مثل هذه الكلمات ، وفى أوائل نوفمبر من العام ١٩٥٤، لم يرد ذلك التهديد المقنع فى أول تصريح لجبهة التحرير الوطنية

الجزائرية ، إذ أعلن الوطنيون الجزائريون أن هدفهم الوحيد هو استعادة الدولة الجزائرية الديموقراطية ذات السيادة فى حدود إطار مبادئ الإسلام فى الوقت الذى تحترم فيه حقوق الإنسان دون تمييز بسبب الجنس أو الأصل (١٨) ، وبعد ذلك بثمانى سنوات ، وفى عشية الاستقلال ،تجرأت جبهة التحرير الجزائرية وراحت تناصر الاشتراكية بصورة علنية – برغم أن ذلك لم يمر دون معارضة داخلية حقيقية – فى برنامج طرابلس الذى عقد فى شهرى مايو ويونيه من العام ١٩٦٢ ، وبقى ذلك الالتزام غير واضح المعالم حتى شهر أبريل من العام ١٩٦٤ ، عندما التزمت جبهة التحرير الوطنى الجزائرية (١٩) بميثاق الجزائر فى أول مؤتمر لها بعد الاستقلال ، أما الظروف الخاصة التى أجبرت الدولة الجزائرية الجديدة – عند الاستقلال – على تولى أمر المزارع الأوربية التى هجرها أهلها ، وتشغيل الصناعات التى توقفت فجأة فقد جاءت بمثابة المادة المناسبة التى دفعت الدولة الجزائرية إلى هذا الاختيار .

وهناك شكل آخر من أشكال الاشتراكية أكثر استقراراً ويحمل اسماً فخماً هو "الاشتراكية الأفريقية "يطبقه ليوبولد سنجور رئيس السنغال ، ويحظى ذلك الشكل بقدر كبير من التقدير فى المجادلات الأقل تشددا ، وشكل الاشتراكية التى يطبقها سنجور لايعدو – بعد تجريده من أنغامه التوافقيه المتمثلة فى الطابعين الروحى والأفريقى – أن يكون مجرد تخطيط ديناميكى منطقى لايحتقر رأس المال الخاص ، ويعلن (٢٠) سنجور أنه إذا ما وصل الأمر إلى تجميع رأس المال فلن يكون هناك فرق بين دولة رأسمالية وأخرى اشتراكية ، وفى كينيا فى عهد جوموكنياتا ، سرعان ما أصبحت الاشتراكية الأفريقية مرادفاً لتشجيع رجال الأعمال وأصحاب المشاريع الأفارقة ، وكذلك الفلاحين المستقلين مع تفضيل ذلك على الأشكال التعاونية ،أو الجماعية التى تقوم على أساس من الجهد الجماعى (الكوميونى) (٢١) .. ورفض جوموكنياتا تأميم المشروعات التى كانت مملوكة ملكية خاصة ، بحجة أن ذلك أمر غير ضرورى ويكلف الكثير من التعويضات ، كما أنه يضر بصورة الاستثمارات الكينية المناسبة ؛ ولم يهدد ذلك المفهوم – الذى يقلل من قيمة الاشتراكية من المصالح تهديدا مباشراً – سوى مصالح الجماهير ، وليس هناك ما يثير العجب ، إذا رأينا أن كل حركات التحرير التى تحترم ذاتها – بغض النظر عن موقع قادتها فى الطيف السياسى فى السبعينيات – تعلن

طواعية واختيار إيمانها بمبادئ الاشتراكية ! وهذا أمر طبيعى فضلاً عن مطالبة كل تلك الحركات بالاستقلال الوطنى ، وترتيبًا على ذلك ، سوف أولى تفاصيل البرامج المعلنة من قبل حركات التحرر الأفريقية قليلا من الاهتمام ؛ السبب فى ذلك أن تحليل محتويات تلك البرامج يندر أن يكشف عن الكثير من جوانب هذه التنظيمات ذاتها ، ومدى الفائدة التى يمكن أن تعود عليها من هزيمتها لقوة الدولة فى النهاية .

ويجب ألا نسلم بأن كل حركات التحرير التى تجرى مناقشتها هنا تلجأ جميعها الى الكفاح المسلح ؛ ذلك أن التحرر الوطنى لايعنى أن يكون مرادفًا أكيدًا لحرب العصابات ، أو لأى شكل آخر من أشكال الحرب الثورية ، زد على ذلك أن لجنة تحرير أفريقيا تمنح مساعداتها لعدد من التنظيمات التى لم ترفع بندقية قط إلى يومنا هذا ، والحق فإن كل حركات التحرر الواردة فى هذا الكتاب بدأت كفاحها بمطالب سياسية بلا عنف ، ويمكن القول بصورة عامة إن التصعيد الذى حدث بعد ذلك جاء نتيجة لإصرار نظم الأقلية البيضاء وعنادها : فرجل الشرطة الأبيض أو مساعده الأسود – فى معظم الأحيان – هما اللذان يضربان الضربة الأولى ، غير أن الكفاح المسلح بعد أن يفيق من تلك الضربة المفاجئة يصبح أمرًا لامناص منه ، ولكنه يضع فى اعتباره علاقات القوى ، الأمر الذى يجعله يقوم فى الأصل على حرب العصابات أو الحرب الشعبية . يقول كلاوزفيتز (٢٢) : إن الممارسة الفعالة لذلك الشكل من أشكال الكفاح تحتاج إلى خمسة شروط هى :

١– أن تستمر الحرب داخل البلد ذاته.

٢ – أن كبوة واحدة لايمكن أن تحدد مصير هذه الحرب .

٣ – أن مسرح هذه الحرب يجب أن يشمل جزءًا لابأس به من البلاد .

٤ – أن يتناسب الطابع القومى مع هذا الإجراء .

٥– أن تكون للبلاد طبيعة غير سهلة بل صعبة ، إما نتيجة لطابعها الجبلى ، أو نتيجة للغابات والمستنقعات ، أو نتيجة لأسلوب غريب فى الزراعة يتبعه أهلها .

الشرط الثانى لم يكن مفهومًا بصورة واضحة لدى من يقومون بالكفاح المسلح ، وبمضى الزمن وإهدار الدماء ضاعت آمالهم المبكرة فى جر أعدائهم بصورة سريعة إلى مائدة المفاوضات ، كى يتسنى لهم اتخاذ ترتيبات نقل السلطة ، وفى جنوب أفريقيا على سبيل المثال - لم تمت فى مذبحة شاربفيل التى حدثت فى العام ١٩٦٠ ، أسطورة انتفاضة الجماهير السوداء الجماعية والمباشرة طلبًا لتنحية الظلم الأبيض جانبًا بضربة واحدة . من هنا ، جاءت قدرة دولة ضعيفة مثل البرتغال ، على شن حرب محدودة أكبر بكثير مما كان يظنه الناس بصورة عامة .

والأصل فى مفهوم ماوتسى تونج عن الحرب الطويلة أنه يرد على التساؤل الذى يثار من حول الأسلوب الذى استطاعت به قوة تبدو ضعيفة أن تهزم عدوًا قويًا ، وذلك عن طريق تقليل المزايا التى يتمتع بها العدو بصورة تدريجية والعمل على تفاقم أخطائه ونقائصه ؛ مثلما حدث فى حرب النضال التى شنتها الصين ضد اليابان الإمبريالية ، أضف إلى ذلك ، أن النصر يعتمد على المساندة الفعالة من السكان الذين تجرى تعبئتهم عن طريق حركة أو حزب ثورى (٢٣) ، وفى الوقت الذى نجد فيه الكثيرين قد تعلموا أن القوة السياسية تنمو من فوهة البندقية (٢٤) نجد أن غالبية ثوار المستقبل يفشلون فى استيعاب نصيحة ماوتسى تونج الأساس التى تقول : إن الحرب الثورية هى حرب الجماهير ؛ وإنها لايمكن شنها إلا بتعبئة الجماهير فقط والاعتماد عليها (٢٥) وما أكثر الدراسات التى تتناول كل جانب من جوانب الحرب غير النظامية ! ولكن ما يعنينى على صفحات هذا الكتاب ، هو الأشكال المختلفة للكفاح السياسى داخل حركات التحرر ذاتها ، وأنا عندما أحاول الكشف - فى بعض الأحيان - عن المؤامرات الغامضة التى يحكيها المتنافسون الذين يطالبون بالقيادة ومحاولة دراسة التناقضات الكبرى والصغرى فى إطار تشكيلات تلك المنظمات ؛ يحدونى أمل كبير أن أستطيع - بصورة واضحة - تحديد ديناميكيات تلك الجماعات فى إطار واقعها الوطنى المحدد .

زد على ذلك أن أية دراسة لمشكلات التحرر فى القارة الأفريقية تقودنا حتمًا - كما رأينا - إلى قضية الوحدة سواء على الصعيد القومى أو على نطاق القارة كلها ، وأجدنى مضطرًا إلى دراسة التفكك الحالى الذى يواجه آمال الوحدة . فقد ناضل الرئيس الغينى المبعد كوامى نيكروما طوال سنين عمله من أجل الوحدة الأفريقية ،

وكان يحث السود على الانضمام إلى حركة الكفاح من أجل التحرر على مستوى القارة بأسرها ، ويرجع – إلى حد كبير – فضل ظهور الوحدة الأفريقية إلى العمل الدائب من جانب نيكروما الذى بذله فى هذا السبيل ، غير أن نيكروما يكتب فى الكتاب اليدوى عن الحرب الثورية من منفاه فى غينيا عن خيبة أمله المرة مع منظمة الوحدة الأفريقية لما كان يراودها من تردد وشكوك ، وتوانيها بصورة واضحة عن التزامها التزاما كاملا بالعمل الدموى استهدافا لإزالة آخر آثار حكم الأقلية البيضاء من القارة الأفريقية ، ولن يفيد شيئا القول بأن الزعيم الغانى لم يحاول – كما فعل آخرون كثيرون – أن يجعل من المسئولين عن لجنة تحرير إفريقيا كباش فداء لما يمكن أن يعد بالضرورة فشلاً سياسيًا أفريقيًا ، وعلى أى حال فنحن نجد نكروما يتخلى عن كل آماله فى منظمة الوحدة الأفريقية ويتصور خلق حزب شعبى أفريقى يضم أفريقيا كلها ويحل محل منظمة الوحدة الأفريقية ، أما أداة كفاح ذلك الحزب القارى الذى تديره لجنة للتنسيق السياسى فتتشكل من أفريقيا كلها ،ويمكن أن تكون بمثابة الجيش الشعبى الثورى فى أفريقيا كلها ، ويجرى تشكيلها من خمسة أقسام إقليمية هى : القسم الشمالى ، والقسم الغربى ، والقسم الجنوبى، والقسم الأوسط ثم القسم الشرقى ، ومن هنا يتضح أن جيش نيكروما سيقوم بواجبات فى مناطق أبعد بكثير عن الحاجز الدفاعى الأبيض فى جنوب أفريقيا والمستعمرات البرتغالية .

ومهما يكن من أمر الحزب الثورى الشعبى الإفريقى الذى كان ينادى به نيكروما ، وأيا كان جيشه ، فمن الواضح أنه لايمكن أن يصبح حقيقة واقعة أبدا ؛ ذلك لأن الكفاح فى سبيل التحرر الأفريقى لايجرى فحسب داخل حدود الأراضى المستعمرة ، وإنما هناك أيضًا منظمات متنافسة متضادة داخل كل منطقة من تلك المناطق ، يضاف إلى ذلك أن تلك المنظمات تستهلك قدرًا كبيرًا من طاقة البشر وأرواحهم نتيجة اقتتال تلك المنظمات بعضها مع بعض ، زد على ذلك أن الإعلان عن هذه الصراعات سواء أكانت نزاعات لأتفه الأسباب أم معارك دموية ، يعد فى بعض الأحيان عملا عدائيا لقضية الحرية فى أفريقيا ؛ ظنا أن السكوت على ذلك يمكن أن يغير من ذلك الواقع الكريه ! وفى أحيان كثيرة تقع تطورات كثيرة هامة فى حركات التحرر دون أن يجرى الإعلان عنها ، والسبب فى ذلك يرجع : إما إلى انعدام الاهتمام لدى المحررين فى الصحف

الأجنبية ، أو أنه يرجع من ناحية أخرى إلى الرقابة الذاتية التى تفرضها على نفسها قلة قليلة من المراقبين المحنكين الذين يراقبون مسرح الأحداث والذين هم على علم تام بطبيعة ما يجرى ، وبرغم ذلك فإن مؤلف هذا الكتاب مقتنع بأن تلك المتناقضات لا يمكن حسمها فقط بالدماء ، وفى أفضل الأحوال عن طريق المناظرات فى ساحات أفريقيا والعالم .

وفى أغلب الأحيان كانت حركات التحرر تنشأ كحركات واسعة ،بل إنها من حيث المبدأ كانت شبْه تجميع لكل طبقات المجتمع الأفريقى فى نضال ثورى ديموقراطى وطنى ولكن حركات التحرر تلك من حيث الممارسة والتطبيق تشبه الآن وإلى حدٍ بعيد ، الأحزاب السياسية العقائدية التقليدية ، التى لها برامج متنافسة وشخصيات لها القدرة على أن تخفى ببلاغتها الخطابية المنافسات القبلية الجوهرية والعداء بين الطبقات ، وسنرى فى أحيان كثيرة أن العداء الصينى – السوفيتى قد أدى بشكل كبير إلى زيادة حدة العداء بين الجماعات المتنافسة ، مع أنه يندر أن تكون هناك حركة واحدة ذات توجه أيديولوجى كامل ومتجانس ، وفى أغلب الأحيان يتحدد الالتزام الواضح ويتغير طبقًا لحجم المساعدة المالية والمادية التى يجرى الحصول عليها من الدول الكبرى التى تقدمها لقاء مثل ذلك الالتزام : وقد ورد فى أحد التقارير أن الدكتور إدواردو موندلانى (أول رئيس لجبهة تحرير موزمبيق "فريليمو" الذى أغتيل بعد ذلك) واجه فشلاً ذريعا عندما حاول الحصول فى وقت واحد على معونة (٢٦) مباشرة من كلٍ من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والصين (٢٧) ويقول موندلانى فى هذا الصدد : إن إحراز النصر فى أفريقيا يعتمد على أكثر من مجرد التكنولوجيا والأسلحة المتقدمة ، وهذا لايرجع فحسب إلى أن الذين يحاربون من أجل الحرية لايجيدون استعمال معونات الأسلحة والذخائر القديمة والإفادة منها بل إن النصر يعتمد أيضا على كسب جماهير الشعب عن طريق قضية ذات طابع مادى مباشر من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؛يضاف إلى ذلك أن مثل هذه القضية يجب أن يكون لها طابعًا معنويا قويا فى توجيه جهود الإنسان نحو تكريم وجوده ، وفى الحقيقة أن الكفاح من أجل التحرر الأفريقى يعد بحق كفاحًا له جذور معنوية عميقة ، وفى رأى المؤلف أن الفشل فى ادراك الفرق الشاسع بين كفاح محاربى الحرية السود برغم خلافاتهم التافهة – وبين نضال

الحكام البيض الفاشيين المجردين من الإنسانية الذين اعتادوا أن يقمعوا ويستغلوا دوما ملايين السود ، هم والبيض الذين كانوا تحت سيطرتهم - إنما يرجع إلى انعدام الكياسة الإنسانية ، كما يرجع أيضا إلى فهمهم غير الكامل لكل ماله قيمة ثابتة فى تاريخ الجنس البشرى ، وهنا تصبح العنصرية عذرا واهيا ، وكما اكتشف أندريه جيد من نصف قرن مضى فإنه كلما كان الأبيض أقل ذكاء كشف له الأسود عن غبائه بصورة أكبر (٢٨) .

سنقوم فى الصفحات المقبلة بدراسة كل بلد على حده ، وتطور كل حركة من حركات التحرر الأساسية ، ولن أقصر نفسى على التنظيمات التى تعترف بها لجنة تحرير أفريقيا ،بل إننى سأسير على هدى معيار واحد ، هو الوجود المؤثر - مهما كان محرجا - لكل جماعة من تلك الجماعات ، وفى البداية سأقوم بدراسة الظروف الجغرافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية المحددة التى تنشأ فيها كل حركة من حركات التحرير ، ثم أقوم بعد ذلك بمسح لتاريخ المقاومة الأفريقية ، والتعدى ، والحكم الأبيض فى كل بلد من البلدان التى أقوم بدراستها ، ثم أتتبع بعد ذلك جهود الحلول الإصلاحية ، وفى النهاية سأقوم بتسجيل تطور تلك الحركات إلى العام ١٩٧٢

الهوامش

(١) انظر كتاب رولاند أوليفر ،ج . دفيج : *تاريخ موجز لأفريقيا* هارموندورث بنجوين : ١٩٦٢ صفحة ٢٤٨ .

(٢) أنهت الجمعية العامة للأمم المتحدة انتداب عصبة الأمم الجنوب أفريقية على جنوبى غربى أفريقيا فى أكتوبر من العام ١٩٦٦ ، وأهابت بجنوب أفريقيا أن تترك المنطقة ، وأن تسمح لها بأن تصبح دولة مستقلة، ولكن حكومة جنوب أفريقيا تجاهلت ذلك ومعه قرارات الأمم المتحدة ذات العلاقة ، وضمت البلاد إليها . وللوقوف على أسباب هذا النزاع ، ارجع إلى كتاب رونالد سيجال وروث فيرست جنوبى غربى أفريقيا : فسخ الثقة (لندن ، دويتش ١٩٦٧) وكتاب بريار روجرز *جنوبى غربى أفريقيا : مسئولية من ؟* ودورية الأعراق اليوم يناير ١٩٧١ .

(٣) مصطلح عسكرى : يعنى الاشتباك مع الحرس المكلف بحماية ظهر ومؤخرة الوحدة العسكرية المتقدمة (المترجم).

(٤) انظر كتاب بازل ديفدسون "الأمم السوداء" (لندن ،جولانكز عام ١٩٦١) .

(٥) عن مقال كتبه باكارى جيبو بعنوان فى سبيل الوحدة الثورية فى مجلة الثورة Revolution (المجلد رقم ١ العدد رقم ١ مايو ١٩٦٣)

(٦) الماكى : حركة الكفاح المسلح فى الأدغال ، وأطلقت على حركة المقاومة الفرنسية ضد المحتلين الألمان خلال الحرب العالمية الثانية .

(٧) انظر جريدة لوموند (من ٢٢ –٣٠ من نوفمبر ١٩٧٠ ،١٧–١٨ يناير ١٩٧١).

(٨) انظر كتاب جيرار شاليان الكفاح المسلح فى أفريقيا (باريس ماسبيرو عام ١٩٦٧ م) صفحة ١٢٧–١٢٨، حيث يتهم شاليان قادة حزب اتحاد شعوب الكاميرون بالفشل فى أن يربطوا بين الأمور ويتصرفوا طبقًا للحقائق الاجتماعية فى بلادهم ، وعن أصول حزب اتحاد شعوب الكاميرون انظر كتاب رونالد سيجال ،لمحات إفريقية هارموندورث ، بنجوين عام ١٩٦٢ صفحة ١٨٨

(٩) انظر جريدة السنداى تلجراف (٤ مايو ١٩٦٩).

(١٠) جمهورية مصر العربية الآن .(المترجم)

(١١) تتكون من تنجانيقا وكينيا وأوغنده وروديسيا الشمالية زامبيا ونيسالند مالاوى

(١٢) لمناقشة العلاقة بين منظمة الوحدة الأفريقية وحركات التحرر راجع كتاب جون وروتوف تنظيم الوحدة الإفريقية ميونيخ ن.ح . سكاركراو بريس عام ١٩٧٠

(١٣) ينعت الشيوعيون الصينيون ، الشيوعيين السوفيت بهذه الصفة ظنًا منهم أن السوفيت فى ممارستهم للشيوعية إنما يعدلون فيها (المترجم).

(١٤) عن كتاب الهجوم العنيف على الخط العام لحركة الشيوعية الدولية بكين ف-ل .ن عام ١٩٦٥ صفحة ١٣

(١٥) المرجع السابق ص١٤

(١٦) انظر مقال بوب هويتاكر المعونة الأجنبية ، وحركات التحرر الإفريقية البرتغالية فى مجلة الأفريكان ريبورت المجلد٩٩ العدد ٥ لعام ١٩٧٠

(١٧) أميلكار كابرال الحرب فى غينيا البرتغالية مجلة ريفوليوش (المجلد الاول ،العدد الثانى - يونيه ١٩٦٣).

(١٨) مقتبسة عن أرسلان هميراكى فى كتابه الجزائر ثورة فشلت (لندن، بول مول عام ١٩٦٦) صفحة ٤٨

(١٩) المرجع السابق صفحة ٦٧ ، وعن كتاب ديفيد ج .جوردون وات الجزائر الفرنسية ،لندن ،اكسفورد يونيفرستى برس ١٩٦٦ صفحة ٧٧

(٢٠) ليوبولد سيدار سنجور "الاشتراكية الأفريقية" ترجمة ميرسركوك (نيويورك A.M.S.A.C عام ١٩٥٩ صفحة ٤٠

(٢١) الكوميون :وحدة من وحدات التقسيم عند الشيوعيين الصينيين (المترجم)

(٢٢) طبعة روجر أشلى لينوارد دليل مختصر لكلاوزفيتز عن الحرب (لندن ، وينفلد ونيكلسون عام ١٩٧٢) صفحة ٢٢٤ .

(٢٣) انظر كتاب ماوتسى تونج كتابات عسكرية مختارة (بكين F.L.B عام ١٩٦٣ ص ١١١ ، ١٢٢ ، ص ٢٠٨

(٢٤) ماوتسى تونج كتابات عسكرية مختارة (بكين F.L.B عام ١٩٦٥) الجزء الثانى ص ٢٢٤

(٢٥) ماوتسى تونج اهتم برفاهية الجماهير ، وانتبه إلى أساليب العمل ،أعمال مختارة الجزء الأول ص ١٤٧

(٢٦) يشير الكاتب متهكمًا إلى دور التبعية الأيديولوجية الذى لعبه موندلين مقابل المساعدات . (المترجم) .

(٢٧) هويتاكر المعونة الخارجية وحركات التحرير الأفريقية البرتغالية .

(٢٨) أندرى جيد ، الرحلة إلى الكنغو والعودة إلى تشاد (باريس ١٩٢٨) .

القسم الثانى

جنوب أفريقيا (أزانيا)

المؤتمر الوطنى الأفريقى (ANC)

حركة الوحدة (UMSA)

مؤتمر الوحدة الأفريقية (PAC)

الخلفية التاريخية

مع أن البرتغاليين كانوا أول من نزل من البيض على شواطئ جنوب أفريقيا ، إلا أن اهتمامهم بالبلاد ذاتها كان قليلاً ، والأصح هو أن البرتغاليين في القرن السادس عشر كانوا مشغولين بمسألة احتكارهم للطريق البحرى حول أفريقيا إلى الشرق ، وكان المكتشف بار تولوميو دایاس أول من اكتشف رأس الرجاء الصالح فى العام ١٤٨٨ الميلادى ، أما فاسكودى جاما فقد أبحر بعد ذلك بتسع سنوات من عودة دایاس إلى لشبونة بأخبار مفادها أن الطريق إلى الشرق كان مفتوحًا ، وفى العام ١٤٩٧ أقام فاسكودى جاما علامة أرضية عند رأس الرجاء الصالح ، وواصل إبحاره شرقًا فى رحلته التى تعد فاتحه عهد جديد ، ولم يرحب الوطنيون بذلك ؛ وبعد وفاة دالميدا - فى مناوشة مع بعض قبائل الخوى خوى [1] فى العام ١٥١٠ - تحاشى البرتغاليون رأس الرجاء الصالح مفضلين أراضى أكثر ثراء وأسهل غزواً وخاصة موزمبيق التى أصبحت محطة لإعادة تزويدهم بالمؤن فى الطريق إلى الشرق الأقصى [2] وحاول الهولنديون فى نزاعهم مع الاحتكار البرتغالى فى القرن السابع عشر ، الاستيلاء على موزمبيق ، غير أن البرتغاليين الذين كانوا يقيمون فى مناطق حصينة استطاعوا طردهم وردهم ؛ واتخذ الهولنديون قراراً بالاستيلاء على رأس الرجاء الصالح الذى يقع فى منتصف المسافة تقريبًا على الطريق البحرى المباشر المؤدى إلى مضايق سوندا ، بين سومطرة وجاوة [3] .

وكان رأس الرجاء الصالح بشمسه الدافئة ومناخه شبه الاستوائى من ناحية وأراضيه الزراعية التى لها طابع أراضى البحر المتوسط من ناحية أخرى - جد مناسب للاستعمار الأوروبى ، إضافة إلى أن جماعات الخوى خوى لم تستطع الوقوف فى وجه مستوطنه أحسن تسليحها تماماً .

وفى السابع من أبريل من العام ١٦٥٢ رسخ المستعمرون الهولنديون أقدامهم فى خليج تيبل حتى يتسنى لهم اتخاذ إجراءات وقائية مؤداها أن سفن الهند الشرقية قد تحصل لنفسها على أعشاب ، ولحوم ، ومياه ، ومنعشات أخرى من صنوف الطعام والشراب [4] التى قد تحتاج إليها .

وبعد ذلك بثلاثين عامًا – أى فى العام ١٦٨٢ – أصبح يعيش فى المستعمرة ٧٠٠ أوربى ، وكانوا ينتجون النبيذ والقمح للتصدير ،علاوة على إعادة تموين السفن (٥) ، وقبل نهاية القرن السابع عشر ، كان الهاربون من الاضطهاد الدينى فى فرنسا ، قد انضموا إلى المستوطنين الهولنديين .

أما الاحتلال البريطانى الحقيقى فقد بدأ فى العام ١٨٠٦ ، بيد أنه لم يتطور فى الحقيقة إلا فى القرن التاسع عشر مع اكتشاف الماس والذهب ، ولم تعد حياة الرعى على الطريقة الهولندية – التى اعتمدت ، إلى حد كبير على الأيدى العاملة الافريقية – العماد الأساسى للاقتصاد ، وتحققت استثمارات هائلة فى شركات التعدين التى كانت تستخلص المعادن الثمينة من تحت سطح التربة تقريبًا، وتستخدم فى ذلك العمال السود فى ظروف استغلال بالغة السوء!

وفى النهاية ، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، اكتمل وضع أساس دولة صناعية حديثة ، وشيدت مصانع الحديد والصلب باستخدام الخام والفحم المحليين ، ونقلاً عن إحصاء للأمم المتحدة كان جنوب أفريقيا فى العام ١٩٦٠ ينتج مليونى طن مترى من الصلب ، وكان اتحاد الحديد والصلب I.S.C.O.R.P الذى تمتلكه الحكومة ينتج ثلثى احتياجات البلاد من الحديد والصلب كما كانت صناعات الحديد والصلب الفرعية المتنوعة تنتج – إلى حد كبير – سلعًا كثيرة متنوعة كان يجرى تصدير الجزء الأكبر منها إلى الشمال : إلى روديسيا ، وزامبيا ، والمستعمرات البرتغالية فى موزمبيق وأنجولا، وأيضًا إلى مناطق بوتسوانا ، وليسوتو ، وجمهورية سوازيلاند المستقلة اسميا والتى تقع على الحدود ، برغم أنها كانت من قبل ضمن مناطق الانتداب السامى البريطانى .

وجنوب أفريقيا غنى بالثروات بل إنه أغنى أجزاء أفريقيا ، إذ إنه من الناحية الاقتصادية أكثر بلاد القارة تقدما ، وبه موارد طبيعية كبيره ، والأهم من ذلك هو الأفريقى الذى يحصل على أجر قليل ويوفر عمله للأقلية الأوربية الحاكمة أعلى نصيب من الدخل الفردى فى أفريقيا ، الذى يعد من أعلى الأنصبة فى العالم : فالولايات المتحدة ، وكندا ، والسويد فقط هى البلدان التى تتمتع بنصيب دخل الفرد أعلى من

الفرد الأبيض فى جنوب أفريقيا (٦) ، وعلى العكس من ذلك كشف التقدير الذى أجرى على متحصلات (٧) العامل الأفريقى النقدية ، فى مناجم الذهب ، إن تلك المتحصلات لم تكن فى واقع الامــر ،أعلى فى العــام ١٩٦٦ عنهــا فى العــام ١٩١١ ، ومع أن أجــور الأفــارقــة فى الصـناعــة مـرتـفـعــة إلى حـد مــا ، إلا أنهم قلمــا يشــاركــون فى الرخــاء الاقتصادى ذائع الصيت فى جنوبى أفريقيا .

ولم يخـصص نظام حكم الأقلية البيضـاء من مسـاحة جنوب أفريقيـا التى تبلغ حوالى ٤٧٢٣٤٧ ميلا مربعا سوى ١٣٪ فقط للأفارقة ،الذين يشكلون حوالى ٧٠ فى المائة من السكان ، أما مـا يسـمى بإقليم البانتو بمعنى أفريقى فهى عبارة عن مـعـازل ريفية فقيرة ، وتلك المناطق المبعثرة تشكل حدوة فرس من حول الترنسفال وولاية أورانج الحرة ، ولاتوجد داخل تلك المناطق صناعات أو مدن رئيسية ، والمواصلات هزيلة فى هذه المناطق برغم الكثافة السكانية العالية فى الشمال والجنوب الشرقى ، والزراعة فى أفريقيا تقوم فى الأصل على زراعة الأذرة التى يستعملها الناس غذاء لهم ، وزراعة السرغم فى التربة الضعيفة التى تأثرت بعوامل التعرية ، وطبقًا لنظرية الآبار تهيد العنصرية فإن أراضى البانتو التى تجرى تنميتها بصورة مستقلة عن جنوبى أفريقيا الذى يسكنه البيض – من المقرر لهـا أن تصبح ثمـانى ولايات سوداء قـابلة للنمـو هى البانتوستانات ، ويقول أليستر سبـاركز مراسل جـريدة "رانرديلى مـيل" فى ٢٣ من مارس من العام ١٩٨٦ : من الناحية التطبيقية فإن البانتوستانات لاتعدو أن تكون أكثر قليلاً من مجرد سلسلة من مستودعات الأيدى العاملة التى يرسل إليها جنوب أفريقيا البيضاء طلبات توريد العمال .

ولاتزال المنتجات الزراعية – وبخاصة الفواكه ، والنبيذ والصوف – تجىء على رأس صادرات جنوب أفريقيا ، أما الزراعة على نطاق تجارى فتكاد تتركز بصورة كلية فى أيدى المزارعين الأوربيين ، وهناك ثلاثة مناطق رئيسة للزراعة هى : الكيب ، و الفيلد الأعلى ، ولاية أورانج الحرة وجنوب الترنسفال ، والشريط الساحلى شبه الاستوائى والحزام الأوسط من الناتال ، وهذا النوع من الزراعة يعتمد بشكل أساسى على موارد المياه الكثيرة ، يضـاف إلى ذلك ، أن أكثر من نصف هضبة جنوبى أفريقيا المرتفعة والأرض التى تحد الساحل تسقط عليها أمطار قليلة ، وبينما تسقط على الكيب أمطار

تشبه الأمطار الشتوية فى حوض البحر الأبيض المتوسط - نجد أن الهضبة الداخلية جافة فى أجزاء كثيرة منها ، كما أن سقوط الأمطار أمر لايمكن الاعتماد عليه فى مناطق أخرى ، والجفاف من الأمور التى يتكرر حدوثها، وبإمكان جنوب أفريقيا أن يستفيد استفادة طيبة من مورد المياه الطبيعى الوحيد فى ليسوتو فى الرى وتوليد الطاقة الكهربية الهيدروليكية ؛ ولعل هذا هو السبب وراء تدخل جنوب أفريقيا بصورة مستمرة فى الشئون الداخلية لهذا البلد الأفريقى الأسود الجبلى ،المستقل استقلالاً اسميًا وتحيط به أراضى جنوب أفريقيا تمامًا من كل جانب .

وإلى الغرب من جبال دركنسبرج ، فى الفيلد الأعلى - الذى يتردد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر ، بين ٤٠٠٠ و٦٠٠٠ قدم يوجد إقليم واسع من المراعى التى تسمح بتربية الماشية والأغنام على نطاق كبير وعلى حافة تلك الهضبة ذات الرمال المتموجة يوجد حقل ويتوتزراندا ،أعظم حقول الذهب فى العالم ، وقد استوطن ذلك المكان "الفور تريكرز" الهولنديون ، الذين كانوا يجهلون ما تحت أرجلهم من ثروة ، فى الثلاثنيات من القرن التاسع عشر ،بعد أن هاجروا من الكيب هربا من الحكم البريطانى وأسس "الفورتريكرز" جمهوريات البوير المستقلة الخاصة بهم فى كل من ولاية أورانج الحرة والترنسفال ، أما اليوم فإن مدينة الراند ، وتجمع المناطق الحضرية فى جوهانسبرج والمدن التابعة لها ،إضافة إلى مدينة بريتوريا - العاصمة الإدارية - القريبة منها فهى جميعها رموز للتكاثر الفطرى للرفاهية البيضاء ، والنمو الصناعى فى جنوبى أفريقيا .

أصبح ذلك النمو يعنى التحضر لكل من السكان الأفارقة والأوربيين ، برغم أن قوانين التفرقة العنصرية جرى سنها بصورة تمنع زيادة السود فى مناطق البيض ، ومهما يكن من أمر فإن نقص العمال البيض فى الأعمال الماهرة وبعض الأعمال شبه الماهرة أدى إلى استخدام الأيدى العاملة الأفريقية فى الصناعة على نطاق أوسع ، ومع ذلك تلتزم الحكومة بالإبقاء على الأفارقة عند مستوى العمال المهاجرين الذين يعملون بعقود عمل تحدد بعام واحد فى المناطق البيضاء ، وبذلك تسد الحكومة الطريق فى وجه نمو البروليتاريا السوداء فى الحضر ، ويقول أشد الناس مساندة للعنصرية : إن تخفيض عدد العمال السود المحليين أمر لازم ، أما فى الكيب الغربية فإن الحال يتطلب طرد جميع الأفارقة بصورة تدريجية وإرسالهم إلى مناطق البانتو تاركين وراءهم

الأعمال شبه الماهرة التى تحتاج إلى عدد كبير من السكان الملونين الذين سيبقون فى الكيب الغربية لخدمة الأوربيين ، وحال مدينة الكيب - التى لايسكنها سوى الأوربيين والملونيين - هو نفس حال ديربان وبورت اليزابيث / يوتنهاج ، اللتان تعدان مركزان رئيسيان من مراكز الصناعات الفرعية ، أما بريتوريا فلا تزال المدينة الفريدة التى يزيد فيها عدد البيض على عدد كل من هم من غير البيض مجتمعين ، ويعيش حوالى ثلث السكان الأفارقة فى مراكز حضرية برغم قيود الأبارتهيد .

والشكوك تراود الوطنين الأفارقة حول إمكانية تنفيذ المشروعات الخاصة بإعادة التوطين ، ومن المسلم به - فى التحليل النهائى - أن تقسيم السكان على أسس قبلية إنما يهدف فى المقام الأول إلى حماية الأقلية البيضاء من المقاومة السوداء المتوحدة ضد الآبارتهيد وتمهيد الطرق فى المقام الثانى ، من الناحية النظرية ، إذا ما حتمت الأمور مواجهة مثل هذه النتيجة لخلق ثمانى دول سوداء مستقلة مفتتة على حدود منطقة على درجة عالية من التصنيع ويسهل الدفاع عنها ، وبذلك يستطيع هذا المحور الأبيض القوى أن يسيطر ، فى النهاية على المحيط الأسود الضعيف الذى يحيط به .

ونقلا عن وزير الإحصاء والتخطيط - جى جى لوتز - نجد أن الإحصاء الذى أجرى فى العام ١٩٧٠ يكشف عن أمر مؤداه أن إجمالى عدد سكان جنوب أفريقيا قد وصل إلى ٢١,٢٨٢,٠٠٠ نسمة منهم ٦٩,٧ ٪ أو ١٤,٨٩٣,٠٠٠ نسمة من الأفارقة ، أما الأوربيون فيشكلون ١٧,٨٪ أى مجموع ٣,٨٠٠,٠٠٠ نسمة أما الملونون (الأشخاص من جنس مخلط يبلغ عددهم ٢,٠٠٠,٠٠٠ تقريبًا أى ٩,٧٪) أما الأسيويون وأساسًا الهنود فقد وصل عددهم إلى ٦١٤٠٠٠ نسمة ، أى حوالى ٢,٨٪ من السكان .

والأفارقة هم السكان الزنوج الذين انتقلوا من شمالى أفريقيا إلى جنوبها منذ قرون قبل أن تطأ أقدام الأوربيون أرض هذه البلاد ، وفى القرن الثامن عشر تصادم المستوطنون الهولنديون والأفارقة (٨) الناطقون بالبانتو على طول نهر جريت فيش فى الكيب الشرقية ، ويدعى صناع الدعاية البيض أن الأرض حول الكيب كانت خالية اللهم إلا من شعوب الخوى خوى ولكن الاكتشافات الأثرية الحالية تشير إلى أن تلك المنطقة كان فيها سكان عظام فى تلك الحقبة التى لم يزد فيها عدد سكان بريطانيا فى القرن

السادس عشر على ٣,٠٠,٠٠٠ نسمة كما يكشف التحليل الكربونى عن وجود حضارة سوداء ، ازدهرت فى العام ١١٠٠ بعد الميلاد تقريبًا فى كل من بوزيبورت ونيكومست [٩].

وعثر الأوروبيون فى الكيب الغربية على أعداد كبيرة من البوشمن والخوى خوى الذين أطلق الهولنديون عليهم فى احتقار اسم الهوتينتوت [١٠] ، واستأصل المستوطنون الكثيرين منهم ، وطردوا الباقين إلى الأراضى الخراب فى صحراء كلهارى ، بل إنهم فى أحيان كثيرة أخذوا النسوة خدمًا لهم ، كما مارسوا الجنس معهن أيضًا ، الأمر الذى نتج عنه السكان الخلاسيون ! وبعد ذلك زاد الآسيويون من ذلك الاختلاط العنصرى ، وكذلك الملجاشيون إضافة إلى شعوب أخرى فى القارة الأفريقية ، أما سكان الكيب أبناء شبه جزيرة الملايو فقد استطاعوا – بسبب عقيدتهم الإسلامية – الحفاظ على طابع اجتماعى متميز خاص بهم ، ولايزال هناك نحو ٩٠٪ من الملونين يعيشون فى الكيب ، علاوة على أن أكثر من نصف السكان يتكلمون لغة الأفريكانر وهى عبارة عن اللغة التى تقوم على اللغة الهولندية ، ويتكلمها سليلو المستوطنين الأصليين من الهولنديين والهوجينوت .

ونقلاً عن الإحصاء الحكومى الذى أجرته حكومة جنوب أفريقيا ، ينقسم السكان الأفارقة طبقا لأصلهم إلى الأقسام الأتية :

الخوسا Xhosa ٣,٩٠٧,٠٠٠

الزولو Zulu ٣,٩٧٠,٠٠٠

ندبيلى الجنوبية S. Ndebele ٣٢٠,٠٠٠

ندبيلى الشمالية N. Ndebele ١٨٠,٠٠٠

سوازى Swazi ٤٨٧,٠٠٠

شانجان Shangaan ٧٣١,٠٠٠

فيندا Venda ٣٦٠,٠٠٠

جنوب سوتو S. Sotho ١,٤١٦,٠٠٠

شمال سوتو N. Sotho ١,٥٩٦,٠٠٠

تسوانا Tswana ١,٧٠٢,٠٠٠

قبائل أخرى Orher ٣١٤,٠٠٠

الخوسا ، والزولو ، والسوتو يشكلون مجموعة القبائل الرئيسة ، ويلزم هنا أن نؤكد أن أرقام جنوب أفريقيا عن السكان الأفارقة إنما هى أرقام تقريبية فقط ، نظراً لقلة اهتمام السلطات بأسلوب تسجيل السكان السود تسجيلاً دقيقًا ، زد على ذلك أن إعطاء إحصائيات بالقبائل إنما يعد أمراً مضللا إذا ما وضعنا فى اعتبارنا زيادة عدد الأفارقة الذين ترفع عنهم صفة القبلية فى المناطق الحضرية وفى المزارع .

هذا بالإضافة إلى أن أكثر من ثلث السكان كانوا يعيشون فى مراكز حضرية ، ويسوق ب .ك . لوبالو الرئيس بالنيابة لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية (أزانيا)جنوب أفريقيا حججًا مؤداها : أن أى كفاح من أجل التحرر يجب أن يأخذ تلك الحقيقة بعين اعتباره بغض النظر عن استراتيجيات حرب العصابات التى يكن لها أعمق الاحترام والإعجاب والتقدير ، وأوضح لوبالو بصورة قاطعة – أيضًا – أن حرب العصابات تعد من الأمور بالغة الخطورة فى المدن (١١) ثم يردف بعد ذلك قائلا :

يصل عدد السكان السود فى المدن حوالى خمسة ملايين ونصف ، وهم بمثابة مصدر الطاقة التى تدير جميع الصناعات ، إذ ليس هناك أى جزء من أجزاء الحياة الصناعية فى المدن لايعتمد علينا ، وبدوننا تموت تلك المدن وقد ظل هؤلاء العمال ، والمدرسون ، والطلاب ، والمحترفون لعشرات السنين يمارسون الكفاح السياسى ، كما تعرضوا أيضًا لفكر سياسى فلسفى هو من أشد أنواع الفكر السياسى اصطباغًا بالطابع الثورى ، زد على ذلك أنهم أسسوا نقابات عمالية ، وشاركوا فى الإضرابات وحملات التحدى ، والنزاع المسلح ضد الشرطة بل وفى المزيد من حملات العصيان ، وضربوا وقتلوا فى سبيل الحرية .

وينادى جى . أى . سبنس – وهو مراقب أكاديمى محايد – برأى آخر مماثل إلى حد ما ، ويكتب سبنس معلقا على مشروع فيرفورد الخاص بمناطق البانتو فيقول :

وبرغم تعجيل الدكتور فيرفورد بتطوير مناطق البانتو إلا أن هناك حقيقة راسخة مفادها : إن الدكتور فيرفورد لايمكن أن يحدوه أمل تغيير حركة الأيدى العاملة الأفريقية داخل مناطق البيض الحضرية التى يقيم فيها - بالفعل - عدد كبير من السكان الأفارقة يضاف إلى ذلك أن الروابط التى تربط هؤلاء الأفارقة بالمناطق التى فيها قبائلهم هى روابط هزيلة ، إذا كانت قائمة بالفعل ، هذا وقد أدى نمو المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة إلى أن تصبح البلدان والمدن مصدراً من مصادر نمو القومية الأفريقية متجاوزة الحواجز العرقية التقليدية (١٢) .

والهدف الشرير الذى تتوخاه قوانين الأبارتهيد هو جعل السكان الأفارقة يفقدون إحساسهم بكرامتهم القومية الأفريقية ، وتفتيتهم طبقًا لأصولهم القبلية ونعتهم بصفة البانتو، وليست السيطرة الاجتماعية على الأفارقة عن طريق التفتيت القبلى سوى شكل من أشكال الممارسات الاستعمارية التى يعتبرونها تكريما بيد أن ذلك التقسيم فى جنوب أفريقيا بلغ حداً من التطرف يستحق معه أن نسخر منه ونصفه بالفساد، إذ إنه يهدف إلى الاحتفاظ بالسيادة البيضاء إلى أبد الآبدين !

ومصطلح "بانتو "مصطلح لغوى ، وليس مصطلحًا عنصريًا أو عرقيا ، وعلى كل حال ، فإن وزارة إدارة وتطوير البانتو هى التى تنظم حياة ١٥ مليون أسود فى جنوب أفريقيا دون استشارة لهم أو موافقة منهم ، وليس هذا مجال محاولة وصف تفصيلى لذلك النوع الفاشى من الإرهاب والقمع للشعب الأفريقى ، أو محاولة تسجيل تلك الضريبة العالية التى يتزايد فرضها دومًا على البؤس الإنسانى والمعاناة ومن يمن الطالع أن تلك الأمور سجلها الكثير من الكتاب وهيئات الاستقصاء مثل اللجنة الفرعية للأمم المتحدة المعنية بالأبارتهيد والتمييز العنصرى ، والمعهد الجنوب أفريقى لعلاقات الجنس ، وحركات التحرر الأفريقية ، و الهيئات المتحالفة معها ، هذا بالإضافة إلى مجموعات أخرى لاتخفى على أحد فى كل ميادين هذا النشاط .

والسكان الأسيويون فى جنوب أفريقيا هم أساسًا من عرق هندى انحدروا من العمال الحمالين الذين جرى إحضارهم من الهند للعمل فى مزارع القصب فى الناتال ، ولاتزال حكومة الأقلية البيضاء تواصل - دون نجاح كبير - محاولة إعادة السكان

الأسيويين إلى أوطانهم ، وتقديم المساعدة المالية لكل من يوافق منهم على مغادرة البلاد ، وبرغم كل ذلك ماتزال ديربان تحتفظ بعدد كبير من السكان الهنود ، مع أن قانون مناطق المجموعات ينص على إبعاد كل من هم غير البيض عن المراكز الرئيسة فى جميع البلدان والمدن تمهيداً لإعادة إسكانهم فى معازل (جيتو) (١٣) ، منعـزلة إنعزالا تاما على الحدود الخارجية للبلاد ، ومع بداية القرن العشرين ، كان هناك حوالى ٥٥٠٠٠ عامل صينى جرى إحضارهم إلى جنوب أفريقيا للتغلب على النقص الحاد فى الأيدى العاملة فى مناجم الذهب ، و مع ذلك ، أعيد كل أولئك العمال - تقريباً - إلى أوطانهم فى العام ١٩١٠ الميلادى ، و منعت بعد ذلك هجرة الصينيين ويجرى منذ ذلك التاريخ استخراج الذهب بدماء وعرق العمال الأفارقة الذين جرى جلب عدد كبير منهم من ليسوتو ، و بوتسوانا ، وسوازيلند ، و روديسيا ، ومن المستعمرات البرتغالية ولم يكن مسموحاً للعمال حبيسى المناجم التى تشبه ظروف الحياة فيها ظروف الحياة فى السجن ،لم يكن مسموحاً لهم أن يحضروا معهم عائلاتهم ، طوال مدة العقد التى كانت تستمر أربعة عشر شهراً يجرى بعدها إعادة أولئك العمال إلى بلادهم .

ومن بين غرائب القوانين العنصرية فى جنوب أفريقيا ذلك الاعتراف الصارخ باعتماد البلاد فى التجارة على اليابان ، وفى الوقت الذى يصنف الصينيون فيه على أنهم من غير البيض ، نجد أن رجال الأعمال اليابانيين الزائرين يعدون من البيض ، ومن حقهم التمتع بكل مزايا الحياة الأوربية فى الجمهورية ، ولكن الأمر كان غير ذلك ، أثناء الحرب العالمية الثانية ،أيام أن كان الصينيون يعدون من الحلفاء .

وعدد السكان الأوربيون فى جنوب أفريقيا هم الأكثر عدداً من أى مكان آخر فى أفريقيا ، ويزيد عددهم بمقدار مليون نسمة عن سكان دولة إسرائيل من اليهود ، إن الـ ٣,٨ مليون أوربى وخاصة أولئك الذين من أصل هولندى يؤكدون أنهم يشكلون أمة ، وليس أمامهم من مكان يذهبون إليه ، إذا ما استطاعت الأغلبية الأفريقية الوصول إلى السلطة وتولى مقاليد الأمور ، وقلة قليلة من البيض - وبخاصة ممن هم فى المنفى - هى التى تتصور أن بامكانها أن تعيش فى دولة ديموقراطية غالبيتها من الأفارقة ، بل إن الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ينظر إلى مساعدته لكفاح تحرير أفريقيا على أنها الضمان الوحيد لتوطين الأوربيين فى المستقبل ، وفى ٢٨ من مارس من العام ١٩٦٦

أعرب آبرام فيشر زعيم الحزب الشيوعي فى جنوب أفريقيا ، فى خطابه الذى ألقاه من قفص الاتهام فى المحكمة العليا فى بريتوريا عن اقتناع مؤداه :

كان الحزب الشيوعي ومؤتمراته طوال العقدين أو الثلاثة الماضية هو الذى أثبت بالممارسة أن الرجال والنساء من أجناس مختلفة يمكن أن يعملوا معا ، وبدون مشكلات ، وعلى أساس من الديموقراطية الكاملة ، كما أن الحزب ومؤتمراته هو الذى أنجب زعماء على استعداد للتضحية بكل شىء ، بما فى ذلك حياتهم ، فى سبيل تحقيق تلك الغاية المثلى ، إنهم أناس استطاعوا أن ينحتوا سياسة ميثاق الحرية الذى يتمكن الجميع فى ظله من ممارسة حقوقهم ، والمرء مع مثل هؤلاء القادة ينبغى ألا يخشى أنه سيلقى به إلى البحر (١٤) .

ومن ناحية المغزى ، فإن ميثاق الحرية الذى ورد ذكره على لسان فيشر وأقره مؤتمر الشعوب - المزعوم الذى عقده كل من الحزب الشيوعي فى جنوب أفريقيا ، وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى والمجموعات المتحالفة معه فى مدينة كيب تاون فى السادس والعشرين من شهر يونيو ١٩٥٥ - لم يقطع على نفسه أى عهد من العهود المعتادة التى من قبيل صوت واحد لكل رجل واحد ، بل إنه وعد بدلا من ذلك بأن تكون لكل المجموعات حقوق متساوية !

والسكان الأوربيون فى جنوب أفريقيا لايشكلون فحسب أكبر استيطان فى القارة الأفريقية وإنما ينحدر بعضهم أيضًا من المستوطنين الهولنديين و الهوجينوت منذ ٣٠٠ عام مضت ، ويجب ألا يغيب عنا أنه ليست هناك حركة واحدة من بين حركات التحرر الأفريقية الأساسية تنادى بإلقاء الأوربيين فى البحر أو استئصالهم بأى شكل من الأشكال ، ومع ذلك فإن جمهورية جنوب أفريقيا ليست سوى بلد أفريقى ، الأغلبية الساحقة من سكانه من الأفارقة السود الذين تربط بينهم - بصورة وثيقة - آلامهم المشتركة وآمالهم فى التغلب على التشرذم القبلى الفظيع الذى يزكى الأبارتهيد نيرانه بشكل مخيف .

أما الأوربيون الذين من أصل هولندى (الأفريكانر فيسمون أنفسهم أفريقيين) الذين يشكلون أكثر من ٥٥٪ ، من السكان البيض ، ومن ثم كان الإصرار على مصطلح بانتو للسود ، والأفريكانر هم الذين يسيطرون على الحياة السياسية سيطرة

كاملة الآن فى جنوبى أفريقيا من خلال (الحزب الوطنى للأفريكانر) ، أضف إلى ذلك أن أعداداً كبيرة من الأوربيين الذين من أصل بريطانى تصوت لمصلحة الحزب الوطنى باعتباره أكثر الأحزاب ضماناً لسيادة البيض ، ومن الناحية العرقية ، يدلى كل الناطقين باللغة الإنجليزية الذين يشكلون الآن ما لايقل عن ٤٥٪ من السكان الأوربيين بأصواتهم لصالح "الحزب المتحد" الذى يرتبط بعلاقة إمبريالية مع بريطانيا .

والواقع أن حرب البوير فى جنوب أفريقيا تعد حرباً معاصرة مثل الحرب الأهلية فى جنوب الولايات المتحدة ، أما الأغلبية الأفريقية التى جردت من ممتلكاتها فهى تنظر إلى ذلك النزاع على أن له طابع أكاديمى إلى حد كبير ، زد على ذلك ، أن الدستور الأساسى لجمهورية البوير فى الترنسفال ينص على : إنه لن تكون هناك مساواة بين أبيض وأسود سواء أكان ذلك فى الكنيسة أم فى الدولة والفلاحون الهولنديين يرجعون استغلالهم وقمعهم للإفارقة إلى معتقداتهم (١٥) الكلفنية الحزينة التى كتبت الإدانة على السواد الأعظم من الجنس البشرى الأبيض إلى أبد الآبدين .

وإذا ما استشهدنا بالأسباب - الاقتصادية - للاستعمار نجد أن الاستعماريين البريطانيين الذين جاءوا بعد ذلك كانوا على الدرجة - نفسها من التفرقة العنصرية ؛ فقد صرح سيسل رودس رئيس وزراء مستعمرة الكيب البريطانية آنئذ عندما كان يقدم

مشروع قانون وطنى لأفريقيا فى العام ١٨٩٤: إن من رأيى أن يتم الاحتفاظ بالوطنيين فى تلك المستودعات الوطنية وإلا يختلطوا بالبيض على الإطلاق (١٦) ، وأضاف : إننى أفضل أن أسمى الناس بأسمائهم ، ودعونا نقول فى شجاعة : لقد ارتكبنا فى الماضى أخطاءً فى موضوع تمثيل الوطنيين ونحن ننوى تغيير كل ذلك .. سنصبح سادة هذا الشعب ويجب أن نحتفظ بهم فى موقف التابعين ، وألا ينالوا حقًا دستوريًا لأننا لا نريد لهم أن يكونوا على قدم المساواة معنا ، هذه هى سياستى فى الشئون الوطنية ، وهذه هى سياسة جنوب أفريقيا ويجب أن نتخذ نظاما للحكم المطلق مثل ذلك الذى يجرى فى الهند ، وبخاصة فى علاقاتنا بالهمجيين فى جنوبى أفريقيا .

والماضى والحاضر يعطيان فكرة خاطئة عن الوعى "الليبرالى" (١٧) لدى كثير من الأوربيين الناطقين بالإنجليزية فى جنوبى أفريقيا ، كما لو كان الخيار بين التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا والأبارتهيد ليس مجرد شكل واحد لدرجة واحدة من الإهمال والازدراء ، والواقع أن جنوب أفريقيا يعد بحق مزرعة عبيد يشكلون السواد الأعظم من الشعب : فالمواطن الأفريقى ليست له حقوق سياسية مباشرة أو غير مباشرة : فهو محروم من التصويت والتمثيل البرلمانى بأى شكل ، كما أنه محظور عليه جميع الأنشطة السياسية العلنية ، أو الانخراط فى التنظيمات كعامل من العمال : وإضرابه عن العمل أمر غير شرعى كما أن اتحادات العمال تندرج ضمن الأمور المحرمة والممنوعة ، أما القيود الكثيرة المفروضة على تعليمه وحركته - بل وحتى حقه فى أن تكون له أسره - فهى التى تبرر بجلاء جميع الإجراءات العلاجية .

المقاومة

عندما نزل فان رايبك فى العام ١٦٥٢ الميلادى فى جنوب أفريقيا ، كان ذلك الجزء من أفريقيا أكثر من مجرد أرض خالية ، وفى البداية لم يفهم البوشمن أو الخوى خوى الذين كانوا يسكنون أجزاء متفرقة من البلاد فى الكيب ، مغزى ذلك التهديد الذى يمثله الرجل الأبيض ، ومع ذلك لم يستغرق الأمر منهم طويلا كى يفهموا أن الأوربيين هم فى الحقيقة أعداء لهم ، ولم تكن تلك الشعوب التى تتكون من الصيادين والرعاة نداً لقوة النيران المتفوقة التى كانت لدى المستوطنين البيض ، يضاف إلى ذلك أن هذين الشعبين كان يجرى استئصالهما وامتصاصهما عن طريق بيوت الدعارة المرخصة وغير المرخصة التى أنشاها الهولنديون ذوى الجوع الجنسى ، أو من ناحية أخرى عن طريق إخضاعهم للعبودية والرق ، ولكن البقية التى بقيت على قيد الحياة من هذين الشعبين هربت إلى صحراء كلهارى وناميب ،اللتان ما يزال فيهما بقية قليلة من أسلاف أولئك البوشمن والخوى ، زد على ذلك أن أولئك الذين لم يهربوا سواء أكانوا من الهولنديين أم من البريطانيين الذين جاءوا بعدهم كانوا يمثلون حوالى ١,٩ مليون ملون يتمثلون أيضاً بصورة غير ملحوظة فى الجينات الملونة ، سواء فطنت أم لم تفطن إليها مئات الآلاف التى تحملها من الأفارقة "البيض" فى جنوبى أفريقيا (١٨) .

ويكفى أن نشير هنا إلى أن المجموعة العرقية لشخص ما طبقا لنظام الأبارتهيد فى جنوب أفريقيا يحددها مظهره العام وسمعته وكذلك الرضا عنه بشكل عام ، والأفارقة على اختلاف أجناسهم فى جنوبى أفريقيا يسلمون باعتقاد مفاده : أن الكثير من العائلات الافريكانر (١٩) الكبيرة التى تعيش باعتبارها أوربية وتتمسك تماما بالآراء العنصرية القوية ، والتى تحظى بقبول حسن وسمعة طيبة بوصفها أشخاصا من أصل أوربى خالص ما تزال تلك العائلات تندرج ضمن العائلات والأسر ذات الأصول الملونة .

ومع مطلع القرن الثامن عشر ، بدأت المستعمرة الهولندية النامية فى الكيب تواجه سلسلة من الاشتباكات العنيفة مع القبائل الأفريقية التى كانت فى موقف أفضل على طول نهر الفش العظيم ، وفى ذلك الوقت كان الهولنديون ، قد أكملوا المذبحة الجماعية التى أقاموها لشعوب الخوى خوى التى كانت تسكن أصلا جنوبى غربى الكيب ، أما

أولئك الذين نجوا من القتل فقد بخسهم الهولنديون حقوقهم إلى أن أوصلوهم ألى مرحلة العبودية .

ومع ذلك فقد هددت حروب نابليون فى أوربا الحكم الاستعمارى الهولندى ، كما احتل البريطانيون المستوطنة الهولندية لأول مرة فى العام ١٧٩٥ ، ثم تخلت هولندا للبريطانيين عن مستعمرة الكيب فى الاتفاقيات العامة التى جرت بين الدول الأوربية بعد الحرب في العام ١٨١٤ مع أن الاحتلال البريطانى للمستعمرة أصلا بدأ فى العام ١٨٠٦ ؛ وعلى كل حال فإن السيادة البريطانية التى لم تتجلى بشكل واضح قبل العام ١٨١٤ ،كانت أمراً كريهًا تماما عند البوير ؛ المزارعين الهولنديين الذين كانوا يسيطرون على العبيد ، ويتحكمون فيهم ويبدى ديفيد ليفنجستون الملاحظة التالية فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر :

ما تزال معارضة الكثيرين من "البوير" ، للقانون الإنجليزى تتمثل فى أن ذلك القانون لايفرق بين البيض والسود ، قد شعر البوير بالظلم نتيجة الخسائر المزعومة التى أصابتهم جراء تحرير عبيد الهوتنتوت ، وقرروا أن يقيموا جمهورية لهم ، يستطيعون فيها بدون تحرش ممارسة المعاملة المناسبة للسود ، ولسنا بحاجة إلى القول بأن المعاملة المناسبة ، كانت دائما تحتوى على عنصر العبودية ، وبخاصة العمل الاجبارى الذى لايدفع عنه أجر (٢٠) .

وفى النهاية نظم المستوطنون الهولنديون فى العام ١٨٣٦ أكبر حركة هجرة جماعية فراراً من الحكم البريطانى فى الكيب البريطانى ، وجرت حركة الهجرة بعربات الثيران نقلوا خلالها حوالى ١٠,٠٠٠ نسمة مع منقولاتهم إلى مسافة ٥٠٠ ميل إلى الشمال الشرقى ، واعترض على هذه الهجرة عدد من القادة الأفارقة تباعًا ، وتولى كل من "شاكا" ، وديнجان ، و "موشوشو" قيادة الجيوش ضد الغزاة ، غير أن مقاومتهم انتهت بالهزيمة ، واستطاع الهولنديون المنتصرون أن يؤسسوا جمهوريات البوير المستقلة فى كل من ولاية أورانج الحرة والترنسفال ، ووصل بعض آحد منهم إلى الناتال ،غير أن البريطانيين أجبروهم على الرحيل فى العام ١٨٤٤ ، زد على ذلك أن الهولنديين فى جميع الأماكن التى وصلوا إليها كانوا مصممين على مصادرة

الأراضى الأفريقية وأخضاع السكان الأصليين فيها ، ومع ذلك كان ذلك التوسع يواجه دوما مقاومة إفريقية ، غير أن البندقية الأوربية والتكتيك العسكرى الأفضل استطاعا أن يتغلبا على شجاعة وتصميم السود الذين أضعفتهم القبلية .

وأدى اكتشاف كلٍّ من الماس فى كمبرلى فى العام ١٨٧٠ والذهب فى الترنسفال عام ١٨٨٦، إلى إنهاء مصير جمهوريات البوير ؛ وطُرِد المستعمرون البريطانيون بقيادة سيسل رودس من الكاب بسبب جشعهم ومطامعهم ؛الأمر الذى أسفر عن نشوب الحرب بين البوير والإنجليز فى الفترة من ١٨٩٩-١٩٠٢ ، وبرغم مكر البوير الهولنديين وتعصبهم فقد اضطروا إلى الاستسلام والرضوخ أمام قوة الإمبراطورية البريطانية وبذلك تحول جنوب أفريقيا كله إلى مستعمرات بريطانية فى العام ١٩٠٢

وتدفق على جنوب أفريقيا الآف البريطانيين والمغامرين الآخرين الباحثين عن الذهب ، وبينما كان الهولنديون ، فى مزارعهم المنعزلة ، يجترون هزيمتهم ، تجمع المستعمرون البريطانيون الجدد فى المراكز الحضرية ، واستخدموا كل مهارتهم فى تكديس الثروة ، والسيطرة فى حزم على السود والبوير على حد سواء ، غير أن كتلة السود الديموغرافية المخيفة هى التى عجلت بالهدنة بين الأوربيين الذين كانوا يتحاربون من قبل ، وفى العام ١٩١٠ منحت الحكومة البريطانية الأقلية البيضاء الحكم الذاتى وبذلك خلقت "اتحاد جنوب أفريقيا" ، فى ظل برلمان كله من البيض ، وكان إنشاء الاتحاد يستلزم أن يتكون من حزبين أوربيين لضمان تأمين استغلال الشعب الأفريقى ، ومن الواضح أن الهولنديين كانوا الطرف الأصغر فى الشركة وظلوا كذلك حتى مطلع العام ١٩١٤ إلى أن قام الجنرال البويرى جى . بى . ام هيرتزوج ، الأوروبى الأصل بتأسيس الحزب الوطنى للافريكانر الذى وصل إلى السلطة أول مرة فى العام ١٩٢٤ ثم مرة ثانية فى العام ١٩٤٨ حيث صرح الدكتور دى .إف . مالان ، زعيم الحزب فى العام ١٩٤٨ بما يلى معربا عن انتصاره : **اليوم أصبح جنوب أفريقيا ينتمى لنا ، ولعل الله يجعله لنا دوماً .**

غير أن تاريخ جنوب أفريقيا يكشف عن الجهد القوى والمميز الذى بذله الأفريكانر كى يدعموا سيطرتهم العددية فى مواجهة الأوربيين الناطقين باللغة الإنجليزية ، وبحيث

يصبحون الطرف الأول فى الشركة المحدودة ، على أمل أن يقوموا بعد ذلك بالاشتراك فى استغلال السود فى وقت السلم .

وقد استمر الكفاح الأفريقى المسلح أكثر من مائتى عام وانتهى بهزيمة ثورة بامباتا فى العام ١٩٠٦ ، وكان الأفارقة بقيادة بامباتا أحد رؤساء قبائل الزولو قد هبوا وراحوا يشهرون سلاحهم ضد تجريد قبيلة الزولو من أراضيها من ناحية ، وفى وجه الضرائب الشاقة المرهقة فى الناتال من الناحية الأخرى ، ومات بامباتا فى واحدة من المعارك ومعه حوالى ٤٠٠٠ آخرين من الأفارقة ، ولكن البيض فى تلك المعركة لم يقتل منهم سوى خمسة وعشرين فرداً فقط ، وهنا يتأكد من جديد التفوق العسكرى للأوربيين عن طريق إهدار المزيد من الدماء الأفريقية .

ومهما يكن من أمر فقد ثبت إلى ما قبل مذابح شاربفيل ولانجا فى العام ١٩٦٠ عدم جدوى سياسة اللاعنف ، ومع ذلك كان العنف الأفريقى محدوداً ضد الأوربيين فى كل أنحاء جنوب أفريقيا ، وبرغم أجهزة الشرطة والأجهزة العسكرية الضخمة التى كانت على درجة عالية من الكفاية ،نجد أن مجتمعات جنوب أفريقيا تشكل واحداً من أشد أجزاء العالم عنفًا ، ولم تكن المناوشات بين البيض والسود مقصورة على المدن التى تتكون من الأكواخ والمناطق المحيطة بالمدن التى يسكنها البيض فحسب ، بل إن تلك الاشتباكات كانت تدور بشكل عشوائى فيما يبدو ، داخل تلك المدن نفسها علاوة على كونها فى أغلب الاحيان اشتباكات وحشية ومفاجئة ؛ أضف إلى ذلك : أن تلك الاشتباكات كانت بمثابة المرض المتوطن ، وعاش الأوربيون حياتهم ،وهم يدركون كل ذلك ، وبنادقهم دوما فى ايديهم فى وضع الاستعداد ، بل إن العلاقة بين السيد والخادم تحولت فى كثير من الأحيان إلى علاقة بين ضحية وقاتل ، وترتيبا على ذلك ، وبناء على إحصائيات الأمم المتحدة نجد أن أكثر من نصف حالات الإعدام فى العالم سنوياً تنفذ فى جنوب أفريقيا ، ففى الفترة من يولية من العام ١٩٦٣ إلى يونية من العام ١٩٦٥ صدر ٢٨١ حكماً بالإعدام من القضاة البيض ،وجرى إعدام ١٩٤ من الأفارقة (٢١) ووصل الأمر إلى معدل حالتين من حالات الإعدام كل أسبوع .

ويرجع تاريخ ظهور أولى المنظمات السياسية الأفريقية التى ليس لها طابع العنف إلى العام ١٨٨٦ ، عندما أنشئ "أمبومبا ياما أفريكا" التى معناها بلغة القوم اتحاد الأفارقة ، فى شرقى الكيب الذى يعد جزءاً من مستعمرة الكيب البريطانية ، وأيام أن كان الأفارقة يتطلعون إلى أن تمتد الليبرالية البريطانية فى النهاية ، بمجموعة قيمها لتشملهم ، وصل المهاتهما غاندى ، ذلك المحامى الهندى الصغير صاحب الآراء المعلنة عن سياسة عدم العنف ، إلى جنوب أفريقيا وأنشأ فى العام ١٨٩٤ حزب المؤتمر الهندى فى الناتال بين بنى وطنه ، الذين كان السواد الأعظم منهم من العمال الذين يعملون بعقود محددة الأجل ، وابتدع غاندى بعد ذلك أسلوب المقاومة السلبية عندما قام بتنظيم الهنود للوقوف فى وجه محاولة إرغام الهنود مثل الأفارقة على حمل تصاريح المرور (٢٢)

ومن الواضح أن سياسة عدم العنف لم تكن تشكل لدى الأفارقة التزاما قويا وإنما كانت ضرورة تكتيكية فى مواجهة الأسلحة المتفوقة لدى الأوربيين ، زد على ذلك ، أن الكثيرين – وبخاصة الحرفيين – الذين استطاعوا أن يفيدوا من التسهيلات التعليمية الهزيلة الممنوحة للأفارقة كانت تروادهم أوهام خطيرة عن النوايا البريطانية ، وساعد البيض الراد يكاليون (٢٣) والليبراليون على ترسيخ كل تلك الأوهام ، بل إن "ابرام فيشر" الشيوعى عندما كان يتحدث فى العام ١٩٦٦ أمام قضاة نظام الحكم القائم ، الذين كانوا يفرضون بالقوة على الجماهير الأفريقية ظاهرة الأبارتهيد المخيفة التى تثير الاشمئزاز، راح يعلن عن اقتناعه التام بأن النتائج التى ترتبت على الحرب بين الأفارقة والأوروبيين ، والتى أطلق عليها اسم الحرب الأهلية ستكون لها آثار مخيفة ودائمة ، كما دافع فيشر أيضاً عن حل تدريجى ، غير مفروض لمشكلات جنوب أفريقيا ، على أن يقوم ذلك الحل على أساس من التعاون بين البيض والسود الذى يمثله الحزب الشيوعى ، ويستطرد فيشر قائلا : من الواضح أن هذا الأمر يعتبر حتمياً أكثر منه حلاً بديلا ، ذلك أن الحرب الأهلية لاتعد حلاً على الإطلاق ، وبرغم ذلك ، أعلن فيشر (٢٤) عن اقتناع مفاده أن مثل هذه الحرب الأهلية لايمكن أن يكسبها البيض فى هذه البلاد ؛ كما أن الغالبية العظمى من السود تؤمن بذلك أيضاً ، أضف إلى ذلك أن السود لايخشون مطلقا النتائج التى يمكن أن تترتب على حرب التحرير .

وبرغم الابارتهيد ، ماتزال عملية تجريد الأفريقى من صفته القبلية تمضى قدمًا وذلك عن طريق التحضر والكفاح السياسى المشترك ضد القمع من قبل البيض ، ومع كل هذا ما تزال للقبلية آثار كثيرة ، كما تأكد أنه لم يجر بعد تجريد أى أفريقى تجريداً تامًا من تقاليده القبلية (٢٥) ، وفى البداية كانت عملية الأفرقة هذه تحظى بمساندة قوية من الحركات الدينية والمسيحية التى لها طابع أفريقى عام ، ومع أن أحداً فى جنوب أفريقيا لم يصل إلى العنف ولا وضوح الرؤية السياسية حول انتفاضة المسيح التى قامت بها كنيسة جون شيلمبوى ضد الحكم البريطانى فى نياسلاند فى العام ١٩١٥ ، فقد تطورت حركات التحرر فى جنوب أفريقيا قبل أن تظهر فى أى مكان آخر من القارة (٢٦) بوقت طويل .

كانت تلك الحركات إما حركات "إثيوبية" أو حركات "صهيونية" ، وكانت أولى تلك الحركات هى حركة كنيسة مانجنا موكونى الاثيوبية التى تأسست فى العام ١٨٩٢ ، فقد أنشا موكونى ، الذى كان عضوا سابقا فى كنسية الميثوديين (٢٧) ، كنيستــه الأفريقية بعد كفاح فاشل ضد التمييز العنصرى بين الميثوديين أنفسهم ، ولما كانت الكنيسة الأثيوبية واضحة فى قوميتها ، فإن العقيدة الرئيسة لهذه الكنيسة كانت إفريقيا للأفارقة ، واستطاع موكونى عن طريق أعادة تفسير الانجيل فى ضوء مساندته للقومية الأفريقية ضد حكم البيض أن يعبر عن حنين الوطنيين إلى الحرية (٢٨) وقد تأثر السود إلى حد كبير فى جنوب أفريقيا بالكفاح العسكرى الناجح الذى خاضته الإمبراطورية الأثيوبية ، ضد الاحتلال الاستعمارى الإيطالى فى العام ١٨٩٦ ، وكانت الكنائس الإثيوبية – برغم الإنقسامات القبلية الكثيرة – بمثابة حركات افريقية بالفعل فى نظرتها العامة ، كما أقامت لنفسها روابط مع الكنائس الأفرو- أمريكية الأخرى المستقلة فى الولايات المتحدة ،مثل الكنيسة الميثودية الأفريقية الأسقفية فى أمريكا .

وجاءت الكنيسة الصهيونية أيضا من أمريكا بعد إنشاء أول كنيسة مسيحية كاثوليكية بابوية فى مدينة زيون ، وقد أسسها كل من جى .إى .دوى ، ودبليو . جى . فوليفا فى مدينة زيون بولاية ألينوى فى العام ١٨٩٦ ، وتقبل الأفارقة الذين مارسوا الاستحمام الشعائرى فى أديانهم القبلية ، تركيز الصهاينة على فكرة التعميد وانضموا طواعية إليهم فى بحثهم عن أورشليم الجديدة على جبل صهيون ، طلبا للعطايا المصاحبة للصحة النفسية والبدنية ، ونقلا عن فيتوريو لانترنارى :

إن الفرق الرئيسى بين الكنيسة الصهيونية والكنيسة الأثيوبية يكمن فى تحقيق الآمال المسيحية : فالأثيوبيون يعدون بأفريقيا مسيحية موحدة يحكمها أسد يهوذا ملك الملوك ، على حين يتطلع الصهاينة إلى أرض يهوذا المسيحية فى فلسطين ، التى سيقودهم إليها موسى ويوحنا المعمدان . والكنائس الأثيوبية يحكمها رجال يقومون بالدور التقليدى للملك فى نظام حكم أرستقراطى ، فى الوقت الذى يرفض فيه الصهاينة مفهوم الأرستقراطية ، ويختارون قادتهم الدينيين من بين الوعاظ والمداوين والمستبصرين أو المعادين الألداء للسحر (٢٩) . وفى كلا الحالين ، فإن تلك الكنائس الوطنية كانت تعتبر مخربة تماما بالنسبة للحكم الأوروبى .

وبذلت السلطات البيضاء جهوداً كثيرة فى سبيل قمع تلك الكنائس ، زد على ذلك أن تلك السلطات البيضاء كانت على علم تمام بتشجيع هذه الكنائس للتحدى والمقاومة الأفريقيين ، كما اكتشفت تلك السلطات ، أن الكنائس الأثيوبية فى العام ١٩٠٦ كانت تقدم المساعدة لثورة بمباتا التى أحبطت ، أما الكنائس الانفصالية والكنائس المستقلة التى تعد انفصالات أفريقية عن الحركات الدينية الأوربية ومبشريها فضلا عن اعتبارها أيضا تراكيب خالصة من المسيحية والأديان القبلية ،فهى التى تقدم ، وإلى يومنا هذا الكثير من المقاتلين الذين يتطلبهم كفاح التحرر الأفريقى .

يقول إدوراد روكس عن ثورة بمباتا :

يمكن اعتبار ثورة بمباتا نقطة تحول بين فترتين فى تاريخ الإنسان الأسود فى جنوب أفريقيا :فترة الحروب القبلية والقتال ضد الغزاة البيض التى انتهت بخسرانهم لبلادهم ووضع البانتو فى موضع البروليتاريا الداخلية ، أما الفترة الأخرى فهى فترة من فترات الكفاح من أجل التحرر الوطنى والحقوق الديموقراطية فى حدود إطار ما يسمى الآن بجنوب أفريقيا ، حيث يتداخل السود والبيض فى علاقات سياسية واقتصادية متشابكة ومعقدة ، وقد حارب البانتو خلال الفترة الأولى كقبائل منعزلة وعلى هدى من الخطوط العسكرية ، وبرغم أنهم لم يقابلوا البيض على أسس متكافئة فإنهم كانوا يواجهون البندقية ومدفع الماكينة بالتروس والرماح الهشة التى يستعملونها ، كما أنهم فى أفضل

الأحوال ، كانوا يواجهونهم كأعضاء ضمن قبائل مستقلة أو أمم لها أراضيها وتنظيماتها العسكرية (٣٠) الخاصة بها .

وعلى ذلك ، إذا كانت القبائل والأمم التى كانت تشكل المقاومة الأولية ضد الاستيطان الأوروبى قد استنفدت كل إمكاناتها مع مطلع القرن العشرين ، فإن فئة قليلة من الأفارقة هى التى لم تسمع بعد عن ذلك النضال البطولى المرير ،ولايزال بوسع الأفارقة أن يفخروا بقتال أسلافهم القبليين ضد البيض ، بغض النظر عن سحق ذلك النضال عن طريق القمع ومصاعب البقاء على قيد الحياة من يوم لآخر ، وليس هناك من شك أن الحركات الجماهيرية الأفريقية المعاصرة تقوم فى الأساس – ولو فى بعض أجزائها على أقل تقدير ، على السود الذين تم تجريدهم من صفتهم القبلية فى مناطق الحضر ، ويقول إدوراد فيت (٣١)

جاءت القيود القبلية فى المناطق الريفية ، وما ترتب على ذلك من نزعة محافظة ومقاومة للتغيير عائقًا فعالا فى مواجهة نمو حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" سواء فى الريف أو الحضر ، ومع ذلك فإن الحكايات التى تروى عن مقاومة القبائل الأفريقية للعداء الأوربى تشكل عنصراً ايديولوجيا فعالا عند إضفاء الصفة الشرعية فى الوقت الحاضر على الكفاح المسلح ضد حكم الأقلية البيضاء .

وفى ضوء الظروف المعاصرة ، تستطيع حركة اجتماعية على الصعيد القومى فقط أن تحدث تغييرا له مغزاه ، ومن رأى هانزتوش أن الحركات الاجتماعية ما هى إلا **مجموعات تستطيع البقاء لفترة طويلة نسبيا ، ولها برامج او أهداف واضحة ، ومع ذلك ينظر الناس إلى تلك الجماعات على أنها أشكال مختلفة من السلوك الجماعى ، والسبب فى ذلك أنها جماعات كبيرة ، تظهر بصورة تلقائية ، ولكن العنصر الرئيسى فى تعريف معظم الحركات الاجتماعية هو افتقارها إلى حتمية تأكيدها على أنها تهدف إلى زيادة مقاومة التغيير على نطاق كبير ... ، ولكن التعريف السيكولوجى لهذه الحركات الاجتماعية يسير على النحو التالى : إن الحركة الاجتماعية تمثل جهداً كبيراً من قبل عدد كبير من الناس لكى يحلوا بصورة جماعية مشكلة يحسون بأنها مشتركة فيما بينهم (٣٢) .**

وجاء اتحاد عمال التجارة والصناعة بمثابة أول تنظيم جماهيرى للبروليتاريا (٣٣) السوداء فى جنوب أفريقيا ، وازدهر ذلك الاتحاد خلال العشرينات ، وأصبحت له قوة عظيمة ، ولكن نقاط ضعف ذلك الاتحاد ونقاط قوته انتقلت إلى حركات التحرر المعاصرة ؛ ومع ذلك لايمكن لنا أن نُغْفلَ ذلك التنظيم المقاتل عندما نتكلم عن أسباب الكفاح الأفريقى ودوافعه ، زد على ذلك أن ذلك التنظيم إنما نظمته الطبقة العاملة السوداء . ويقول فيت (٣٤) .

وكما هو الحال بالنسبة لكثير من الحركات الجماهيرية الإفريقية الأخرى ،استسلم اتحاد عمال التجارة والصناعة للأمراض التى تنتج عن غياب السياسة ، وعن الزعامة الهزيلة والتنظيم السيئ ، ويضيف قائلا : ومع ذلك يبرز الاتحاد على أنه أعظم حركة جماهيرية أفريقية فى جنوب أفريقيا .

أما كليمنتس كادالاى – وهو أحد الكتبة من نيسالاند – فقد أسس اتحاد التجارة والصناعة فى مدينة الكيب فى العام ١٩١٩ على أنه اتحاد لعمال الموانئ ، وبكلمات كادالاى **انتشر الاتحاد انتشار النار فى الهشيم** فى جنوب أفريقيا ، ووصل ذلك الاتحاد أول ما وصل إلى موانى أخرى مثل أيست لندن وبورت اليزابيث ، واستطاع أن يجمع لنفسه أتباعا ومريدين فى كل أنحاء الكيب وولاية أورانج الحرة ، والناتال ، ثم بعد ذلك فى الترنسفال ، بل إن ذلك الاتحاد تجاوز حدود الاتحاد ليكونّ له فروعا فى جنوب غربى أفريقيا ، وباسوتولاند ، وروديسيا الجنوبية وموزمبيق وفى نيسالاند وطن كادالاى نفسه .

أما عن عدد أعضاء الاتحاد الذى بدأ بأربعة وعشرين عضوا ، كان كل منهم يساهم بشلن واحد فقد زاد إلى أن وصل إلى ٢٥٠٠٠٠ عضو فى العام ١٩٢٨ ،وأصبح دخل الاتحاد السنوى ١٥٠٠٠ جنيه أسترلينى ، وركز اتحاد عمال التجارة والصناعة بقيادة كادالاى الشجاع الديناميكى(٣٥) المثير ، على المطالب المادية للعمال السود فى جنوب أفريقيا ، كما ركز فوق كل ذلك على حد أدنى للأجر بالنسبة للأفارقة والحقيقة أن هذه كانت المرة الأولى التى ألقى فيها الأفارقة خلافاتهم القبلية جانبا واتحدوا لأول مرة كشعب مستقل مغلوب على أمره .

وأعلن كادالاى فى خطاب له القاه فى هيلبرون فى العام ١٩١٦ :

سأنتقل ببساطة من حوض بناء السفن إلى المصنع وبكلمة واحدة قف ، سيجد البيض أنفسهم رهن دفع الكثير ، وستخسر السكك الحديد ما يزيد على ٢٠٠٠٠٠ جنيه أسترليني في اليوم الواحد وسينظر الجميع إلىّ أثناء قيام تلك المشكلة وكأنني رئيس الوزراء ، وبرغم أن العمال الأوربيين في جنوب أفريقيا كانوا ينظرون بصورة عامة إلى اتحاد عمال التجارة والصناعة على أنه تهديد لموقفهم الذى يقوم على الامتيازات ،إلا أن كادالاى نفسه كانت له اتصالات وثيقة مع بعض اليساريين (٣٦) من الأوربيين ومن رأى روكس ، أن أولئك اليساريين هم الذين وضعوا مقدمة أول لائحة لاتحاد عمال التجارة والصناعة على غرار نفس خطوط لائحة الاتحاد العالمى لعمال لصناعة الأمريكيين .

وقد لعب ذلك التراث النقابى الفوضوى وأسطورة الإضراب العام – التى تحورت إلى حد ما ، دورا هاما فى التوجيه الأيدولوجى لحركات التحرر التى أعقبت ذلك ، من هنا لايمكن لنا بدون ذلك تفسير تلك القناعة الأفريقية التى ذاع صيتها بعد العام ١٩٦٠ عام الانضمام الأفريقى الجماعى إلى الأمم المتحدة ، ومؤدى تلك القناعة : أن التحرر الوطنى سوف يتحقق بصورة تكاد تشبه المعجزة ، خلال أيام عن طريق انتفاضة عامة للشعب الأفريقى .

وحدث أول إضراب أفريقى فى العام ١٩١٨ ، عندما خرج عمال الصحة فى جوهانسبرج تأييدا المطالبة بست بنسات زيادة على الأجر اليومى ، وألقى القبض على مائة وتسعة وخمسين فرداً حكم على كل منهم بشهرين من الأشغال الشاقة ، وعندما راح العمال الأفارقة بعد ذلك فى مدينة بلومفونتين يطالبون بأجر مقداره أربعة شلنات وستة بنسات بدلا من شلنين فى اليوم ،أعلنت الأحكام العرفية وسحقت محاولة الإضراب (٣٧) .

ودعا اتحاد عمال التجارة فى ديسمبر من العام ١٩١٩ ، إلى أول إضراب رسمى للاتحاد فى أحواض بناء السفن فى مدينة الكيب ، ورفض العمال البيض النداء الذى وجهه السود إليهم لمساندتهم وانتهى الإضراب بعد ثلاثة أسابيع ، وأرسلت القوات لإبعاد الأفارقة المضربين عن الميناء ، فى الوقت الذى كانت تقوم فيه الشرطة بمضايقة مستمرة لزعماء اتحاد عمال التجارة والصناعة .

وفى أكتوبر من العام ١٩٢٠ ، قتلت الشرطة فى بورت اليزابث بجنوب أفريقيا أربعة وعشرين أفريقياً ، وجرحت خمسين آخرين عندما تجمع جمهور من الناس خارج مركز الشرطة فى شارع باكنز احتجاجا على إلقاء القبض على ساموبل ماسابالا الزعيم المحلى لاتحاد عمال التجارة والصناعة ، الذى وضع فى السجن لأنه ينادى بالإضراب تأييدا للمطالبة بأجر للأفارقة حده الأدنى عشر شلنات فى اليوم ، كما أضرب فى أوائل العام نفسه فى الراند (٣٨) ما يزيد على ٤٠٠٠٠ من عمال المناجم السود وقمعت الشرطة الإضراب ، الأمر الذى ترتب عليه قتل عدد من الافارقة ، وفى العام ١٩٢٥ قتلت الشرطة وآخرون من البيض خمسة من الأفارقة وجرحت خمسة وعشرين آخرين فى شجار جرى فى مدينة بلومفونتين مع اتحاد عمال التجارة والصناعة .

واستمر ذلك اللون من ألوان العنف المكشوف ضد الأفارقة فى جنوب أفريقيا ، وبالمقابل استمر أيضا ، رفض منح العمال السود حق الانخراط فى تنظيمات تضمن لهم أجوراً أفضل وظروف عمل أحسن ،كما لم يتم الاعتراف رسمياً باتحاد عمال التجارة والصناعة ، ولم يبادر مؤتمر نقابة عمال جنوب أفريقيا ، تلك الهيئة العنصرية البيضاء ، بأى شكل من أشكال الاتصال باتحاد عمال التجارة والصناعة ، اللهم إذا كان ذلك من قبيل الحقد وبصورة عابرة ، ومع ذلك بدأ الحزب الشيوعى الناشئ ، الذى تكون فى جنوب أفريقيا فى العام ١٩٢١ تحت زعامة سيدنى بونتنج ، يكشف بصورة متدرجة عن مدى اهتمامه باتحاد عمال التجارة والصناعة ، وقبل ذلك كان الحزب الشيوعى الذى كانت أغلبيته ولاتزال من البيض يعلق آماله الثورية تعليقا كاملا على تنظيم العمال البيض ذوى الامتيازات فى جنوب أفريقيا ، وكان د- بونتنج الذى انضم إلى الحزب من "رابطة الاشتراكية الدولية "سجل بارز من الاتصالات المرموقة مع الأفارقة ، الذين بدأ يرى فيهم - وحدهم - وبصورة متدرجة - المثل الثورى الأعلى والحقيقى فى البلاد ، وكان بونتنج نفسه مسئولا عن إنشاء رابطه الحقوق الأفريقية التى تم حلها فى العام ١٩٢٩ ، بعد تكوينها بفترة قصيرة بناء على أوامر من الكومينترن (٣٩) ، وطرد بونتنج نفسه من الحزب على اعتبار إنه متطرف يمينى ، وهنا وصف جورج

بادمور بونتنج بأنه أول بطل أوربى يناضل من أجل الرجل الأسود (٤٠) ، ونظراً لأن بونتنج كان ينتمى إلى الطبقة البريطانية فوق المتوسطة فقد كان يختلف اختلافا كبيرا عن غالبية أعضاء الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ،عند إنشائه فى العام ١٩٢١

ويرجع السبب فى ذلك الاختلاف إلى أن الغالبية العظمى من أعضاء الحزب كانت من المهاجرين اليهود من شرقى أوربا ، أما بونتنج نفسه فقد وصل إلى جنوب أفريقيا عندما كان شابا أثناء حرب البوير ، واستوطن الترنسفال وعمل بالمحاماة ، ورغم تطلعاته إلى أن يعطى حزبه على الأقل جلدا أسودا وأن يقيم روابط مع اتحاد عمال التجارة والصناعة ،إلا أنه تشاحن مرات عدة مع كلمنتس كادالاى .

ووصل ذلك الشجار إلى أوجه فى العام ١٩٢٩ عندما طرد الشيوعيون هم وجميع السود الذين كانوا يشغلون مناصب قيادية فى اتحاد عمال التجارة والصناعة ، وضاق كادالاى ذرعا بنقد الشيوعين المتزايد لقيادته ، ولم يكن على استعداد لأن ينحنى أمام مطالبهم بإعادة تنظيم اتحاد عمال التجارة والصناعة ، أملا أن يعطيهم ذلك مزيدا من السيطرة على القيادة والتمويل .

بل إن وليام بالينجر **Ballinger** مستشار حزب العمال البريطانى ، الذى كان عليه أن ينضم إلى اتحاد عمال التجارة والصناعة فى العام ١٩٢٨ ،انتقد كادالاى مرات كثيرة على سلوكه الخاطئ العشوائى وعدم اهتمامه بالشئون الإدارية والتنظيمية ، وكان على كادالاى أن ينظر إلى نفسه على أنه واحد من قطّاع الطرق برغم أنه كان فى واقع الأمر قطبا من أقطاب الخطابة ، بيد أن ذلك لم يكن كافيا للاحتفاظ بتنظيم له حجم اتحاد عمال التجارة والصناعة وتشكيله وتركيبه ، وعلى الجانب السياسى ، وبرغم أن كادالاى نفسه كان يتحدى قوانين المرور فى جنوب أفريقيا إلا أنه لم يكن لديه برنامج يدعمه عمل سياسى ، زد على ذلك أن الشكوك التى كانت تثيرها النزاعات الشخصية من حول إدارته المالية أدت إلى تدهور اتحاد عمال التجارة والصناعة ، كما انفصلت فروع مثل فرع چورج شامبيون فى الناتال كى تكوِّن جماعات محلية ، بل ركز بشكل كثيف طوال فترة نزاعه مع كادالاى على القومية الأولية مع إلتزامه بمبادئ زعيمه السابق فى نيسالاند .

ويصف روكس تدهور اتحاد عمال التجارة والصناعة على النحو التالى : كان السكرتيرون يهربون بالنقود ، كما كان أثاث الاتحاد يباع حتى يتسنى دفع أتعاب المحامين ، ولكن الأحداث التى أدت إلى المأساة النهائية كانت مملوءة بالدراما والتراجيديا ، فقد سادت الفوضى ، وتنافس الزعماء كأفراد على السلطة ، كما تقاتلوا فى سبيل السيطرة على إتحاد عمال التجارة والصناعة ، وبينما هم يتقاتلون اختفى الاتحاد من أمام أعينهم إلى الحد الذى لم يعد أمامهم ما يتقاتلون عليه (٤١) .

وكان طبيعيا أن ينظر الشيوعيون إلى انهيار اتحاد عمال التجارة والصناعة على أنه مجرد تأكيد لانتقادهم لكادالاى أتباعه (٤٢) وبعد ذلك ،أكد الشيوعيون أن كادالاى سمح لنفسه بأن تستغله "شبكة" بيضاء معادية للشيوعية كان يرأسها كاتب روائى أبيض من جنوب أفريقيا هو إثيليريدالويس ، والذى كانت له علاقات مع كل من حزب العمال المستقل فى بريطانيا ، ومع وينفرد هولتبى الذى زار جنوب أفريقيا كصحفى ومحاضر فى العام ١٩٢٦، والتقى كادالاى أيضا .ويذهب تريسازانيا Teresa Zania إلى أبعد من ذلك عندما يزعم أن خطابات اثيليريدا التى أرسلها إلى وينفرد هوليتى تجعل لويس يبدو عميلا ساذجا للمخابرات المركزية الأمريكية (٤٣) ، وبرغم هذا الخطأ التاريخى المذهبى يثير شك قليل من حول تلقى كادالاى قدرا كبيرا من التشجيع من أوربا كى ينفصل عن الشيوعيين ، ومهما يكن من أمر فإن مخاوف الأفارقة من سيطرة الشيوعيين على تنظيماتهم زادت من الشك الذى مؤداه أن الحزب الشيوعى الذى فطر على إبعاد الأفارقة عن إحساسهم بوطنهم ويتكون أصلا من البيض فى جنوب أفريقيا كان بمثابة أشد الأطراف عداء لهم من بين أعدائهم المستوطنين الأوروبيين ، وترسخت تلك المخاوف فى تاريخ حركة التحرر فى جنوب إفريقا طوال الخمسين عاما الماضية ، ومن سوء الطالع أن الاتهامات الخاصة بسوء الإدارة المالية ، والسلوك الديكتاتورى الخاطئ من قبل الزعماء ، والفوضى الإدارية ما تزال تشكل موضوعا يتردد من حين لآخر .

ويرى چورج بادمور أن رابطة الحقوق الأفريقية التى أنشأها بونتنج ربما كانت تستطيع من جديد إحياء اتحاد عمال التجارة والصناعة الذى كان يتهاوى لولا التعليمات الجديدة التى وردت من "الكومنترن" بعد "مؤتمره السادس" الذى حتم حل الرابطة ! ويعلق جورج بادمور على ذلك قائلا :

وبدلا من أن تحضوا على المساواة العنصرية بين الإفارقة والمساواة فى حق المواطنة فإن الأفارقة بعد حل الرابطة كان مفروضا أن يحصلوا على "جمهورية وطنية Native Republic للأفارقة" من قبيل ولايات الحزام الأسود (٤٤) الخاصة بالزنوج أنفسهم فى الولايات الجنوبية من أمريكا ، غير أن الأفارقة لم يطالبوا قط بمثل هذا الهراء وهنا زاد الذعر ، بعد تلقى توجيهات الكومنتيرن التى كانت تقضى بأن الحزب يتحتم عليه أن يتقدم فى إصرار وعناد بشعار وخلق "جمهورية وطنية مستقلة للافارقة" ، مع ضمان أكيد لحقوق الأقلية البيضاء وأن يكون هناك نضال من خلال الأعمال لتحقيق قيام تلك الجمهورية (٤٥) .

وعارض بونتنج وآخرون كثيرون من أعضاء الحزب ذلك التغيير الانتحارى فى السياسة ، إلا أن الحزب جرى تطهيره من تلك الشخصيات بناء على أوامر من موسكو ، ويضيف بادمور أن الأغلبية الساحقة من الأفارقة رفضت تلك السياسة ، ويقول بادمور:

أما الأفارقة – مثل الزنوج فى أمريكا – فإنهم فى الوقت الذى كانوا يعارضون فيه كل أشكال العجز العنصرى – لم يطالبوا قط بالانفصال ، سواء أكان فى شكل "أبارتهيد" أم "جمهورية وطنية" ، وكان الأفارقة ، بدلا من ذلك ، يطالبون دائما بحقوق مواطنه فى إطار مجتمع متعدد الأجناس ، كما أن الأفارقة يتشككون أيضا فى الشعار الشيوعى الجديد حول الجمهورية الوطنية والذى كانوا يفسرونه على أنه محاولة لعزلهم داخل نوع من "دولة البانتو" لأنهم كانوا يعرفون أن الأوروبيين – بما فى ذلك أولئك الذين يسمون أنفسهم بالشيوعيين ، يرفضون العيش فى ظل حكومة أفريقية كاملة .

والمتناقضات بحد ذاتها التى بين الأوربيين الذين يطلقون على أنفسهم اسم الشيوعيين وبين حركات التحرر الأفريقية تحتاج إلى كتاب بأكمله كى يتسنى لنا وصفها ، وبصرف النظر عن الانتقادات التى وجهت للزعيم فإن اتحاد عمال التجارة والصناعة الذى كان يتزعمه كليمنتس كادالاى قام بعمل رائد فى توحيد العمال السود ، الأمر الذى جعلهم يدركون قوتهم ، كما أبرز لهم أيضا أن وحدتهم الوطنية الأفريقية عن طريق الأنساب القبلية يمكن أن تقاوم الاستغلال الأوربى .

وعلى ذلك يمكننا أن نتبين العناصر الأساسية للمقاومة السوداء فى جنوب أفريقيا ، فى ثلاثة ظواهر يمكن أن تكون بمثابة الأسس فى الحركات الحالية :

أولا : تقاليد المقاومة العسكرية المسلحة والبطولية للتعدى الأبيض الذى بدأ فى القرن السابع عشر واستمر حتى العقد الأول من القرن العشرين ، وبرغم أن هذا الكفاح المسلح كان يقوم على أسس قبلية ، إلا أنه ما يزال باقيا إلى يومنا هذا فى ذاكرة جميع الأفارقة .

ثانيا : تأثير الكنائس الأفريقية المستقلة والانفصالية سواء أكانت كنائس أثيوبية أم صهيونية على مقاومة أداة القمع الإيدولوجية الأوربية ، والمسيحية بالصورة التى تجرى عليها فى جنوب إفريقيا ، زد على ذلك أن الكنائس الأفريقية - برغم نبوتها المسيحية وبحثها الذى لاطائل من ورائه عن أورشليم (٤٦) الجديدة - لها رأى دقيق وواضح فى المجتمع الذى أجبر الأفارقة فيه على أن يصبحوا جامعى حطب أو حاملى مياه للبيض الأجانب ، يضاف إلى ذلك ، أن الميول الثورية لدى الكنائس الوطنية وصلت إلى ما وراء الحدود التى فرضها الأوروبيون داخل أفريقيا ، بل إنها امتدت أيضا عبر البحار إلى حيث يناضل السود فى أمريكا وفى أماكن أخرى ، وكونت بذلك سابقة كحركة تضم كل أفريقيا .

ثالثا : استطاع الأفارقة أن يثبتوا فى اتحاد عمال التجارة والصناعة الذى كان يتزعمه كليمنتس كادالاى - برغم الفترة القصيرة التى عاشها - فهمهم لدورهم فى المجتمع الرأسمالى الذى يسيطر عليه البيض فى جنوب أفريقيا ، كما قاموا أيضا بتنظيم الإضربات الأولى التى بدأت البروليتاريا السوداء تقوم بها بصورة مضطردة وعلى أسس قبلية ، وبهذا الأسلوب استطاع الوعى الوطنى الإفريقى لدى الشعب الأفريقى فى جنوب أفريقيا أن يكتشف كينونته التجريبية الأولى فى تلك الظواهر ، ولم يكن بوسع القومية الجديدة أن تجد شكلا داعما ومؤكدا لهذا الكفاح نفسه الا عند منتصف الحرب العالمية الثانية عندما استطاع أنطون موزواكى لمبيدى الذى نادى باعتماد الأفارقة على أنفسهم فى التحرر أن يؤسس مع بعض الشبان الآخرين "رابطة شباب حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" .

حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا

يحق لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى أن يقول فى بساطة : أنه يعد أقدم حركات التحرير فى أفريقيا ، فقد تأسس ذلك الحزب فى العام ١٩١٢ تحت اسم المؤتمر الوطنى الأهلى لجنوب أفريقيا ، وهو بذلك يسبق تاريخيا الرابطة الوطنية لتقدم الملونين فى الولايات المتحدة ،الذى كان يتشابه معه إلى حد كبير طوال الجزء الأكبر من وجوده القانونى فى جنوب أفريقيا ، ومهما يكن من أمر فإن نعتنا لذلك الحزب بأنه "حركة تحرر" فى ذلك الوقت يعنى أننا نخطئ التعريف الذى يسلم به الجميع عن ماهية حركة التحرير : ذلك أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كان اتحادا إصلاحيا من حيث المبدأ ، وتقوده صفوة مختارة ويستهدف تحسين الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية فى أفريقيا ضمن إطار شرعى لايؤمن بالعنف وسيلة ، أما المحترفون – الذين كان الكثيرون منهم من المحامين الذين كانوا يديرون هذه المنظمة – فكانوا يرون أن واجبهم الأول "يتمثل فى الكلام كثيرا نيابة عن الشعب بدلا من الكلام كثيرا إلى الشعب" (٤٧) ، ويمكن لنا تقييم تاريخ حزب المؤتمر الوطنى الطويل تقييما مناسبا من خلال أربع فترات رئيسة هى :–

أولا : تأسيس الحزب بوصفه حركة اجتماعية نخبوية ، ذات عضوية محدودة ، وحظوظ متباينة .

ثانيا : الفترة الوجيزة التى أعقبت التدهور والكسوف الذى نتج عن ظهور "ميثاق كل أفريقيا" ثم عودة المنظمة إلى الحياة عن طريق رابطة الشباب التى التزمت ببرنامج أكثر قومية وأكثر نشاطا والتحول إلى حركة جماهيرية .

ثالثا : فشل مفهوم المقاومة السلبية وانقسام حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، الأمر الذى ترتب عليه أن تركت الحزب أكثر عناصره وطنية ونشاطا لتكوّن حزب مؤتمر حركة الوحدة الأفريقية .

رابعا : حظر ذلك الحزب من قبل نظام حكم الأقلية البيضاء ،الأمر الذى أعقبه نقل زعامته إلى الخارج وانتهاج الكفاح المسلح بعد ذلك وسيلة وحيدة فعالة لخلق دولة ديموقراطية متعددة الأجناس فى جنوب أفريقيا .

١- البدايات (١٩١٢-١٩٣٥)

لم يكن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى أول تنظيم سياسى يتأسس فى جنوب أفريقيا ، ويعزى هذا التميز إلى إمبومبايا بأفريكا ، أى "اتحاد الأفارقة" الذى تكون فى العام ١٨٨٦ فى الكيب الشرقية ، كما تأسست فى الوقت نفسه تقريبا أول كنيسة أفريقية مسيحية وطبعت أيضا أول صحيفة أفريقية ، زد على ذلك ، أن مستعمرة الكيب البريطانية كانت فيها مجموعة صغيرة من الأفارقة الذين كان لهم وحدهم حق التصويت علما بأن المستوطنين كانوا يعترضون على ذلك الحق من منطلق أن تلك المجموعة تشكل تهديدا خطير للسيطرة الأوربية الاستعمارية ، ومن ناحية أخرى كانت المستعمرة البريطانية فى الناتال تعامل الأفارقة بالقسوة نفسها التى كان البوير يعاملونهم بها فى كل من ولاية أورانج الحرة وجمهوريات الترنسفال !

وسرعان ما أنشأ المهاتما غاندى فى الناتال حزب المؤتمر الهندى فى العام ١٨٩٤ ، وكان على غاندى فى تلك المرحلة أن يعمل من خلال العمال الهنود غير المهرة Coolies فى مزارع السكر وأن يعمل على تطوير نظرياته عن المقاومة السلبية التى فشلت فشلا ذريعا فى الظروف الصعبة فى جنوبى أفريقيا ، ثم أصابت – بعد ذلك – نجاحا فى الهند .

وفى العام ١٩٠٢ أسس الملونون فى الكيب "منظمة الشعب الأفريقى" التى جاءت مقدمة لكثير من منظمات البيض التى توجت بعد ذلك بخمسين عاما بتأسيس منظمة الشعب الملون فى جنوب أفريقيا ، والتى أطلق عليها بعد ذلك اسم مؤتمر الشعب الملون فى جنوب إفريقيا ثم دخلت بعد ذلك فى تحالف المؤتمر الذى تولى فيه حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، بصفة مبدئية دور الزعامة .

كانت أنشطة تلك المنظمات الأولى تنحصر بشكل عام فى التماس شيء من العدالة الاجتماعية عند الحكام البيض ، وكانت معاهدة فيرينجنج (٤٨) ، للسلام التى أبرمت بين البريطانيين وأعدائهم البوير المنهزمين ،قد أرست أسس السيطرة المشتركة على السود تلك الأسس التى جرى اعتمادها فى "قانون الاتحاد" لعام ١٩١٠ الذى جعل من اللون حاجزا حاسما فى جنوب أفريقيا ، ثم أدخلت بعد ذلك تحسينات على ذلك

القانون ليتحول إلى نظام عام للعزل العنصرى ، قبل أن يصل إلى الحدود الجماعية فى سياسة الابارتهيد فى جنوب أفريقيا .

وجاء "قانون الاتحاد" وانتخاب برلمان جله من البيض بمثابة صدمة للأفارقة وكل من هم من غير البيض ، فى جنوب أفريقيا ، وأعربت الرابطات الأفريقية عن احتجاجها لدى "الاتحاد" ، غير أن أحداً فى لندن لم يلق بالا إلى حجج تلك الرابطات وأعذارها ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن السياسيين فى ذلك الوقت كانوا يهتمون أكثر بالمصالحة مع الهولنديين المنهزمين ، وبناء على تحريض من المحامى الأفريقى الدكتور "بكسلى كاإيزاك سيمى" الذى أوفدته البعثات التبشيرية للدراسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، وفى الثامن من يناير من العام ١٩١٢ اجتمعت فى بلومفونتين بضع مئات قليلة من الأفارقة المتعلمين ، وكانت تلك المئات قد جاءت من جميع القبائل ومن كل أجزاء جنوب أفريقيا ، وبقيادة محامين ورجال دين ومدرسين ، ومن ذلك الاجتماع ، ولد حزب المؤتمر الوطنى الأهلى فى جنوب أفريقيا ؛ تلك الهيئة الجديدة التى تأثرت بالمجموعات الزنجية التى كانت تعتمد على نفسها فى أمريكا ، كما التزمت تلك الهيئة أيضا بالوسائل الدستورية كى يتسنى لها رفع المظالم الأفريقية : كان سيمى واتباعه يتطلعون إلى تعليم الأفارقة الأقل حظا على أمل اكتساب احترام الأوربيين ومساندتهم لهم فى مطالبتهم بالعدالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وجاء تحالف حزب المؤتمر الوطنى الأهلى فى جنوب أفريقيا مع الصفوة المختارة الجديدة من الحرفيين والعصاميين، وتحالفه أيضا مع الارستقراطية القبلية القديمة ، جاء بمثابة ملمح غريب من ملامح ذلك الحزب ، ولكن الهيكل التنظيمى لذلك الحزب كان يقوم على برلمان ذى مجلسين تشريعيين : مجلس أعلى لرؤساء القبائل وآخر أقل للعموم ، ولكل مجلس من المجلسين رئيسه الخاص ، واختير ليتساى الثانى رئيساً شرفيًا لذلك البرلمان ، وليتساى هو الرئيس الأعلى "للباسوتو" ، وهو أيضا الذى استطاع بفضل مقاومته الصلبه لتوسع المستوطنين الهولنديين - أن يجعل شعبه وبعض ممتلكاته فى مأمن من سيطرة الحكم الأجنبى إلى العام ١٨٨٤ الذى اضطر فيه هو وشعبه أن يطلبا الحماية البريطانية كى يتمكن من مقاومة ضغوط البوير التوسعية الجدية ، وبناء على فقرة فى قانون الاتحاد أمكن دمج باسوتولاند ومحميات أخرى فى

بوتسوانالاند وسوازيلند فى جنوب أفريقيا ، كما استقلت فى العام ١٩٦٦ ثلاثة دول استقلالاً اسميًا – هى ليسوتو – وبتسوانا ثم بعد ذلك سوازيلند أو نجوانى ١٩٦٨ ، ومع ذلك ، فإن جنوب أفريقيا لديه مشروع للابارتهيد مازال يرمى إلى استيعاب تلك الدول الثلاثة وامتصاصها ضمن الجمهورية كبنتوستانات ، كما انتخب فى ذلك الاجتماع أيضا الكاهن جون لانجاليا ليلى ديوبى رئيسا عامًا للحزب ، وكان ديوبى أحد رجال الدين الذين يعملون بالتدريس ، وتلقى تعليمه فى أمريكا ، كما جرى فى الاجتماع نفسه اختيار بيكسلى سيمى أمينا عامًا للصندوق بينما اختير سولومان تشيكسوبلاتجى الكاتب الذى تعلم فى الكيب تعليمًا ذاتيًا ، لمنصب الأمين العام .

وكانت جريدة حزب المؤتمر الوطنى الأهلى "البانتو – باثو" ومعناها الشعب ، والتى أسسها سيمى فى العام ١٩١٢ بدعم مالى من ملكه سوازيلند ، كما كانت تطبع باللغة الإنجليزية إضافة إلى ثلاث لغات أخرى ؛ من هنا تعد جريدة البانتو – باثو ، أول صحيفة وطنية للأفريقيين .

وعلى الجانب السياسى ، كرّس حزب المؤتمر الأفريقى الوطنى الأهلى الجنوب أفريقى كل جهوده فى حملة شنها على القانون الذى أصدرته الحكومة بخصوص الأرض الوطنية والذى حرّم فى الحقيقة على الأفارقة شراء الأراضى إلا فى المناطق الوطنية ،التى تصل نسبتها إلى ٧,٣٪ من مساحة البلاد كلها ، وكان المزارعون الأوروبيون هم الذين نجح سعيهم فى استصدار ذلك القانون ؛ والسبب فى ذلك انهم كانوا يريدون تجريد الأفريقى من كل شىء كى يصبح فى النهاية واحداً من أفراد البروليتاريا الريفية الذين لا يملكون أرضا ! وقام الحزب بإرسال وفد نيابة عنه برياسة ج.ل . ديوتى إلى لندن بأمل كاذب فى الحصول على تأييد الحكومة البريطانية لدفاع الأفارقة عن حقوق الأرض ، وما أن عاد وفد الحزب صفر اليدين ليقدم تقريره فى اجتماع خاص فى بلومفونتين حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وتجىء بداية تلك الحرب إشارة إلى حرب البوير التى تمثلت فى الجهد الذى بذلته مرة أخرى مجموعة من الهولنديين فى سبيل خلق جمهورية مستقلة لهم : فقد عصى الجنرال مانى مارتز أحد الضباط فى قوات الدفاع الاتحادية الأوامر التى صدرت إليه بالهجوم على القوات الإمبريالية الألمانية فى جنوب غربى أفريقيا الألمانى فى ذلك الوقت ، بل إن مانى مارتز

نفسه انضم إلى القوات الإمبريالية الألمانية وأنشا حكومة مؤقتة بجنوب أفريقيا ، ومهما يكن من أمر ، فقد أمكن فى آخر أكتوبر من العام ١٩١٤ سحق ذلك التمرد بفضل كل مـن لويس بوثـا وجى .س سـمطس هذان الجنرالان اللذان أبقـيـا على ولائهـمـا للبريطانيين .

ولم تستخدم القوات الاتحادية قوات أفريقية ضد الألمان أو البوير مع أن الألمان لم يترددوا فى الاستفادة من القوات الأهلية المدربة فى مستعمراتهم الأفريقية المطوقة ، بل إن الأفارقة فى جنوبى أفريقيا كانوا يستخدمون فقط فى الأعمال الحقيرة ، ولم يشأ البريطانيون أو البوير أن يدربوا قوات أفريقية على فنون وعلوم الحرب حتى لا يعلموهم الطريق إلى قتل الرجل الأبيض .

وبعد الحرب سافر وفد أسود برياسة شيلوبى ثيما الأمين العام لحزب المؤتمر منذ العام ١٩١٥ إلى فرساى للتأثير على مؤتمر السلام نيابة عن مواطنى جنوب أفريقيا الذين لم يكونوا ممثلين فى المؤتمر ، كما أرسل البوير أيضا وفداً للتأثير على المؤتمر من أجل إنشاء جمهورية للبيض ، وفى فرنسا ، حضر تشيكيس بلاتجى – أحد أعضاء الوفد الأفريقى – الاجتماع الأول لحركة الجامعة "أو الوحدة" الأفريقية الذى أنشأه فى باريس الدكتور/ دبليو .أى .ب. دوبوا الذى وفد من الولايات المتحدة .

ولم يكن للمؤتمر تأثير ملموس على مؤتمر السلام ، غير أنه أدى إلى قيام روابط أخوية متينة بين الملونين فى أفريقيا وأمريكا وفى أماكن أخرى ، وتفوقت مبادئ وشعارات حركة الوحدة الأفريقية التى من قبيل "أفريقيا للأفارقة" على أى شعار آخر ، مع أن ذلك كان واحداً من المطالب العادلة للسود المغلوبين على أمرهم ، وكانت حركة الوحدة الأفريقية تعنى النضال من أجل كرامة الإنسان والحرية الوطنية ، والاعتراف بوحدة المصالح وضرورة المساعدة والتعاون المتبادل بين من هم من أصل أفريقى حيثما وجدوا فى أى مكان من العالم ، وفى النهاية أستطيع القول : إن تلك الحركة كانت بمثابة رؤية للنضال الموحد الذى تخوضه شعوب العالم الفقيرة المغلوبة على أمرها ، ويمتد ليغطى الفلاحين والعمال فى كل من آسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك السود فى الكاريبى وأمريكا الشمالية .

وفى العام ١٩٢٢ تجلى عمق المشاعر العنصرية بصورة عنيفة لدى العمال الأوربيين عندما أضرب عمال مناجم من البيض حفاظًا على امتيازاتهم التى خشوا أن يتهددها الخطر إذا ما تم تخفيض الحاجز اللونى بصورة يسمح معها للأفارقة بالقيام بالأعمال شبه الماهرة فى الراند ، وساند الشيوعيون فى جنوب أفريقيا ذلك الإضراب الرجعى ، الذى آثار البيض ووقع خلاله هجوم غير مبرر على السود الذين قتل منهم سبعه وجرح سبعة وثلاثون ، وخسر الآلاف من عمال المناجم السود أعمالهم وأعيدوا مرة أخرى إلى المستودعات برغم سحق الإضراب من قبل الحكومة التى كانت آنئذ برياسة جى .سى. سمطس ، ولا يزال التمرد الأبيض فى الراند إلى يومنا هذا يثير الحرج والانقسام بشكل كبير بين أعضاء الحزب الشيوعى (٤٩) الذين ينتشرون فى جنوبى أفريقيا ، برغم المحاولة التى بذل فيها سيدنى بونتنج بعد ذلك قصارى جهده من أجل أن يمسح من عقول الأفارقة تلك الذكرى الأليمة على نفوسهم .

فى البداية ، لم يكن لدى قادة الحزب الشيوعى الجنوب أفريقى (SACP) والذى تأسس فى العام ١٩٢١ سوى فكرة غير واضحة تماما عن حزب المؤتمر القومى الأفريقى الوطنى الجنوب أفريقى ، الذى كان يقوم على الصفوة ، ومن هنا كرّس قادة الحزب الشيوعى الجزء الأكبر من جهدهم فى اتجاه تعبئة العمال الأوروبيين أو التأثير على اتحاد التجارة والصناعة المزدهر عن طريق الشيوعيين السود ، وجاء طرد كليمنتس كادالاى فى العام ١٩٢٦ بمثابة ضربة قاصمة لآمال سيدنى بونتنج ، ومع ذلك كان من الممكن التغلب على تلك النكسة لو أن الكومينترن لم يأمر بحل رابطه بونتنج للحقوق الأفريقية ، التى أنشأها الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا فى العام ١٩٢٩ لتحل محل "اتحاد عمال التجارة والصناعة" الذى بدأ يختفى فى ذلك العام

واتخذ الشيوعيون لأنفسهم موقفا مغايرا من حزب المؤتمر برغم انهياره بصورة مطردة ، وانخفاض تأثيره بصورة عامة طوال الجزء الأكبر من العشرينيات ، وفى العام ١٩٢٥ تعدل اسم حزب المؤتمر الوطنى الأهلى الجنوب أفريقى إلى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وقطع الحزب شوطا كبيرا على طريق تبنى نشيد وطنى بعنوان "قليبارك الرب أفريقيا" ، وصمم الحزب لنفسه علما يضم اللون الأسود والأخضر مع قضيبين أفقيين بلون الذهب ، ووجد الشيوعيون صديقا لهم فى جيمس جوميدى ، ذلك

الكاثوليكى الرومانى الذى جرى اختياره رئيسا عاما لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى العام ١٩٢٧ ، وحضر جوميدى فى العام نفسه مؤتمرا نظمه الشيوعيون فى بروكسل ل رابطة مناهضة الإمبريالية ، الأمر الذى أدى إلى الجمع بين زعماء التجمعات الوطنية فى كل من آسيا وأفريقيا : ووجهت ل جوميدى بعد المؤتمر دعوة للقيام بجولة فى الاتحاد السوفيتى ، عاد على أثرها إلى جنوب أفريقيا متأثراً إلى حد كبير بما شاهده فى "أرض لينين" ، غير أن تحول جوميدى إلى اليسار لم يجد مساندة من أغلبية أعضاء حزب المؤتمر ، بل إن معظم أعضاء الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا رفضوا مقترحات جوميدى لعدة أسباب ، ترددت ما بين الاعتراضات الدينية على الالحاد والمادية الجدلية التى ينادى بها الشيوعيون والتخوف المتزايد من المناورات والحيل من قبل هؤلاء البيض الأغراب عليهم ، وبرغم كل ذلك ، جرى استبدال جوميدى ، بمؤسس حزب المؤتمر بكسلى سيمى .

وتحول الشيوعيون فترة من الزمن ، عن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، كما فشلت الأزمة الاقتصادية فى أوائل الثلاثينيات هى ومستوى معيشة الأفارقة المتدنى فى إيقاف تدهور حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ولم تستطع الانتفاضة القومية الأفريقية من جانب أثيوبيا المطوقة (٥٠) ، بعد أن غزتها إيطاليا الفاشية ، أن تعيد الحياة من جديد إلى منظمة بكسلى سيمى المنهكة .

٢- مزيد من التدهور ثم بعث (١٩٣٥-١٩٥١) .

عندما اقترحت حكومة الجنرال جى.بى .ام هيرتزوج إقامة أول نظام حكم وطنى للأفريكانر ، واستبعاد المسجلين فى قوائم الاقتراع العامة فى الكيب وإنشاء مجلس تمثيل السكان الأصليين - الذى هو عبارة عن هيئة استشارية خالصة - لم تكن لدى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى رغبة فى الرد بصورة جدية على ذلك التحدى أو على "قانون الأرض" والوصاية الوطنية البغيضة أيضا ، تلك الوصاية التى حرمت الأفارقة فى الكيب من حقهم فى شراء الأرض خارج المعازل ، وأدى ذلك إلى استثارة نقد الأفارقة المرير لزعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى .

وفى النهاية وافق بكسلى سيمى على الدعوة إلى عقد مؤتمر جماهيرى للمنظمات الأفريقية بالاشتراك مع الدكتور دى .دى .ت .جابافو من كلية فورت هير الذى كان بمثابة الشخصية المتعلمة البارزة فى البلاد ؛ وانعقد ذلك المؤتمر فى بلومفونتين فى ١٦ من ديسمبر من العام ١٩٣٥ ، الذى كان يوافق عيد دينجان (٥١) ، الذى يطلق عليه الآن اسم يوم العهد ؛ وهو اليوم الذى يؤبن هزيمة الأفارقة على أيدى الأوروبيين ، وحضر المؤتمر حوالى ٥٠٠ شخص ، كان من بينهم ممثلين عن المجموعات الهندية والملونة ، الأمر الذى جعل من المؤتمر أكبر تجمع غير أبيض فى تاريخ جنوب أفريقيا .

وكانت النتائج الأولية للمؤتمر أبعد من أن تكون مثيرة ، ووقف حزب الميثاق الأفريقى All African Convention إلى جانب الحكومة عندما رفض نداء توجهت به الأقلية للقيام بمظاهرات وإضرابات ، كما أيد الحزب الحكومة فى منح بعض الامتيازات الأفريقية المحدودة وتحسين أوضاع غير البيض بصورة عامة ، وقيام الحكومة علاوة على ذلك ، نيابة عن شعب الأفارقة بإرسال نداء بذلك إلى الملك والبرلمان البريطانيين .

وعندما أدرك هيرتزوج أن مقترحاته التى تهدف أصلاً إلى تعديل المادة الأساسية فى الدستور ، لن تحظى بأغلبية (٥٢) ، الثُلثين التى تعد شرطًا اساسيًا ، تحول إلى حزب "ميثاق كل أفريقيا" ، وبدا يحث على حل وسط : بمعنى قبول الأفارقة لما أسماه مجلس تمثيل السكان الأصليين ، وبرغم المقاومة التى جاءت من آخر جيب من جيوب المقاومة من جانب مجموعة اليساريين الملونين الذين هاجمهم الشيوعيون على أنهم تروتكسيين ؛ استطاع هيرتزوج تجنيد الكثيرين من زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وجعلهم يقبلون ذلك الاقتراح ويوافقون عليه ، وجرى انتخاب عدد من زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لمجلس تمثيل السكان الأصليين ، ثم انضم المجلس إلى كل من حزب ميثاق كل أفريقيا ، والرابطة الوطنية لناخبى الكيب وذلك من قبيل دعم المرشحين ومساندتهم حتى يتسنى لهم أن يصبحوا الأعضاء الثلاثة البيض فى البرلمان ، والشيوخ الأربعة البيض الذين يمكنهم تمثيل المصالح الأفريقية تمثيلاً شكلياً فى البرلمان الذى يتكون كله من البيض فى كيب تاون ، وسرعان ما ثبت للجميع باستثناء زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى عدم فاعلية التمثيل الوطنى ، ومع أن

المنتخبين البيض كانوا يتكلمون كلاما طيبا بحق دوائرهم الانتخابية إلا أنهم لم ينجحوا في تغيير مجرى الاتجاه العنصرى فى حكومة الأغلبية البيضاء ، وراح أولئك المنتخبون يعملون بصورة وثيقة مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى راح بدوره ينظم المساندة السوداء العريضة التى كانت رهن إشارته ، غير أنه كان من الطبيعى أن لا يتحمس كثيرون من الأفارقة لذلك التنظيم بعد خيبة الأمل السريعة التى نزلت بهم فى مرحلة مبكرة ، وتولى حزب الميثاق الأفريقى قيادة المقاومة ضد مجلس التمثيل الأهلى ، وأعلن عندئذ عن هدفه الأساسى فى أن يصبح هو الهيئة الأساسية التى تستطيع فى النهاية - برغم ثبوت فشلها - أن تتحدى كلا من مجلس التمثيل الوطنى وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى زعامة الجماهير السوداء ، وسنقوم فى موضع آخر بدراسة التاريخ اللاحق لحزب الميثاق الأفريقى والتنظيمات المرتبطة به ، ومما تجدر ملاحظته هنا أن تلك المجموعة بأيدلوجيتها الماركسية العنيفة كان لها ، فى ضوء الإيحاءات الصادرة عن أعداء هذه المجموعة تأثير أكبر مما كان يمكن توقعه ، وبوسعنا أن نقول عن أثار آراء تلك المجموعة ، التى رفضها الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا بصورة عامة باعتبارها مجموعة يسارية متطرفة يمكن التعرف عليها من بيانات الزعماء الأفارقة الذين لم يكونوا قط من بين أعضائها .

وشهدت الحرب العالمية الثانية فى العام ١٩٣٩ تدهور حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى حد كبير ، ولم يكن الأفارقة شغوفين بتسجيل أنفسهم لإنجاز الأعمال الحقيرة فى الجيش الأبيض ، كما كان الحال فى الحرب العالمية الأولى .زد على ذلك أنه برغم الاشمئزاز الذى آثارته نظريات أدولف هتلر النازية عن السيادة العنصرية ، التى كان من الطبيعى أن تجد لها جمهورا كبيرا بين الأفريكانر [٥٣] إلا أن الأفارقة والآسيويين ثارت حميتهم نتيجة تحدى اليابان سيطرة الغرب على دول المحيط الهادى . ومهما يكن الأمر ، فقد انهالت خلال فترة قصيرة الوعود الأنجلو - أمريكية بحريات جديدة ، "وصفقة جديدة" على مستوى العالم بعد الانتصار على دول المحور ، وعندما ظهر أن القوات اليابانية كانت فى وضع يسمح لها بتوجيه ضربتها إلى الهند التى كان البريطانيون يحتلونها سمحت الفرصة للجنرال سمطس بأن يعمل على تشجيع التضامن بين الأعراق فى زمن الحرب ، وأعطى بذلك وعودا بإصلاحات اجتماعية

واقتصادية للجميع ، واقتبس سمطس فى هذا الصدد الحريات الأربع التى نادى بها روزفلت – تشرشل فى ميثاق الأطلنطى ، وهنا تعطلت قوانين المرور فترة وجيزة من الزمن إلى أن تم صد التهديد اليابانى عن طريق أسطول الحلفاء فى المحيط الهادى .

وفى الوقت الذى كان الاستاذ زد .ك ماتثيوز يقوم فيه مع مفكرين كبار آخرين من كلية فورت هير بإعداد مشروع قانون الحقوق الأفريقية ويطالبون بوضع حد للتمييز العنصرى وحكومة السيادة البيضاء ؛ كانت هناك مجموعة أخرى من المفكرين الشبان تنادى بفلسفة تقول ببعث قومى للشعب الأفريقى ، وهنا يجوز للمرء أن يقول : إن التاريخ الحقيقى لحركة التحرر المعاصرة يبدأ من تلك النقطة ، ومع بداية تكوين "رابطة الشباب فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" ، كان محور ذلك الاتجاه يتمثل فى شخصية غير عادية لرجل شاب يدرس القانون ، هو أنطون . م . لمبيدى ، الذى كان أصلا وأساسا للأفكار الأفريقانية africanist التى كانت تكمن وراء "رابطة الشباب" وكذلك النتائج التى أدت فى النهاية إلى انفصال حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية " بعد ذلك بما يزيد قليلا على عقد من الزمن ، وبعد أن عمل أنطون لمبيدى بالتدريس فى مدرسة هيلبورن العليا ، زامل وطنيين شبانا آخرين كانوا آنئذ يقومون بتكوين "الرابطة" فى كل من فورت هير ومنطقة أورلانو بجوهانسبرج .

وكان من بين هؤلاء الوطنيين الذين زاملهم أنطون لمبيدى كلا من : أوليفرتامبو ، ومنجاليزو روبرت سوبوكوى ، وولتر سيسولو ونيلسون مانديلا ، وبطرس روبوروكو وأصبحت "الرابطة" حقيقة رسمية واقعة فى مناسبة عيد القيامة فى العام ١٩٤٤ برغم ادعاءات روبوروكو التى مفادها أن تلك "الرابطة" كانت قد عقدت اجتماعا باكرا فى شهر أكتوبر من العام ١٩٤٣ (٥٤) .

ونقلا عن روبوروكو – فإن "رابطة الشباب" أصبحت حقيقة رسمية واقعة فى ذلك الوقت المحدد الذى كان الشباب الصغار يناقشون إمكانية إنشاء منظمة أخرى تكون مستقلة استقلالاً تاما عن حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" أو محاولة إعادة إحياء المنظمة المحتضرة ! والذى حدث ، أنهم قرروا أنه من الأفضل إعادة الحياة إلى الهيئة القديمة .

وكان النقد الرئيسى الذى وجه إلى زعامة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى ذلك الوقت ينصب على "تعاونها المزعوم مع الطغاة" ، كما كان هناك استياء مرير أيضا من مساندة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لمجلس التمثيل الأهلى N.R.C ، ويضيف روبوروكو أن ثمة نقد آخر مؤداه أن زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لم يكونوا صرحاء حول قضية القومية ، أو بمعنى أخر : أنهم لم يكونوا قوميين بما فيه الكفاية ، وكان من المقرر أن تظهر "رابطة الشباب" بصورة علنية مع إعلان مؤداه أن الرابطة رفضت كل أشكال السيطرة البيضاء ، وعلق روبوروكو قائلا : إنهم فى الحقيقة لم يقولوا بيضاء ولكنهم قالوا :السيطرة الأجنبية ! إنهم كانوا يقفون مع شعار "أفريقيا للأفريقيين"

وكان أعضاء "رابطة الشباب" ينتقدون النفوذ الشيوعى بصورة خاصة فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى، كما أثار تحول الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا إلى المشاركة فى الحرب العالمية سخط الكثير من الأعضاء ، ولقى الدكتور يوسف دادو ، وهو واحد من زعماء حزب المؤتمر الهندى الجنوب أفريقى – ورئيسه فيما بعد وأيضا عضو فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا – لقى تهليلا كثيرا من الأفارقة عندما راح يحث غير الأوربيين على عدم تورطهم فى الحرب لأنها حرب إمبريالية ، وأدخل دادو السجن مدة ستة أشهر بسب موقفه المعادى للحرب ، التى كان يوافق عليها تماما الكثيرون من الأفارقة الأسيويين أيضا ، وما أن دخل الاتحاد السوفيتى الحرب حتى غير دادو الخط الذى كان يسير عليه وأعلن أن الحرب حرب شعبية ، تحتاج إلى المساندة الكاملة والتعبئة من كل شعوب العالم ، بل إن السود ربما فعلوا ذلك لو أن دادو والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا كانا قد أعلنا عن استعداهما لمواصلة القتال ضد الفاشية والعنصرية فى جنوب أفريقيا مثلما فى الخارج ، وتطابق موقف الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا الذى ابتعد عن الصراع الداخلى كى يتسنى له تقديم المساندة الكاملة للمجهود الحربى ، مع خسارة الحزب الشيوعى المماثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث خسر الحزب الشيوعى هنا أيضًا مساندة الأفروأمريكيين عندما رفض الحزب مواصلة النضال من أجل الحقوق المدنية أثناء سنى الحرب رافضا بذلك شعار "النصر فى الداخل والخارج" ، ذلك الشعار الذى كان يرفعه القادة المناضلون الزنوج ، الذين وجدوا فى الحرب فرصة سانحة لإعادة مضاعفة

المجهود فى مواجهة التمييز العنصرى فى كل ميادين الحياة الأمريكية ، وعلى أية حال ضاعت من الشيوعيين بعد العام ١٩٤١ المساندة العريضة من قبل السود فى كل من "اتحاد جنوب أفريقيا" والولايات المتحدة الأمريكية .

وفى الحقيقة أن "حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" نفسه ظل ميتا حتى العام ١٩٤٠ عندما بدأ الدكتور أ.ب .اكسوما بعد انضمامه إلى حزب الميثاق الأفريقى ، جهوده من أجل إحياء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وتحويله إلى منظمة جماهيرية ، الأمر الذى لم يشهده المرء قط من قبل ، ومع ذلك لم يكن الدكتور إكسوما بطلا من أبطال "رابطة الشباب" بسبب مواقفه المحافظة مع حكومة الأقلية البيضاء والتزامه بالمنهج المتدرج فى الحصول على حقوق كاملة للأفارقة ، وفى ١٦ ديسمبر من ١٩٤٥ ، أجاز بإجماع الأصوات حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، الذى كان قد أرسل مندوبين لحضور الاجتماع التاريخى الخامس لمؤتمر حركة الوحدة الأفريقية **Pan Africanist** فى مانشستر (٥٥) ، أجاز قائمة بالمطالب الأفريقية ، وطالب المؤتمر باتباع المبدأ الديموقراطى الذى يقضى بصوت واحد لكل رجل واحد ، كما طالب أيضا بإسقاط جميع الحواجز العنصرية ، وإبطال قوانين المرور البغيضة ، وتعليم متكافئ وفرص متكافئة ، كما طالب المؤتمر أيضا بأجور متكافئة فى العمالة بالإضافة إلى حقوق متكافئة أيضا فى شراء الأراضى ، وكان على الدكتور اكسوما فى العام ١٩٤٦ أن يسافر إلى نيويورك ليقدم إلى الأمم المتحدة المطالب التى تمت صياغتها مؤخرا ؛ وبذلك يبدأ فى أروقة الأمم المتحدة تاريخ لاطائل من ورائه لمقدمى العرائض والالتماسات من جنوب أفريقيا .

أما المشاعر القوية التى انتابت أعضاء "رابطة الشباب" بسبب التعاون مع البيض فكانت ترجع من ناحية أخرى إلى النفوذ القوى الذى يتمتع به حزب الميثاق الأفريقى الذى استولى عليه التروتسكيون الملونون فى العام ١٩٣٥ ، فى اللحظة التى كان من المنتظر أن يتحلل عندها الحزب ، وبقيادة الدكتور أى .ب. تاباتا ،استطاع الحزب أن يعمل بصورة فعالة كجهاز من أجهزة الدعاية وراح الحزب يستنكر بشدة كل أشكال التعاون مع العدو العنصرى سواء فى هيئات الفصل العنصرى أو الهيئات الأخرى ،

مثل مناطق البونجاز فى القرى التى ادعى التروتسكيون أن الحكومة سوف تستعملها أداة كى يتسنى للحكومة أن تفرض - بصورة أكثر فعالية - على السود تشريعات تقضى بعدم المساواة ، ومع أنه ليس فى وثائق حزب الميثاق الأفريقى آثار عن مغالاة فى الوطنية لدى السود ، إلا أن حقيقة انفصال الدكتور تاباتا عن التروتكسيين البيض فى نفس الوقت الذى تولت فيه تلك المجموعة القيادة فى حزب الميثاق الأفريقى لم تسفر إلا عن تعزيز مناشدة الدكتور تاباتا للذين أخذوا ينتشرون بسرعة فى أنحاء كثيره ، وثمة منظمة أخرى أثرت فى تكوين رابطة الشباب التابعة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كانت تتمثل فى الحزب الديموقراطى الأفريقى بقيادة بول موساكا الذى كان عضوا بارزا فى مجلس التمثيل الوطنى الذى كان يستغل بصورة مستمرة مكانته فى تلك الهيئة فى شجب رابطة الشباب والحكم عليها بأنها تمثل شكلا من أشكال "الفشل الذريع" .

وأسس موساكا الحزب الديموقراطى عندما وجد أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لم يستطع ، أو بالأحرى لم يكن يرغب فى تشجيع الأعمال الجماهيرية التى كان موساكا يتطلع إليها ، وساند موساكا فى محاولته تلك السيناتور هيمان بازنر ، المحامى اليسارى الذى تولى أمام المحاكم الدفاع عن كثير من الأفارقة ، ومع أن بازنر كان شيوعيا اسما ، إلا أنه كانت له آراء تخالف إلى حد بعيد تلك الآراء التى كانت القيادة تنادى بها ؛ ولكن موساكا طرد من الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا فى العام ١٩٤٨ لإتهامه "بالفردانية "، ومن سوء الطالع ،أن وجود شخص أوربى مثل بازنر إلى جانب موساكا كان يثير الذعر لدى الكثيرين من الأفارقة علاوة على أن ذلك تسبب فى ألا يكون للحزب الديموقراطى الأفريقى اتباع بعد ذلك على الإطلاق .

ومن جراء تلك التأثيرات وبسبب تأثيرات أخرى متباينة ونتيجة لخبرة السود بالحياة ذاتها فى جنوب أفريقيا ، تحولت "رابطة الشباب" إلى مجموعة متآلفه لها برنامج محدد (٥٦) ؛ أما شخصية لمبيدى الكاريزمية فهى التى أوحت لهم بذلك الجهد ، ومن المعلوم أن لمبيدى فشل فى كسب الكثير من التعاطف سواء من الراديكاليين البيض أو من الليبراليين ، وتصفه مارى بنسون Benson بأنه شخصية مخادعة ، متغطرسة وعدوانية ، ومع ذلك لديها القدرة التى تجعلها تسخر حتى من نفسها بصورة

غير عادية ، برغم أن أنطون لمبيدى لم يكن متحدثا طلقا ، إذ كان يتلعثم فى بعض الأحيان إلا أنه كان ينتقل أثناء الحديث بطريقة جذابة من أقوال المعلم إلى أقوال الغوغاء (٥٧) .

ولمبيدى كان الابن المريض لوالدين من عمال الزولو الزراعيين ، ومع أنه كان يعانى طوال حياته من صحة عليلة ، إلا أنه تملكته – فى سن مبكرة – عاطفة قوية للتعليم ، وكطالب جاد ،استطاع بعد ذلك الحصول على منحه دراسية للالتحاق بكلية ادمز لتدريب المعلمين ، واستطاع بعد ذلك عندما كان يقوم بالتدريس فى المدرسة العليا فى هيلبورن الحصول عن طريق المراسلة على درجة الليسانس فى الآداب وكذلك درجة الليسانس فى الفلسفة والقانون الرومانى – الهولندى ، أكمل أنطون لمبيدى دراسته وانتقل إلى جوهانسبرج فى العام ١٩٤٣ وأبرم عقداً للعمل مع شركة للقانون يرأسها الدكتور بكسلى سيمى مؤسس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، ومات أنطون لمبيدى الذى ظل يحلم بالقومية الأفريقية طوال أربع سنوات ، عندما كان فى الثالثة والثلاثين من عمره بعد أن أتى عليه المرض والتعب ، ومع أن ما خلفه أنطون لمبيدى لم يدم طويلا إلا أنه كان انتصارا للأفارقة للمنادين بالوحدة فى اجتماع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى العام ١٩٤٧ ، كما كان انتصاراً أيضا "للأفريقانية" الراسخة التى ظلت تبعث الحياة فى الكثيرين من أعضاء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، أضف إلى ذلك ، أن ذلك التراث كان بمثابة الأساس الأيديولوجى لعمل حزب الوحدة الأفريقية المنافس وبالقدر نفسه كانت هناك مقاومة راسخة لتلك الآراء من قبل بعض الليبراليين البيض ، ومنهم الشيوعيين بطبيعة الحال فى جنوب أفريقيا وبخاصة بعد انحيازهم الكامل إلى البيض فى قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى طوال فترة نزاعهم مع الحزب الشيوعى الصينى بقيادة ماوتسى تونج .

وفى العام ١٩٤٩ ، استطاعت "رابطة الشباب" فى النهاية أن تتقدم بمزايدة على الزعامة ، ليس فحسب بسبب العمل الجاد الذى أنجزته بالفعل فى سبيل أن تهب حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى حياة جديدة ، وإنما لأنها استطاعت أيضا فى تلك الفترة أن تستنبط برنامجها عن المفهوم الواضح "للقومية الأفريقية" ، كما ظهرت أيضا نذر واضحة بالمستقبل الكالح ، وذلك بعد ثمانية عشر شهرا من قيام الحكومة الوطنية

للأفريكانر برياسة الدكتور دى .اف . مالان الذى قطع وعداً بأن يبذل كل الجهود من أجل أن يجعل حكومة جنوب أفريقيا بيضاء إلى الأبد ، ومع أن مالان كانت له الأغلبية بخمسة مقاعد فقط فى مجلس الجمعية التشريعية إلا أن الحكومة كانت تمثل الأقلية بالفعل فى مجلس الشيوخ ، وبدأ مالان على الفور يقوى من قبضته بإقصاء ممثلى الهنود فى البرلمان والحد من الأصوات الملونة ، ونودى بعدم شرعية الزواج المختلط ، وأعيد تحديد تمليك الأراضى للهنود ،كما فرضت قيود جديدة على تدفق العمال الأفارقة على المدن ، ولكن المنطقة الخاصة بانتداب عصبة الأمم فى جنوب غربى أفريقيا ، هى والأوربيين بل وحتى جميع المؤيدين الأشداء للحزب الوطنى للأفريكانر لم يعطوا سوى ستة مقاعد فى الجمعية التشريعية وأربعة فى مجلس الشيوخ ، مما قلل من مخاوف مالان على أغلبيته .

ومع الموقف الجديد قدم "برنامج العمل" الذى اقترحته "رابطة الشباب" خطة منطقية مقنعة للعمل النضالى ؛ إذ كان البرنامج يهدف إلى تحقيق "الحرية الوطنية" التى عرَّفها بأنها التحرر من السيطرة البيضاء وتحقيق الاستقلال السياسى ، وهذا ينطوى على رفض مفهوم العزل – الفصل العنصرى ، هو سياسة الأبارتهيد بجنوب أفريقيا ، كذلك الوصاية أو الزعامة البيضاء ، التى تحركها كلها أو فى بعض أجزائها ، فكرة السيطرة البيضاء أو سيطرة البيض على السود !

ورشح اثنان لمنصب الرئيس العام للحزب هما الدكتور إكسوما ، الذى كان يشغل وظيفة قس ، والدكتور جيمس .أس .موروكا الجراح الأفريقى الذى تلقى تدريبه فى أدنبره وفيينا ، وأعطت "رابطة الشباب" وآخرون كثيرون الدكتور موروكا أصواتهم وجرى انتخابه رئيسا للحزب ، كما اختير ولترماكس سيسيلو من "رابطة الشباب" لمنصب الأمين العام ، وسيسولو واحد من أفراد قبيلة خوسا ولد فى ترانسكى فى العام ١٩١٢ .

ونظرا لأن ثقافته كانت ثقافة ذاتية إلى حد بعيد ، فقد خبر الكثير عن القمع والاستغلال الأبيض لأول مرة عندما كان يعمل صبيا فى أحد المناجم وأيضا أيام أن كان يمارس أعمالا وضيعة أخرى ، ثم عمل بعد ذلك سمسارا فى بيع الأراضى ، غير أنه هجر تلك المهنة ليشغل طوال الوقت منصب الأمين العام لحزب المؤتمر الوطنى

الأفريقى ، وهنا سرعان ماراح ولترماكس سيسولو يبحث عن الوسائل التى تساعد على وضع البرنامج النضالى "لرابطة الشباب" موضع التنفيذ .

وأدت المظاهرات الجماهيرية فى مايو عام ١٩٤٩ والمناداة بالتوقف عن العمل يوما إلى وضع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى تجدد شبابه ، فى صراع مباشر مع الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، وثارت ثائرة "رابطة الشباب" نتيجة الجهود المكشوفة من قبل الشيوعيين للسيطرة على مظاهرات الأول من مايو ، ووصل النزاع بينهم إلى حد العنف البدنى ولم تتحق الصالحة بينهما إلا بتوقف مظاهرات يوم الأول من مايو والوحشية المتزايدة من قبل بوليس جنوب أفريقيا ، وقتل ١٨ أفريقيا وجرح أكثر من ثلاثين آخرين .

وبالتعاون مع الشيوعيين وحزب المؤتمر الهندى الذى أصبح الآن تحت السيطرة الشيوعية ، أصدر حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى نداء بتوقف قومى عن العمل يوم السادس والعشرين من يونيو ، ونظرا لغياب الصراع فى تلك المرة إنضم الهنود والأفارقة إلى حفنه من الأروبيين فى مظاهرة مشهودة ، .بيد أن "رابطة الشباب" أيضا كانت تطالب بمقاطعة الانتخابات ومجلس التمثيل الوطنى مقاطعة كاملة ، وعلى كل حال لم يكشف موروكا الرئيس العام الجديد لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى أو كبار الأعضاء الآخرين البارزين فى الحزب من أمثال البروفيسو ماتثيوز عن أى ميل للاستجابة لتلك المقاطعة وبقى الاثنان فى "مجلس التمثيل الوطنى" ، إلى نهاية العام ١٩٥٠ ؛ أى قبل شهور فقط من قيام الحكومة نفسها بإلغاء "مجلس التمثيل الوطنى" من منطلق أنه هيئة لانفع منها ولاطائل من ورائها ، وبدأت موجه جديدة من الاستياء تتزايد فى بطء داخل صفوف حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى .

أدى صدور قانون مناهضة الشيوعية فى شهر يوليو من العام ١٩٥٠ إلى زيادة نفوذ الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا بصورة أكثر مما كان عليها عندما كان داخل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وقد قدم ذلك التشريع المثير حول الشيوعية تعريفا واسعا وفضفاضا (٥٨) ؛ إذ كان ذلك التعريف يسمح للحكومة بتطبيقه على منظمة أو فرد يهدف إلى إحداث نوع من التغيير السياسى ، أو الصناعى ، أو الاجتماعى

أو التغيير الاقتصادى داخل الاتحاد ، وكان الواضح أيضا أن ذلك التعريف يستهدف تطبيقه على أكثر من مجرد الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، وعلى أية حال ، فقد حل الحزب نفسه قبل أن يصبح القانون سارى المفعول فى الثانى والعشرين من شهر يونية من العام ١٩٥٠ ، عندما أعلن سام كهن kahn أحد أعضاء الحزب الشيوعى فى البرلمان حل الحزب .

وأصدرت اللجنة المركزية مذكرة تفسيرية مفادها أن قرار حل الحزب صدر من أجل حماية الأعضاء الذين كان يمكن أن يتعرضوا بغير هذا الإجراء إلى السجن مدة تصل إلى عشر سنوات ، وكتب روكس تقريرا حول هذا الموضوع يقول :إن قرار حل الحزب لم يصدر بالإجماع ، وإن و.هـ.أندروز وآخرين صوتوا ضده (٥٩) ، ومن المحتمل أن يكون ذلك التكوين الاجتماعى البرجوازى الصغير للحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا هو الذى أملى ذلك العمل الذى يكاد يتصف بالشجاعة ، غير أن أعضاء الحزب من الأروبيين المحترفين الذين هم أساسا من البيض كانوا سيخسرون الكثير بغير هذا الطريق ، وربما لم يستطع الشيوعيون البيض أيضا – مثل الليبراليين – أن يتبينوا أنهم كانوا عندئذ يواجهون حكومة فاشية لن تتورع عن فعل أى شيء واستئصال أى جزء بل وحتى المعارضة كلها ، وعلى أى حال فقد توقف ظهور الشيوعيين كهيئة رسمية معلنة وراحوا يكرسون اهتماماتهم لبناء حركة حزب المؤتمر ، وفى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى بدأت تدور بداخله المناظرات حول الشكل الذى يجب أن تتخذه نضاليته راح الشيوعيون يؤيدون بقوة ونجاح سياسة عدم العنف ، وكان من رأى فيشر فى العام ١٩٦٦ (٦٠) : أن الحرب الأهلية ليست حلاً بالمرة وهناك أساساً الالتزام بأساليب غاندى وتحكيم العقل ودماثة الخلق وكذلك الإنسانية ، كل ذلك كان من وسائل تغيير الخط العنصرى الذى يسير عليه حكم الأقلية البيضاء .

وفى ظل تلك الظروف رسم ولتر سيسولو خطة "حملة التحدى" لتكشف دون عنف عن رغبة الأفارقة فى الحرية فوق الأرض التى ولدوا عليها ، وبعد أن وصل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى قمة مجده بوصفه حركة جماهيرية ، لم يكن كل أعضاء "رابطة الشباب" يشعرون بالرضا عما كان يحدث من تطورات داخل الحزب .

٣ - الفشل والشقاق (١٩٥٢-١٩٥٩)

أهاب الدكتور موروكا الرئيس العام للحزب ، بعشرة آلاف متطوع أن يتقدموا من بين صفوف حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لتحدى الحكومة ،بدءا بتوقف جماهيرى عن العمل يوم السادس والعشرين من شهر يونيه من العام ١٩٥٢ ، وتقدم المتطوعون وقطعوا على أنفسهم عهدا مثيرا أقسمو فيه على الالتزام بالهدف المحدد لهم ، وأصبح لهم ميثاق يلتزمون به ولايقوم على العنف ، وبدأت الحملة بإقامة الصلوات التى سرعان ما أعقبتها حالات الاعتقالات وبحلول شهر أكتوبر - ومع الآلاف من أعضاء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذين كانوا لايزالون فى السجون - إنضم متطوعون إلى الحملة ووصلت العضوية العامة إلى ١٠٠,٠٠٠ عضو محققة بذلك أعلى نقطة يمكن أن تصل إليها على الإطلاق ، ومهما يكن من أمر فإن إجراءات القمع الشديدة التى قامت بها الحكومة مع دخول شهر ديسمبر ، هى التى جعلت قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى تعجل بإلغاء تلك الإجراءات ، فى الوقت الذى كانت ترحب فيه بذلك على أنه شكل من أشكال الانتصار .

وكانت "حملة التحدى" موجهة إلى ستة قوانين محددة هى : قانون المرور وقانون مناطق المجموعات، وقانون التمثيل المنفصل للناخبين ، وقانون قمع الشيوعية ، وقانون سلطات البانتو وسياسة الفرز الإجبارى للماشية (٦١) ، زد على ذلك ، وكما هو الحال فى الاعتصام على الطريقة الأمريكية ، راح المتطوعون يحتجون على حاجز اللون بأن دخلوا المرافق العامة المخصصة للاوروبيين وحدهم .

ويلخص بنسون - الذى كان يرى فى الحملة نجاحا مدهشا - الموقف تلخيصا طيبا على النحو التالى :

كان من بين الآلاف العشرة الذين أهيب بهم ، أكثر من ٨٥٠٠ متطوع دخلوا السجن عن طيب خاطر برغم الأثر التشويفى للأعمال الشرطية ، والتخويف بالطرد من قبل أصحاب الأعمال [illegible] ذلك من الدعاية التى كانت تبثها الإذاعة وغالبية الصحف وعند هذا [illegible] تخلى بعض المدرسين الذين بذلوا جهداً قليلا من قبل ، عن أعمالهم [illegible]

منهم فى ذلك التحدى ، وأوحى إلى الأمم المتحدة بمناقشة نظام الابارتهيد ، وتناولت الصحافة العالمية موضوع تحدى البيض للقمع بصورة جدية أكثر من ذى قبل ، بل إن الحكومة بدلا من أن تتكلم عن البساسكاب (٦٢) راحت تتحدث عن البانتوستانات وحكم ذاتى للبانتو ، وقوى نفوذ حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وتضاعفت عضويته إلى أكثر من ١٠٠,٠٠٠ عضو ومع ذلك بقيت القوانين الظالمة بلا مساس : بل إنها زيدت فى الواقع (٦٣) .

وواصلت قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ضغطها بلا خوف فى حملة جديدة ورأس الحزب الأب البرت جى لوتولى المسيحى المخلص الأمين الذى يؤمن بعدم العنف ، الذى اختير فى المؤتمر الذى عقده حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى نهاية العام ١٩٥٢ رئيسا عاماً للحزب ، وفى الوقت الذى جرى فيه إعادة انتخاب سيسولو لمنصب الأمين العام ، كان لوتولى – الذى كان له أصدقاء كثيرون من البيض برغم زعامته – يتمتع بشخصية ديموقراطية الطابع ، يضاف إلى ذلك أن لوتولى بحكم تكوينه الشخصى ، كان يرفض اللجوء إلى الحرب والعنف فى حل المنازعات غير أن آراءه السياسية كانت أبعد ما تكون عن القومية الأفريقية التى نادى بها أنطون لمبيدى ، ومن المحتمل أن يكون لوتولى قد تأثر بعروض المساعدة والتحالف التى سبق أن تقدم بها الشيوعيون السابقون البيض وكذلك العروض المقدمة من قبل أولئك الذين أسسوا حزب المؤتمر الديمرقراطى ، الذى كان مقدر له أن يكون تنظيما للتقدميين الذين سيقومون بتنظيم البيض كى يعملوا مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وبرغم الرفض المبدئى واصل حزب المؤتمر الديموقراطى سعيه بحثا عن المشاركة مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى تحالف يشبه ذلك التحالف المسمى بحلف أكسوما–دادو (٦٤) فى العام ١٩٤٥ والذى تم التركيز عليه من جديد بعد اضرابات ديربان التى وقعت فى شهر يناير من العام ١٩٤٥ بين الأفارقة والهنود ، وظلت تلك العلاقة الهندية تذوى وتقل أهميتها ولكنها مع ذلك ، وبرغم التدرب على أساليب غاندى وبرغم التشجيع الذى جاء من قبل حزب المؤتمر الهندى نفسه – برغم كل ذلك – فإن تلك العلاقة التى قامت بين كل من مؤتمر الديموقراطيين وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لم تجعل الكثيرين من الأفارقة يشعرون بالحماس مطلقا إزاء تحقيق شكل من أشكال التحالف بين حزب المؤتمر الديموقراطى وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، والحقيقة فإن نسبة صغيرة من الجالية الهندية فى

جنوب أفريقيا هى التى كانت تنتمى إلى حزب المؤتمر الهندى الذى كان يسيطر عليه الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، ومع أن الهنود كان يتم استغلالهم استغلالا وحشيا ، وبخاصة فى مزارع قصب السكر فى الناتال ، فإنهم بدءوا يضمون بصورة متدرجة طبقة من التجار الذين بدأوا يستشعرون فقر الأفارقة من خلال محلاتهم التجارية ، ولم تؤد نظرية الهنود (٦٥) فى الفصل الطائفى والعنصرى والدينى إلى تقوية علاقاتهم بالأغلبية الأفريقية برغم وجود عدد كبير من الهنود - ولكن كأفراد - ضمن أصدقاء واتباع التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الأفريقى .

وفى العام ١٩٥٣ كان الشيوعيون السابقون قد نجحوا من قبل فى نشر مقترحاتهم عن تحالف واسع ، وأضيف حزب مؤتمر الديمقراطيين الأوربيين إلى حزب المؤتمر الهندى ، كما أضيفت إليه أيضا المنظمة الشعبية للملونين التى أطلق عليها فيما بعد اسم حزب المؤتمر الشعبى للملونين ، وكذلك حزب المؤتمر غير العنصرى لنقابات العمال فى جنوب أفريقيا ، كانت تلك التنظيمات تحت قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى من الناحية النظرية .

ومن خلال التمثيل المتساوى لجميع الهيئات فى لجان التنسيق واستناداً إلى ما تقدم تمكن عدد من الهنود لايجاوز الألف ، مع بضع مئات قليلة من الملونين والتقدميين البيض من التأثير بصورة أو بأخرى على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى كان أكبر منهم إلى حد بعيد ، وهنا يتحتم أن نبدى ملاحظة مؤداها أنه برغم أن لجان التنسيق تلك كان مفروضا لها أن تكون مجرد هيئات استشارية ، إلا أن سلطات كبيرة وواسعة كانت تقف وراء استشارة ونصح تلك الهيئات ؛ ومن هنا كان يجرى الاعتماد على أعضاء الهيئات - وبحكم أنهم كانوا من قبل أعضاء فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا - فى تكريس جل جهودهم داخل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لخدمة السياسة التى كانت ترسم لهم من خارج الحزب .

وفى "رابطة الشباب" ، أدى "تحالف المؤتمر" ، وهو الاسم الذى عرف به التحالف بعد ذلك ، إلى انقسام الاصدقاء والرفاق السابقين وانقسمت رابطة الشباب إلى فصيلين ، أولهما : طائفة Africanists التى ظلت مخلصة للقومية الأفريقية التى نادى

بها لمبيدى ، أما الفصيل الثانى فكان يتمثل فى هؤلاء الذين كانت لديهم – برغم قلة أعدادهم – الرغبة فى العمل بصورة وثيقة مع التقدميين البيض ، واعتبر المنادون بالوحدة التحالف خيانة وأعربوا عن مخاوفهم من أن يتحرش البيض بقيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وربما بدا التحالف للبعض وسيلة لتوحيد كل الأعراق فى جنوبى أفريقيا ضمن حركة معارضة للأفريكانر ، ومع ذلك فقد أدى ذلك التحالف إلى مزيد من الانقسام فى صفوف الأفارقة أكبر من ذى قبل .

وتأصل الشقاق بين الفصيلين بسبب الاقتراح الذى نادى به زد .كى ماتثيوز وطالب فيه "بميثاق وطنى" و "حزب مؤتمر شعبى" يمثل كل سكان البلاد بغض النظر عن الجنس ، أو اللون ، ووضع ميثاق شرف لجنوبى أفريقيا الديمقراطى فى المستقبل (٦٦) .

وتأسيسا على ذلك "قام المجلس الوطنى" الذى يعد أحد لجان التنسيق التابعة لتحالف حزب المؤتمر الشعبى بوضع مسودة مشروع ميثاق للحرية جاء على شكل وثيقة صغيرة تشتمل على آثار قوية للنفوذ الأوربى سواء من ناحية مذهبه المتشدد فى المساواة بين الأعراق المتعددة أم من ناحية وضع ، الطوائف الهندية والأوربية بنفس المستوى بالنسبة للغالبية العظمى من الأفارقة ، كما تتجلى أيضا آثار ذلك النفوذ الأوربى فى المطالب المفصلة المطولة التى تنادى باتخاذ بعض الإجراءات الاقتصادية الاشتراكية ، وبالرغم من أن الأفريكانيست لم يعترضوا على ذلك بأى شكل من الأشكال ، نظراً لأنهم كانوا ينادون – فى واقع الأمر – بتأميم الموارد المعدنية فى جنوب أفريقيا من ناحية وينادون من الناحية الأخرى بنظام لملكية الأرض يقوم على المساواة إلا انهم ارتاعوا وخافوا من خلو الميثاق تماما من الإشارة إلى التحرر الأفريقى والتعاون الأفريقى ، زد على ذلك ، أن الميثاق خلا أيضا من الإشارة إلى نظرية حركة الوحدة الأفريقية ، وبدلا من ذلك طالب "الميثاق بالسلام والصداقة" ، فى جنوب أفريقيا وربط جنوب أفريقيا بالسلام العالمى وتسوية جميع المنازعات الدولية عن طريق التفاوض لا عن طريق الحرب ، ولم يكن بوسع الأفريكانيست أن يعارضوا ذلك ، ولكنهم عارضوا الحذف (٦٧) بشدة وبخاصة الفقرة الافتتاحية من الميثاق التى تقول بشكل قاطع :

نحن – شعب جنوب أفريقيا – نعلن لبلادنا وللعالم أن جنوب أفريقيا هى ملك لكل من يعيشون فيها بيضا وسودا ، وليس من العدل أن تطالب أية حكومة بالسلطة مالم يكن ذلك المطلب قائما على إرادة الشعب (٦٨) .

وقدم الأفريكانيست فى مانيفستو حركة وحدة أفريقيا فى العام ١٩٥٩ تعليقا مفاده أن الجماعات التى كانت تقف وراء المقترحات الديموقراطية فى ميثاق (٦٩) . الحرية الذى لم ينوه فى أى موضع من المواضع إلى مبدأ صوت واحد للرجل الواحد مما يمكن أن يجعل أصوات الأوربيين والآسيويين والملونين غير ذات بال تقريبا ، إنما كانت تستغل تحالف حزب المؤتمر فى واقع الأمر للاستفادة منه فى النضال من أجل الحصول على "ضمانات دستورية" أو "حقوق وطنية" ، كما ساق المانيفستو اتهاما آخر مؤداه أن قطاعا من الطبقة الحاكمة البيضاء استولى على جزء من القيادة السوداء يتمثل فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا :

ومن رأى هؤلاء "القادة " أن جنوب إفريقيا بثروته إنما ينتمى إلى كل هؤلاء الذين يعيشون فيه ، بما فيهم نازعو الملكية الغرباء ، والأهالى المجردون من ملكيتهم ، بل وحتى اللصوص الأجانب وضحاياهم من الأهالى ، كما يساوون أيضا بين السيد الأجنبى وعبده من أبناء البلاد وبين المستغل الأبيض والوطنى المغلوب على أمره ، وينظرون إلى كل من الرعاة الأفارقة وسادتهم الأوربيين على أنهم أشقاء ، زد على ذلك أنهم سذج إلى حد بعيد جدا ، غير واقعيين بصورة خيالية إلى الحد الذى يصعب عليهم عنده أن يتبينوا أن الرعاة المغلوبين على أمرهم عن طريق القهر والإجرام ، ويجرى استغلالهم بلا هوادة ، ومجردين من حقوقهم بشكل غير إنسانى ، إنما تتعارض مصالحهم بصورة حقيقية وتتناقض تناقضا واضحا مع مصالح طبقة البيض الحاكمة (٧٠) .

وبعد الانتهاء من إعداد المانيفستو ،استمر النقاش حول الميثاق مدة أربع سنوات وفى اجتماع حزب المؤتمر الشعبى الذى انعقد فى مدينة كليبتاون بالقرب من جوهانسبرج فى الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر يونيه من العام ١٩٥٥ لم يدر أى نقاش حول التصديق على ذلك الميثاق ، وفى احتفال سياسى ،

وشعبى وفولكلورى مختلط ، أقيم تحت رعاية هيمنه شرطة جنوب أفريقيا ، هلل للميثاق ثلاثة آلاف مندوب كان من بينهم ألفا مندوب من الأفارقة الذين لبوا النداء الذى وجهه لهم تحالف المؤتمر ، وبدأ النقاش الحقيقى عندما بذل قادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى نشاطا مكثفا تمثل فى تبنيهم ميثاق الحرية بوصفه سياسة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الرسمية .

وانقسمت قيادة وأتباع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى أنصار للميثاق وأنصار للأفرقة ، والحق أن النزاع فى كل فرع بين الفصيلين هو الذى سيطر على كل أنشطتهما ، وكانت تلك المعارك تسفر عن الطرد أو الاستقالة ، وأصبحت لجنة العمل الوطنى بعد حزب المؤتمر الشعبى تعرف باسم اللجنة الاستشارية الوطنية ، وهنا أصبحت مخاوف الأفارقة من سيطرة التقدميين البيض أمر أكثر وضوحا عن ذى قبل ، ومن الواضح أن حزب مؤتمر الديموقراطيين كان بمثابة القوة الدافعة فى تحالف المؤتمر ، ويكتب بنسون Benson عن ذلك فيقول :

وبرغم صغر عدد أعضاء "مؤتمر الديمقراطيين" إلا أنهم لعبوا دوراً رئيسا فى اللجنة ، ذلك أنهم كانوا أول من تطوع وقدم جهدا وفيرا ، فضلا عن استعدادهم لتحمل الآلام والمعاناة ، وبرغم أنهم لم يكونوا جميعًا من الماركسيين ،إلا أن تناولهم بين الحين والآخر للمشكلات الطارئة كان يتميز بالطابع الانقسامى الحاد ، وعلى سبيل المثال أدى إقحام الحرب الكورية فى مناقشات خطط حزب المؤتمر الشعبى إلى صعوبة التعاون بين مختلف الأطراف [٧١] .

وبرغم تصميم زعماء التحالف ،لم يستطع رفاقهم داخل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى، أن يتسربوا إلى داخل الحزب فى العام ١٩٥٥ عن طريق الموافقة على ميثاق جرى الاختلاف عليه فى المؤتمر الوطنى للحزب وشن جوردان نيجوبانى مؤسس رابطة الشباب ، وزعيم جناحها اليمينى المعارض للشيوعية هجوما قاسيا على أنصار الميثاق وعلى الرئيس لوتولى الذى اتهمه بأنه كان يسمح لنفسه بأن يكون أداة للأوربيين والهنود الذين كانوا شيوعيين من قبل فى تحالف حزب المؤتمر ، واستقال نيجوبانى بعد ذلك من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وانضم إلى الحزب الليبرالى الذى أكد

المساواة بين السود والبيض فى الوقت الذى كان ينادى فيه بصورة متدرجة أيضا بخلق دولة ديموقراطية حقيقية يشارك فيها الجميع ، وبعد ذلك بسنوات أصبح باتريك دنكان ذلك الليبرالى البارز ، الذى كان أحد أبناء محافظ عام سابق أول عضو أبيض فى حزب الوحدة الأفريقية .

وفيما يتعلق بالأفريكانيست Africanists ، كانت ازدواجية الأوربيين وتصميمهم على أن يصبحوا بمثابة رأس أبيض على جسم أسود يتجلى فى أساليبهم المستترة التى استخدموها فى النهاية لتأمين تصديق حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى على "ميثاق الحرية" فى مؤتمر خاص عقد فى شهر أبريل من العام ١٩٥٦ ، وساند أنصار الميثاق ذلك الاجتماع وسمحوا لأفراد ليسوا أعضاء فى الحزب بالإدلاء بأصواتهم دون التحقق من بطاقات تحقيق الشخصية إذ لم تجر مراجعة الأعضاء إلا فى الجلسة التى عقدت بعد ظهر يوم الأحد فقط ، أما الميثاق فقد تم إقراره مساء السبت ، وشارك كل المسجلين فى القائمة فى عملية التصويت ، ومع ذلك كان من المستحيل التمييز بين الأعضاء وغير الأعضاء فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى (٧٢) ، وفى الحقيقة أن ذلك الانتصار الزائف "للتقدميين" كان بمثابة قبلة الموت التى بددت كل آمال الإبقاء على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى صورته المتحدة .

وينبغى أن نؤكد على أن ذلك السلوك التقسيمى الغريب حدث فى لحظة كانت فيها حكومة جى .جى استريجودوم تزيد من حدة قمعها للاحتجاج الأفريقى ، وتحرم الحياة العامة على قادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، زد على ذلك ، أن تلك الحكومة كانت تحضر بصورة واضحة لسحق القومية الأفريقية فى جنوب أفريقيا ، إن هى أمكنها ذلك ، وإلى الأبد ، وفى الحقيقة أن إلقاء الحكومة القبض على ١٥٦ شخصا من مختلف الأجناس ، والاتجاهات الإيديولوجية التى زعمت الحكومة بمقتضاها أنهم كانوا يشكلون جزءاً من مؤامرة خائنة من جانب الشيوعية الدولية للإطاحة بالحكومة فى جنوب أفريقيا ، هو الذى أدى بعد ذلك إلى تماسك حزب المؤتمر المنقسم فترة أطول قليلا ، وانعقدت "محكمة الخيانة" المزعومة فى التاسع عشر من شهر ديسمبر من العام ١٩٥٦، واستمر انعقادها وقتا طويلا ، نظراً لأن كلا من الادعاء والدفاع كانا يخوضان خلال جبال من الأدلة التى كانت تشكل فى ذاتها - وبخاصة إذا ما كانت

منحازة دائما – أكمل سجل لوثائق تاريخ حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الطويل هو وحلفائه ومستشاريه المحدثين ، وعندما توقفت المحاكمة فى التاسع والعشرين من شهر مارس من العام ١٩٦١ثبت أن المتهمين الذين تناقص عددهم من ١٥٦ إلى ٣٠ متهما ! غير مذنبين وأخلى سبيلهم ، ومهما يكن من أمر ، فإن الانقسام فى حزب المؤتمر فى ذلك الوقت بدا واضحا وأساسيا ، وصدر بالفعل إعلان يقضى باعتبار كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وحزب الوحدة الأفريقية P.A.C منظمتين محظورتين مدة عام تقريبا من قبل حكومة الأقلية البيضاء التى لم تكن لديها نية الاعتماد على الأساليب المبهمة فى تنفيذ سياسة السيادة البيضاء الخاصة بها .

أما الأسباب المباشرة للانقسام الفعلى فكانت تكمن فى النزاع الذى دار حول أسباب فشل إضراب الاعتصام بالمنازل الذى وقع فى العام ١٩٥٨ ، ومرة أخرى ، كان يبدو الأفريكانيست Africanists بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ، وكان تحالف المؤتمر قد قرر التوقف عن العمل يوما واحد ، هو يوم الانتخابات البرلمانية للبيض ، ومع أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى رفض ذلك الاقتراح فى البداية إلا أنه عاد وأجبر على الموافقة عليه من قبل الأوربيين والهنود فى "التحالف" ، وعندما فشل الإضراب الذى عارضته غالبية الأفرع الإقليمية لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، طالب قادة التحالف المغيظ بإجراء نظامى ضد الأفريكانيست Africanists الذين عارضوه معارضة شديدة ، وهنا بدأت حركة تطهير واسعة فى صفوف قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى تحت قيادة نلسون مانديلا وبين أنصار الميثاق ، وكما حدث فى الترنسفال تعرضت أفرع بأكملها للهجوم ، هى وقياداتها الأفريكانيست Africanists ، وأدت تكتيكات وأساليب لىّ الذراع والطرد التعسفى لبعض أعضاء فرع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى الترنسفال يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٨ إلى انسلاخ الأفريكانيست Africanists فى النهاية عن الحزب كمجموعة ، بقيادة بوتلاكو كيتشنر ليبالو أحد المحاربين الذين شاركوا فى الحرب العالمية الثانية ، وأحد الشخصيات النشطة التى انضمت إلى الأفارقة أثناء حملة التحدى التى نظمها فرع الحزب بأورلاند فى جوهانسبرج ، وفرع أورلاند هو أكبر وأشد فروع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى نشاطا وحركة ، بذلك عقد الأفريكانيست Africanists اجتماعهم بالقرب منه وأرسلوا برقية نهائية لأنصار الميثاق الذين كانت لهم عندئذ السيطرة على حزب المؤتمر ، وأعلن الأفارقة :

نحن نبدأ معتمدين على أنفسنا بوصفنا حراسا ورعاة لسياسة حزب المؤتمر في الصيغة التي جاءت عليها في العام ١٩١٢ ومتابعة تلك السياسة التي بقيت حتى عهد "تحالف المؤتمر" (٧٣) .

ومع ذلك لم يكن الافريكانست **Africanists** قد أسسوا حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية حتى يومي ٦-٧ من أبريل من العام ١٩٥٩ ، بل إنهم في الحقيقة لم يكونوا يريدون الانقسام أو مستعدين له تماما إذ كانوا بحاجة إلى مزيد من الوقت كي يتسنى لهم استقبال قواتهم المبعثرة في أنحاء البلاد ويبدءوا في تعبئة الجماهير السوداء على نطاق واسع .

٤- من عدم الشرعية إلى حركة التحرير في المنفى ١٩٦٠ إلى الوقت الحاضر(*)

راح أنصار الميثاق داخل حزب المؤتمر الوطني الأفريقي يسارعون إلى دعم سيطرتهم ، التي لاتنازع على المنظمة ، غير أنهم لم تكن لديهم خطة عمل ينتهجونها ومن ثم ابتعدوا كثيرا عن الكفاح اليومي ضد نظام الحكم .

وفي شهر ديسمبر من العام ١٩٥٩ انعقد المؤتمر السنوي في ديربان ، وأرسل الأب لوتولي من منفاه رسالة حذر فيها من اتخاذ قرارات سريعة قد يترتب عليها أعمال متهورة .

وواقع الأمر أن القوة الدافعة كانت قد تحولت بالفعل إلى حزب الوحدة الأفريقية **P.A.C** ، واتخذ التنظيم الجديد في أول اجتماع له ، عقده بعد أسبوع من انعقاد مؤتمر حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، قرارا بشأن خطة عمله النضالية : القرار الذي كان يتمثل في حملة تقوم على عدم العنف ضد قوانين المرور إذ إن حزب الوحدة الأفريقية كان يتطلع من وراء مناداته بالعصيان الجماهيري واعتقالات بين الجماهير إلى أن يثير القلق في البلاد كلها تحت شعار لاكفالة ،لا دفاع لا غرامة !

(*) ١٩٧٠ تاريخ كتابة النص (المترجم) .

ومع أن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي كان يقف وحده ، لم يكن في مقدوره سوى أن يسير على النهج نفسه ، وأعلن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي يوم الحادي والثلاثين من شهر مارس من العام ١٩٦٠ ، يوما معاديا للمرور الأمر الذي تبعته مظاهرات قامت في شهري مايو ويونيه ، غير أن المبادرة بقيت في أيدي حزب الوحدة الأفريقية P.A.C الذي قام قادته بجولة في البلاد من أجل إخضاع الجماهير لتيار الحزب ، وحدد مانجاليزو روبرت سوبوكوي يوم الحادي والعشرين من شهر مارس تاريخا لبداية الحملة المعادية لقوانين المرور ، وتعد أحداث ذلك اليوم بمثابة نقطة التحول في تاريخ جنوب أفريقيا ، كما دق اليوم نفسه أيضا ناقوس إنهاء انتهاج المقاومة السلبية أسلوبا للكفاح .

وألقى القبض على سوبوكوي وكثيرين من مساعديه بعد أن سلموا أنفسهم في مركز رياسة الشرطة في أورلاندو ، ومهما يكن من أمر فإنهم لم يحتجزوا فقط إلا بعد وصول أنباء عن إطلاق النار في شاربفيل ،كما وجهت إليهم طبقا لقانون الأمن العام تهمة التحريض على العنف ، وفي شاربفيل التزمت الآلاف بتعاليم تنفيذ تعليمات حزب الوحدة الأفريقية P.A.C التي كانت تقضي بالتجمع أمام المقر المحلي للشرطة ، وأصاب الرعب الشرطة البيضاء جراء منظر الأفارقة المتجمهرين وفتحت الشرطة عليهم النار مع أنهم كانوا عزلا من السلاح ، وإجمالا ، قتل ٦٩ شخصا وجرح ١٨٠ آخرون .

وفي مكان آخر ،هو مدينة لانجا اشترك ٦٠ من أفراد الشرطة في فتح النار على جمهور المتظاهرين الأفارقة فقتلو خمسة أشخاص وجرحوا ٤٩ شخصا ، كما جرى أيضا الهجوم بصورة وحشية على الأفارقة في كل من نيانجا وفاندر بيجك بارك وقتلت الشرطة أيضا شخصين في كل من هذين المكانين ، ومع ذلك ادعت المصادر الرسمية أنه لم تكن هناك خسائر ولم تعترف إلا بوفاه اثنين فقط في لانجا !

وراح حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي أخذته الدهشة يلوم منذ البداية العنف الذي اتسم به الإجراء المتعجل الذي اتخذه أنداده الشباب ، غير أن الأب لوتولي أحرق بطاقته ، بعد ذلك بأسبوع ، وشارك كلا من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي وحزب الوحدة الأفريقية في تأبين الشهداء وأقيمت لهم جنازة مهيبة ، وتعطلت لأيام قلائل ،

قوانين المرور(*) ، غير أنها أعيد فرضها من جديد وبفاعلية أكثر عندما أعلنت الحكومة حالة الطوارئ فى كل أنحاء البلاد ، وألقى الفرع الخاص من شرطة جنوب أفريقيا القبض بالجملة على القادة الأفارقة ، وراح يضرب العمال السود المضربين ضربا مبرحا لارحمة فيه ولا هوادة كى يعيدهم إلى أعمالهم فى مدينة الكاب !.

وأخيراً أعلنت حكومة فيرورد فى الثامن من شهر أبريل كلا من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى و حزب الوحدة الأفريقية P.A.C منظمتين غير قانونيتين واعتبرتهما تهديدا خطيرا للأمن العام .

وصادق البرلمان الأبيض العنصرى على ذلك الحظر، وبخاصة أن البيض كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة فى ذلك البرلمان ، وجاءت تلك المصادقة بأغلبية ١٢٨ صوتا ضد ١٦ صوتا ، وكانت الأصوات المعارضة لأربعة ممثلين وطنيين ، كانوا هم أنفسهم من البيض ومن الحزب التقدمى الذى تأسس مؤخرا .

وقبل ذلك الحظر مباشرة استطاع أوليفرتامبو نائب رئيس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، أن ينسل خارجا من البلاد ، فى الوقت الذى كان فيه الجزء الأكبر الذى تبقى من القادة إما فى انتظار إلقاء القبض عليهم أو أنهم كانوا قد تحولوا إلى العمل السرى ! وواقع الأمر أن آخر أنفاس أنصار حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كان عبارة عن نداء بميثاق وطنى لكل سكان جنوب أفريقيا بأن يعملوا على إقامة جمهورية ديموقراطية ، وهنا ومرة ثانية ، بدلا من أن يلجأ تحالف المؤتمر إلى شعار "القومية الافريقية" راح ينادى ويدعو إلى الصيغ متعددة الأجناس التى لاتصيب سوى نجاح قليل فى تعبئة الجماهير السوداء ، ومع ذلك كان قادة التحالف على يقين من أن ملايين السود وحدهم هم الذين يمكنهم إحداث تغيير فى حكم الأقلية البيضاء ، وبخاصة بعد أن وصل وطنيو البوير الى السلطة ، بما يشير إلى أن الحكومة ، لن تتحرك إلا إذا كان ذلك بفعل تأثير نيران البنادق والمدافع .

(*) قانون خاص بابراز Pass law تصريح المرور داخل المدن بالنسبة للافريقيين الممنوع عليهم المشى فى شوارع المدينة إلا بتصريح حسب قوانين التفرقة العنصرية (المحرر) .

ومع ذلك التزم حتى قادة مؤتمر الوحدة الأفريقية موقفا تكتيكيًا بعدم التعاون وعدم العنف .

واجتمع أربعون من القادة فى مدينة بايترماريتزبورج Pietermaritzburg فى مؤتمر يحمل اسم "الجميع فى مؤتمر أفريقى" فى العام ١٩٦١ ، وتحدث نلسون مانديلا عن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى جرى مؤخرا تبرئة ساحته من الإدانات المتعاقبة فى الاجتماع مجددا دعوته إلى ميثاق وطنى متعدد الأجناس ، واقترح مانديلا توقفًا عن العمل يستمر ثلاثة أيام إذا ما رفضت الحكومة الموافقة على الطلب ، وكان من الطبيعى أن يرد النظام الحاكم بنفس القوة التى استطاع فى الماضى أن يفيد منها ، وتحدد للإضراب الذى عارضه حزب الوحدة الأفريقية P.A.C اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو من العام ١٩٦١ ، وجاءت الاستجابة لذلك الإضراب ضعيفة جداً ، اللهم باستثناء العمال الملونين فى مدينة الكيب وبعض الهنود فى ديربان الذين وصل الإضراب بينهم إلى الحد الذى تحتم عنده على مانديلا – الذى كان مختبئا – أن ينادى بإلغاء الإضراب فى يومه الثانى بل إن مانديلا نفسه سلم بفشل الإضراب الذى اعتبره فشلاً جزئيًا .

ولكن تحالف المؤتمر بدأ يرتاب فى مدى حكمة عدم العنف ، والتقى نيلسون مانديلا وقلة قليلة من القادة الآخرين فى شهر يونيو من العام ١٩٦١ ، ووافق مانديلا فى شىء من التردد على شىء محدد من العنف : يتمثل فى حملة تخريب توجه بصورة أساسية إلى الممتلكات ، وليس ضد الأشخاص ، وشدد مانديلا أيضا على ألا تكون هناك محاولات للإستيلاء على السلطة بالقوة ، أو هجوم على جيش جنوب أفريقيا أو شرطتها ، أو اغتيال الأوربيين ، وكان هناك تخوف أيضا من احتمال أن يؤدى أى شكل من أشكال العنف غير المحدود ، إلى حمام دم عنصرى فى جنوب أفريقيا وبخاصة بعد أن وصلت كراهية الأفارقة للبيض وللسلطة البيضاء حداً قد يرد البيض عليه بسحق الجماهير وقتل الأفارقة وغير البيض .

بل إن مانديلا نفسه قد ترك البلاد دون أن يكتشفه أحد وقام بجولة فى البلاد الأفريقية المستقلة وتحدث فى المؤتمر الذى عقدته فى أديس أبابا حركة الحرية الأفريقية الجامعة كما زار مانديلا أيضا المقر المركزى للعقيد هوارى بومدين ، التابع لجيش

التحرير الوطنى الجزائرى على الحدود المغربية ، حيث شاهد لأول مرة النتائج المادية التى يمكن أن يحققها كفاح مسلح طويل ضد حكم الأقلية ، إذ استطاع الجيش الجزائرى فى شهر يوليو من العام ١٩٦٢ بقيادة جبهة التحرير الوطنى أن ينجح فى تحقيق استقلال الجزائر ؛ وبذلك أنهى ١٣٢ عاما من الحكم الاستعمارى والاستغلال الفرنسى من قبل طائفة كبيرة من المستوطنين وطنت نفسها هناك منذ زمن طويل : وقبل أن يعود مانديلا سرا إلى جنوب أفريقيا قام بزيارة لندن حيث التقى بعض القادة السياسيين البريطانيين وبعض المتعاطفين ، وعندما عاد إلى جنوب أفريقيا ، حاول إدارة شبكة سرية ، ولكن الشرطة ألقت القبض عليه فى شهر أغسطس من العام ١٩٦٢ فى ظروف ارتياب نشأت عقب تقارير عن خلافات خطيرة مع الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا .

وأطلقت جماعة التخريب التى أنشأها تحالف المؤتمر على نفسها بلغة القوم اسم أمخونتو . وى . سيزوى Mmkhonto We Sizwe ومعناها رُمح الآمة ؛ وبذلك جرى التركيز من جديد على تعدد الاجناس وتقول إحدى كراسات الدعاية فى إعلانها عن التنظيم السرى الجديد :

> **هذه هيئة جديدة مستقلة كونها الأفارقة ، وهى تضم بين صفوفها أبناء جنوب أفريقيا من جميع الأجناس .... ونحن نأمل أن نعيد الحكومة ومؤيديها إلى جادة الصواب قبل فوات الأوان حتى يمكن تغيير كلا من الحكومة وسياستها قبل أن تصل الأمور إلى حالة مؤسفة من الحرب الأهلية ، ونحن نعتقد أن أعمالنا تشكل ضربة قاصمة ضد استعدادات الحزب الوطنى للحرب الأهلية والحكم العسكرى ، كما أننا بأعمالنا هذه نتصرف على أفضل نحو ممكن وذلك من أجل مصالح كل الشعب فى هذه البلاد سواء أكانوا بيضا أم سودا أو يتميزون باللون البنى ، أولئك الذين لايمكن أن تتحقق سعادتهم ورفاهيتهم فى المستقبل القريب إلا بالإطاحة "بالوطنيين" (٧٤) !**

ومهما يكن من أمر لم تنل جماعة التخريب التى أطلقت على نفسها "رُمح الأمة" ، شرف توجيه أول ضربة عذرية ضد نظام الحكم ؛ ذلك أن أول محاولة للتخريب وقعت فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦١ ، وقامت بها مجموعة من الليبراليين البيض تطلق على

نفسها "**أسم لجنة المقاومة الوطنية**" ثم تغير ذلك الاسم إلى **حركة المقاومة الأفريقية** ، غير أن المجموعة بقيت غالبيتها من البيض نظرا لأنها كانت ترغب فى توجيه ضربة نيابة عن السود المغلوبين على أمرهم ، وهرب معظم قادة "**حركة المقاومة الأفريقية**" بعد ذلك من البلاد ، على حين ألقى القبض على من تبقى منهم بتهمة التخريب وحكم عليهم بالسجن وصدر أقسى حكم على إدوارد دانيلز العضو الملون الوحيد فى المجموعة بخمسة عشر عاما من السجن فى حين صدرت ضد البيض أحكام بالسجن تراوحت بين عامين وعشرة أعوام !

وفجرت جماعة التخريب (أمخونتو) أولى قنابلها فى "يوم دينجان" ، والموافق لليوم السادس عشر من شهر ديسمبر من العام ١٩٦١ ، أو أن شئت فقل يوم الاحتفال بانتصار الهولنديين على دينجان رئيس قبيلة الزولو فى معركة نهر الدم ، وأدت عشر قنابل تم إلقاؤها فى جوهانسبرج وخمس قنابل أخرى ألقيت فى بورت إليزابث إلى الإضرار ببعض أبراج الكهرباء ومكاتب الحكومة ، كما قتل أحد المتمردين غير المدربين بواحدة من قنابله .

وقبل ذلك بأيام قلائل كانت الحكومة قد لوحت للرأى العام العالمى بأن صرحت لـ (للأب لوتولى) الزعيم كبير السن ، بمغادرة مكان تحديد إقامته والسفر إلى النرويج ليتسلم جائزة نوبل للسلام عن العام ١٩٦٠ ، وتأكيدا لمسالمته المسيحية المخلصة من جديد قطع القائد العجوز على نفسه عهدا بالتزام سياسة عدم العنف وتعدد الأجناس وهنا عاد لوتولى مرة أخرى إلى جنوب أفريقيا ، ولم يهرب قط من السجن الفعلى حتى وفاته فى العام ١٩٦٧ .

وعلى أى حال فإن "حركة المقاومة الأفريقية" متعددة الأجناس – التى وصفت فى البداية بأنها "هيئة مستقلة "– لم تكن لها روابط مباشرة "بحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" وبرغم الاعتراف بقيادتها السياسية،إلا أحد أعضاء اللجنة التنفيذية فى حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" وصفها بعد ذلك بأنها تعد نواة لجيش وطنى فى المستقبل لذلك الشعب (٧٥) .

وفى عـامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ونظراً لزيادة حدة القمع واختـفـاء آمـال العـودة إلى الشرعية بدأت تغادر البلاد مئات مختلفة من الأجناس من أبناء جنوب أفريقيا ، وكانت أكبر المجموعات التى غـادرت البـلاد - لأول مرة - إلى المنفى مكونة إلى حد بعيد من الأوربيين الشيوعيين والليبراليين ، ويلى ذلك من ناحية العدد الأفارقـة البارزين فى كل من حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" وحزب "الوحدة الأفريقية" pac من المطلوبين ومن قبل الشرطة وبعد فترة بدأ حزب "المؤتمر الوطنى" كـمـا لو كـان يشـجع على مـوجـة خـروج السود للمنفى وغادر معظمهم جنوب أفريقيا سراً عن طريق بوتسوانا لاند (بوتسوانا حاليا) ، وربما كان تحول إستراتيجية حزب" الوحدة الأفريقية PAC " بصـورة سـريعة إلى اتجـاه جديد ، سـبـبـا فى قلة عدد المناضلين من حزب "الوحـدة الأفـريقـيـة PAC "، الذين غـادروا البـلاد انتظارا لنداء بالعـمل على حـدود جنوب أفـريقـيـا مـع المحـمـيـات البـريطانية حيث الأمن النسـبى فى كل من باسـوتلاند (ليسـوتو حـاليـا) وبتسـوانالاند وسـوازيلاند إذ كـانت الأحزاب الوطنيـة القـائدة ، فى تلك البـلاد ، تميل إلى التـعـاطف بصورة أكبر إلى الاتجاه الأفريقى لحزب "الوحدة الأفريقية PAC" وليس سياسة تعدد الأجناس التى كان ينتهجها "حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" .

ويرغم هذه الاختـلافـات اسـتطـاع ممثلو حـزبى "المؤتمر الوطنى الأفريقى" وحـزب "الوحـدة الأفريقية PAC" تشكيل جبهة موحدة قصيرة الأمد فيما وراء البحار ، وجاءت أول نتيجـة مـادية فـريدة مـن نـاحيـة العـمـل تتمثل فى ظهور كل من أوليفرتامبو ممثلا لـ حزب "المؤتمر الوطنى الأفـريقى" وفـوزمـزى مـاكى Vusumzi Make ممثـلا لـ حـزب "الوحدة الأفريقية PAC" معا فى الامم المتحدة ، الأمر الذى شكل منهما ثنائيا مؤثرا واستطاع تامبو المتأنى معتدل السلوك أن يعرض قضيته ضد حكومة الابارتهيد فى هدوء وبدون انفعال عشوائى أمام الجماهير الأوربية والأمريكية الواعية فى حين ركز ماكى سريع الغضب والانفعال تركيزا شديدا على التزامات وفود الدول الأفريقية المستقلة التى بدأت أعدادها تتزايد فى الأمم المتحدة ، و استطاع أن يستحوذ على ألباب الجماهير الأفرو- أمريكية بمعلوماته الجديدة عن الكفاح فى سبيل الحرية فى جنوب أفريقيا ، وفى النهاية غرقت الجبهة الموحدة ، فى المتناقضات التى لم يجر حلها بين "حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى" و حزب "الوحدة الأفريقية PAC" ، ثـم زادت تـلك المتناقضات بصورة خاصة عندما بدأت أعداد كبيرة من الأوربيين تغادر جنوب افريقيا

مبتدئة حملة ، نجحت فى النهاية - برغم طولها - فى إعادة تشكيل تحالف المؤتمر Congress Alliance ، وربط حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" بمقتضيات الانقسام الصينى - السوفيتى ، وعلاوة على ذلك - ومع تزايد أعداد اللاجئين الأفارقة الذين كان الكثيرون منهم أنصار حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" - بدأ قادة التحالف يخشون أن تصيبهم عدوى "مغالاة السود فى الوطنية" ، وهنا خطى قادة التحالف خطوات سريعة وعاجلة نحو عزل اللاجئين الأفارقة عن حزب "الوحدة الأفريقية PAC" ، زد على ذلك أن أوليفر ريجنالد تامبو الممثل البارز لحزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" فيما وراء البحار ، الذى أوفدته اللجنة التنفيذية فى الحزب إلى الخارج فى شهر مارس من العام ١٩٦٠ م ، بعد مذابح شاريفيل - لانجا اكتشف أن سلطته أصبحت مثار جدل ونقاش ، وبرغم تعيين تامبو بعد ذلك قائما بأعمال الرئيس العام فى حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" إلا أن حلفاءه الجامحين هددوه بالإبعاد فى مناسبات عدة ، والسبب فى ذلك أنهم لم ينسوا له صداقته مع أنطون لمبيدى ، وأنه كان مؤسسا متعاونا فى "رابطة الشباب" ، وانتخب لمبيدى رئيسا وطنيا للرابطة فى حين شغل تامبو فى البداية منصب السكرتير الوطنى ثم أصبح بعد ذلك نائبا للرئيس ، ولما كان تامبو قد ولد فى العام ١٩١٧ من أسرة فلاحة فى الكيب الشرقية ، فقد أصاب حظًا بعد ذلك إذ التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية ثم التحق بعد ذلك بفورت هيركوليج وحصل فى البداية على درجة البكالوريوس فى العلوم ، ثم حصل على دبلوم المعلمين فى العام ١٩٤٣ ، ثم عاد إلى مدرسة القديس بطرس الثانوية ، حيث قام بالتدريس بها فى الفترة من ١٩٤٣- ١٩٤٧ ، وعندما أعرب عن رغبته فى دراسة القانون ؛ حصل على مساعدة بالحاقه للتأهيل على ذلك فى إحدى الشركات القانونية فى جوهانسبرج والتى كان يديرها عضو آخر من "رابطة الشباب" ، وهو ولترسيسلو ، وأصبح تامبو بعد ذلك عضوا فى اللجنة التنفيذية الوطنية لحزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" فى العام ١٩٤٩ ، ثم أصبح أمينا عاما فى الفترة من ١٩٥٥- ١٩٥٨ عندما جرى اختياره نائبا للرئيس العام لحزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" وفى النهاية وقف تامبو إلى جانب أنصار الميثاق وقادة تحالف المؤتمر فى الانقسام الذى وقع بينهم وبين الأفريكانيست Africanists ، غير أن استمرار صداقته واتصالاته الشخصية مع Africanists جرّت عليه اللوم من بعض الحلفاء والزملاء طيلة سنوات بعد

ذلك ، ولما كان تامبو شخصية سياسية واقعية بدا أنه لاقى كثيرا من نوبات الصد المتتالية والإهانات من تلك الدوائر ، ذلك أنه كان يعتقد أنه لم يكن هناك من طريق عملي آخر أمام حركة تحرير أفريقيا سوى ذلك المنطق ، وفي داخل جنوب أفريقيا كان النشاط السياسي العلني للسود محظورا ، وفشلت أيضا هجمات التخريب المتناثرة في إحداث أي تأثير اللهم باستثناء تبرير إحكام الحكومة للقمع عن طريق التعذيب المنظم أثناء استجواب المشتبه فيهم من السود ، وأيضا من خلال سلسلة من القوانين تسمح بالقاء القبض في المنازل والاحتجاز دون محاكمة لفترات طويلة .. ومع ذلك ، لم يكن مسموحا لحزب "المؤتمر الوطني الأفريقي" ، أوبالأحرى "تحالف المؤتمر" أن تكون له أعداد كبيرة من العمال خارج المواقع أو المستودعات الأفريقية ، وذلك حفاظا على الشيوعيين البيض والهنود الذين لم يعانوا برغم صغر أعدادهم من تلك القيود المادية أو من قوانين المرور التي تقيد حركة الأفارقة .

وطوال الفترة ، التي بقي حزب "مؤتمر الديموقراطيين" ، خلالها غير محظور وإلى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢، بقي كل من حزب "المؤتمر الهندي" و حزب "المؤتمر الشعبي للملونيين" ، بقيا كمؤسستين دون مساس بهما ، برغم أن قادتهما على المستوى الفردي كانوا يعانون من مختلف أشكال القمع والمضايقات ، وعندما نفي إلى لندن كل من بارني ديساي رئيس حزب "المؤتمر الوطني الشعبي للملونين" وكذلك الرئيس كاردف مارني ، جرى حل التنظيم في شهر مارس من العام ١٩٦٦ ، وانضم الاثنان إلى حزب " مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC"وأضطر الحزب الليبرالي متعدد الأجناس إلى حل نفسه في العام ١٩٦٨ ، وبناء على قانون تحريم التدخل السياسي في ذلك العام – لم يكن مسموحا للأشخاص الذين ينتمون إلى مجموعات عنصرية مختلفة أن ينضموا إلى الحزب السياسي نفسه ، وأعلن الآن باتون الرئيس الوطني لليبراليين عندما كان يتحدث في أخر إجتماع للحزب في ديربان :

إننا بوسعنا أن نعيد إلى تشكيلاتنا باعتبارنا أحزابا ليبرالية منفصلة ، يلتزم كل منها بقانون ، يقضي بألا يرتبط أي منا بحزب آخر غير أننا جئنا إلى حيز الوجود كي نعارض سياسة الابارتهيد في جنوب إفريقيا ونعارض التنمية المنفصلة ومن ثم لم يكن أمامنا من بديل سوى أن نرفض إعادة التشكيل (٧٦) .

ويمرو الزمن جرى اكتشاف الكثير من كراسات حزب "المؤتمر الوطنى الإفريقى" الدعائية خارج المواقع الأفريقية أكثر من المواقع الداخلية التى كان يظهر فيها البيض الذين كانوا يعملون بصورة سرية إلى الحد الذى كان يصعب معه التغلغل فى مثل تلك المواقع ، أما الهنود فكانوا - إلى حد ما - أكثر حركة وفائدة للتحالف المضروب نظرا لانهم بصفتهم تجارا فى مناطق كبيرة من جنوب أفريقيا ،كان بوسعهم على أقل تقدير مواصلة الاتصال المباشر المعتاد مع المحترفين من عملائهم الأفارقة ، وكانت آخر منطقة لاتصال البيض بالسود فى الجامعات الناطقة بالإنجليزية ، اللهم باستثناء العمال السود فى الحقول والمصانع والمنازل هم وسادتهم البيض ، ونقلا عما أعلنه هندريك فيرورد فى العام ١٩٦٢ كان على الحكومة أن تعجل باستئصال الجميع باستثناء أعداد قليلة جداً من الأفارقة فى تلك المنشآت ، على أن تتحمل فى ذات الوقت مئونة البديل غير المنصف الذى كان يسمى بالتعليم العالى للبانتو ، ذلك التعليم الذى يمكن أن يعيد الأفارقة إلى النظام القبلى ويحول دون تحقق التوقعات الخاطئة من جانب الوطنيين ، وفى آخر العام ١٩٦٢ وقع تطور آخر شعر إزاءه البيض من جنوب أفريقيا فى المنفى بالأسف ، وعلى النحو الذى كانت الحكومة نفسها تخشاه وتتحسب له ، والذى كان يتمثل فى بدء الكفاح المسلح داخل البلاد على يد البوكو Poqo الجناح العسكرى لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، وفى الحادى والعشرين من شهر نوفمبر من العام ١٩٦٢ قامت مجموعة من الأفارقة المسلحين بالهجوم على مركز شرطة بارل ، وقتلوا اثنين من الأوربيين وجرحوا كثيرين آخرين فى المناطق المجاورة ومات خمسة من الأفارقة فى ذلك الهجوم وألقت الشرطة القبض على مئات آخرين .

وهنا أدان الحزب الشيوعى فى جنوبى أفريقيا الذى بدأ يعود من جديد إلى الحياة فى الخارج ذلك العنف الطائش ، ونقلا عن فيشر فإن حزب المؤتمر بدلا من أن يبدد آماله ويضحى بها ؛ بدأ يمارس التخريب المحدود ليكون حافزا ودليلاً للأوروبى فى جنوب أفريقيا ، على إعادة النظر فى موقفه وحساباته ، ويضيف فيشر قائلا :

لو كان الحزب قد نجح فى ذلك ، فإنه كان يتحتم أن ينجح دون خسارة فى الأرواح أو إصابة الأشخاص لأن هذين الأمرين هما اللذان يثيران العداء العرقى ، وربما كان للحزب - علاوة على ذلك أيضا - أثر فى ردع المتطرفين الذين كان نفوذهم وأعدادهم

تـزيـد من الالتـزام الدقـيق بذلك الشكل من أشكال الإرهاب ، الذى نقـاتل من أجل الحيلولة دونه ، وربما كان بوسع الحزب أن ينجح فى هذا الصدد إذا ما تذكر المرء أنه لولا لجنة المقاومة الوطنية (امخونتو) لتحرر مستقبل هـذه البلاد عن طريق مظاهرات بارل وقتلى نهر باشى (فى الثـانى من شـهـر فبـراير من العـام ١٩٦٣ عندمـا هاجمت إحدى وحدات البوكو معسكرا على الطريق وقتلت أربعة من الأوربيين)(٧٧) .

وفيما يتعلق بحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC أصبح عام ١٩٦٣ عاما للحرية إذ وعدت المنظمة فيه بالقيام بعمل كبير وإذا كان المجال هنا لايسمح بالكلام عن ذلك العمل الكبير الا أن الكثير من المراقبين البيض والسود يسجلون ذلك الوعد الذى ذاع وأنتشر فى جنوب أفريقيا ، على إنه كان يتمثل فى الحرية والتحرر ، ثم أجرى "معهد العلاقات العرقية" فى جنوب أفريقيا ، استبيانا بين الأفارقة فى العام ١٩٦٣ اكتشف على إثره أن حـزب مـؤتمر الوحـدة الأفـريقـية PAC كـان يحظى بتـأييد ٥٧ فـى المائة من المسـاندة والدعم الأفـريقى ، فـى حين كـان حـزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" يحظى بـ ٣٩ فى المائـة ، وهنا بدأت الحكومة تجهز نفسـها للمتاعب، وتستعد لها كما نشط أيضا جهاز الشرطة التابع لها .

وفى الحادى عشر من شـهر يوليو من العام ١٩٦٣ افتعل الفرع الخاص انقلابا وألقى القبض على كل من سيسولو وجوفان مبيكى ودنيس جولدبرج ، وآرثرجولدريش ، و هارولد وولبى ، وبوب هبيل ، ولايونيل برنستين وآخرين إذ كان السواد الأعظم من البيض تقريبـا من الشيـوعيين زعم بأن أولئك الشيـوعيين كانـوا يخططون للمـزيد من نشاطات لجنة المقاومة ، وقد داهم الفرع الخاص مزرعة ليليزليف هو مستيد Lilliesleaf Homestead التى اشـتـراهـا الحـزب الشـيـوعى سـرا ، فى منطقـة ديفـونيـا ، فى جوهانسبرج ، ولكن جولد ريش Goldreich (٧٨) هو و ولبى تمكنا من الهروب بعد أن وعدا الحارس برشوة كبيرة ، كما تمكن بوب هبيل الذى كان مفروضـا أن يكون أحد شـهود الادعاء من الهرب أيضـاً ، ولكن مـانديلا، الذى كـان بالفعل فى السـجن جرى توريطه فى بعض الفضـائح ضـمن ٢٥٠ وثيقة كانت من بينها إحدى المذكرات اليومية لمانديلا عن رحلة سرية قام بها إلى الخارج وكان يحتفظ بها بصورة سـاذجة فى المنزل ، الأمر الذى جعل الوثيقة تقع فى أيدى الشرطة ؛ وعلى العموم جرت فى النهاية

محاكمة ٩ أشخاص بسبب تلك العملية الشرطية ، كما صدر حكم بالسجن مدى الحياة على كل من مانديلا وسيسولو فى جزيرة روبين .

وتمكنت لجنة المقاومة الوطنية - رغم انكماشها - من البقاء على قيد الحياة ، كما تواصلت عمليات التخريب فى أنحاء متفرقة عقب محاكمة ريفونيا ، الأمر الذى زاد من مضايقات الشرطة ، دون أن يتسبب فى أضرار خطيرة أو إزهاق للأرواح ، ثم جرت فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو من العام ١٩٦٤ محاولة أخرى لإحداث المزيد من الإرهاب المنظم عن طريق تفجير القنابل عند الملتقى الوحيد لسكك حديد الأوربيين فى جوهانسبرج ، وكان جون هاريس الذى زرع القنبلة الزمنية التى قتلت امرأة مسنة وشوهت أحد الأطفال ، واحدا من أنصار النشاط الأبيض داخل الحزب الليبرالى ، وجون هاريس هذا هو أيضا منسق اللجنة الأولمبية غير العنصرية فى جنوب أفريقيا ، التى تشكلت من الرياضيين الذين كانوا يكافحون التفرقة العنصرية فى مجال الرياضة وينادون بتحريم الدورات الأولمبية على فرق جنوب أفريقيا التى يجرى ترشيحها ظلما و عدوانا ، ومن المسلم به أن الإرهاب يعد دوما من الأمور التى تثير الرعب والفزع لأنه غالبا ما يصيب الأبرياء ومن هم على هامش المجتمع ، غير أن تبرير الإرهاب يكمن فيما يقدمه من إسهام فى الرعب وإضعاف المعنويات العامة ونجاحه عندما تحاول إحدى الحركات الثورية الاستيلاء على السلطة ، ومن سوء الطالع أن هاريس الذى كان عضوا أبيضا فى حركة المقاومة الأفريقية كان يقوم بعمل تمثيلى فقط ،عندما إحتج احتجاجا شجاعا إن لم يكن داميا على سياسة القمع البيضاء التى كان جنوب أفريقيا يمارسها ضد الأفارقة ، ومات هاريس شنقا فى صباح اليوم الأول من شهر أبريل من العام ١٩٦٥ جراء جريمته ضد الأفريكانية ؛ وبذلك يكون هاريس واحدا من البيض القلائل فى جنوب أفريقيا الذين كانوا يريدون إزهاق أرواح البيض فى قضية التحرر الأفريقى ، زد على ذلك أن هاريس لم يكن عضوا فى تحالف المؤتمر Congress Alliance ، ولم يكشف القضاة البيض الذين حاكموا هاريس عن أى شىء من الرحمة تجاهه فقد تأكدوا بالفعل من ثبوت إتهامه بخيانة الجنس الأبيض .

وفى ظل الظروف الفاشية فى جنوب أفريقيا توقف حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" فى العام ١٩٦٥ عن كل شكل من أشكال العنف والقوة ، وبين الحين والآخر ،

كان يجرى – بصورة متعجلة – فى شوارع المدن توزيع المنشورات التى كانت تصدر عن حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" أو الحزب الشيوعى ، ومع ذلك كانت محاولات التخريب أقل عددا وفاعلية من ذى قبل ، ويكتب بوتتنج قائلا :

إن الإجتماعات كان يستحيل عقدها تماما ، و عندما كانت تنعقد كانت تعرض منظميها للانتقام إذ كانت شرطة "الفرع الخاص" بكل مخبريها ينتشرون انتشار الجراد فى كل مكان ينشرون الضيق والتجسس والتخويف (٧٩) .

وكان من الواضح أن حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" – طوال السنوات العشر التى كان الحزب فيها بمثابة حركة جماهيرية – قد فشل فى جهوده التى كان يبذلها من أجل إيجاد استراتيجيه يمكن عن طريقها إجبار حكومة الأقلية البيضاء على الاستسلام لمطالب الأفارقة ، ويرى فيت أن فشل الحزب يمكن أن يندرج تحت ثلاثة عناوين رئيسة هى :

أولاً : أن الحكومة أعطت ظهرها للمتغيرات التى طالب بها الحزب علاوة على أن قوات الحكومة أثناء النزاع بينهما ، كانت تتفوق بصورة بالغة على تلك القوات التى يمكن أن يحشدها ذلك الحزب .

ثانيًا : أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى عندما أدخل أحزابا أخرى فى تحالف معه خلق نوعا من الاستياء داخل صفوفه ، كما أربك الجماهير الأفريقية ، ولم يكسب الحزب مقابل ذلك أى شىء ذا قيمة .

ثالثاً : أن الفجوة بين ما كان يريد قادة الحزب وبين ما تريده الجماهير كانت كبيرة جداً بصورة لايمكن سدها ؛ وبناء على ذلك فإن الجماهير والحركة لم يلتقيا فى الحقيقة قط .

ويتحتم هنا أن نؤكد على أن حلفاء حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" فرضوا عليه إيدولوجية واستراتيجية كانت غريبة على متطلبات الحياة فى جنوب أفريقيا ، ومن المؤكد – كما ثبت فى الصين – أن الماركسية – اللينينية كأسلوب ليست بحاجة إلى أن تكون غريبة على الحركة الثورية داخل أى مجتمع ، ومع ذلك فإن من كانوا يزعمون بأنهم ماركسيين لينينيين فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا – باستثناء قلة قليلة جدا منهم – لم يستطيعوا بل إنهم كانوا غير قادرين تماما على أفرقة الماركسية اللينينية

حتى يتسنى لها تناول مشكلات البلاد ، وعلى النقيض من ذلك ، فإن ماوتسى تونج استطاع أن يكيف الأسلوب الثورى الماركسى اللينينيى بصورة كاملة مع طوفان العمال والفلاحين فى الصين ، وفى بعض الأحيان ، كانت تراود الماركسيين الخارجين على حركة الوحدة أكثر من المنظرين فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، مشاعر أقوى تجاه الأمر الواقع فى جنوب أفريقيا .

ثم اختفت تماما أساليب غاندى من جنوب أفريقيا الذى يعد تاريخه سجلا مستمرا لوحشية البيض ضد السود ، وقد يكون الوطنيون الأفريكانر (٨٠) متعصبين وعنصريين متطرفين فى حقيقة الأمر إلا أنهم كانت لهم على العكس من خصومهم الأفارقة ، رؤية واضحة لما كانوا ينشرونه من أهداف ، زد على ذلك ، أن الأفريكانر لم تكن لديهم أية شكوك حول الوسائل التى يمكن أن يلجأوا إليها فى سبيل تحقيق الأهداف ، يضاف إلى ذلك ، أن تعدد الأجناس – كمفهوم يعطى الأقلية ضمانات ضد حكم مستبد يقوم على التمييز العنصرى من قبل أغلبية أفريقية – كان من الممكن تبريره لو أنه كانت هناك أعداد كبيرة من الهنود والأوربيين الذين كانوا على استعداد لضم صفوفهم إلى صفوف الأغلبية المغلوبة على أمرها ؛ ولكن الواقع أن الأعداد التافهة من الأوربيين والملونين وحلفائهم الهنود الذين راحوا يناشدون جماهير البروليتاريا السوداء العريضة الانضواء تحت لواء تحالف حزب المؤتمر أدت إلى إضعاف القوة الدافعة فى القومية الأفريقية ، تلك القومية التى أثبت تاريخ حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بعد ذلك إنها كانت الأيدلوجية (الوحيدة) الممكنة ، زد على ذلك ، أنه فى الوقت الذى كان يمكن التسليم فيه بعدم العنف كأسلوب لفترة قصيرة من الزمن فإن سجل النضال الأفريقى ضد الاحتواء الأبيض يحتوى على شىء يشير إلى أن ذلك الأسلوب كان نابعًا – إلى حد بعيد ولفترة طويلة – من الشعب الذى كان يعيش حياته اليومية فى ظل ظروف من العنف الاجتماعى البالغ فى معظم الأحيان ، الشعب الذى كان يعيش حياته اليومية فى ظل وحشية ورعب كان ينشرهما بينه رؤساؤه من البيض ، والسفاحين وقطاع الطرق من السود المعادين للنظام الاجتماعى ، وأيضا شرطة جنوب أفريقيا التى تتسم دوما بالحذر والعنف ، أما البرنامج السياسى القصير الذى رسم على أساس من العنف المضاد على نطاق جماهيرى – و الذى اتخذ بشأنه

منذ سنوات سابقة قرار من قبل إحدى المنظمات الأفريقية - فيحتمل أن يكون هو الذى أدى إلى تعبئة الجماهير والسماح لها بأن تسارع إلى صدام مبكر مع نظام الحكم قبل أن يستكمل ذلك النظام جهاز القمع الخاص به ، وينبغى ألا نلقى باللوم الناشئ عن إقتصار مثل هذا الإجراء على المسيحيين المسالمين وحدهم فى جنوب أفريقيا أو على الليبراليين البيض بأوهامهم عن العدالة والديمقراطية وإنما ينبغى أن يوجه اللوم كله إلى قادة الحزب من ناحية وبين المضى قدما فى أى طريق ثورى داخل جنوب أفريقيا من الناحية الأخرى .

وفى الخارج لم تكن القصة مختلفة تماما إذ استمر الشيوعيون فى الجدل فيما بينهم حول ضرورة الكفاح المسلح فيما بعد ، أكثر من الأفارقة الذين كانوا تحت حمايتهم أو سلطانهم ، ونظرا لأن المؤلف يعمل محررا فى النسخة الإنجليزية من جريدة "الثورة" ، إحدى الصحف الثورية الأفريقية فقدحضر تلك المناظرة فى لندن فى العامين ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، وربما أمكن رد التردد الشديد من قبل الحزب الشيوعى فى جنوبى أفريقيا إلى التركيب الاجتماعى للطبقة المتوسطة التى تتكون فى غالبيتها من البيض ، ومهما يكن من أمر - ونقلا عن جوماتثيوز **Joe Malthews** وهو شيوعى أسود - فإن قرار الكفاح المسلح جرى اتخاذه بعد فشل إضراب الاحتجاج على إعلان قيام جمهورية جنوب أفريقيا فى العام ١٩٦١ ، ويقول ماتثيوز **Matthews** : إن الأفكار الرئيسة كانت على النحو التالى :

(أ) لم يعد هناك أمل مرتقب فى تحقيق التحرر عن طريق الأساليب التى اتبعت فى الخمسين عاما الماضية .

(ب) إن كفاح الفترة السابقة أدى إلى خلق منظمات جماهيرية وقيادة قادرة على كسب ولاء الشعب للكفاح المسلح مع القدرة على تنفيذ التخطيط والمنهاج الكامل للكفاح

(جـ) أن حركة الاستقلال فى أفريقيا ، كانت وبصورة خاصة فى العام ١٩٦٠ قد اجتاحت القارة ، وعلاوة على ذلك فإن حركة الاستقلال أيضا كانت تقف فى العام ١٩٦١ بالقرب من حدود البلدان غير المحررة التى يسيطر عليها البيض فى جنوب أفريقيا ، وجاء ذلك بمثابة عامل حيوى ،لأن ذلك يعنى أن الفرصة أصبحت الآن مواتية - بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل - لإنشاء

قواعد يستطيع أن يحصل شعبنا فيها على التدريب والتسهيلات اللازمة للكفاح المسلح (٨١) .

وعلى أى حال كان حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" هو والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا لاحول لهما ولا قوة داخل البلاد على حين يستطيع تحالف المؤتمر فى الوقت الراهن شن حركة التحرر من قواعده الخارجية .

وجاء تدفق اللاجئين السياسين من جنوب أفريقيا بمثابة القوة البشرية اللازمة للحركة فى المنفى ، يضاف إلى ذلك أن الاتصالات المبدئية مع الثوار الجزائريين والقادة الأفارقة الآخرين عن طريق ممثلى كل من حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" وحزب "مؤتمر الوحدة الأفريقية وPAC"أكدت رغبة هؤلاء الثوار و أولئك القادة فى مساعدة ذلك الكفاح ، ومن خلال روابط الحزب الشيوعى الراسخة فى جنوب إفريقيا مع الحزب الشيوعى السوفيتى ، تأكد حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" من تأييد الاتحاد السوفيتى الفعلى له وللدول الاشتراكية الأخرى ، زد على ذلك أن جيوشا أفريقية بقيادة جيش الشعب الجزائرى الوطنى وجيش الجمهورية العربية المتحدة كانت على استعداد لتوفير المدربين العسكريين فى فن حرب العصابات ، بل إنه كان يتحتم وفى بعض الأحيان دعم أو استبدال أولئك المدربين بمدربين آخرين من أوربا الشرقية ومن الاتحاد السوفيتى والصين ، وبطبيعة الحال فإن شيئا من ذلك لم يكن ممكنا دون كرم من تانزانيا وزامبيا اللتان قامتا بتوفير القواعد اللازمة معرضتين نفسيهما عندما فعلتا ذلك إلى احتمال قيام جنوب أفريقيا بالانتقام منهما ، ناهيك عن مضايقات بعض المصالح الغربية ، التى تولى الأرثوذوكسية (٨٢) المعادية للشيوعية والحد الأعلى من الأرباح اهتماما أكثر من اهتمامها بالعدالة الاجتماعية .

وبدأت الأسلحة تتدفق مباشرة من الدول الأفريقية وقدمت تانزانيا مساعدة علنية لحركات التحرر تمشيا مع سياسة حركة الجامعة الافريقية Pan. Africanism التى كان ينتهجها جوليوس .كى .نيريرى رئيس "الاتحاد الوطنى الافريقى التنجانيقى" ، وبدأ أوسكار كامبونا الذى كان فى وقت ما ، أمينا عاما للحزب الحاكم ووزيراً للخارجية لفترة ، العمل مع لجنة تحرير افريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية والتى اتخذت لها مقرا إداريا فى دار السلام بعد أول اجتماع لها هناك فى الفترة من ٢٥ من يونية إلى ٤ يولية من العام ١٩٦٣ ، وبحثت اللجنة موضوع تقديم مساعدات مالية ومادية

للحركات وتحت إشرافها من الصندوق العام وصندوق السلاح ، وتحتم أن يكون حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" واحدا من كبار المستفيدين مع مساعدة لجنة تحرير أفريقيا فى الوقت الذى كان الحزب يتلقى فيه مساعدات أخرى كبيرة من أماكن أخرى، ومع ذلك كانت العلاقات مع لجنة تحرير أفريقيا بعيدة تماما عن الانسجام ؛ وقد تجلى ذلك الأمر ، الذى كان يخص موسكو وحدها ، فى مؤتمر الخرطوم لدعم شعوب المستعمرات البرتغالية وجنوب أفريقيا إذ بذلت موسكو جهداً كاد أن يخفق من أجل أن تحل محل منظمة الوحدة الأفريقية فى وصايتها ونفوذها وإيجاد مؤسسة مغلقة خاصة بحركات التحرر التى يقرها الاتحاد السوفيتى .

وكان من الطبيعى أن يمنع الأمن الحربى الصحفيين من زيارة المعسكرات فى تانزانيا وزامبيا ، ويتحتم هنا أن نلاحظ أن كثيراً من التقارير المبالغ فيها حول المعسكرات المزعومة تشير - إذا كانت تشير - إلى شىء حقيقى : إلى معسكرات إيواء اللاجئين من جنوب أفريقيا وكذلك لاجئون أفارقة آخرون فى كل من تانزنيا وزامبيا ، وفى العام ١٩٧٠ أصبح التدريب العسكرى مقصورا على مناطق خاصة قليلة حول كونجو ومبيا ، وبجامويو ، ومورجورو ، فى تنزانيا ، ومعسكر نوكومو الشهير فى زامبيا (٨٣) ، وكان برنامج التدريب يستغرق ما بين ثلاثة إلى تسعة أشهر ،إذ كان يتم تعليم المجندين المهارات العسكرية الأساسية ، واستعمال الأسلحة النارية والمتفجرات والتخريب ومبادئ حرب العصابات علاوة على تلقينهم النظرية السياسية .

وأدت ظروف زامبيا الاقتصادية والسياسية إلى جعل مساعدتها للمحاربين من أجل الحرية أكثر حذرا ، إذ ما يزال ذلك البلد الذى تحيط به اليابسة فى وسط أفريقيا يعتمد إلى حد كبير فى دخول وارداته وخروج صادراته ، عن طريق جنوب أفريقيا أو أنجولا ، وإلى أن يكتمل خط تانزام الحديدى الذى تنشئة الصين من دار السلام إلى لوساكا لن تكون زامبيا قادرة على أن تقدم لمقاتلى حرب عصابات من جنوب أفريقيا ذلك الملاذ الذى قدمته تونس والمغرب لثوار الجزائر خلال حرب التحرير الجزائرية ، وسوف يؤدى الخط الحديدى إلى إبعاد زامبيا عن منطقة النفوذ الاقتصادى لجنوب أفريقيا ، الأمر الذى يؤدى إلى ربط البلاد ربطا محكما بالدول الأفريقية السوداء المستقلة فى شرقى أفريقيا، ومهما يكن الأمر ، فإن الخط الحديدى لن يكتمل إلا فى العام ١٩٧٥ على وجه التقريب (*) .

(*) تم إنشاء الخط فعلاً فى هذا التاريخ (المحرر) .

وفى النهاية جرى إنشاء مركز رئاسة حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" فى مدينة مارجورو فى تنزانيا ، وهى مدينة صغيرة تقع إلى الغرب من العاصمة ، وهنا استطاع القادة السياسيون والعسكريون من الناحية النظرية، رسم خطة استراتيجيتهم والإشراف على إدارة الحركة بعيدا عن أعين الفضوليين فى دار السلام ، وبدأت المصاعب تظهر عندما مضى حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" قدما فى تدريب قواته المسلحة ، ويرجع السبب فى تلك المصاعب إلى أمر واحد هو أن القوات لم يكن لديها ما تفعله بعد تدريبها ، ومن المحتمل أن بعضا من هؤلاء المتدربين كانوا يعدون من بين أكفأ مقاتلى حرب العصابات الذين تلقوا تدريبا عاليا فى العالم ، وبخاصة بعد أن تلقوا تدريبا عسكريا على أيدى شخصيات متنوعة كانت تحمل أسماء مستعارة فى كل من الجزائر والجمهورية العربية المتحدة (٨٤) ، والاتحاد السوفيتى وكوبا ، ومع تطور النزاع الصينى – السوفيتى توقفت الصين عن قبول رجال حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" لتدريبهم ،بل إنه كان يجرى فى معظم الأحيان وضع هؤلاء الذين عادوا من الصين تحت المراقبة من قبل القادة الموالين لموسكو خوفا من الماوية (٨٥)، وأدت الصراعات الإيدولوجية والمنازعات الشخصية والضجر إلى إفساد الحياة فى المعسكر نظرا لتزايد عدد المدرّبين .

زد على ذلك أن تسلل المتمردين على نطاق واسع داخل جمهورية جنوب أفريقيا لن يكون عملا سهلا ، كما أن حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" ، سيكون إلى حد ما بحاجة إلى نقاط إنطلاق أكثر قربا ويمكن الاعتماد عليها سياسيا بصورة أوثق ، حيث رفضت بوتسوانا التى استقلت عام ١٩٦٦ استعمال أراضيها ورفضت زامبيا أيضا ، فى ذلك الوقت شن غارات على جنوب أفريقيا من أراضيها ، وهنا تحتم على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى أن ينتظر إلى أن يتحقق النجاح لحركات التحرر فى المستعمرات البرتغالية فى موزمبيق وأنجولا وفى روديسيا ولم يتخيل أحد فى العام ١٩٦٣ أن الكفاح قد يستمر فترة تزيد على عدة سنوات قلائل ، أما الآن فقد تبين بصورة واضحة أن الكفاح يمكن أن يستمر عدة عقود !

وأمكن حل مشكلة التصرف فى الرجال المدربين عن طريق ولع حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" بالتحالفات ، غير أن الشريك ، فى تلك المرة كان "اتحاد شعب

(زابو)" الأفريقى فى روديسيا ، وكان يديره من مركز رئاسة جيمس شيكيريما فى منفاه فى مدينة لوساكا ، وكان يرأسه جوشوانكومو ، الذى كانت حكومة الأقلية البيضاء بزعامة إيان سميث تحتجزه فى السجن .

وفى الثانى والعشرين من شهر أغسطس من العام ١٩٦٧ ورد فى تقرير بجريدة "لوموند" مفاده أن أوليفرتامبو وشيكيريما عقدا مؤتمراً صحفيا مشتركا فى لوساكا قبل ذلك بأيام قلائل لإعلان قيام تحالف بين حركتيهما ، ومن ذلك الوقت فصاعدا ، أصبح من المعتاد إرسال قوات حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" للقتال داخل روديسيا ، الأمر الذى كان – من حيث المبدأ – بمثابة المرحلة الأولى فى معركة طويلة يمكن أن يصل بهذه القوات فى النهاية إلى داخل جنوب أفريقيا ، ووقعت أول معركة من معارك ذلك الغزو الأول على نطاق كبير ،عبر نهر زامبيزى فى مدينة وانكى ناشيونال بارك ، وجاءت التقارير متضاربة ،غير أنه يبدو أن ما لايقل عن ٢٠٠ من الأعضاء المسلحين بأسلحة ثقيلة تابعين لحزب المؤتمر الأفريقى عبروا الحدود من زامبيا إلى روديسيا تحت إرشاد مجموعة صغيرة من اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ، ومع ذلك فقد أنكر حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" أنهم كانوا يحملون مدافع ماكينة ثقيلة وهاونات ، ولكنه اعترف بأنهم كانوا مزودين بأسلحة مضادة للدبابات صناعة سوفيتية وعلى أى حال ، جرى على وجه السرعة عن طريق كل من الجيش والشرطة فى روديسيا أو عن طريق المخبرين تحديد مواقع التركيز الشديد التى يمكن فيها مواجهة هؤلاء المسلحين ، واشتركت قوات جنوب أفريقيا بعد ذلك فى المعركة الطويلة التى دامت أسبوعين جرى على أثرها اكتساح هؤلاء الأفارقة الغزاة ، وفى النهاية لم تنج من الموت سوى مجموعة قليلة هربت عائدة إلى زامبيا ، أما الباقون فكانوا بين قتيل وأسير . وكتب جون ورال من صحيفة الجارديان تقريرا من سالسبيرى فى ٢٨ من أغسطس من العام ١٩٦٧ الميلادى يقول فيه :

لقد خاضوا حربا وحشية بأسلحتهم الصينية والسوفيتية الفتاكة ، ولكن الكثيرين منهم كانوا بين قتيل وأسير .كما هرب آخرون بمساعدة القوات الروديسية خفيفة الحركة ، ولكن أولئك الذين دخلوا عن طريق حدود بوتسوانا جرى أسرهم بأيدى شرطة السيرسيرتس خاما Sir se-retse khama أو أن شئت فقل الشرطة الداخلية .

وفى واقع الأمر يبدو أن القتال لم ينته تماما إلا فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٧ وبذلك استطاع التفوق العددى والتسليحى ، وكذلك التفوق الاستراتيجى أن يحدد مصير عصابات ذلك التحالف الذى جرى بين كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ، تلك العصابات التى استبسلت فى الحرب ومع ذلك فشلت فى أن تعى وتتعلم المبادئ الأساسية لحرب العصابات بأن أهملت عنصر خفة الحركة لسبب يرجع إلى أنها ربما تحمل من الأسلحة ما يزيد على طاقتها، زد على ذلك أن تلك العصابات أقحمت نفسها فى حرب محلية تقليدية كان من المحتم أن يكسبها خصومهم الذين كانوا أكثر منهم عددا ، ومهما يكن من أمر ، وإذا كانت تلك الحرب لم تتمخض عن أى شىء آخر ، إلا أن شجاعة الأفارقة وتشبثهم وعنادهم أثبت أن الرجال السود يجودون بأرواحهم فى كفاحهم طلبا للحرية ، ولم يكن نظام الحكم فى روديسيا أو فى جنوب أفريقيا بمعزل عن ذلك البرهان الساطع الذى لم يغب عن بال نظام الحكم فى روديسيا من ناحية أو عن بال نظام الحكم فى جنوب أفريقيا من الناحية الأخرى ، وقد أدى ذلك فعلا إلى زيادة خطورة منظومة الأسلحة الهائلة التى كانت تستعملها تلك العصابات .

ومع أن عصابات ذلك التحالف (٨٦) آثرت اللجوء إلى فنون القتال التقليدية من ناحية والاعتماد على الأسلحة الثقيلة من الناحية الأخرى ، إلا أن الاستراتيجية التى انتهجتها تلك العصابات كانت لها عيوب أخرى يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : – أن دعاية التحالف الذى كان يسيطر عليه حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" كانت تفتقر إلى البراعة والخبرة ، إذ من الواضح أن من كانوا فى المنفى يرون فى المعركة برهانا عمليا على أن قضيتهم ليست أمرا ميئوسا منه يضاف إلى ذلك أن القتال كان بمثابة تفويض قوى لهم بجمع المزيد من المال من المتعاطفين معهم فى كل أنحاء الدنيا ، ومن هنا كان على تامبو نفسه أن يبالغ فى طبيعة تلك الحملة المحدودة ، فقد أعلن فى احتفال شعبى فى لندن : إن القتال يدور اليوم فى روديسيا ، وغدا سيكون فى جنوب أفريقيا وأعلنها قادة تحالف حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا حزبا شعواء حتى النهاية فى روديسيا ، الأمر الذى جعل خصومهم يتشككون فى احتمال وقوع هجمات أخرى ولذلك راحوا يستعدون بإعلان التعبئة العامة بين قواتهم .

ثانيـا : أن تلك الإستراتيجية بغض النظر عن كون تلك الحرب حربا شعبية ، لم يكن بينها وبين السكان الأفارقة المحليين أى شكل من أشكال التواصل .

ثالثـا : ان الوحدة الأفريقية بين الحليفين كانت معدومة بصورة تثير الدهشة إذ تبادل فيما بعد كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا الاتهامات المضادة البذيئة التى تصيب المرء بالغثيان وكان من الطبيعى أن ينشـر الاتحـاد الوطنى الأفريقى الزيمبـابوى (زانو) - الغـريم المنافس لاتحـاد شـعب زمبابوى الأفـريقى - تـلك الاتهامات الكـريهـة ويـذيعها علـى نطاق واسـع ، وفـى فبراير من العـام ١٩٦٨ ادعى الاتحـاد الوطنى الأفـريقى الزيمبـابوى أن مـرشـدين من اتحـاد شعب زمبابوى الأفريقى فـى روديسيا قـادوا رجـال حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى أحد الأدغال بالقرب من مدينة وونكي وتركوهم هناك بحجـة الذهـاب إلى قرية مـجاورة لإحضار التعيينات وجمع المعلومات ، ولكن أولئك المرشدين عادوا بعد ذلك بساعات على رأس كتيبة معادية ، وعلى أى حال ، فإن الأسرى من الأفارقة الجنوبيين عندما أرسلوا للمـحاكمـة فى بولاوايو كان مـرشـدوهم السـابقون من أعضـاء اتحـاد شـعب زمبـابوى الأفريقى فى روديسيا ، من بين الشهود الرئيسيين عليهم .

أضف إلى ذلك المطبوعات المحلية المختلفة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى، وكذلك جريدة شيشـابا تلك المجلة الشـهرية التى يجرى تحـريرها فى لندن وكذلك جريدة ذى أفريكان كوميونست ومعناها الشيوعى الأفريقى [٨٧] التى تعد أخطر دورية ربع سنوية للحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، وهذه الدورية يجرى تحريرها فى مدينة لندن ، زد على ذلك أن تحـالف حزب المؤتمر يسـتفيد فى بريطانيا من حركة مناهضـة الابارتهيد ، بما فى ذلك آبارتيد نيوز (أخبار الابارتهيد) الناطقة باسـم الحركة ، وهذه الجريدة عبارة عن مجلة شـهرية تعد جزءا من جـهاز الدعاية واسـعة النطاق فى الخـارج (ويجرى الآن طبع كلا من شيشابا وأفريكان كوميونست فى جمهورية ألمانيا الشرقية الديمقراطية) ، وبرغم أن حركة مناهضـة الابارتهيد يقوم على أمرها أعضـاء بارزون من حزب العمال والحزب الليبـرالى البريطانى إلا أنها تعتمد بشكل أساسى على مؤيديها الكثيرين من البيض من جنوب أفريقيا فى المنفى ، برئاسة السيدة إثيل دى كيزر أمين الحركة .

وفى يوم ٢٩ من يونية من العام ١٩٦٩ كان قد مضى على حركة مناهضة الأبارتهيد عقد من الزمان قامت خلاله بشن حملاتها على الابارتهيد فى جنوبى أفريقيا مؤيده بذلك حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" بشكل أساسى ، وكان من الطبيعى على حركة مناهضة الابارتهيد ، أن ترحب بمطالب تحالف حزب "المؤتمر الوطنى الأفريقى" و "اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى" فى روديسيا من منطلق أن ذلك التحالف إنما كان يشكل مرحلة جديدة وتاريخية من مراحل الكفاح المسلح عندما أعلنت منظمات التحرر الأفريقى الرئيسية أن المحاربين فى سبيل الحرية التابعين لهذين التنظيمين اشتبكوا مع قوات الاستعمار الروديسية (٨٨) ، ولكن ممثلى حركات التحرر الأخرى كانوا يتشككون فى أحيان كثيرة فى تلك المعاملة التى كانت تقوم على التمييز العنصرى من قبل حركة مناهضة الابارتهيد التى هى فى الأصل هيئة بيضاء وتدعى، مع ذلك أنها غير أيدلوجية وغير مشايعة ، وسرى بين الناس زعم مفاده أن حوالى ٥٠٠٠٠ من الأفارقة الجنوبيين كانوا يعيشون فى بريطانيا فى العام ١٩٦٩ ، ولكن ذلك الرقم تثور من حوله الشكوك والجدل إلى حد بعيد (٨٩) ، ومما لاشك فيه أن الجزء الأكبر من دعاية حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى بريطانيا وفى أماكن أخرى يرجع الفضل فيه إلى البيض المنفيين الذين كانوا على درجة عالية من التعليم والوعى السياسى وتعودوا الصمود بحكمة وتعقل من خلال المؤتمر واحتلوا مواقعهم فيما بعد ضمن قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى ربيع العام ١٩٦٩ ، كما كشفت تلك الدعاية أن السود والهنود من جنوب أفريقيا لايشكلون سوى ٢٠٠ نسمة من العدد الإجمالى ، وإنه لمن دواعى التهكم أن نكتشف أن الكثيرين من التقدميين فى جنوب أفريقيا ،بما فى ذلك الشيوعيين سابقا ، كانوا يشغلون أنفسهم تماما بملكية العقار فى بريطانيا ،حيث تكررت الشكاوى من الملاك الذين كانوا يبتزون القيمة الإيجارية من طوائف الملونين الأخذة فى التزايد داخل البلاد (٩٠) .

وبرغم انتقاد (٩١) الأفارقة المستمر لحركة مناهضة الأبارتهيد إلا أن الكثيرين منهم لم يكن أمامهم سوى امتداح صندوق المعونة والدفاع الدولى الذى أنشأه (كانون جون كوليتر) رئيس جوقة المرتلين فى كاتدرائية القديس بولس فى العام ١٩٥٦ مستهدفا بذلك تقديم المساعدة القانونية لحوالى ١٥٦ مواطنا وجهت إليهم تهمة الخيانة

وكان يجرى الدفاع عنهم أمام المحكمة فى جنوب أفريقيا ، وبعد انتهاء المحاكمة ، ظل الصندوق قائمًا ، يقدم مساعدات إنسانيه إلى أبناء جنوب أفريقيا من كل الأجناس ، رغم أن الصندوق لم يكن مسموحا له - طبقا لقانون إنشائه - بتقديم المعونة للمنظمات السياسية ، كما كانت تتردد بين الحين والأخر بعض الشكاوى من تقديم المساعدات المالية لأغراض إنسانية ولكن بعض المتمردين - فى بعض الحركات - كانوا يستغلونها فى مواصلة كفاحهم ضد القيادات .

وأخيرا فإن الأحزاب الشيوعية العالمية المراجعة (٩٢) التى تدور فى فلك موسكو ما تزال تساند إلى حد كبير جهود الدعاية فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، كما تعترف تلك الأحزاب - سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أم من خلال الحزب الشيوعى فى جنوب إفريقيا - بأن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى هو بمثابة حركة التحرير الوحيدة الأصيلة فى جنوب أفريقيا ، فى الوقت الذى يحظى فيه ممثلو حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية من قبل تلك الأحزاب باستقبال بارد ،شأنهم فى ذلك شأن أولئك الذين لايعترف بهم حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى اعترافا كاملا ، وفى قليل من الحالات كان يجرى إبلاغ المواقف التى من هذا القبيل إلى الجماعات والأحزاب السياسية الأخرى التى من قبيل حركة الاشتراكية الدولية وحركة الشباب الاشتراكى الدولية التى بدأت تنظر منذ عهد قريب إلى شيوعيي موسكو ، نظرة ودية ، والسبب وراء ذلك أن سياسة التعايش السلمى بين الشرق والغرب فى بعض البلدان بدأت تتطور من العلاقات الدولية إلى الحياة السياسية الداخلية ، زد على ذلك ، أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لديه مجموعة جيدة من المبعوثين الذين ينتشرون فى كل أنحاء العالم ، كما يخصص الحزب أيضا مبالغ كبيرة من المال لرحلات الزعماء لتقديم وجهه نظر جنوب أفريقيا ، وكسب أصدقاء ومؤيدين للحزب ، وأوفت اسكندنيافيا وحدها وفاء سخيا بدين تلك الحملة الضرورية ويتجلى ذلك بصورة خاصة فى السويد ، التى يحتفظ الحزب الديمقراطى الاشتراكى الحاكم فيها بعلاقات أخوية حميمة مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى .

ثم بدأ يظهر بعد ذلك مزيد من شواهد التمرد داخل حزب المؤتمر فى العام ١٩٦٨ عندما قام (لورانس ماخابو) السكرتير السابق لفرع أورلاندو الغربى فى جنوب أفريقيا والذى عمل بعد ذلك أمينا للجنة الوطنية فى الاتحاد السوفيتى ، قام بقيادة مجموعة من

عصابات حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى من معسكرها فى تنزانيا إلى أن وصل بها إلى الملجأ السياسى فى كينيا ، وفى بيان صدر فى نيروبى العام ١٩٦٩ أكد أربعة من المتمردين فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى هم : عمربامجى ، وأمين كاجى ، وحسين يعقوب ، وموريس موثمبينى أكدوا لإخوانهم فى جنوب أفريقيا أنهم لن يهجروا الكفاح أو يتنازلوا عنه ، وقطعوا على أنفسهم عهدا "بمكافحة ومقاومة كل المحاولات التى تهدف إلى تحويل الثوار فى جنوب أفريقيا إلى مجرد أدوات فى أيدى الحزب الشيوعى السوفيتى" (٩٣) أو الحزب الشيوعى الذى بدأ نشاطه يفتر فى جنوب أفريقيا ، واتهم المتمردون القيادة باتباع أسلوب لوى الذراع فى المعسكرات ، وخنق مناقشة النزاع الصينى – السوفيتى مناقشة حرة استهدافا لتفضيل الخط السوفيتى ، والنظام القبلى ، ومحاباة الأقارب بل وحالات الاغتيال التى وقعت فى إحدى دول أفريقيا الوسطى ولم تذكر الأسباب التى دعت إليها .

وثمة مسئول كبير آخر فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى هو جيمس هاديبى الممثل الرئيسى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى تنزانيا ، والذى أعلن فى الوقت نفسه أن استقالته التى تقدم بها ، تعنى مجرد استقالته من بعثة الحزب الخارجية ، وليس الحزب ذاته ؛ كما صرح هاديبى للصحفيين أنه بالرغم من أن قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى قد أعلنت طرده ،إلا أنه لم يعترف بذلك الطرد والسبب فى ذلك أن أحدا – باستثناء أوليفرتامبو القائم بأعمال الرئيس العام للحزب – من زعماء الحزب الحاليين فى المنفى ليس له حق قانونى فى أن ينتدبه أعضاء الحزب من الخارج كى يقوم بتمثيل الحزب فى الداخل ، زد على ذلك ، أن هاديبى قال أيضا : إن تامبو لم يخول أى شكل من أشكال السلطة التى تسمح له بطرد أى عضو من الحزب .

وفى العام ١٩٦٩ ، كشف المتمردون الأربعة من عصابات حزب المؤتمر الذين وصلوا إلى أوربا عن مدى التمرد داخل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى، ووزع هؤلاء الأربعة – وهم : عمر بامجى ، وحسين يعقوب ، وموريس موقمبينى ، وأمين كاجى – وثيقة طويلة عن خبراتهم – نشرت مؤخرا فى جريدة "بلاك دوارف (القزم الأسود) (٩٤) ، وبطبيعة الحال أدى ذلك إلى تكرار الاتهامات السابقة ضد القيادة ، ومزاعم الفساد والقبلية والصراع المزعوم بين القيادات التى كانت أصلا من خوسا ، وبين جماهير

الزولو والسوتو ، كما أكره ذلك الصراع المعارضين الأيدلوچيين والقبليين أيضا على القيام بمهام انتحارية داخل روديسيا، وادعى الأربعة أيضا أنه فى الوقت الذى كانوا يقومون فيه بذلك لم تكن قيادة الحزب راغبة فى المشاركة بأى شكل فى مخاطر المعركة يضاف إلى ذلك ، أن الأربعة ادعوا أن حملة وونكى فى العام ١٩٦٧ شنت لسببين : التخلص من المنشقين غير المرغوب فيهم ، وإقناع المنظمات بتقديم المزيد لقضية البطولة.

وجاءت الوثيقة صريحة ومحددة فيما يخص سيطرة موسكو على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وأعلن الأربعة أن أى امرئ كان يتجرأ على معارضة الكرملين أو سياسته إنما كانت توجه إليه تهمة المراجعة وأنه من أنصار الماوية ، أو توجه إليه تهمة إمبريالى ويوصف بأنه واحد من أفراد الطابور الخامس المعادى لتحرير جنوب افريقيا ، وفى رأى الأربعة المتمردين أن معسكر حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى كونجوا فى تنزانيا كان وكرا للحرمان والوحشية ، والفساد الذى لايصدقه عقل . وراحت إحدى محاكم الشعب ، تصدر أحكاما بالجلد على المتمردين والجناة الآخرين ، فى الوقت الذى كان القادة يحظون فيه بالحصول على الويسكى والفتيات الصغيرات لأنفسهم ! وبرغم تحول القوات إلى أسمال بالية إلا أن السوق الشعبية التى كان حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى يديرها فى دار السلام كانت تحقق مبالغ كبيرة من النقود عن طريق بيع المنسوجات التى كانت ترسل إلى الحزب من أوربا الشرقية ، وأنكر قسم الطلاب الشباب التابع لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى لندن تلك الأزمات إنكارا شديدا وأكد إنها كانت تشكل جزءا من دعاية حكومة جنوب أفريقيا ، وفى البيان المكون من سبع صفحات مطبوعة بالبنط الصغير جدا ، نجد اعترافا صريحا بوجود مشكلات وصعوبات محددة فى الوقت الذى كانت فيه صحيفتا سيشايا وأنتى أبارتهيد (مناهضة الابارتهيد) تتحدثان "عن انتصارات" فى روديسيا ، وأكد قسم الطلاب والشباب لقرائه أن تلك المشكلات والمصاعب جرى تناولها بأسلوب أمين ومسئول فى المؤتمر الأفريقى فى موروجورو فى الفترة من ٢٣ من أبريل إلى الأول من مايو العام ١٩٦٩ .

وكانت البعثات الأجنبية المختلفة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى كل أنحاء العالم تعتمد بصورة أساسية على الدعاية والمعلومات التى كانت تصدر عن مكتب لندن

الذى كان يقع فوق محل المراهنات فى البناية رقم ٤٩ فى شارع راثبون ، وفى الوقت الذى كانت تلك البعثات تستطيع فيه هى وشبكة كبيرة غير منظورة من الأصدقاء والرفاق البيض فى جنوب أفريقيا ، نشر تلك الدعاية وجمع المال والتبرعات من فاعلى الخير ، لم يكن بوسع تلك البعثات أن تواجه العفن والفساد الذى كان يستشرى فى المعسكرات الأفريقية ، ونشأت بعد وفاة الأب لوتولى فى العام ١٩٦٧ منازعات شديدة بين القادة المحنكين ، حول معارضة استمرار قيادة تامبو للحزب ، عن الشائعات التى تروج على نطاق واسع للانقسام القادم فى صفوف الحركة ، برغم أن جهازها الإدارى كان يسير فى سهولة ويسر ، وبرغم احتياطياتها الكبيرة من الأموال والأرصدة ، وهذه كلها أمور حتمت أكثر من ذى قبل ،التعجيل بعقد مؤتمر قمة للحزب .

كما نشرت جريدة أفريكان كوميونست (الشيوعى الأفريقى [٩٥]) الجريدة الناطقة بلسان الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا فى عددها رقم ٣٨ فى الربع الثالث من العام ١٩٦٩ أن المؤتمر ربما كا أهم ، وأحرج مؤتمر إضافة إلى إنه كان يجئ على نحو حاسم فى التاريخ الطويل لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى بدأ فى العام ١٩١٢ ، أما النتائج المادية الأولى للمؤتمر فقد جاءت على شكل ثمانية قرارات موجزة جرى اتخاذها فى اخر يوم من أيام المؤتمر ، والذى كان يوافق اليوم الأول من شهر مايو ، وكانت القرارات الأربعة الأولى أهم تلك القرارات جميعا ، إذ إنها أقرت ووافقت على تشكيل إدارى جديد للحزب ، وصدرت التعليمات إلى اللجنة التنفيذية الوطنية لتنفيذ ذلك عن طريق تعبئة جميع الثوار فى الوحدات العاملة التابعة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، كما وافقت تلك القرارات بالإجماع على التقرير السياسى للجنة التنفيذية الوطنية ، وأكدت مرة أخرى من جديد على التعدد العنصرى كما هو وارد فى "ميثاق الحرية " "**برنامجا للثورة** " ، أما القرارات الأربعة النهائية فكانت عبارة عن تحية أخوية لأشقاء القتال من أجل الحرية فى أفريقيا ، وفيتنام ، والشرق الأوسط بل وفى كل مكان ، ورحبت القرارات المنفصلة وحيت أشقاءنا فى جنوب أفريقيا والمستعمرات البرتغالية الذين أحرزوا ويحرزون انتصارات باهرة على العدو ، وثمة قرار آخر كان كله ثناء بلا حدود على جبهة التحرير الوطنية فى فيتنام الجنوبية ، أما القرار الرابع فكان بمثابة تحية لشعوب البلاد العربية التى تقاوم العدوان الصهيونى الذى تسانده

الإمبريالية ، كما يؤيد القرار حق عرب فلسطين المطرودين فى القتال من أجل العودة إلى وطنهم (ومن الواضح أن آرثر جولدريش كان يتحتم ألا يسمح له بكيل المزيد من المديح والثناء على الصهيونية أمام الجنود ، بالصورة التى فعلها بعد حرب يونيو ، ومن الجدير بالذكر أن هذا أيضا يعد تحولا من قبل الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا الذى كان يضم عضوية يهودية قوية ، زد على ذلك ، أن الحزب كان دائما يشعر بالحذر إزاء الأدانات الصريحة لإسرائيل بأنها كيان غريب فى الشرق الأوسط) .

ثم حدثت بعد ذلك تغيرات إدارية كاسحة فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وجرى اختيار لجنة تنفيذية مصغرة بقيادة أوليفر تامبو فى منصب الرئيس العام ، أما الأعضاء الآخرين الذين جرى اختيارهم فكانوا الفريدنزو ، لمنصب الأمين العام وجى .بى . ماركس ، وإم .مابيدها ، وموسى كوتانى ، وجو ماتيثوز ، وتى .تى نيكوبى ، وينيو موكجومانى ،وإم بليزو ، ومع ذلك تأسس "مجلس ثورى" يزعم أنه كان يمثل كل الجماعات الوطنية الثورية فى جنوبى أفريقيا ، ونقلا عن جريدة أفريكان كوميونست (الشيوعى الأفريقى) ذاتها :

حضر المؤتمر أيضا – ولأول مرة – قادة بارزون من شركاء تحالف حزب المؤتمر لا بصفتهم حملة برقيات أخوية وحسب وإنما بوصفهم مندوبين مشاركين ، كما حضر ذلك المؤتمر أيضا قادة بارزون من تحالف المؤتمر ومن حزب المؤتمر الشعبى للملونين والهنود ومن الحركة الثورية للطبقة العاملة ، وهذا يعنى أن الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا حاول أن يجرب ثوارا من أمثال الدكتور يوسف دادو ، ورج سبتمبر ، وجوسلوفو ، وأعاد تحالف المؤتمر تأكيد قيادته إلى حد أنه أجلس رسميا ، ولأول مرة ، شيوعيا أبيضا فى مقعد قيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ذاته ، وافتتح مؤتمر موروجورو رسميا بحضور السكرتير التنفيذى للجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية جورج ماجومبى التنزانى – الذى وجه إليه النقد فى مناسبات مختلفة وبصورة خاصة من قبل العسكريين فى كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا على موقفه المنحاز بشكل عام إلى الحركات المنافسة التى يتعامل معها ، كما وجه النقد أيضا لممثلين تنزانيين وأفارقة آخرين ، وما أن انتهت الرسميات حتى اشتبك

المندوبون السبعون الغربيون فيما وصفته جريدة (أفريكان كوميو نست). وبنقد غير مقيد جرى فيه فحص واختبار جميع الجوانب الرئيسية لبرنامج الحركة واستراتيجيتها ، وهيكل القيادة في تلك الجوانب وأسلوب عملها .

وبعد الثناء على السياسة السليمة للتحالف العسكرى بين كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى فى روديسيا وبعد الثناء أيضا على المنجزات الأخرى ، تحول المندوبون إلى جوانب الضعف الكثيرة فى الحركة ، ونقلا عن تقرير ورد بالجريدة الناطقة بلسان الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا :

فإن الحركة كانت تفتقر إلى النشاط السياسى وإلى الاعلام وبخاصة على مستوى القاعدة ، وقد أدى الانهيار الحقيقى الذى أصاب جهاز التحالف القديم إلى حدوث فجوة أدت إلى فشل ثوار التحالف كلهم فى أن تتكامل أعمالهم بعضهم مع البعض الآخر ، وتلى ذلك حدوث تصدع خطير بين القيادة وأعضاء التحالف ،الأمر الذى مهد التربة وأعدها لنمو الاتجاهات الانقسامية المختلفة والغريبة على روح حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وحلفائه التقليديين (٩٦) .

وفى الوقت الذى جاء ذلك فيه بمثابة اعتراف صريح بالتناقضات الحادة داخل التنظيم ، كان العلاج يتمثل فى تقوية الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا وفى إحكام السيطرة على الحزب ، وقبول جو سلوفو قبولا مستهجنا وبخاصة أن ذلك المحامى الأوربى جاء من جوهانسبرج وكان يعيش فى المنفى فى لندن ، ممثلا لمجموعة وطنية مغلوبة على أمرها فى جنوب أفريقيا ، وأصبح محتوما على الأفارقة أن يتحكم البيض فى مصائرهم وأقدارهم وأن يرعونهم ، وليس من الغريب آنئذ أن يواصل المؤتمر ترحيبه باتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وتحيته له فيقول :

إن أعمدة حركة مناهضة الإمبريالية هى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى ، وذلك التحالف أيضا مع حركات التحرر الثورية فى البلاد التى ما تزال تحت الحكم الاستعمارى أو حكم الأقلية البيضاء ومع القوى الديمقراطية فى الدول الإمبريالية ذاتها (٩٧) .

كما حظيت أيضا كل من جمهورية ألمانيا الديمقراطية وبولندا بثناء الأصدقاء الأوفياء ، أما فيما يختص بغزو حلف وارسو السوفيتي لتشيكو سلوفاكيا فقد أبدى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ملاحظة مفادها أن ذلك البلد كان دائما صديقا حميما ، وأعرب المؤتمر عن أمله فى أن يعود الموقف قريبا إلى حاله المعتاد ، كما أثنى المؤتمر أيضا على كوبا التى هى دائما قريبة جدا من كفاحنا الثورى برغم أنها بعيدة جداً عن بلادنا وكذلك مَدح الهند حيث مثل غاندى صلة مباشرة ببلادنا .

وفيما يتعلق بالصين جاء تعليق التقرير السياسى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لاذعا :

لقد تلقينا تأييدا كبيرا من الصين لنضالنا ، وبدون أى أخطاء من جانب حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وقف ذلك الدعم .

وأخيرا - وكما كان الحال فى وقت الشدة فى الماضى - أكدت قيادة التحالف قيمة تحالف العناصر المختلفة ، وحثت على أن تطال تلك السياسة حركات أخرى فى كل أنحاء أفريقيا، وقرر المؤتمر أن التحالف العسكرى بين حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى روديسيا يتحتم دعمه وتوسيعه ليشمل جبهة تحرير موزمبيق والحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، والمنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا ، أما حركات التحرر التى كانت تتلقى دعما سوفيتيا كبيرا ، فكان يمثلها الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر الذى يعد واحد من الأحزاب التى هربت من سيطرة ، حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى عليها ، ومن المحتمل أن يرجع السبب فى ذلك إلى بعد المسافة بينهما ، كما يرجع أيضا إلى خط العناد والاستقلال الظاهرى الناجح الذى كان يسير عليه أميلكار كابرال ، إذ ظل كابرال يسير على ذلك الخط بوعى ومهارة فائقة ، زد على ذلك ، أن كابرال كان صعب المراس ولايقبل النصيحة أو التوجيه الطيب من قبل أولئك الثوار الذين جرت محاكمتهم من أمثال يوسف دادو ، ورج سبتمبر ، وجوسلوفو ، وكان المؤتمر الذى عقده حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ضربة صغيرة إلى لجنة تحرير أفريقيا أدت إلى ابتعاده عنها جزاءا لها على كفالتها البائسة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية الذى لم يساهم فى الكفاح بأى شكل من الأشكال ، وربما يرجع السبب فى ذلك أيضا إلى المرارة التى استشعرها حزب المؤتمر جراء الفشل الذى منى به مؤتمر الخرطوم ، قبل ذلك بشهور قلائل ، فى تحديد الخط الذى تسير عليه لجنة تحرير أفريقيا بل الأدهى من ذلك استبدالها بتنظيم آخر .

وفى خطابه الختامى ، استطاع أوليفرتامبو الذى كان يقوم بعمل الرئيس العام ، أن يحتفظ بالقيادة ، لأنه استطاع أن يجذب شركاءه الذين صمتوا مرة واحدة إلى الاتجاه نفسه بصورة صريحة ، الأمر الذى حث الجميع على الوحدة واليقظة إذ يقول :

احذروا من يدقون الأسافين : الرجال يسعون بين الناس بالإفساد ويدقون الأسافين بيننا ، هؤلاء الذين يتجولون بيننا لخلق الشقاق والانقسامات .

ومما لاشك فيه أن قادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى شعروا بخيبة أمل شديدة نتيجة لضروب الفشل المختلفة منذ العام ١٩٦١ ، غير أنهم استطاعوا خلق منظمة كبيرة وقوية فى المنفى ، ولكنها كانت بعيدة عن الاستقرار ، وبمواجهة زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بالاختيار بين حركة الوحدة الأفريقية أو السيطرة السوفيتية ، اختار قادة الحزب السيطرة السوفيتية دون تردد وحيوها ولم يحيوا منظمة الوحدة الأفريقية أو الحكومات الثورية الأفريقية باعتبارها دعامة لكفاحهم ، وبالمثل - أيضا - فإنهم فيما يخص النزاع الصينى -السوفيتى أطاعوا وساروا على نفس الخط الذى حدده رفاقهم فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، وهو واحد من الأحزاب الشيوعية القليلة التى قبلت بإخلاص - وبدون نقد - آراء الحزب الشيوعى السوفيتى فى المؤتمر الدولى الذى عقده الحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو فى الفترة من ٥ إلى ١٧ من يونية من العام ١٩٦٩ ، وأعلن جى .بى .ماركز ، الشيوعى الأسود المحنك ، رئيس الوفد ، الذى أصبح فيما بعد رئيسا للحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا : أن الوفد أكتشف أن خلافات الشيوعيين الآخرين مع الروس يصعب فهمها بصورة صحيحة ، وعندما كان ماركز يعيد تأكيد اقتناعه بأن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية يعد قلعة القوى المعادية للإمبريالية ودعامتها الأساسية فى كل مكان ، أدان الانسلاخ الجانبى والفساد فى كثير من منظمات التضامن الدولى المختلفة من قبل الوفود الصينية التى تصر على جر حملتها "الأيديولوجية" إلى قاعات الاجتماعات غير الشيوعية ، ضد الحزب السوفيتى والحركة الشيوعية العالمية : وادعى ماركز إن المساعدات الصينية لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى "قد أوقفت دون سبب لذلك أو تفسير" ، بل إن ماركز أردف قائلا : وبدلا من ذلك فنحن نجد ، أنصار ماوتسى

يقدمون المساعدات بالفعل لمجموعة من خوارج الجناح اليمينى على نضالنا ويحافظون على تلك المجموعة من أن تنهار مع أن أدلة الوثائق تثبت الآن أن تلك الجماعات بدأت عملها بناءا على طلب من وكالة المخابرات المركزية وبمساندة منها ، وبناء على ذلك ، وربما لتوضيح موقفه الشخصى راح ماركز يصف الرفاق الذين كانوا يشاركونه شرب الخمر من قبل فى حزب المؤتمر الأفريقى فى دار السلام بأنهم كانوا مجرد أدوات فى أيدى المخابرات المركزية والشيوعيين الصينيين .

وعلى الصعيد الدولى نجد أنه فى الفترة ما بين مؤتمر موشى الذى انعقد فى العام ١٩٦٣ ومؤتمر وينبا الذى انعقد فى العام ١٩٦٥ ، وهما المؤتمران اللذان نظمتهما منظمة تضامن الشعوب الأفرو -أسيوية فى تلك الفترة ؛ كان مندوبو حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى يقدمون الطعم للمندوبين الصينيين ، بل إنهم فى معظم الأحيان كانوا يقدمون ذلك الطعم بطريقة غريبة تماما ، باسم القومية الأفريقية التى يهددها النفوذ الأجنبى ، ولم يقم أعضاء الحزب الشيوعى فى جنوبى أفريقيا وحدهم بهذا الهجوم ، وفى وينبا قام روبرت ريشا الذى كان ضمن اللجنة التنفيذية - الوطنية التابعة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، فى ذلك الوقت ،قام بالإدلاء بتصريحات استنكارية عنصرية صريحة ضد الشيوعيين الصينيين إلى الحد الذى جعل "أوليفر تامبو" يتدخل معتذرا قبل أن ينهار المؤتمر تماما ، وأيا كانت مشاعر ريشا الشخصية تجاه الصينيين والتى يصعب أن تكون ودية فقد كان من الواضح تماما أن الخط المعادى للصين الذى سار عليه حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كانت دوافعه الذاتية تتمثل فى مصادر خارجية ، ويحتمل أن المقابل كان مساعدة مادية سوفيتية مستمرة أو متزايدة .

وبعد أن أثبت حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ولاءه ، وقمع التمرد فى صفوفه ، حيث تسود النزعة الافريقانية بين المواطنين السود فى الطبقة العاملة ، بدأ يخطو خطوات أخرى مستهدفا بذلك استعادة الانضباط والنظام إن لم يعالج انقساماته ، ثم وقع تحالف حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى مشكلة خطيرة ، والسبب فى ذلك أن التدخل من قبل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى الشئون الداخلية لاتحاد شعب زيمبابوى شجع على إحداث صدع كبير فى صفوف اتحاد شعب زيمبابوى ، الأمر الذى أدى فى الوقت ذاته إلى حتمية شن المزيد من الغارات الكبيرة

عبر نهر الزمبيزى ، ونظرا لأن القوات أصبحت بلا عمل ، فقد أعيدت للتدريب مرة أخرى ، ولكن ورد فى أحد التقارير أن ذلك التدريب كان فى الاتحاد السوفيتى فى تلك المرة ، مما عجل بتخل جديد من قبل الساخطين والمحبطين الذين هربوا إلى نيروبى أو إلى مأوى أخرى وبرغم ذلك ظل خبراء الإستراتيجية فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، ظلوا طوال العام ١٩٧٠ يتقدمون بمطالب ملحة يطلبون فيها السماح لقواتهم بالدخول فى القتال فى بلدان أخرى : مثل موزمبيق ، وأنجولا ، وجنوب غرب أفريقيا ، ولم يعرب قادة المنظمات فى تلك الأراضى عن ابتهاجهم بذلك الأمل المرتقب فى ذلك الدعم المنتظر ، ومع ذلك تظل مسألة مقاومة مقترحات حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى تسانده سلطة الاتحاد السوفيتى ، مسألة تثير الكثير من المشكلات .

حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا (أومسا)

ولم تكن حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا التى لم تعترف بها لجنة تحرير أفريقيا ، والتى لم يكن لها أية قوات مادية ، لتظهر فى هذا الكتاب لولا حيويتها المدهشة ونفوذ المفكرين الذين هم فى الأساس من الملونين ولعبهم دور توجيه هذه الحركة منذ الأربعينات ، وتقول حركة الوحدة عن نفسها بأنها حركة ماركسية فى جنوب أفريقيا ، ويعلن أحد منشورات حركة الوحدة : إن سلاح الماركسية فقط هو الذى يستطيع أن يشق لنفسه طريقا خلال الغابة الإيدولوجية الكثيفة والتى توقع الإمبريالية الغافلين فيها بدهاء (٩٨) .

حركة الوحدة تنحدر بصورة مباشرة عن " تجمع كل الأفارقة " الذى تناقص عدد أعضائه بشكل كبير ، وقد ظهرت تلك الهيئة فى العام ١٩٣٥ بقيادة الدكتور دى.دى . تى . جابافو عضو هيئة التدريس فى فورت هير نيتف كوليج أثناء فترة الضعف والخمول الكبيرين اللذين أصابا حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وكان الدكتور اى. بى . إكسوما من بين أولئك الذين شاركوا فى إنشاء تلك الهيئة ، وهو طبيب شاب تلقى تدريبه فى الولايات المتحدة وأوربا ، وأصبح فيما بعد رئيسا عاما لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، أما تجمع كل الأفارقة فكان قد أنشئ أصلا وأساسا لمقاومة إجراءين عنصريين تقدمت بهما حكومة الأقلية البيضاء ، بقيادة الجنرال جى. بى. إم . هيرتزوج ، وكان أحد هذين الإجراءين ينادى بالقضاء على الصوت الأفريقى قضاء تدريجيا ومنظما فى منطقة الكيب ، وكان قد تقرر السماح للأفارقة – بدلا من ذلك – أن ينتخبوا بصورة غير مباشرة أربعة من الشيوخ البيض عن طريق الهيئات الانتخابية ذات الزعامات ، كما تقرر السماح أيضا بإنشاء "مجلس التمثيل الأهلى" وأن يكون دور ذلك المجلس دورا استشاريا تماما ، إذ ثبت فى النهاية أن المجلس إنما كان يتكون من أفارقة منتخبين ، وزعماء وممثلين للحكومة بالتعيين ، أما الاقتراح الثانى فكان عبارة عن "قانون الأرض والوصاية الوطنية "الذى كان يحظر على الأفارقة شراء الأراضى خارج المستودعات الوطنية ، ولم يكن مسموحا للأفارقة فى كل أنحاء البلاد بامتلاك أكثر من ١٣ فى المائة من الأرض الضعيفة بصورة عامة .

وشاركت أكثر من ١٥٠ منظمة يمثلها ٥٠٠ مندوب ، ومن بينها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى ذلك الاجتماع الذى عقده تجمع كل الأفارقة فى مدينة بلومفونتين فى "يوم دينجان" الذى يوافق ١٦ من ديسمبر من العام ١٩٣٥ ، وجاء ذلك الاجتماع بمثابة أكبر وأوسع تجمع لغير البيض فى تاريخ جنوب أفريقيا ، وكما كان متوقعا ، رفض تجمع كل الأفارقة اقتراحى الحكومة رفضا باتا ، غير أن الهيئة انقسمت بشأن الإجراء الذى يتحتم اتخاذه .

وكانت هناك أقلية تطالب باللجوء إلى إجراء نضالى مثل المظاهرات والإضرابات على حين كانت الغالبية المعتدلة تفضل التقدم بالتماس إلى الحكومة لتغيير السياسة ، وراح الجنرال هيرتزوج يلعب على تلك التناقضات الداخلية ، ودعا وفدا مفوضا من "التجمع" للاجتماع به ، وراح يحثهم على اتباع العقل ، وفى النهاية وبرغم المعارضة الأوربية الكبيرة وحرمان الأفارقة من الاقتراع جرى التصويت على مسألة تحرير الأفارقة من خلال القانون نظراً للقيود العنصرية التى كانت مفروضة على ملكية الأرض

وبرغم هذا التحدى ، قرر المعتدلون الذين يحظون حاليا بمساندة الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، الموافقة على إنشاء مجلس تمثيل الوطنيين ، كما وافقوا أيضا على الانتخاب غير المباشر للبيض للبرلمان وجرى فى النهاية وبمساندة من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى هو والمعتدلين الآخرين داخل " تجمع كل الأفارقة " ، انتخاب ثلاثة أعضاء بيض من البرلمان وكذلك أربعة شيوخ من البيض .

وعند هذا الحد انضمت مجموعة من المفكرين الملونين والأفارقة الشبان ، أكثرهم من المدرسين إلى تجمع كل الأفارقة ، وسرعان ما وجه الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا تهمة التروتسكية (٩٩) إلى أولئك الشبان اليساريين ، كما وصفهم الحزب أيضا بأنهم يساريون متطرفون ، ويبدو أنه كان هناك مايبرر هذين الاتهامين إلى حد كبير ، ذلك أن قيادة " تجمع كل الأفارقة كانت على الأقل من الناحية اللفظية ، متطرفة وثورية بصورة أكبر كثيرا من الحزب الشيوعى المراجع فى جنوب أفريقيا ، هذا بالإضافة إلى أنه كانت هناك روابط محدودة بينهما وبين "الأممية الرابعة التروتسكية" . ومهما يكن من أمر فإن تلك الروابط بدت أقل وضوحا ، عندما انفصل الدكتور أى . بى . تاباتا ، قائد المجموعة ، عند رفاقه البيض التروتكسيين سابقا فى جنوبى أفريقيا ،

أدى ذلك الانفصال إلى خلق انطباع جيد لدى الوطنيين الأفارقة الصغار ، زد على ذلك أن مثل هذا التعرف على الماركسية بالصورة التى وعاها الكثيرون فى تلك الفترة إنما جاء من " تجمع كل الأفارقة " وليس من الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا .

وفى العام ١٩٤٣ ، اتحدت فى النهاية منظمة "مدرسى الكيب الملونين" ، التى أطلق عليها اسم "مصلحة الشئون المناهضة للملونين" وذلك على النقيض من "مصلحة شئون الملونين" التى تقوم على التمييز العنصرى وتتبع نظام الحكم الأبيض ، اتحدت هى وما تبقى من تجمع كل الأفارقة لتكون حركة الوحدة غير الأوربية التى أطلق عليها بعد ذلك فى بساطة اسم "حركة الوحدة" .

وقد أدى وجود أغلبية من الملونين فى المنظمة إلى خلق مصاعب خطيرة ، وكان على جميع الجماعات الملونة فى جنوب أفريقيا أن تبدى رايها فى المشكلات الناتجة عن الأصل المختلط للملونين والامتيازات الخاصة بهم وذلك فيما يتعلق بالجماهير السوداء ، وفى الكيب ظل الملونون يتمتعون فترة من الزمن بحقوق سياسية كبيرة ، وكان يجرى تشجيعهم بشدة على أن ينظروا إلى الأفارقة باعتبارهم أشقاء لهم ، بل إنهم بدلا من ذلك وضعوا على قدم المساواة مع الهنود إذ كان كليهما فى منتصف الطريق بين السادة الأوربيين والأفارقة وكانوا يلاقون معاملة أفضل من الأفارقة نوعا ما ، وعلى سبيل المثال ورد فى تقرير صادر عن "معهد العلاقات العرقية فى جنوب أفريقيا" فى العام ١٩٦٥ : أن سلم مرتبات المدرسين الهنود والملونين كان واحداً تقريبا : ففى الوقت الذى يتقاضى فيه المدرسون الملونون ٧٧,٤ فى المائة مما يتقاضاه المدرسون البيض ، وتتقاضى فيه المدرسات الملونات ٨٠,٢ فى المائة من أجر المدرسات (١٠٠) البيضاوات ، نجد أن كليهما كان أعلى بكثير من مرتبات الأفارقة ، ولما كان قادة "حركة الوحدة "من الماركسيين فقد أدركوا أن الأمل الحقيقى الوحيد فى انتفاضة ثورية سريعة فى جنوب أفريقيا يكمن فى البروليتاريا الأفريقية الواسعة ، الأمر الذى بدءوا يتصرفون على هدى منه ، غير أن منشوراتهم من حين لآخر كانت تكشف عن تردد من نوع ما ، بل وعن خوف من الكفاح الوطنى الأفريقى ، وتعلق إحدى هذه المطبوعات قائلة :

وعلى ذلك فإن التحرر الوطنى لغير البيض من السكان المقهورين فى جنوب أفريقيا من أجل الحرية والاستقلال يتوجب أن نفهمه فى إطار التطور المادى لذلك التحرر ، والقول بأن ذلك التحرر يعد كفاحا وطنيا خالصا ، بل والذهاب إلى القول بأن التحرر هو نوع من علاقات عنصرية جديدة من منطلق أنه نضال لون ضد آخر ومن ثم يصبح العمل الأساسى هو النضال ضد الفصل العنصرى ، وبخاصة مذهب فيرورد ؛ كل الأقوال التى من هذا القبيل ليست من التاريخ فى شىء وهى غوغائية تماما ، بل والأسوأ من ذلك أنها أمور قاتلة فى فهم المشكلات الحقيقية بصورة محدده (١٠١) .

وأصرت "حركة الوحدة " ، بعد أن رفضت نظرية الإصلاح التشريعى ، التى كانت تنظر إلى الكفاح على أنه معركة ضرورية من أجل حقوق متساوية وكاملة للأفارقة ولجميع الأجناس فى جنوب أفريقيا ، أصرت على تفسير مادى تاريخى يقلل من درجة ومنزلة الجوانب الوطنية والعنصرية لذلك الكفاح .

أما المعركة الأساسية " لحركة الوحدة " فكانت عبارة عن برنامج حد أدنى لعدم التعاون مكون من عشر نقاط .ولايزال برنامج التعاون هذا ، الذى ابتكر خلال الأربعينات بمثابة دليل المنظمة الإستراتيجى إلى يومنا هذا ، وأصابت الحسرة قادة " حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا UMSA " نتيجة فشل رفاقهم هناك فى الوقوف على "مغزى البرنامج وفعاليته وقوته " ومن سوء الطالع أنه ما تزال هناك ، حتى بين الثوار قلة قليلة هى التى تفهم المغزى الكامل لذلك البرنامج (١٠٢) .

وبرنامج عدم التعاون يشير فى أساسه إلى مقترحات هيرتزوج حول "مجلس تمثيل الوطنيين" وكل مجالس القرية الأخرى "البونجزات" (١٠٣) "والمجالس الاستشارية" الأخرى ، التى تستعملها الحكومة فى السيطرة غير المباشرة على الجماهير الافريقية وتقبل هذه الجماهير للقمع والاستغلال ، الأمر الذى يدعم الأسطورة التى تقول : إن الدونية أمر فطرى فى الرجل الأسود ، وكان على حركة الوحدة منذ نشأتها ، أن تركز بشكل كبير على قتال ومقاومة "عقلية الرق" التى لدى الكثيرين من غير البيض فى جنوب أفريقيا ، وفى الوقت المناسب ، أصبح عدم التعاون لا يعنى فحسب التباطؤ والكسل والتغيب عن العمل ، بل العمل المباشر مثل الإضرابات وأعمال المقاطعة ،

وجرى التعبير بصورة أساسية عن ذلك البرنامج وعن الآراء الأخرى "لحركة الوحدة" في مطبوعات الحركة مثل الشعلة التي أجبرتها الحكومة ، أخيرا على الاختفاء في العام ١٩٦٣ .

ويكتب ليوكوير معلقا على انتشار نفوذ حركة الوحدة في جنوب أفريقيا فيقول : مارست حركة الوحدة نفوذا لايتناسب مع عدد أعضائها الصغير ، لا لأن ذلك يعكس الآراء السياسية لهيئة الطلاب (بين الطلاب من غير الأوروبيين بجامعة الناتال) وإنما لأنه بلور أيضا ، بالشعار والانفعال ، ذلك الاستياء الذي يكمن خلف تلك الآراء ويثير الخوف لدى غير الإصلاحيين (١٠٤) .

وكان تجمع كل الأفارقة بمثابة هيئة فيدرالية تعمل من أجل هذا الغرض ؛ إذ كان مفروضا فيها ان تمثل ١٥٠ جماعة مستقلة من الجماعات غير البيضاء ، أما "حركة الوحدة" التي تلته فكان مفروضا لها أنها تكون بمثابة هيئة فيدرالية أوسع ، وبرغم ذلك فإن المنظمات المكونة لهذه الحركة قلما كانت واضحة لمن هم ليسوا أعضاء فيها ، ومن ثم كانت هذه المنظمات سريعة الزوال وصغيرة الحجم .

وفي العام ١٩٦١ افتتحت "حركة الوحدة" ، منظمة جديدة أطلق عليها اسم (الاتحاد الديمقراطي الشعبي الأفريقي لجنوب أفريقيا) وهو هيئة جماهيرية وحدودية يستطيع الأفراد الانضمام إليها بصورة مباشرة ، وبعد ذلك بعام – وعندما أصبح كل من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC محظورين داخل جنوب أفريقيا – عقد الاتحاد الديمقراطي الأفريقي لجنوب أفريقيا مؤتمره الأول الافتتاحي في مدينة الكيب ، تحت قيادة تاباتا ، ورحب بعد ذلك الناطقون بلسان حركة الوحدة بالهيئة الفرعية الجديدة على أنها كانت تشكل نجاحا فوريا ، بين الفلاحين والعمال ، وبخاصة في كل من سيخوخولاند Sekhukhuiland وبندولاند Pondoland.

وأعربت "حركة الوحدة " ، التي كانت تعتمد بصورة أساسية على عمليات المقاطعة والمفهوم الريفي للدفاع عن النفس ، عن أسفها وندمها على الحملات غير العنيفة ، والتخريب والإرهاب ، من قبل حزب المؤتمر الوطني الأفريقي وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC اللذان أكدا بالدليل والحجة أنهما يقعان بين "النسرين" ، "الحزب

الشيوعى فى جنوب أفريقيا SACP" "والحزب الليبرالى" ، "وأصر حزب حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا UMSA" على أنه لايمكن أن يكون هناك أى طريق ثورى ، أو كفاح معادٍ للإمبريالية مالم يكن ذلك الكفاح موجها بصورة صريحة للإطاحة بالرأسمالية التى تعد فى النهاية مسئولة عن الموقف فى جنوب أفريقيا .

ومفهوم الدفاع عن النفس - كما هو مستعمل من قبل "حركة الوحدة" - لايعنى فحسب خلق قوات عسكرية على هذا النحو ، وإنما يعنى أيضا تسليح الناس تسليحا حقيقيا تحت إدارة حزب له قيادة واعية ، وفى النهاية يمكن أن تكون هناك انتفاضة مسلحة من قبل الشعب ضد الظالمين الرأسماليين ، غير أنه ليس هناك ما يؤكد أن "حركة الوحدة " فى جنوب أفريقيا بدأت فى تنظيم مثل تلك الانتفاضة فى جنوب أفريقيا .

ولاتزال حركة الوحدة حتى الآن - وبقيادة الدكتور تاباتا وبعض رفاقه منذ زمن طويل -تعمل من مواقع متواضعة فى لوساكا ، ولاتتلقى حركة الوحدة أية مساعدات من لجنة تحرير أفريقيا التى يعدها كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC أثرا مقدسا من أثار الماضى البعيد ، وبرغم الزيارة التى قام بها تاباتا إلى الصين فى العام ١٩٦٩ ، فإنه ما يزال واضحا أن حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا لم تقطع كل علاقاتها الدولية التروتسكية برغم عدم ظهور اسم تروتسكى فى مطبوعاتها الحديثة ، كما كشفت المنظمات التروتسكية الرسمية مثل "حزب العمال الاشتراكى فى الولايات المتحدة" وجماعات تروتسكية صغيرة فى أماكن أخرى عن تعاطفها الكبير مع حركة الوحدة بالإضافة إلى أنها تحاول أيضا مساعدتها ، وكان شهيد حركة الوحدة غير الرسمى هو الدكتور نيفل الكسندر ، الملون الذى ألقى القبض عليه مع اربعة من زملائه وجرت محاكمتهم فى مدينة الكيب فى العام ١٩٦٤ يزعم أنه كان يدرس أساليب مختلفة للإطاحة بالحكومة ، وصدر ضد الكسندر والآخرين حكم بالسجن مدته أربع سنوات وانهال تقديم الالتماسات نيابة عنه من مجموعات تروتسكية فى بلدان كثيرة وبعد انفصال فرانتزلى - ذلك الطالب الملون فى ألمانيا الغربية ، وعضو حركة الوحدة - واصل تنقله على نطاق واسع من بلد إلى آخر ، فى كل مكان

من أوروبا وأمريكا وراح فرانترلى يلقى المحاضرات نيابة عن نيفل الكسندر وعن حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا ، وكفله فى أسفاره حزب العمال الاشتراكى مثلما فعل مع تاباتا عندما زار الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك ، برغم أن الجماعات السوداء المقاتلة كانت تشعر إزاء كل ذلك بالقلق وعدم الارتياح .

وفى العام ١٩٧١ قدم أربعة عشر عضوا آخرون من حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا للمحاكمة فى بيترمارتيزبورج بناء على قانون الإرهاب فى جنوب أفريقيا ، وكانت أغلبية أولئك المتهمين من المهنيين ، وبخاصة المحامين والمدرسين والطلاب ، غير أنه كان من بينهم أيضا بعض العمال الزراعيين من ترانسكى التى زعمت حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا أن لها فيها أتباعا من الفلاحين منذ زمن طويل برغم إنكار كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC لذلك الزعم إنكاراً شديدا .وعلى أية حال كانت الاشتباكات بين الشرطة والفلاحين فى المنطقة أمرا متكررا فى مطلع السبعينيات عندما لجأت الشرطة إلى القوة فى ترحيل الفلاحين من المزارع التى كانوا يعملون فيها منذ سنوات (١٠٥) ، ومهما يكن من أمر فإن اتهامات بيتر ماريتزبورج ، كانت بعيدة المدى إذ كانت تغطى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٠

زعما بأن المتهمين أنزلوا الخطر بإجراءات الحفاظ على القانون والنظام ، كما حاولوا الإطاحة بالحكومة بقوة السلاح .

والأمر المثير للدهشة ، فى "حركة الوحدة" يتمثل فى الاحترام الذى تلقاه التحليلات الماركسية للحركة عن الموقف فى جنوب أفريقيا وذلك بين الأفارقة وغيرهم ، ودوت أصداء البيانات الصادرة عنها فى أرجاء غير منتظرة ، ومما لاشك فيه أن السبب فى ذلك يرجع قبل كل شىء إلى الوهن الأيدولوجى الذى أصاب الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا الذى التزم الحرص البالغ ، عدة سنوات فى صياغة تصريحاته الخاصة باللغة الليبرالية التقليدية مؤكدا فيها على الكفاح فى سبيل الحقوق الديمقراطية ، ومن ثم فإن الدكتور تاباتا أكد فيها على الكفاح فى سبيل الحقوق الديمقراطية ، ومن ثم فإن الدكتور تاباتا يعد بالنسبة للكثيرين أشد ممارسى النظرية الماركسية شهرة وعلانية فى جنوب أفريقيا .

وعلى الصعيد التنظيمى ، وبرغم البدايات العظيمة لحركة الوحدة فى حزب تجمع كل الأفريقيين انكمشت تلك الحركة ، وأصبحت ذات طابع فئوى تقتصر على أسلوب عمل ذاتى لذا تبدو معه عائلة كبيرة من حول قائد أكثر منها عائلة حول حزب سياسى ، ولكن معلمى "حركة الوحدة " الذين كانوا يفخرون بمنجزاتهم الفكرية ويتباهون بفهمهم واجباتهم فى تثقيف الجماهير اكتشفوا فى نهاية الأمر أن غرف دراستهم كانت خالية من التلاميذ ، والمسئولية فى ذلك لاتقع على عاتق تأثير نظرية تروتسكى وحدها ، بل إن السبب يرجع أيضا إلى "فشل حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا" فى الإمساك بالقضية الوطنية وتطورها بشكل عاطفى مثلما فعل ستالين ولينين فى الثورة الروسية ، وذلك من خلال التجاوب مع آمال الغالبية العظمى من الأفارقة فى جنوب أفريقيا فى خلق موطن أفريقى متحرر ، وكما رأينا بالفعل لم تكن "حركة الوحدة" هى المنظمة الوحيدة التى فشلت فى إدراك أهمية تلك الآمال الوطنية، ومع ذلك لولا هذا الفشل لتحولت "حركة الوحدة" إلى هيئة أكبر وأكثر التصاقا بأهداف حركات التحرر الأفريقية .

مؤتمر الوحدة الأفريقية بجنوب أفريقيا (أزانيا)

منذ اختفاء اتحاد عمال التجارة والصناعة المشئوم بزعامة كليمنتس كادالاى ، لم تحظ أية منظمة أفريقية فى تاريخ جنوب أفريقيا ، بمثل هذا الدعم الجماهيرى الذى حظى به مؤتمر الوحدة الأفريقية إن لم يكن فى العضوية الرسمية ففى التعاطف الإيجابى فى أضعف الأحوال وذلك خلال السنوات الأولى من إنشائه ، وعلى كل حال ، لايصح أن نصف مؤتمر الوحدة الأفريقية فى أزانيا باعتباره تنظيما جديدا بحق ، بل أن نصفه بأنه كان بمثابة بعث وولادة جديدة لاتجاه تاريخى ضارب الجذور فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى - أو إن شئت فقل القومية الأفريقية ، ولم يكن المؤتمر بأى حال معادٍ للرجل الأبيض كما هو وارد عند روكس Roux (١٠٦) .

ومهما يكن من أمر فإن قادة المؤتمر أصبحوا ، خلال العقد الأول من إنشاء الحزب ، على وعى كامل بقيود اللون والمعاناة المشتركة والآمال التى تربط بين الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية فى أفريقيا وأمريكا ، وكان سولون تى . بلاتجى قد حضر المؤتمر الأول لحركة الوحدة (الجامعة) الأفريقية الذى قام بتنظيمه الدكتور دوبوا Du-bois فى باريس فى العام ١٩١٩ ، على أمل أن يؤثر ذلك على مؤتمر فرساى للسلام ، ثم قام بلاتجى بعد ذلك بإلقاء محاضرة فى أمريكا عن الصعوبات التى تواجه الأفارقة فى حياتهم فى جنوب أفريقيا ، وبرغم حيلولة وسائل الاتصال المحددة وبعد المشقة والمسافة دون نمو تلك الروابط على نطاق واسع إلا أنها لم تُقطع قط بصورة كاملة .

وأدت الحرب العالمية الثانية إلى ذلك المنظر اليابانى المشهور لتلك الدولة الأسيوية التى زعموا أنها متخلفة ، ولكنها تحدت القوى الأنجلو- سكسونية فترة من الزمان ؛إذ أسفر الانتصار على دول المحور عن إعطاء وعود بحريات جديدة ، وفى شهر أكتوبر من العام ١٩٤٥ ، حضر مندوبو حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، المؤتمر الخامس لحركة الوحدة الأفريقية الذى انعقد فى مانشستر والتقى فيه مندوبو حزب المؤتمر الوطنى قادة أفارقة من أمثال كوامى نيكروما وجوموكنياتا اللذان كانا يفكران بالفعل

فى رفع نير الاستعمار عن أعناق بلادهم ، وجدير بالذكر ، أن وفد حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كشف فى مانشيستر عن الأوهام التى كانت تراود الأفارقة عن أجهزة الدولة التى يتحتم عليهم أن يتحدونها دوما وذلك بالإعلان عن قناعتهم بأن حملات عدم العنف الغاندية هى أنسب الوسائل وأكثرها فاعلية فى إقناع الحكام الأوروبيين بإعطاء تنازلات لرعاياهم السود بدلا من أن ينوقوا مرارة الكفاح الوطنى والصراع العنصرى . وبعد أن أطلق على تلك الحملات اسم "العمل الإيجابى" ، وبعد تخفيض عنصر السلبية إلى حد كبير نجح تنفيذ خطة عدم العنف ، فى ساحل الذهب ، على يدى حزب كوامى نيكروما ، زعيم حزب الميثاق الشعبى فى انتزاع السلطة من البريطانيين فى العام ١٩٥٧ ، وإنشاء دولة غانا ، التى كانت أول دولة أفريقية تستطيع الحصول على الاستقلال عن طريق حركة وطنية نشطة وذلك فى فترة ما بعد الحرب ، غير أن الأوضاع فى كل من ساحل الذهب الذى يحكمه البريطانيون وفى معسكر الأفريكانر (١٠٧) فى جنوب أفريقيا كانت متباينة تباينا كبيرا ، والسبب فى ذلك أن الأوضاع كانت تحتم على شعب جنوب أفريقيا أن يتعلم ولكن الوقت كان متأخرا مما خيب آمال الناس وأحبطهم .

كانت جذور حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية فى أزانيا تتمثل فى « رابطة الشباب » التابعة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، تلك المجموعة من الشباب النشطين الذين تجمعوا بعد العام ١٩٤٣ حول الشخصية الكاريزمية لأنطون موزيوا لمبيدى فى جوهانسبرج ، وكما رأينا بالفعل فى دراستنا لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، كانت رابطة الشباب غير راضية عن حزب المؤتمر تماما ، وانتقدت القيادة التى تكبرها سنا ، لتعاونها مع الطغاة البيض من ناحية والخضوع « للسيطرة الأجنبية والقيادة الأجنبية » من جانب الليبراليين والراديكاليين البيض من الناحية الأخرى ، وعلى الصعيد الأيديولوجى نجد أن رابطة الشباب تأثرت أيضا بتجمع كل الأفارقة ، التى تحولت فيما بعد إلى « حركة الوحدة » ، كما تأثرت تلك الرابطة أيضا بالحزب الديمقراطى الأفريقى بزعامة بول موساكا ، علاوة على تأثرها أيضا بالمثل الذى ضربه السكان الأفارقة فى المقاومة القبلية البطولية ضد الاحتواء والاستيطان الأبيض الذى

بدأ فى القرن السابع عشر ولم ينته حتى ثورة بمباتا فى العام ١٩٠٦ ، ومهما يكن من أمر ، فإن انتصار «رابطة الشباب» - الذى لم يدم طويلا - فى المؤتمر السنوى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى العام ١٩٤٩ جرى تخريبه سرا عن طريق الجناح اليمينى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى من ناحية ، وعن طريق المعتدلين الذين كانوا يخشون الصراع مع الحكومة من ناحية ثانية ، وعن طريق أولئك الذين كانوا يتمسكون بمفهوم تعدد الأجناس الذى رفع لواءه الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا وتنظيماته التقدمية من ناحية ثالثة ، .ويموت لمبيدى فى العام ١٩٤٦ ، بعد أن وضع أسس « الأفريقانية » واحتفل هو شخصيا بأوائل الذين التزموا بها ، ولكن «رابطة الشباب» ، انقسمت بعد وفاة لمبيدى إلى فئتين متعارضتين أطلق على واحدة منها اسم الأفريقانيين Africanists . وعلى الأخرى الميثاقيين Charterists ، وقد جرى ذلك الانقسام فى غضون المعركة التى دارت حول ميثاق الحرية فى العام ١٩٥٦ ، الأمر الذى جعل نظرية تعدد الأجناس سياسة رسمية انتهجها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ANC .

ومرة أخرى - كما رأينا - نجد أن التمزق الرسمى داخل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى حدث على نحو أسرع بكثير من أى شىء بسبب الأساليب غير الديمقراطية التحكمية التى لجأت إليها أيضا جماعة الميثاقيين إصرارا منها على فرض آرائها على جماهير حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى السوداء ، والتأثير عليها باللجوء إلى أساليب مناورة ، وذلك من خلال مجلس التنسيق الاستشارى فى تحالف حزب المؤتمر الذى يضم كلا من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى و حزب المؤتمر الهندى ، والمنظمة الشعبية للملونين ، والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ومؤتمر نقابات عمال جنوب أفريقيا .

جاء ذلك الانقسام نتيجة حتمية لطرد كبار المنادين بالوحدة الأفريقية طرداً تأديبيا ، بعد فشل الاعتصام بالمنازل الذى حدث فى العام ١٩٥٨ ، والذى فرض على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى من قبل حلفائه .

والواقع أن الانقسام الفعلى حدث أثناء المؤتمر الذى عقده حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى الترنسفال فى وجود كل من لوتولى وتامبو ، وخارج الاجتماع العاصف للحزب فى نوفمبر من العام ١٩٥٩ قام المنادين بالوحدة ، بقيادة كل من بوتلاكوكيتشنر لوبالو وبطرس مولوتس بالتجمع خلال دقائق بالقرب من مقر الاجتماع ليعلنوا ولاءهم للمبادئ التى كانوا يعتقدون أنها تنادى بالوحدة الأفريقية بصورة جوهرية والتى سار على هديها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى الفترة من عام ١٩١٢ إلى أن تشكل تحالف المؤتمر .

ولم يجتمع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بصورة رسمية إلا فى الفترة من ٥-٦ أبريل من العام ١٩٥٩ ، وخلال الشهور التى أعقبت ذلك التف المنادين بالوحدة المبعثرون فى كل أنحاء جنوب أفريقيا حول شخصية غير عادية : هى شخصية مانجاليزو روبرت سوبوكوى الذى اشتهر لدى معظم أتباعه بالأستاذ ، والذى أصبح محاضرا فى جامعة ويتوترز راند بعد طرده من إحدى وظائف التدريس خلال حملة التحدى التى حدثت فى العام ١٩٢٥ ، وقد ولد سوبوكوى فى مدينة جراف -رينت فى العام ١٩٢٤ ، فى مدينة الكيب وتلقى دراسته فى لوفيديل وفورت هيركوليج اللتان ذاع صيته وشهرته فيهما وجرى انتخابه رئيسا لاتحاد الطلاب ، كما أكسبه حنانه الشخصى ، وكرامته الفطرية ، وصموده فى الضراء ثناء الناس عليه من كل أنحاء العالم ، ونظرا لإعجاب الشعب فى جنوب أفريقيا ب (سوبوكوى) كزعيم حقيقى فقد أثنى عليه وأمتدحه الكثيرون ممن يخشون أفكاره الوطنية ويخافونها .

وكان المنادون بالوحدة يتطلعون إلى أن يتحدث إلى مؤتمرهم الافتتاحى أحد الزعماء الأفارقة البارزين : من أمثال : كينيث كاوندا رئيس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى زامبيا ، أو الدكتور هيستنجر كاموزو باندا رئيس نياسلاند (ملاوى الآن) ولكن كليهما كان قد جرى احتجازهما فى بلديهما كل على حدة ، من قبل الحكام البريطانيين ، وكان سوبوكوى نفسه هو الذى تكلم أمام المؤتمر ، وجاء الحديث القصير نسبيا تعبيرا عن الأمال الوطنية الأفريقية المتواضعة التى كانت متأصلة فى الفكر الأفريقى فى أواخر الخمسينيات يوم أن أشرفت غالبية البلدان الأفريقية على

الاستقلال ، وهنايبرز أثر مزايدة نيكروما الناجحة على السلطة فى غانا وبخاصة عندما أعاد سوبوكوى من جديد تأكيده على الحياد الايجابى وعدم الانحياز بين الكتلتين العالميتين ، الأمريكية والسوفيتية والالتزام بحركة الجامعة الأفريقية ، وأعلن سوبوكوى :

نحن نكرم غانا باعتبارها أول دولة مستقلة فى أفريقيا الحديثة ، التى كرست اهتمامها فى ظل القيادة الوطنية الشجاعة للدكتور - نيكروما وحزب الميثاق الشعبى ، لتحرير كل القارة من السيطرة البيضاء ، يضاف إلى ذلك أن غانا هى التى أبرزت فكرة وجود ولايات متحدة ديمقراطية فى أفريقيا (١٠٨) .

وأعطى سوبوكوى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية فى أزانيا إمتياز العمل من أجل الوحدة الأفريقية ثم فى النهاية تأسيس اتحاد حر ذى سيادة يتكون من الدول الأفريقية الديمقراطية المستقلة ويمكن أن ينضم إليه جنوب أفريقيا فى النهاية .

وتأثر الكثيرون فى جنوب أفريقيا تأثرا بالغا بكتاب جورج بادمور جامعة أفريقية أم شيوعية ؟ الذى نشر فى العام ١٩٥٤، والذى يبدو كما لو كان يتحدث عن مشكلاتهم الخاصة مع الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ويشكل طريقا إلى الأمام يطوق العداء الشائع للشيوعية ، وخلال السنوات التى تلت ذلك استطاع نموذج الحزب الشيوعى على الطراز الصينى بزعامة الرئيس ماوتسى تونج أن يثبت أن حزبا شيوعيا محددا يمكن أن يكون مختلفا تماما عن الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا وقادرا على تحقيق النجاح فى قيادة ثورة الفلاحين والعمال فى بلد متأخر غير أوربى ، كل ذلك إضافة إلى المساندة المادية والمعنوية من قبل الصين هو الذى يفسر الحيوية البالغة التى انتقد بها بعض أعضاء حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية فى جنوب أفريقيا « المراجعة الحديثة » للشيوعيين البيض فى جنوب أفريقيا بصفة خاصة ، ومهما يكن من أمر ، فإن تأثير بادمور عند إنشاء الحزب كان قويا ؛ إذ يشير سوبوكوى فى خطابه الافتتاحى إلى بادمور بصورة محددة كما يقتبس من كتابه أيضا .

وبادمور هـــذا كان شيوعيا من غربى الهند خاب أمله ، وعمل من قبل لحساب « الكومينترن » الشيوعى - وكان مفهومه عن حركة الجامعة الأفريقية يعنى تحقيق الحكم للأفارقة عن طريق الأفارقة ومن أجل الافارقة ، مع احترام الأقليات الدينية

والعنصرية التى ترغب فى العيش فى أفريقيا على أساس من المساواة مع الأغلبية السوداء (١٠٩) ، وكان لدى بادمور اقتناع مفاده أنه ليس هناك أفريقى واحد يمكن أن يتمتع بخيار استمرار العيش فى ظل الإمبريالية ، ومن ثم كان لديه اعتقاد بأن الصراع الإيديولوجى الوحيد يختار فى أفريقيا يمكن أن يكون فى النهاية (١١٠) بين القوى المعارضة للشيوعية وبين حركة الجامعة الأفريقية ، وأردف بادمور قائلا إن حركة الجامعة الأفريقية تقدم بديلا عقائديا للشيوعية من ناحية والقبلية من ناحية أخرى ، كما أنها ترفض كلا من العنصرية البيضاء والمغالاة فى الوطنية من قبل السود ، علاوة على أنها تمثل التعايش السلمى العنصرى على أساس من المساواة المطلقة واحترام شخصية الإنسان ، ويرى بادمور أن الاستعمار يمكن الحفاظ

عليه من الخارج عن طريق القوة العسكرية فقط ، يقول بادمور : خسر الرجل الابيض فى شرقى أفريقيا ووسطها نوايا الأفارقة الحسنة وولاءهم الحسن أيضا ، الأفارقة الذين أصبحوا على يقين تماما من وهم الوصاية والمشاركة ، يضاف إلى ذلك أن هذا المستوطن البريطانى ، هو والمدافعين المتشددين والعنصريين المتعصبين عن الأبارتهيد فى جنوبى أفريقيا هم الذين زادوا الأمر وضوحا أمام الأفارقة ، بالنظر إلى أنفسهم على أنهم مجرد قاطعى أخشاب وحاملى الماء فى بلادهم (١١١) .

وعلى الصعيد السياسى أحيا بادمور الحريات الفردية فى جنوب أفريقيا فى ضوء إعلان حقوق الإنسان ، والحريات الأربع المعلنة من قبل ميثاق الأطلنطى ، وأكد بادمور فى ذات الوقت على ضرورة تطبيق «الاشتراكية» الديمقراطية وضرورة سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج والتوزيع الأساسية » .

وقد وردت تلك الموضوعات كلها فى الخطاب الافتتاحى الموجز الذى ألقاه فى الاجتماع التأسيسى لحركة الوحدة الأفريقية ، وكان من الضرورى على سوبو كوى ، وهو يتكلم عن الاشتراكية أن يبرز دور الصين بصورة خاصة إذ قال : إننا لسنا عميانا عن الحقيقة التى مفادها أن الدول التى تنتهج سياسة تقوم على التخطيط الاقتصادى فى الدولة قد سبقت ، وبخاصة فى مجال التنمية الصناعية ، تلك الدول التى تسير فى

طريق المشروع الحر ، وأردف سوبوكوى قائلا :إن الصين اليوم من الناحية الصناعية تسبق الهند إلى حد كبير ، غير أن إخلاص سوبوكوى ل بادمور وولاءه له يدفعانه إلى أن يقول بعد ذلك مباشرة :

يرفض المنادين بالوحدة « الشمولية » فى أى شكل من أشكالها ويسلمون بالديمقراطية السياسية بمفهومها الغربى ، كما أننا نرفض استغلال الأغلبية من الناحية الاقتصادية لمصلحة الأقلية .ونحن نؤمن بتوزيع الثروة بالتساوى بوصف ذلك سياسة تهدف ، على حد فهمى ، إلى المساواة فى الدخول ، الأمر الذى أعتبره بمثابة الأساس الذى يمكن أن نبنى عليه شعار تكافؤ الفرص (١١٢) .

ورفض سوبوكوى كل نظريات السيادة العنصرية .إذ يقول : يعتنق المنادين بالوحدة وجهة نظر تقول : إن هناك عنصرا واحداً ننتمى إليه جميعا ، وهو الجنس البشرى ، غير أنه استطرد فى حديثه ليرفض صراحة تعدد الأجناس فقال :

نحن نسوق هذا الاعتراض فى مواجهة تعدد الأجناس ، نقول :إن تاريخ جنوب أفريقيا قد أثار أنواعا من التحامل والعداء ، وإذا كان علينا أن نحافظ على حق الاقتصار على مجموعة واحدة ، مع التباهى بمصطلح تعدد الأجناس فإننا بذلك نعمل على نقل مظاهر العداء والصراعات نفسها إلى أفريقيا الجديدة ، أضف إلى ذلك أن تعدد الأجناس ، إنما يعد فى الحقيقة اتجاها نحو التعصب والغطرسة الأوربيين ، إنه مجرد أسلوب لتأمين مصالح البيض بصرف النظر عن أعداء السكان (١١٣) .

وعلى الجانب الآخر ، قال سوبوكوى :إن أى امرئ يدين فى ولائه بصورة أساسية لأفريقيا، ولديه الاستعداد لقبول الحكم الديمقراطى من قبل أغلبية أفريقية – سينظر إليه كأفريقى – ولكنه حذر قائلا : نحن لانضمن حقوق الأقليه ، ذلك أننا نفكر فى إطار أفراد وليس فى أطار مجموعات !

وعلى العموم كان الأوربيون يمثلون مجموعة قليلة من الأجانب ولها سيطرة كاملة على القوى السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعسكرية ، ولذلك استطاعت أن

تذل السكان الأفارقة الأصليين ، وتحط من قدرهم ، ووجه سوبوكوى اتهامه إلى أعضاء المجموعة الهندية فقال : برغم أن الهنود جاءوا إلى جنوب أفريقيا لا كإمبرياليين أو مستعمرين وإنما كعمال بعقود – فإنهم بدءوا يشكلون «طبقة من التجار» ملوثة بفيروس التفوق الحضارى والغطرسة القومية يضاف إلى ذلك أيضًا العمال الفقراء غير المهرة مدمنى السكر فى الناتال والذين استطاعوا بسبب ضغط ظروفهم المادية ربط أنفسهم بالأغلبية الأفريقية الوطنية فى الصراع من أجل الإطاحة بالسيادة البيضاء إلا أنهم لم تظهر بينهم بعد قيادة خاصة بهم ، ونحن نأمل أن يحققوا ذلك فى القريب العاجل ، وواقع الأمر أنه لم تمض سنوات كثيرة قبل أن يحتل أحمد جورا إبراهيم وآخرون من أصل هندى وباكستانى ، أماكنهم بين صفوف مؤتمر الوحدة الأفريقية .

كما أدعى سوبوكوى أيضا أن برنامج عمل التحرر الوطنى فى جنوب أفريقيا كان بالضرورة البرنامج نفسه فى أى مكان آخر من أفريقيا ، وأنكر سوبوكوى أيضا نظرية « طبقات المجتمع العليا » ، التى تقوم على أساس من نظرية استثناء الأفارقة ، وبالأحرى فإنه عن طريق نضال المنادين بالوحدة يمكن :

> **إقامة ديمقراطية حقيقية فى جنوب أفريقيا ، وفى القارة كلها ، ولكن ذلك لن يحدث إلا عندما يتم تدمير السيادة البيضاء وعندما تتشكل الجماهير الأفريقية من الأميين وشبه الأميين الذين هم مركز ومفتاح أى نضال من أجل الديمقراطية الحقيقية فى جنوبى أفريقيا ، وكذلك عندما يمكن تنظيم كل الشعب الأفريقى فى منظمة لكل أفريقيا يقوم فيها الأفارقة برسم السياسة والبرامج وتحديد أساليب النضال دون تدخل من جانب ما يسمى بمجموعات الجناح اليسارى أو الجناح اليمينى للأقليات التى تجيز لنفسها حق التخطيط والتفكير بدلا من الأفارقة** (١١٤)

كان ذلك بمثابة حركة الجامعة الأفريقية وحجر أساس سياسة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية كلها ، وظن حزب الوحدة الأفريقية الغر فى ظل قيادة سوبوكوى الحماسية ، أن لديه خطة عمل حقيقية ، ومن هنا شرع الحزب فى خلق تنظيم رسمى لتنفيذ تلك الخطة ، وصادق المؤتمر الافتتاحى على « دستور للحزب » ، ولائحة النظام الأساسى يحكم ، أيدلوجية الحركة الأفريقية – القوة الاجتماعية الثالثة فى العالم –

ويخدم المصالح المادية ، والفكرية والروحية لأفريقيا ولايخدم بأية حال المصالح الروحية للدول الشرقية أو الدول الغربية على حد سواء (١١٥) ، أما اليوم ، فإن ذلك التفاؤل والتقليل من قيمة تأثير المصالح الأوربية المخادع وواسع الانتشار الذى يبخس الأشياء حقها ، ناهيك عن كل جانب آخر من جوانب « ثقافة البوب » فى الغرب - ليس فحسب فى أفريقيا ، بل أيضا فى أوربا الشرقية نفسها - كل ذلك يمكن رفضه باعتباره أمورا ساذجة لكن كل ذلك لم يكن ليحدث فى الآيام العصيبة لحركة الانتفاضة الأفريقية فى الخمسينيات ؛ أيام كان على الأفارقة أن يتبينوا طيف الاستعمار الجديد من خلف واجهة استقلالهم المهتزة .

وكان تنظيم حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى يتم على أساس المحافظات ، ولكن حزب الوحدة رفض ذلك الهيكل فى اجتماعه التأسيسى ، وأقر بدلا منه هيكلا إقليميا وجرى بصورة أساسية ، تقسيم كل جنوب أفريقيا إلى ستة أقاليم ، ولكنهم وجدوا بعد ذلك أن تلك الأقسام كانت كبيرة جدا ، واستقر الحزب فى النهاية على سبعة عشر إقليما ، وجرى تقسيمها على أساس جغرافى .

وكان لكل إقليم رئيس يعد عضواً فى «اللجنة التنفيذية الوطنية » مع الموظفين الوطنيين للحزب ، برئاسة «الرئيس الوطنى» «والسكرتير الوطنى» « وأمين الصندوق» وسكرتير والأقسام المختلفة - مثل الشئون الخارجية ، والإعلام والتعليم والشئون الأقتصادية ، والثقافة .... إلخ ، وعلى العموم كان هناك فى كل تلك الأقسام ستة عشر موظفا ، إضافة إلى الرؤساء الإقليميين .

وينص الدستور على تشكيل لجنة مركزية ، تسمى «لجنة العمل الوطنى » ، حتى يتسنى التعجيل بإنهاء الأعمال العادية ، ونقلا عن أحد التقارير فإن تلك اللجنة - التى كان مفروضا لها أن تتكون من الرئيس وأربعة أعضاء آخرين من اللجنة «التنفيذية الوطنية» - كان يتم توسيعها لتشمل الرئيس وستة أعضاء آخرين (١١٦) ، وكان من الواضح أن تلك الأشكال من مظاهر الحرص على الدستور كان يجرى إغفالها والتغاضى عنها كلما ازدادت حرارة الصراع ، وذلك برغم أساليب سياسة لوى الذراع والمعاملة الاستبدادية التى كان يكيلها لهم أنصار الميثاق فى الفترة التى كانوا لايزالون فيها أعضاء جدداً فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، زد على ذلك أن أعضاء

حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بذلوا جهدا كبيرا من أجل مراعاة نص وروح دستورهم الديمقراطى .

وكان لابد من استنكار موقف حزب حركة الجامعة الأفريقية باعتباره «مغالاة سوداء فى الوطنية» ، كما زعموا أن ذلك الموقف إنما هو تعبير عن عملاء لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ،كما ادعوا بعد ذلك أن أنصار حركة الجامعة الأفريقية أيضا كانوا يعملون لحساب ماوتسى تونج والحزب الشيوعى الصينى ، وسخروا مرارا من قرار الحزب الذى صدر بعد ذلك وأطلق على جنوب أفريقيا اسمها الأفريقى (أزانيا) وقالوا : إن ذلك أمر غير تاريخى كما يعد رمزا آخرا على مغالاة سوداء فى الوطنية ، ومن الطبيعى أن يكون فى ذلك شىء من الصدق ، غير أن الشىء نفسه يمكن أن يقال عن بوتسوانا وغانا ، وملاوى ومالى ، وزامبيا بل وليسوتو أيضا إذ إن كل تلك البلدان كانت تود - لأسباب وطنية - استبدال أسمائها الاستعمارية القديمة بأسماء أخرى .

ولم يكن بوسع أية شخصية أقل من شخصية المرحوم آى.آى بوتخين ، المتخصص السوفيتى البارز فى المسائل الأفريقية ، أن تضع مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC نصب عينيها ، وتتلخص معظم الحجج التى يسوقها بوتخين غالبية الاتهامات الكثيرة التى وجهها الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا وبعض الأوربيين التقدميين إلى المنظمة ، كما أننا مازلنا نسمع تلك الاتهامات تتردد فى بعض الأماكن ، كما يسمح الموقف لنا بتكرارها هنا أيضا :

إن قدرا كبيرا من التجربة التاريخية يؤكد لنا بصورة مقنعة أن الاعتبارات العنصرية يجرى إقحامها دوما فى السياسة من قبل القوى الرجعية (تجار العبيد والاستعماريون والألمان الفاشيون والعسكريون اليابانيون إلخ) ، وذلك حتى يتسنى لتلك القوى تبرير سياستها الكريهة المعادية للشعوب والدفاع عنها ، ويؤكد التاريخ أن الحركات الشعبية التى لها أساس عنصرى إنما قامت كرد فعل للقمع العنصرى ، وبرغم أن تلك الحركات تبدو للوهلة الأولى كحركات تقدمية عموما فإن لها دائما بعض السمات التى تؤكد الحقيقة التى مفادها أن تلك الحركات تستغل

فى تحقيق هدف رجعى ، فالعضو فى مثل تلك الحركات يمكن أن يتخذ قرارا أو يمكن إقناعه بأن كل من ينتمون إلى جنس غير جنسه هم أعداءه وأعداء شعبه وخربوا حركة الجامعة الأفريقية Pan African-ism Congress فى جنوب أفريقيا تعد مثالا حيا على ذلك .ولعدة سنوات استطاع حزب مؤتمر الديمقراطيين فى جنوب أفريقيا قبل أن تحظر الحكومة نشاطه أن يؤلف بين أنصاره من الإنجليز والأفارقة الذين كانوا يؤيدون منظمات السكان غير الأوربيين التقدمية المعادية للأمبريالية مثل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، حزب المؤتمر الوطنى الهندى فى جنوب أفريقيا ، والاتحاد القومى للملونين – وعندما شكلت كل تلك المنظمات جبهة قتال مشتركة ضد سياسة فيرورد الفاشية انسلخت عن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى مجموعة صغيرة من أعضائه راحت تشكو من أن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى أصبح تحت السيطرة البيضاء ، وأنشا أولئك الأعضاء أنفسهم تنظيما خاصا بهم ، هو حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية ، الذى كان بمثابة منظمة عنصرية خالصة زعموا أنها متحررة من النفوذ الأبيض ، وعلى الفور برزت قيادة مؤتمر الوحدة بتصريحات عنيفة معادية للشيوعية سرعان ما جذبت إلى الحزب تأييد الحزب الليبرالى الأبيض الذى كان يشترك فى الدعاية المعادية الشيوعية ، وهنا أصبح باتريك دينكان ، زعيم الجناح اليمينى ، العدو اللدود للشيوعية بمثابة بطل متحمس لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية P.A.C بصورة خاصة ، وتصالح حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية والرجعيين البيض لسبب مزعوم مؤداه أن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية تعاون هو والتقدميون البيض ، وبطبيعة الحال ، فإن ذلك يعد أمرا طبيعيا تماما : ذلك أن التناقض الأساسى فى المجتمع البرجوازى ، ليس بين الأجناس ولكن بين الطبقات التى تناصب بعضها بعضا العداء ، وبين قوى التقدم التى تناضل من أجل التحول الأشتراكى للمجتمع وقوى

الرجعية الإمبريالية التى تناضل من أجل إنقاذ النظام الرأسمالى المتدهور ؛ ومن ثم فإن زعماء حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية ليسوا استثناءً من ذلك ، كما أن شخصيات سياسية فى دول أفريقية أخرى تحاول الموازنة بين الأسود والأبيض ، وتصل إلى النتيجة نفسها :إنها عندما تدير ظهرها إلى أصدقائها ، تجد نفسها قد ارتبطت بتحالف فاضح مع أعداء الحرية الأفريقية (١١٧) .

وبذلك استطاع بوتخين أن يقيم خصما وهميا ، وواقع الأمر أنه لم يصح فى وقت من الأوقات أن مؤتمر الوحدة الأفريقية كان «تنظيما عنصريا خالصا » ، وإنه لمن الممتع حقا – عندما نعيد صياغة ما قاله بوتخين – أن نجد أن تلك الأدوات المضللة الرجعية السوداء اعترفت بأنها أصبحت فى عشية أو ضحاها بمثابة القوة المحركة لحركة التحرير فى جنوبى أفريقيا ، ومن هنا كان لها أن تكسب الاعتراف بها من قبل الثوريين الماركسيين اللينينيين فى الصين وفى بلدان أخرى ، وفى ضوء ما أعلنه ماوتسى تونج فى العام ١٩٦٣ فى أول بيان له عن النضال الأفرو أمريكى : «نجد فى التحليل النهائى أن النضال القومى يعد قضية صراع طبقى » ، وجاء ذلك بمثابة مشكلة واحدة فقط من المشكلات التى سرعان ما أدت إلى انقسام الحركة الشيوعية الدولية .

وفى الفترة من شهر أبريل إلى شهر ديسمبر من العام ١٩٥٩ ركزت الكوادر الجديدة فى مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** على بناء منظمتهم وضم أعضاء جدد إليها ، وأسعد الحظ تلك الكوادر عندما انضم فورا أكبر فروع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وأكثرها دينامكية فى أورلاند بجوهانسبرج برياسة مانجليزو سوبوكوى إلى مؤتمر الوحدة الأفريقية ، وفى الحال راح الحزب يبنى نفسه فى أجزاء أخرى كثيرة من البلاد ، وبخاصة فى الأماكن التى كان فيها الصراع بين الأفارقة وحكومة الأقلية البيضاء على أشده ، مثلما كان الحال عليه فى غرب الكاب وجنوب الترنسفال ، ومع مضى ذلك العمل قدما على نحو سريع ، استطاع مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** أن يدعو إلى عقد أول مؤتمر له فى جوهانسبرج فى الفترة ١٩ – ٢٠ من ديسمبر من العام ١٩٥٩ .

وأعلن سوبوكوى – ورفاقه خطة عملهم ، التى كانت تبدأ بحملة تحدى لقوانين المرور تتصاعد من خلال خطوات غير محددة لتصل فى النهاية إلى «الحرية والاستقلال» فى العام ١٩٦٣، وأهاب سوبوكوى الذى كان يطالب أتباعه بأسلوب تكتيكي يقوم على عدم العنف – أن يتركوا تصاريح المرور فى منازلهم ، ويقبلوا إلقاء القبض عليهم ووضعهم فى السجون ، الأمر الذى يؤدى إلى امتلاء سجون جنوب أفريقيا بالنزلاء إذ إن الأهم من ذلك ، هو عرقلة العمل فى الحقول والمصانع ، كما جرى الاتفاق على عدم قبول الحلول الوسط ، وأن يكون شعارهم : لاكفالة ، لادفاع ، لاغرامة .

وأصاب حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى أعلن الإضراب أيضا ضد قوانين المرور فى ٣١ من شهر مارس من العام ١٩٦٠ الفزع والرعب نتيجة خطط مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** ، وتكلم دوما نوكوى ، أحد الأعضاء الأفارقة فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا نيابة عن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى رافضارفضا باتا مقترحات حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية التى تنادى ، بانضمام الحركتين فى حملة واحدة ضد قوانين المرور وقال دوما نوكوى : إن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لايمكن أن ينضم إلى أعمال مثيرة قد لاتنجح (١١٨) ، وأعلن سوبوكوى أن يوم افتتاح حركة « العمل الإيجابى غير المحدود » هو اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس ، وتواصلت فى كل أنحاء البلاد عمليات التنظيم المكثفة للسكان وطلب إليهم أن يتركوا جوازات مرورهم فى منازلهم وأن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز للشرطة على أنهم خارجون على قوانين المرور .

وفى الصباح الباكر من يوم الحادى والعشرين من مارس قام سوبوكوى بنفسه بقيادة مجموعة من المناضلين إلى المركز الرئيسى للشرطة فى أورلاند حيث جرى فى النهاية ادخالهم إلى الحجز ، ولم يقع هناك أى شكل من أشكال العنف ؛ غير أنه فى شاربفيل وعلى مسافة ٣٥ ميلا من أورلاند – قامت الشرطة البيضاء التى أصابها الفزع والرعب بفتح النار على الآلاف من الأفارقة العزل الذين كانوا قد تجمعوا حول مركز الشرطة ، ومات تسعة وستون أفريقيا نتيجة وابل من الطلقات وأصيب ١٨٠ آخرون ، أما فى إيفاتون فقد انقضت طائرات القوات الجوية فى جنوب أفريقيا وحومت

حول جمهور هائل يضم حوالى ٢٠٠٠٠ متظاهر من أجل تفريقهم ، وفى مدينة لانجا ، حيث تجمع ما لايقل عن ١٠٠٠٠ متظاهر ، ضربت الشرطة مئات الأفارقة منهم بالعصى بقسوة وعنف ، ثم فتحت عليهم النار بعد ذلك ، فقتلت خمسة منهم وجرح تسعة وأربعون .

وهكذا ماتت فى جنوب أفريقيا أسطورة تأثير قوة الاحتجاج السلمى غير العنيف ، ولم يحدث أن أصيب أوربى بأذى واحداً على أيدى السود العزل من السلاح طوال ذلك اليوم ، وكان من المفروض فى تلك الليلة أن يجرى حرق بعض مدارس الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا وكذلك التسهيلات والمرافق المتواضعة الخاصة بالأفارقة ، غير أن رد هذا الفعل العنيف كان محدودا بصورة تثير الشفقة ، ومع ذلك كانت أسهم وسندات الشركات فى جنوب أفريقيا ,تزهو بنفسها فى أسواق المال العالمية ، وأصاب الرعب والفزع أسواق النقد وأسواق الأوراق المالية فى الغرب ، ثم عادت بعد ذلك الأسعار إلى ما كانت عليه من قبل بل زادت ، غير أن الخوف من كارثة أخرى تشابه كارثة شاربفيل كان لايزال يحوم من حول المضاربين فى الاستثمارات فى جنوبى أفريقيا ، وفيما يتعلق بالحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا فإن ذلك كان يعنى الدمار لأسلوب يقوم على الوهم أكثر من الحقائق ، ومنذ ذلك الوقت وزعماء تحالف المؤتمر يحاولون تقديم شهداء شاربفيل على أنهم جزء من أتباعهم ، وراحوا يعولون على جهل العالم للحيلولة دون التعرض لذلك المصير ، ومهما يكن من أمر فإن زعامة التحالف فى العام ١٩٦٠ رأت بحق فى حوادث القتل فى شاربفيل ولانجا انهيارا للإستراتيجية والخطط التى توسعوا فيها بطريقة مدبرة وعلاوة على ذلك فإن غضبهم داخل المؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** لم يكن أمرا مستورا ، غير أن مزاج الشعب أجبرهم على تأخير خطوهم عن الوقت المعتاد ، وقام الرئيس لوتولى بإحراق تصريح المرور الخاص به وذلك فى اليوم السابع والعشرين من شهر مارس ، أى بعد ستة أيام من المذابح ، كما اشترك الحزبان فى تأبين الموتى فى احتفالات جنائزية مهيبة .

وجرى لأول مرة فى تاريخ دولة الأقلية البيضاء تعطيل العمل بجوازات المرور ، ثم قام فيليب كجوسانا - وهو طالب شاب فى المؤتمر الوحدة الأفريقية PAC - نيابة عن الزعماء الإقليميين المحتجزين ، باستعراض القوة الأفريقية ، بأن تزعم ٣٠٠٠٠ من الأفارقة فى مسيرة اتجهت إلى البرلمان فى مدينة الكيب وجرى الاحتيال عليه بتفريق الجمهور ، ثم إلقاء القبض عليه بعد ذلك ، غير أن الأوربيين فى هذه المرة أصابهم خوف أكثر مما نزل بهم يوم غزوهم تلك الأرض الأفريقية ، بل إن سايير ، أحد الوزراء فى الحكومة أعرب عن ظنونه وارتيابه فى الأبار تهيد ، غير أن البوير أصحاب الرءوس العنيدة الذين حكموا جنوب أفريقيا كانوا قد عقدوا العزم على أن تكون لهم الغلبة ، مستخدمين فى ذلك ، قوة أكبر ، وعنفا أكثر إذا ما تطلب الأمر ذلك ، ولم يستطع أى ستر من أستار الليبرالية كشف ذلك التصميم ، بل لم تكن هناك حاجة إلى اتباع الحلول الوسط مع الأفارقة العزل من السلاح .

وبرغم اعتماد حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بصورة مبدئية على عدم العنف إلا أن الزعماء المنادين بالوحدة كانت لديهم أوهام حول معارضة الحرب والعنف واللجوء إليهما ، وعندما أعلن فى ٨ أبريل من العام ١٩٦٠ حظر كل من حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC و حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، قام زعماء التنظيمين بتنفيذ خطط خاصة بمنظمات سرية ، وحظى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بأمر مفاده أن واحداً من حلفائه لم يعر الخروج على القانون أى اهتمام خارج نطاق الحزب وذلك على العكس من تركيزهم على خروج الحزب نفسه على القانون ، إذ إن زعماء جميع الجماعات كانوا جميعا تحت طائلة الحظر وإلقاء القبض عليهم من قبل الحكومة ، وفى الوقت الذى كان فيه الكثيرون من نشطاء فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى من المشهورين ومن المهنيين فى الطبقة المتوسطة ، نجد أن الأعضاء العاملين فى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كانوا حسنى الحظ ، أناسا سودا عاديين من البلدان بل ومن القرى وقلَّ أن يكونوا معروفين خارج طوائفهم ، وبدأ هؤلاء المناضلون فى تنظيم

حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** الأفريقى من أجل النضال المسلح الذى كان بمثابة المرحلة التالية فى اتجاه عام الحرية ، أى العام ١٩٦٣

وقام حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** بأرسال مجموعة منتقاة إلى الخارج وبخاصة إلى غانا والجمهورية العربية المتحدة ، وتنجانيقا (تانزانيا الآن) من أجل تلقى تدريب عسكرى وإنشاء بعثات للحزب ، وفعل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الشىء نفسه برغم أن إستراتيجيته كانت تختلف إلى حد بعيد عن إستراتيجية حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** ، ولايمكن القطع حتى اليوم باحتمال أن قادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كانوا واثقين من الاستيلاء على السلطة من خلال الكفاح المسلح فى جنوبى أفريقيا ، وهم لايقولون الكثير فى هذا الصدد غير أن الجزء الأكبر من دعايتهم يستهدف الفكر الليبرالى فى الغرب ، ويؤكد على عمل الأمم المتحدة ، والمقاطعة والحجر السياسى على دولة الأبارتهيد كدولة طريدة العدالة فى كل أنحاء العالم ، وقد أصابت مثل هذه الإجراءات نجاحًا قليلاً : ففى أوربا فشلت مقاطعة فاكهة جنوب أفريقيا فشلاً ذريعًا بالصورة التى كان يتوقعها مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** ، كما أن التشكيل العسكرى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى والغارات المتفرقة فى روديسيا تبدو فى مجموعها جزءًا من برنامج لاستعراض القوة التى تهدف إلى إقناع الأعداء بالتفاوض من أجل (تنازلات)، ومن سوء الطالع أن العدو قوّى من قواته العسكرية ، ولم يدخل – برغم ذلك – فى أية محادثات مع تحالف المؤتمر الذى كان يبتغى إلى ذلك الوسيلة .

ومن ناحية أخرى ، يبدو أنه كانت لدى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** رؤية فوضوية نقابية عن الانتفاضة الجماهيرية العامة فى كل أنحاء البلاد ، التى قام بقيادتها عدد صغير من الكوادر ، وكانت ترمى إلى أصابة الدولة الصناعية بالشلل ، ثم اكتساح الحكومة العاجزة بعد ذلك ، هذه الرؤية المحيرة لايمكن اعتبارها فى إطار فعالية الانتفاضة ، أمرًا فريدًا أو مقصورًا على جنوب أفريقيا وحده ، وبعد ذلك بوقت طويل ، تأثر المؤلف تأثرًا كبيرًا ، بالمقابلات الميدانية التى أجراها مع المقاتلين

من أجل الحرية فى زمبابوى وفى تانزانيا وزامبيا فى العام ١٩٦٦، وبثقة أولئك المقاتلين التى تقوم على أن قتل الانتفاضة الجماهيرية العامة المنظمة يمكن أن تؤدى إلى إسقاط الحكومة البيضاء الطاغية ، هذا برغم أن كلمة انتفاضة تكاد تكون كلمة كبيرة جدا فى وصف ذلك العمل السلمى بالضرورة الذى كان يتخيله أولئك المقاتلون ، وربما زاد على ذلك الاقتناع بفعل تراث اتحاد عمال التجارة والصناعة الذى أنشأه كادالاى والذى يؤمن أيضا إيمانا قويا [١١٩] بالإضراب العام ، كما زاد ذلك الاقتناع أيضا كل من الكنائس الأثيوبية والكنائس الصهيونية من خلال رؤيتها للتاريخ فى ضوء سفر العهد الجديد .

وتجئ نهاية العام ١٩٦٢ بمثابة بداية العنف ، أى أنها كانت نوعا من التجهيز والاستعداد للانتفاضة الكبرى ، فقد قامت مجموعة من الأفارقة كانت فى الماضى تتميز بالهدوء وعدم العنف بصورة عامة ، بل طوال عدم التزامها بالقانون فى اشتباكها مع الأوربيين ، قامت بطرح بعض الأفراد الأوربيين أرضا بقسوة فى عدد من الضواحى . وبدأت تلك الهجمات فى ليلة الحادى والعشرين من شهر نوفمبر من العام ١٩٦٢ ، عندما قامت مجموعة من السود بالهجوم على مركز للشرطة فى مدينة بارل وكان الهدف الواضح من الهجوم هو قتل رجال الشرطة والاستيلاء على أسلحتهم ، غير أنه أمكن إحباط ذلك الهجوم عن طريق تدعيم قوات الشرطة ، ولذلك صبت المجموعة جام غضبها على السكان البيض فى المناطق المجاورة لمركز الشرطة ، وقتل الأفارقة الغاضبون المسلحون بالمناجل ، والسكاكين التى تشبه المدى ، اثنين من البيض وجرحوا آخرين كثيرين ، وقتلت الشرطة خمسة منهم كما ألقى القبض على المئات منهم

أما العنف « على طريقة فانون » ، الذى وجدت فيه الجماهير المغلوبة على أمرها نوعا من التطهير عندما تقوم بقتل أعدائها فقد استمر إلى العام ١٩٦٣ ، وفى يوم ٢ من فبراير قامت جماعة تضم خمسين من الأفارقة بالهجوم على معسكر على الطريق بالقرب من جسر نهر باش فى ترانسكى وقتلت خمسة من الأوربيين ، وفى ٨ فبراير قتل أحد رجال الأعمال البيض فى لانجا، كما وقعت هجمات أخرى فى كل من

كوينزتون ، وقاماطا ، وكروجرز دورب ، واتضح أخيرا أن برميل البارود في جنوب أفريقيا قد بدأ في الانفجار .

وفي الوقت الذي كان فيه العنف تلقائيا ، والهدف الوحيد من ورائه هو زيادة الرعب بين الأقلية البيضاء التي امتازت جميعها آنئذ بالقوة : كان يجرى تشجيع العنف بطريقة مكشوفة وواضحة ، برغم أنه جرت بعد ذلك السيطرة على ذلك العنف واحتوائه ، ولكن بصورة محدودة ، من قبل حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC الأفريقي ، وقام بى.كى.ليبالو «السكرتير الوطني» لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بتوجيه النضال المسلح في البداية بالقدر الذي تسمح به إمكاناته .وكان ليبالو ، الذي ولد في العام ١٩٢٥ داخل حدود باسوتولاند (ليسوتو الآن) قد تلقى تعليمه في لافدال ، كما خدم خلال الحرب العالمية الثانية في الجيش ، وأوفد إلى شمال أفريقيا الذي سرعان ما أشتهر فيه بسوء سمعته كأسود مثير للمتاعب ، وبعد إخلاء سبيله من القوات ، عاد إلى المدرسة ، وتلقى تعليمه بعد ذلك في كل من ليدى براند، وبريتوريا ، ونظرا لأنه كان عضواً مؤسساً في المجموعة المنادية بالوحدة الأفريقية في « رابطة الشباب» ، فقد شارك بصورة فعالة في العام ١٩٥٢ في حملة التحدى وطرد من المدرسة نتيجة لذلك ، وبعد أن طرد (أو استقال) على حد زعمه من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في العام ١٩٥٨، استطاع أن يجعل القوات التابعة لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي في مقر حزب المؤتمر في الترنسفال تلتف حوله ضد أنصار الميثاق وجرى انتخابه سكرتيرا وطنيا في المؤتمر الأفتتاحي لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، وكان هو بنفسه منذ العام ١٩٦٣ الذي يقوم بقيادة المجموعة في غياب سوبوكوى ، وكما رأينا فقد ألقى القبض على سوبوكوى في ٢١ من مارس ، واستوطن ليبالو – الذي كان قد سجن ولكن أطلق سراحه – باسوتولاند – إذ كانت لاتزال تحت الحكم البريطاني – وتولى السيطرة على الحركة السرية التابعة لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC من مركز الرياسة في ماسيرو ، كما بدأ في إعداد الجماهير للانتقاضة

وكان مفروضا أيضا أن يطلق سراح سوبوكوى فى اليوم الثالث من شهر مايو ، بعد أن انقضت عقوبته بسبب خروجه على قوانين المرور ، غير أن الحكومة أصدرت قانونا خاصا فى اليوم الأول من مايو يسمح باحتجاز المسجونين السياسيين إلى أجل غير مسمى ، ويعرف الآن ذلك الإجراء القمعى باسم "قانون سوبوكوى" ولايزال يعمل بها فى جنوبى أفريقيا ، برغم أن حكومة جنوب أفريقيا بعد سبع سنوات قضاها سوبوكوى فى سجنه الانفرادى فى جزيرة روبين ألمحت ، حتى يتسنى لها ترضية الرأى العام العالمى ، بأنها قامت بنقل سوبوكوى إلى كمبرلى وهى مدينة تقع على مسافة ٣٠٠ ميل من موطنه فى جوهانسبرج ، وحددت حكومة جنوب أفريقيا إقامة سوبوكوى فى أحد المنازل فى تلك المدينة ، ونظرا لأن سوبوكوى كان يعيش فى منزل اختارته له الحكومة ، فقد كان يخضع لمراقبة شديدة من قبل الشرطة ولما كان سوبوكوى مدرسا سابقا فى الجامعة ، بل إنه استطاع مواصلة دراسته أثناء سجنه فى جزيرة روبين ، فقد حرمت عليه الحكومة عندئذ دخول أية جامعة ، أو كلية أو مدرسة أو أى معهد تعليمى آخر ، كما حرم أيضا من نشر ما يكتبه أو حتى مجرد مساعدته على النشر ، كما حرم عليه حضور الاجتماعات السياسية أو الاجتماعية ، زد على ذلك أنهم حرّموا عليه الاتصال بأى شخص من الأشخاص المحرومين من الحقوق السياسية الواردة أسماؤهم ضمن قائمة الحكومة الطويلة التى أعدتها فى هذا الصدد ، كما رفضت الحكومة – فى أوائل العام ١٩٧٠ – السماح له بمغادرة جنوب أفريقيا كى يعين فى إحدى الوظائف التعليمية فى جامعة ويسكونس بالولايات المتحدة الأمريكية ، وورد فى أحد التقارير أن صحته ساءت غير أنه بدا واضحا أن الحكومة البيضاء كانت ماتزال تخافه وتخشاه .

وأطلق «اسم بوكو» على العصابات الغاضبة التى راحت تهاجم البيض و استنادا إلى ليبالو كما هو وارد فى تقرير لأحد مسئولى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية **PAC** فإن الاعتقاد بأن العصابات كانت تشكل جزءً من تنظيم مستقل تماما اعتقاد زائف ولا أساس له من الصحة ، كما أن كلمة «بوكو» تعد جزءً من شعار حزب مؤتمر

الوحدة الأفريقية PAC الذى يقول (أوما أفريكا بوكو)التى معناها بلغة القوم (وطنى أفريقى صرف)، زد على ذلك أن كلمة بوكو نفسها استخدمها فرع إقليم غرب الكيب التابع لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كاسم كودى فى العام ١٩٦٠ (١٢٠) وقدمت لجنة التحقيق الحكومية التى تشكلت للتحقيق فى مظاهرات بارل تفسيرا مفاده أن كلمة بوكو إنما هى اسم آخر لكلمة مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC أى أنها عبارة عن الأحرف الأولى من مصطلح حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، ولم يؤكد ليبالو ذلك فحسب ، بل إنه كشف مرارا فى المؤتمرات الصحفية عن قدوم انتفاضة جماهيرية ، زعم أنها ستكون تحت قيادة ١٥٠,٠٠٠ من المناضلين السريين التابعين لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى كل أنحاء جنوب أفريقيا والذين كانوا ينتظرون على مضض إشارة البداية من ماسيرو ، وانتقد ليبالو بعد ذلك انتقادا لاذعا لإدلائه بتلك التصريحات ، التى قال عنها بعض رجال حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC: إنها كانت غير لازمة تماما فى تلك الظروف ، ومع ذلك فإن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC حصل فى ذلك الوقت بالضبط على أول عضو أبيض فيه ، وهو باتريك دينكان ، صاحب النشاط الليبرالى من قبل ، ونجل المحافظ العام السابق لجنوب أفريقيا ، وبعد أن أعلن دينكان تخليه عن كل أمل فى التغيير فى جنوب أفريقيا عن طريق الوسائل السلمية ، كان عليه أن يعمل منكرا نفسه من أجل المجموعة ، حتى وفاته فى العام ١٩٦٧- نيابة عن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى التنظيم والإعلان عن موقف الحزب فى الخارج .

وكان أعضاء حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC قد بدءوا يغادرون جنوب أفريقيا فى هدوء منذ العام ١٩٦١، برغم أنهم لم يفعلوا ذلك بأعداد كبيرة مثل أعضاء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، الذين صمموا من كل قلوبهم على تكوين تنظيم لهم فى المنفى علاوة على ذلك كان رجال حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى العادة يستقرون فور انتهاء مهمتهم أو اكتمال تدريبهم فى الخارج بحيث يكونوا قريبين ما أمكن من حدود جنوب أفريقيا ، انتظارا لنداء العودة، وقام حزب المؤتمر بحشد قواته ، داخل المنطقة الجبلية فى

باسوتولاند (ليسوتو الآن) والتى نجحت فى مكافحة الغضب الشديد الذى ترتب على توسع البوير فى القرن التاسع عشر ، وربما يكون من حسن الحظ أن مولد ليبالوكان داخل تلك المملكة الصغيرة الوعرة ، إضافة إلى نمو الروابط الوثيقة بين زعماء حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC من ناحية وبين الزعماء الذين كانوا يدورون فى فلك حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC من الناحية الأخرى ، ولكنهم كانوا على الدرجة نفسها من الوطنية ، وكان بينهم نستوموخيخلى الذى كان من أنصار حزب المؤتمر فى باسوتولاند، وكان موخيخلى مصابا بلعنة تحالف المؤتمر نظرا لأن الأخير بدد مبالغ كبيرة فى إنشاء حزب الحرية فى (ماريماتلو) كى يتمكن من معارضة حزب مؤتمر باسوتو ، ومهما يكن الأمر فإن قمة العبثية حدثت عندما جرى إنشاء حزب شيوعى صغير جدا فى ليسوتو تسانده موسكو ، برياسة جوماتيثوز ذلك الرجل شديد البأس بحيث يتبع ذلك الحزب كلا من الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا ، وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، زد على ذلك ، أن جوماتيثور هو نجل البروفيسور كى ماتتيوز الذى كان قد أصدر ذلك النداء المشئوم بإنشاء كلا من ميثاق الحرية وحزب المؤتمر الشعبى. وعلى أى حال وبرغم بقاء مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى باسوتولاند منفصلا تماما عن مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC الذى كان مركز رئاسته فى المنفى فى (ماسيرو) لم يكن هناك شك مطلقا فى تعاطف أعضاء ذلك الحزب الشيوعى الصغير مع زملائهم الأفارقة ضد نظام الحكم فى بريتوريا .

كان الرؤساء الإقليميون وغيرهم من الموظفين – داخل جنوب افريقيا – يقومون بعملية التنظيم فى الخفاء ، انتظارا ليوم الانتفاضة ، أما ليبالو فكان يقوم بالتنسيق بين جمهور هؤلاء الرؤساء الإقليميين كما كان يقوم أيضا بدور رئيس مجلس الرياسة وذلك فى غياب سوبوكوى ، وعند ذلك الحد طلبت حكومة جنوبى أفريقيا التى كانت منتبهة تماما لما يجرى من نشاط وراء الحدود ، طلبت من الحكومة البريطانية اتخاذ إجراء من جانبها فى الأراضى التى تقع تحت الحكم البريطانى ، وفى إبريل من العام ١٩٦٣ قامت الشرطة البريطانية بمساعدة رجال من شرطة جنوب أفريقيا كانوا يرتدون الملابس المدنية ، بالإغارة على مركز رئاسة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، وألقت القبض على ثلاثة عشر من أعضاء الحزب وتم الاستيلاء على جميع الوثائق ، واستطاع ليبالو أن يهرب بفضل سعة حيلته ودهائه .ومهما كان الأمر – وبعد تركيز الضغط على الحكومة البريطانية وسحب التسويغ بإلقاء القبض عليه فى سبتمبر من العام ١٩٦٤ – استطاع ليبالو أن يصل إلى تانزانيا ؛ حيث توجد بعثة خارجية تابعة لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . وفى الوقت ذاته جرى تطويق الآلاف من المقاتلين الأفارقة الذين حامت حولهم الشبهات فى جنوبى أفريقيا فى محاولة لسحق

أى جهـــود ترمـــى إلى انتفاضـة عامـة ، ومما لاشـك فيـه أن الأشيـاء التى جرى الاستيلاء عليها فى ماسيرو ساعدت فى إلقاء القبض على أفراد الشعب بالجملة ، غير أن كمية المعلومات التى عثر عليها فى مكتب باسوتلاند التابع لحزب مؤتمر الوحدة الأفـريقـيـة PAC كان قد بالغ فيـها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وكذلك المعارضين لليبالو الذين وبخوه فى مناسبات متكررة هو وحزب مؤتمر الوحدة الأفـريقـيـة PAC بصورة عامة على عدم استشعار المسئولية .

ومهما كان الأمر ، فإن غارة شهر مارس من العام ١٩٦٣ على باسوتولاند لم تؤد إلى قمع كل أنشطة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC هناك ، واستمر مركز القيادة يعمل ببساطة وبطريقـة سرية ، وأخذ ينقل نشاطاته إلى مناطق أكثر بعدا فى تلك البلاد الوعرة ، وأنشئ مجلس رياسى لتصريف أمور اللجنة التنفيذية الوطنية ، ولجنة العمل الوطنية ، وأيا كان الأمر واعتبارا من الغارة التى قامت بها الشرطة ، بدأت اللجنة الخارجية الرئيسة للحزب فى دار السلام تمارس فى واقع الأمر ، أعلى سلطات حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . زد على ذلك ، أن وجود ليبالو فى تانزانيا أو فى زامبيا المجاورة لها زاد من سلطة تلك القرارات ، التى كان لها قوة التوصيات عندما جرى إرسالها سرا إلى باسوتولاند كى يجرى إرسالها سراً أيضا إلى داخل جنوبى أفريقيا .واستطاع المبعوثون ، حملة تلك القرارات ، أن ينجحوا فى الدخول إلى جمهورية جنوبى أفريقيا ، برغم الرقابة المفروضة من قبل كل من الفرع الخاص والمخابرات العسكرية .

ونستطيع على ضوء تلك الخلفية التاريخية أن نفهم ذلك القرار المسعور الذى اتخذه الرئيس ليبواجوناثان بمساندة من بريتوريا ، للوصول إلى السلطة عن طريق انقلاب فى اليوم السابع والعشرين من شهر يناير من العام ١٩٧٠ بدلا من تسليمه بالانتصار الديمقراطى الذى أصابه حزب المؤتمر فى باسوتولاند فى الانتخابات العامة وأسفر ذلك الإجراء عن إثارة العنف فى ليسوتو ذاتها التى كانت مستقلة استقلالا اسميا ، غير أن الإجراءات الشرطية لسحق المعاقل الجبلية لكل من حزب المـــؤتمـــر الأفريقى وحزب مؤتمر باسوتولاند كانت أبعد من أن تكون حاكمة وجرى استدراج حزب المؤتمر فى باسوتولاند للدخول فى تحالف مع أقلية ليبواجوناثان فى الحزب الوطنى والنص قانونا على طرد المنفيين من حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC مـــن البلاد أو إجبارهم على وقف نشاطهم السياسى .

وعلى أى حال ، فإنه اعتبارا من العام ١٩٦٣ فصاعداً لم يكن هناك أية إمكانية للقول باستيلاء الافارقة فجاة على السلطة، بصورة سحرية تقريبا ، عن طريق انتفاضة جماهيرية .وعن طريق التردد والاستقالة ، تحولت قيادة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية

PAC إلى مفهوم النضال طويل الأمد الذى نجح فى ابتكاره الحزب الشيوعى الصينى طوال خمسة وعشرين عاما من الكفاح الثورى.

واستمرت مراكز مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC السبعة عشر فى جنوب أفريقيا تواصل عملها برغم أن ذلك كان يتم بصعوبة بالغة ، وجرى تنظيم النشاط الحقيقى حول الخلايا التى كانت داخل إطار الفروع ، وأصبح كل فرع من الفروع يضم بحد أدنى خمسة عشر عضوا ، الأمر الذى يؤكد الأبعاد المختصرة للحركة التى كانت جماهيرية فى يوم من الأيام ، واستنادا إلى الإقليم كانت الخلايا الفردية تتسع لعدد يتردد بين ١٠ و ١٢ عضوا ، والواقع أن العدد كان أقل من ذلك بكثير ، وكانت تلك الخلايا الفردية تعمل طبقا لنظام تأسس على نظام الخلايا العنقودية ، وذلك مراعاة لأغراض الأمن ، وحتى لايعرف أعضاء إحدى الخلايا شخصية وأعضاء الخلايا الأخرى .

وبوسعنا قياس مدى تركيز جهود حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بصورة أفضل وذلك عن طريق عد أعضائه الذين اعتقلتهم الشرطة ، إذ ورد فى أحد التقارير أن عدد مقاتلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى سجون جنوب أفريقيا كان يزيد على ١٣٠٠٠ الف مقاتل فى العام ١٩٧٠ ، وجرى أيضا إعدام ٩٧ عضوا من المقاتلين من أجل الحرية شنقا بسبب معارضتهم لحكومة التمييز العنصرى [١٢١] .

اشتهرت حركات المنفى على مر التاريخ بالتمرد والانقسام الداخلى ، والمعروف أن نقص الاعتمادات المالية واللامبالاة بل وكذلك التنافر والعداء بين من هم فى الخارج - بما فى ذلك مضيفيهم فى بعض الأحيان فضلا عن الانعزال المتزايد عن الجماهير ، وحقائق الكفاح فى الوطن - كلها من الأمور التى تشجع أشكال الصراع الذاتى ، وضياع الروح المعنوية وتفتت حركة المنفى بصورة متزايدة ، ولم يثبت أن كانت إحدى حركات التحرر فى جنوب أفريقيا استثناء من تلك القاعدة ، ومهما كان الأمر فإن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC استطاع أن يحفظ لنفسه اتصالا أوثق مع حقائق الموقف القائم فى الوطن ، و ذلك من خلال مركز قيادة الحزب فى ماسيرو ، تلك القيادة التى كانت مستورة و مختفية تماما فى وسط أفريقيا ، وقد نتج ضعف الروح المعنوية وفقدان الثقة عن الفشل فى تحقيق الوعد الكبير فى العام ١٩٦٣ من ناحية ، وعن أسباب أقوى من ناحية ثانية ، و جاء ذلك الضعف أشد خطراً وإيلاما ؛ بل إن البعض أخذتهم الدهشة أن يحققوا أو يفعلوا شيئا ، يعارضون به نظام الحكم فى جنوبى أفريقيا ، وهم على قيد الحياة . وبدت لهم دراستهم وعمالتهم ، فى أجزاء مختلفة من

العالم أقل اهتزازا بل وأكثر ثباتا ورسوخا ، و المدهش أن الأيديولوجية لعبت – على السطح فى أضعف الأحوال – دورا أقل أهمية من دور الصراع بين الشخصيات ومن الاتهامات المضادة بالفساد الشخصى وانتهاك دستور السلوك الثورى ، وجاء إملاق الحركة بمثابة الحافز الأكبر الذى أدى إلى تلك المنازعات وبخاصة المنازعات التى كانت تثار فى بعض الأحيان حول مبالغ تافهة من النقود ، وأشكال المحاباة الوافدة من الخارج ، ولم يؤكد أولئك المقاتلون اقتناعهم بعدالة قضيتهم وأنهم قادرون على تحقيق النصر ، والسبب فى ذلك أن الفقراء من الرجال تحت أى لواء ، يمكن دوما إقناعهم والسيطرة عليهم .

ومن الأمور التى تدعو إلى السخرية تماما ، أن تلك المنازعات أدت – فى مرحلة ما – إلى نمو حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC وزيادته بدلا من تدهوره ، وبدأ تزايد ابتعاد حزب المؤتمر الشعبى للملونين الذى كان جزءًا من تحالف المؤتمر عن الطريق المرسوم ، و السبب فى ذلك أن رئيس ذلك الحزب **بارنى ديساى** ، وجه نداءات عنيفة تدعو للقيام بعمل ثورى ، ونتيجة للمفاوضات التى جرت فى لندن والاتصالات السرية بالزعماء فى مركز القيادة فى ماسيرو ومدينة الكيب ، قام حزب المؤتمر الشعبى للملونين بحل نفسه وانضم أعضاؤه إلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . وصدر فى لندن فى شهر مارس من العام ١٩٦٦ بيان يعلن ذلك التحرك ، بعد المفاوضات التى أجراها ماتثيو نيكوانا الذى كان عندئذ ممثلا لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . ونظرا للخلاف المستمر بين كل من نيكوانا و ليبالو ، و الذى أشار إليه نيكوانا بعد ذلك فى مطبوعاته على أنه المارد شديد البأس [١٢٢] كان من الطبيعى أن يجعل ذلك ليبالو يرتاب ارتيابا كبيرا فى انضمام الزعماء السابقين فى حزب المؤتمر الشعبى للملونين إلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . كما جرى إعطاء ثلاثة من أولئك الزعماء – وهم بارنى ديساى : و كاردف مارنى ، وكينيث جوردان – مقاعد فى اللجنة التنفيذية الوطنية لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، غير أنه بدلا من إضافة أسمائهم إلى أسماء أعداء ليبالو الذين جرى حصارهم و احتواؤهم ، قام أعضاء حزب المؤتمر الشعبى للملونين بمساندة ليبالو فترة من الوقت ، بل إن ذلك حدث على مرأى ومسمع من نيكوانا راعيهم الأصلى .

وواقع الأمر أن انضمام حزب المؤتمر الشعبى للملونين إلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كانت له أهمية طفيفة ، إذ لم يكن أولئك الأعضاء هم أول الملونين الذين انضموا إلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، ومع ذلك فإن مركز القيادة فى ماسيرو عندما وافق على انضمام هؤلاء الأعضاء إلى الحزب ، إنما كان يؤكد من

جديد باسم جماهير التنظيم السرى للحزب على المبدأ الذى نادى به سوبوكوى عند إنشاء الحزب : **أى من الضرورى أن نضع فى اعتبارنا أن الملونين هم أفارقة فى الأصل** ، ومن سوء الطالع أن كثيرين من الملونين كان لديهم اعتقاد راسخ بأنهم أفضل من السود بسبب وضعهم شبه الممتاز - رغم خطورته - ضمن إطار الفوضى العنصرية فى جنوبى أفريقيا ، زد على ذلك أن الكثيرين حتى من الراديكاليين التروتسكيين بين أولئك السود لم يستطيعوا قط التغلب على ذلك الموقف ، وسرعان ما اتضح أن اثنين على الأقل من هؤلاء الراديكاليين فى حزب المؤتمر الأفريقى كانا يؤمنان إلى حد كبير بحكمتهما السامية التى مفادها : أنهما أمكنهما أن يتصورا حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC على أنه هيئه سوداء لها رئيس ملون ، ودون لجوء إلى العنصرية أو اغتيال الشخصيات ، ردّ ليبالو ورفاقه فى العام ١٩٦٩ رداً مفحما وحاسما على تلك المزايدة ، ومع ذلك لم يكن دخول حزب المؤتمر الشعبى للملونين خال من القيم الأخلاقية بالنسبة للحزب ، زد على ذلك أن الكثيرين من الأفارقة الثوريين الملونين المخلصين فى جنوبى أفريقيا ظلوا يتطلعون إلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC.

وفى العام ١٩٦٩ ، برزت بصورة مؤكدة المساندة الفعالة من قبل الملونين لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC عندما ألقى القبض على إمام عبد الله هارون فى مركز الشرطة فى مدينة الكيب ، ثم وفاته هناك فى ظروف غامضة ، إذ كان قد تم احتجاز إمام هارون فى شهر مايو بعد ادعاء من الشرطة مفاده أن إمام هارون كان يقوم بتجنيد الحجاج المسلمين الذاهبين إلى مكة لتدريبهم فى الصين كى يكونوا عصابات لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC . كما كان هناك زعم مفاده أن إمام كان مقاتلا نشيطا من مقاتلى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC، وأنه كان يشكل وحدة إرهابية داخل جنوب أفريقيا ، ومات إمام فى شهر سبتمبر قبل تقديمه للمحاكمة وزعمت الشرطة أنه سقط من بعض درجات السلم ، وكشف تشريح الجثة عن ٢٦ كسرا فى جسده ونزيف فى الظهر وكسر الضلع السابع الأيمن ، غير أنه لم يكن هناك أى أثر على أرداف رجل زعموا أنه سقط من بعض درجات السلم . وادعى ناطقون باسم حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC أن إمام مات بسبب التعذيب [١٢٣].

وبعد اندماج حزب المؤتمر الشعبى للملونين فى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC أضطر حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، مرة أخرى إلى القيام بمبادأة مماثلة للمبادأة التى قام بها حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، وجرى تعيين رج سبتمبر السكرتير السابق لحزب المؤتمر الشعبى للملونين مسئولا لشئون الملونين فى المكتب التابع لحزب المؤتمر الأفريقى فى لندن ، وعلى كل حال ، فإن سبتمبر لم يكن عضوا فى

حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى نظرا لأن الأفارقة الذين هم أكثر وطنية احتجوا بأن تحالف المؤتمر إنما كان فقط داخل جنوب أفريقيا ، غير أن احتجاجاتهم لم تكن موجهة أصلا ضد البيض فى جنوب أفريقيا وبخاصة زعماء الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا الذين ظنوا أن مصيرهم يتمثل فى قيادة الجماهير السوداء ، وفى النهاية – كما رأينا – نجد أن التحالف قد أعيد تأكيده وتوسعته فى الخارج ؛ بل إن سبتمبر أصبح مندوبا رسميا لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى لندن .

وفيما يتعلق بحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، فإن الصراع الداخلى الشديد ، تمخض عن خلق " قيادة ثورية " من حول ليبالو وإعادة دراسة إستراتيجية المنظمة ، وأعقبت إعادة التنظيم تلك فى العام ١٩٦٧ مزايدة كبيرة ، من قبل كل من أمين الصندوق إيه . بى . نجكوبو A . B Ngcobo، ويطرس رويوروكو أمين التعليم فى الحزب ، أدت فى النهاية إلى التخلص من هذين الرجلين وإبعادهما عن زعامة الحزب ، ونظرا لنشوب النزاع بين الأطراف المتعارضة ، جرى إغلاق مكتب مؤتمر الوحدة الأفريقية مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى شارع ماكويبو بالقرب من مكتب البرق ، فى دار السلام ، واستطاع جورج ماجومبى المسئول التنفيذى فى لجنة التحرير أن يستعيد على وجه السرعة الهدوء الخارجى ، وعقد اجتماعا للجنة مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC التنفيذية فى مدينة موشى فى الفترة من ١٩ إلى ٢٢ من سبتمبر، وأكد ذلك الاجتماع المهم من جديد على زعامة ليبالو ، كما قام رشيدى كواوا النائب الثانى للرئيس التنزانى باستقبال ليبالو شخصيا .

واستنادا إلى البيان الذى أصدره ليبالو عقب اجتماع موشى نجد أن الاجتماع تميز **بنقاش قاس وصريح ونقد ذاتى صارم** ، ولكنه صحى كما نوه ليبالو فى حديثه الرئيسى فى الاجتماع ، عن نقل مركز القيادة الخارجى لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC من تانزانيا إلى زامبيا ، وكذلك اثنى على حكومة زامبيا لحفاظها على التضامن الأفريقى الحقيقى(١٢٤) ، ولم يكن الانتقال إلى لوساكا – الذى قدر له ألا يعيش طويلا – أمرا مثاليا ؛ لأن زعامة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كانت تتطلع إلى استعمال زامبيا كنقطة وثوب للعمل مباشرة ضد جنوب أفريقيا .

ولخص ليبالو فى خطابه فى موشى ، خطة عمله ، فقد تبددت الأحلام الحلوة بانتفاضة عامة ونصر سريع للأفارقة المغلوبين على أمرهم ، وأعلن ليبالو عندئذ أن **الجماهير مستعدة لحرب ثورية طويلة** (١٢٥).

ولما كانت تلك الرسالة الثورية بمثابة الموجز الرسمى الكامل لاستراتيجية حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، فإنها تعد من الأمور الجديرة بالدراسة بصورة

مفصلة ، ويؤكد ليبالو منذ البداية ضرورة الكفاح القائم على العنف وذلك من أجل إحداث تغيير اجتماعى فى جنوب أفريقيا ، وبرغم التيقن من استحالة قيام ثورة فى جنوب أفريقيا المسلح تسليحا جيدا والمصنع تصنيعا جيدا أيضا إلا أننا نجد ليبالو ينكر تلك الحقيقة قائلا : إن موقفنا أضعف من ذلك ألف مرة ، إننا على العكس ، مقتنعون أن من واجبنا إحداث ثورة ، بمعنى أن نثابر فى جهودنا من أجل إطلاق شرارة الروح الشاملة للثورة التى تغلى تحت السطح ، كما يثنى فى خطابه أيضا على التجربة الثورية لكل من الصين وكوبا والمثل الرائع الذى تضربه فيتنام للشعوب الاستعمارية والشعوب التى كانت شعوبا إمبريالية من قبل وكذلك الشعوب أيضا التى تكافح من أجل طرد الغزاة من بلادها ، على حين يقول الليبراليون و المصلحون :

"ولكن أراضى جنوبى أفريقيا غير مناسبة لحرب العصابات : فأين جبالكم وغاباتكم ؟ إننا فى الحقيقة نكشف أسرارنا عندما نقول : إن أحفاد البوير الذين خاضوا حرب عصابات ضد الاستعمار البريطانى عند نهاية القرن ، ووضعوهم فى موقف حرج أجبروا فيه على الدفاع عن أنفسهم باستماتة مدة ثلاث سنوات لم يضعوا فى حسبانهم ذلك الافتراض حتى لا يحبطوا المراحل الأولى للقتال الشعبى المسلح .

إن المطلب الأساسى لحرب العصابات لا يتمثل فى تضاريس الأرض أو الأسلحة وإنما فى التكامل بين قوات العصابات وبين معاناة الجماهير .

" إن الجبال والغابات تساعد العصابات ، وهى فى ذاتها لا تصبح مطلباً لا يمكن للكفاح المسلح أن يستغنى عنه ، وحتى إن كان الأمر كذلك ، فإن معرفة أوليه بالجغرافيا الطبيعية لأزانيا (جنوب إفريقيا) تكشف عن وجود سلاسل جبلية مترامية الأطراف ، وإذا ما قدرنا تلك السلاسل الجبلية تقديرا مرتجلا نجد إنها تشتمل على منطقة أساسية مساحتها حوالى ٢٧٠٠ ميل تقريبا ، كما أن هناك غابات كبيرة وأحراش كثيفة .

ويستطرد ليبالو قائلا : ونظرا لأن جنوب أفريقيا يمتاز بالصناعة فإنه فى الحقيقة يعد أكثر تعرضا وانكشافا ويجب ألا يحدث أى لبس فى الحقيقة التى مؤداها أنه ليس هناك اقتصاد صناعى يمكن أن يتحمل حربا أهلية طويلة دون أن ينهار ، زد على ذلك أن الصناعة والزراعة وكذلك القوة المكشوفة إلى حد كبير فى جنوب أفريقيا ، وكذلك شبكة المواصلات ، كلها تقع فى نطاق عمل الثوار السود .

ويصر ليبالو ، على العكس من خبراء إستراتيجية حرب العصابات الكلاسيكيين، على مواصلة الكفاح المسلح فى المدن وأيضا فى الريف ، كما يعلن أيضا أنه يتحتم الاتفاق مع الأزانيين الذين يقيمون فى مدن استراتيجية إتفاقا تاما حتى تتمكن العصابات من ممارسة أعمالها فى المراحل الأولى من الثورة ، وبذلك تفتح الثورة جبهة ثانية فى المدن .

ويدرك حزب مؤتمر الوحدة الوطنية PAC أن وجهة النظر هذه لا تتمشى مع آراء بعض خبراء استراتيجية حرب العصابات البارزين الذين نكن لهم أكبر احترام وإعجاب ، ومما لا شك فيه أن الحزب لا يقصد غير قادة الحرب الثورية الصينية الطويلة ، و كذلك ماوتسى تونج نفسه ، ويسوق ليبالو فى جرأة حججا مؤداها أن قوات النضال السوداء تحتاج إلى مساعدة الجماهير فى الحضر ، هذه الجماهير يتحتم عليها أن تفتح جبهة ثانية فى المدن " لتكبيل العدو فى المدن منذ البداية ؛ ويصرح ليبالو ، بأن الإضراب العام يعد شكلا واحدا من بين أشكال العمل الحضرى، كما يعد الإضراب العام سلاحا سياسيا تقليديا عظيما استخدم عشية الإطاحة بالطغيان الأبيض ، كما يدخل فى نفس الإطار أيضا القضاء على الخونة والجواسيس المعروفين و تصفيتهم من بين السكان الأفارقة وتنظيم نقابات العمال Trade Unions غير شرعية لها أجنحة عسكرية للقيام بالعمل العسكرى والصناعى .

كما يعلن ليبالو أيضا أن المدن والبلدان يجب أن تنتمى إلى الجماهير السوداء أثناء الليل ؛ الجماهير التى ستقوم بإزعاج العدو الأبيض بالقنابل ، ونيران القناصة بنفس الأسلوب الذى انتهجته كثير من الطوائف الأفرو- أمريكية فى ظروف مشابهة . ويثنى ليبالو على روبرت إف . و ليامز – ذلك الزعيم الأمريكى الثورى الأسود الذى كان يعيش آنئذ فى الصين فضلا عن أن ذلك الزعيم – هو الذى رسم للعنف والتدمير رؤية تبشيرية فى المراكز الحضرية فى الولايات المتحدة الأمريكية – ويسوق ليبالو حججا على أن الأشكال المختلفة لتمرد السود فى المدن الأمريكية سوف تثبت للجماهير فى مدن جنوبى أفريقيا القوة الكامنة لدى تلك الجماهير والتى تثير الرعب وتنشر الدمار والاضمحلال المعنوى كما تهزم السيادة البيضاء .

ويستخدم ليبالو أسلوب ما وتسى تونج فى التمييز بين العدو والصديق ، ليفتح باب التعاون أمام كل هؤلاء الذين سيعارضون بأعمالهم دولة الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا ، و يدخل فى ذلك أيضا الليبرالى الأبيض الذى ، عبر عن استيائه من وحشية نظام الابارتهيد ، والذى أعلن عن اشتراكه الكامل قولا وفعلا مع آمال شعبنا ويردف ليبالو قائلا

" لم يعد هناك مجال للأجانب الذين يصرون على فرض قيمهم علينا في محاولة منهم لتحويل مسار ثورتنا ، إن الليبرالي الأبيض ينضم إلى كفاحنا بشروطنا ومتقبلا لقيمنا " .

وثمة سبب من أسباب الشقاق الذى أدى إلى اجتماع موشى كان يتمثل في موقف حزب مؤتمر الوحدة الوطنية PAC من إمكانية تدخل الأمم المتحدة في جنوبى أفريقيا ، وكان روبوروكو ونجكوبو بالاشتراك مع مندوبين آخرين من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، قد تقدموا بعريضة إلى الندوة التي عقدتها الأمم المتحدة عن التمييز العنصرى فى مدينة البرازيل في شهر أغسطس من العام ١٩٦٦ ، حول فكرة تدخل الأمم المتحدة . واستنكر ليبالو تلك المناشدة للأمم المتحدة على إنها ابتعاد عن سياسة حزب المؤتمر الإفريقى ؛ و يعلن ليبالو فى خطابه أنه يتحتم على الثوار أن يعتمدوا قبل كل شيء على جهودهم الخاصة ، أضف إلى ذلك أن الأمم المتحدة تستعمل أداة للسياسة الخارجية الأمريكية لسحق الحركات الثورية في كل أنحاء العالم أو التقليل منها ، وعلى ذلك فنحن لا يمكن أن نرضى بمناشدة كهذه من أجل تدخل الأمم المتحدة فى الوقت الذى نكرس فيه أنفسنا لقضية الكفاح الثورى ضد الإمبريالية .

وثمة سبب آخر لذلك الشقاق كان يتمثل في الشجار التافه الكريه حول المسائل النقدية التى أثارتها البعثات الخارجية للحزب ، ويعلق ليبالو ، مؤكدا من جديد على قيمة الاعتماد على النفس إلى حد بعيد فيقول :

" إن أى حزب عندئذ يتطلع إلى العالم الخارجى من أجل مساعدة ، مالية ، أو عسكرية ، قبل أن يثبت ذلك الحزب للعالم منجزاته التى حققها اعتماداً على جهوده الذاتية ، لا يمارس فى الحقيقة الاعتماد على النفس الذى يتصف بالثورية . كما يجب تكرار ذلك لمصلحة هؤلاء الذين ينظرون إلى عمل البعثات الخارجية كشرط لازم كل اللزوم وإلا فلا داعى لمبادأة بحرب العصابات فى بلادهم على حدة ، وليتأكد الجميع ، أن تلك البعثات الخارجية ، تستنفذ كثيرا من النقد الذى تحتاج إليه فى دعم نفسها وإعاشتها خارج بلادها ، فى الوقت الذى يصيح فيه الشعب فى الوطن طلبا للمساعدة المالية من أجل بناء الحركة ، وعلى ذلك فإن البعثات الخارجية تتجه بطريقة لا يمكن تحاشيها نحو استهلاك ذلك الذى تجمعه من أجل دعم الكفاح المسلح داخل الوطن ، وهذا يتجلى بصورة خاصة فى المنطقة التى تعمل فيها البعثة الخارجية عدة سنوات إذ يزداد خلالها عدد موظفى تلك البعثة وشبكتها الإدارية إلى حد كبير ،

كما أن الإبقاء على البعثات الخارجية إنما يعد فى النهاية اعتراف بانعدام الثقة فى القدرات الخلاقة للشعب فى التغلب على الصعوبات وحل المشكلات التى تنتج عن الكفاح المسلح .

ومن الطبيعى أن ذلك التعليق يمكن أن نطبقه أيضا على حركات التحرر الأخرى ، وبخاصة حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى المنافس ، بل ربما حتى أكثر على حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC.

وفى النهاية ، أعاد ليبالو قوله مؤكدا على ندائه : " إن الكفاح المسلح الطويل الأجل هو الطريق الوحيد لسحق جميع أثار السيادة البيضاء و الإمبرياليه ! وفى مثل هذا الكفاح ليس هناك أية مساومات لشبهات قذرة ضد مصالح الشعب ، وهنا نكون بحاجة إلى أن نؤكد دون قيد أو شرط أن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية لا يؤمن بحرب عجيبة للعصابات تستمر ستة أيام فى أرض غير معروفة لها وبين مجموعات من السكان تتمتع بإعداد سياسى مريض ، وعلى ذلك فإنه اعتمادا على ترسانة أيدولوجية تمتد من الرئيس ماو إلى فرانتز فانون Frantz Fanon ينتقد القائم بأعمال رئيس حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ورئيس قيادته الثورية فى جرى انتقاد الإغارات المشتركة التى شنها حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى هو واتحاد شعب زيمبابوى الإفريقى فى روديسيا ، كما جرى أيضا إلزام حزبه بكفاح مسلح ذاتى طويل الأمد داخل جنوب أفريقيا ويبدأ فى آن واحد فى كل من المدن والقرى .

وبعد أن أنهت زعامة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC خلافاتها الداخلية ، أعلنت خططها الإستراتيجية ، وقامت أيضا بالإعلان عن استعداد الحزب ، من حيث المبدأ ، لقبول تشكيل جبهة موحدة مع جميع القوى التى تكافح من أجل التحرر ، فى جنوبى أفريقيا . كما أعلن حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية أيضا ، فى مذكرة تقدم بها إلى مؤتمر الوحدة الأفريقية الذى عقدته منظمة الوحدة الأفريقية فى كينشاسا ، فى شهر سبتمبر ١٩٦٧ ، عن استعداده للعمل مع المنظمات المنافسة له ، وكذلك انتقدت المذكرة أيضا بصورة غير مباشرة الإغارات القاتلة التى شنها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى روديسيا ، بأن أعلنت : إن مشكلات اللغة ، والأرض والحاجة بصفة أساسية إلى المساندة الجماهيرية تجعل من الصعب ، أن لم يكن من المستحيل على العصابات أن تعمل فى أراض لا تنبع منها تلك العصابات فى الأصل ، ولم يقبل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى النصيحة بل أنه لم يوافق حتى على مناقشة قيام جبهة موحدة مع حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية .

وبعد أقل من عام بعد اجتماع موشى ، قدّم حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية دليلا مفجعا بأنه كان ينوى نقل الكفاح إلى جنوب أفريقيا ، وفى شهر يونيه من العام ١٩٦٨ ، أكدت التقارير العسكرية البرتغالية الصادرة عن الحزب أن وحدة عسكرية تابعة لحزب المؤتمر الأفريقى قد اكتشفت على بعد مئات كثيرة من الأميال داخل موزمبيق عندما كانت تحاول عبور المستعمرة البرتغالية فى محاولة منها للوصول إلى جنوبى أفريقيا ، وفى دار السلام اعترف الناطقون باسم حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بضرب تلك الوحدة ، و أن قائدها الذى كان يبلغ من العمر ٢٧ قتل مع الكثيرين من رجاله ؛ و كذلك اعترف الناطقون باسم حزب PAC أيضا أنه أمكن التحقق من أن اسم قائد الوحدة كان (جيرالد كيبوى كوندلو) كما تم أسر العديد من الأفراد الآخرين ، فى حين شقت البقية الباقية على قيد الحياة طريقها عائدة إلى زامبيا التى كانت النقطة التى انطلقت منها تلك الوحدة .

واشتط المسئولون الحكوميون فى زامبيا غضبا ، لأنهم كانوا قد زعموا أنهم لم يحاطوا علما بالاختراق الذى أحدثه حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى أزانيا ، من ناحية الجنوب ، برغم أن الرئيس الزامبى كينيث كاوندا ، كان قد أعلن قرار معارضته لشن الحرب على جنوب أفريقيا فى الوقت الذى كانت زامبيا تعتمد فيه اعتمادا كبيرا على جمهورية الأبارتهيد ، وعلى الجانب الآخر فإن كاوندا كان لا يعترض فى كثير من الأحيان ، على الهجوم على نظام حكم سميث فى روديسيا .

وتسبب انكشاف أمر العصابات التابعة لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC داخل موزمبيق فى كثير من الحرج بل إنه كان انتكاسة محزنة ، ولكن قادة الجماعة التى انكشف أمرها عللوا ذلك بأنهم إنما كانوا يعبرون المستعمرة البرتغالية ليس ألا ، ورفضوا القول بأنهم دخلوا موزمبيق لشن حرب بدلا من تلك التى فشلوا فى شنها فى بلادهم ، ولم تكن الوحدة التى أمسك البرتغاليون بها سوى مجرد واحدة من الجماعات التى جرى تدريبها فى كل من الصين وأماكن أخرى على فنون حرب العصابات وعلوم صناعة الأسلحة والذخائر باستخدام المواد المحلية ، وكان حزب المؤتمر يأمل أن تنجح تلك الوحدة فى أن تكون نواة لمنطقة محررة فى الريف الجنوب أفريقى ، ثم تبدأ بعد ذلك فى تدريب جيش تحرير أزانيا الخالص ، وبرغم فشل تلك المحاولة الأولى ، فإن قادة حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كانت لديهم قناعة مفادها أن الاستراتيجية التى كانوا يتبعونها كانت هى الوحيدة التى يرجع لها النجاح فى تلك المرحلة الباكرة من الكفاح ، والتى يتحتم خلالها ، على المقاتلين السود من أجل الحرية ، أن يعتمدوا اعتمادا كليا على مهارتهم الخاصة ومواردهم المحدودة .

وعلى أى حال فقد أعربت حكومة زامبيا عن استيائها عن طريق إلغاء جميع التسهيلات التى كانت قد أعطتها لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى أزانيـــا . وجرى إغلاق معسكر الحزب ، ومكتبه فى لوساكا ، كما طُرد أفراد المكتب إلى خارج البلاد ، لينضم السواد الأعظم منهم إلى رفاقهم فى دار السلام ، ومن الناحية الرسمية ، فقد أعلنت حكومة زامبيا أنها أتخذت تلك الإجراءات بسبب تجدد الصراع بين أفراد القيادة العليا فى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، وهناك مجموعة أخرى من الزعماء - أمثال - تى . تى .ليتلاكا ، وزد. بى . موليثى - راحت تقلل من شأن ليبالو ، بل أنها ذهبت إلى أبعد من ذلك ، وأعلنت أن ليبالو طرد من حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC الأزانى لأنه لم يكن مواطنا من جنوب أفريقيا " (فقد ولد فى ليسوتو) ، وهنا تدخل جورج ما جومبى من لجنة تحرير أفريقيا ، وتأكدت زعامة ليبالو من جديد وأضطر منافسوه إلى مغادرة تانزانيا .

ولم ينطو الصراع والخلاف الذى دار داخل حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC على شىء غريب سوى أنه كان يحظى بمزيد من الإعلان ، وذلك على العكس من حركات التحرر الأخرى - وبخاصة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى - التى نجحت إلى حد كبير فى إخفاء الصراعات التى كانت تدور داخل أحزابها ، وعلى كل حال وكما سنرى - فإن ثالوث جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) قدر له أن يمزق نفسه إربا بعد وفاة إدواردو موندلين ، كما حدثت انقسامات أخرى كثيرة بين زعماء العديد من المنظمات الأخرى . ففى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC الأزانى تركــز مــعظم الصراع حول شخصية ليبالو ، التى تثير كثيرا من الاشمئزاز فى نفوس المتنافسين على زعامة الحزب ، كما تثير الكثير من الإعجاب و الإحترام فى نفوس بقية أعضاء الحزب صغارا وكبارا ، و نجاحاته أثناء الظروف الصعبة التى ألمت بمعسكرات الحزب وربما زادت أهمية ليبالو أيضا بسبب إرتباط عمله ارتباطا وثيقا بأحد الرؤساء الإقليميين فى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى أزانيا ، وهو تى . إم . نتنتــالا Ntantala، الذى كان يشغل منصب الرئيس الإقليمى للحزب فى الكتب الغربية ، فضلا أيضا عن كونه قائدا عسكريا للقوات المقاتلة التابعة للحزب.

وجاءت أشـــد الحمـــلات المعادية لليبالو من منفاه فى لندن على يدى ماثيو نيكوانا ، الذى كان يشغل من قبل منصبا من مناصب الرؤساء الإقليميين فى جنوب أفريقيا ، ثم أصبح بعد ذلك ممثلا للحزب فى لندن ، ولما كان نيكوانا نفسه من المقتنعين تماما بقيمة الوحدة الأفريقية ، فقد تخيل قيام جبهة كفاح أفريقى موحدة فى مواجهة أنظمة الحكم البيضاء فى جنوبى أفريقيا . وكان نيكوانا قد انتقد بقسوة كلا من حزب

مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى أزانيا واتحاد زيمبابوى الوطنى الإفريقى لأنهما انتقدا التحالف الذى نشأ بين كل من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى واتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى ، الذى يرى نيكوانا أنه تأسس على فكر من قبيل :

" فكر ، هذا بلدى " ؛ ولابد من وقف الصراعات بين المنظمات المتنافسة ، حتى يتسنى لتلك المنظمات أن تنصرف إلى المناقشات الجادة والتخطيط الجاد - إياكم أن تتركوا الذيل المبالغ فى الوطنية يهز كيان الكلب الثورى (١٣٦)

ومن الطبيعى أن تبدو هذه المناداة بالوحدة ، فى ظل الصراعات العالمية العلنية والضمنية خلال النصف الثانى من القرن العشرين ، أمراً ساذجا وغير واقعى تماما . وبينما كان نيكوانا يشن حملته الشديدة على ليبالو ثم الهجوم على معلمه جورج ما جومبى ، بعد ذلك ، نجد أن ذلك المعلم الذى كان يشغل منصب أمين التنفيذ فى لجنة تحرير أفريقيا قد عجز هو نفسه عن تحقيق الوحدة داخل أية منظمة من تلك المنظمات.

و بعد أن أضفى نيكوانا على نفسه لقب أمين التنفيذ أمين الصندوق قام بإنشاء ما أسماه لجنة تنسيق إعادة تنظيم الميثاق ، من مقر إقامته فى شمالى لندن ، كى تقوم باستقبال القوى المعادية ل - ليبالو والاحتفاء بها ، واعتمد فى ذلك - وبصفة أساسية -على اتصالاته مع طلاب جنوبى أفريقيا فى كل من أوربا وأمريكا ؛ وقد سعى نيكوانا إلى الإطاحة بكل الأطراف المتصارعة داخل زعامة مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC " ووضع ميثاقا لإعادة تنظيم الحزب فى المنفى ، ولم يحظ نيكوانا سوى بتشجيع قليل من أفريقيا ؛ ولكن من الواضح أن مشروع نيكوانا كان مجرد وسيلة لإدخال العناصر العديدة المشتتة فى كل أنحاء العالم ، ضمن ذلك الصراع ، وبذلك يمكن أن تشكل تلك العناصر فزعة عظيمة ومصدرا للقوة ، وبخاصة أن التقادم يحتم الاستعانة بالقادة الشبان .

وفى ظل زعامة ليبالو ، وبدون حث من نيكوانا ، أقام مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC علاقات أخوية دافئة مع بعض منظمات التحرر الأخرى ، التى من قبيل حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى (زانو) ، و الاتحاد الوطنى للاستقلال الكامل لأنجولا (يونيتا) ، وعلى كل حال وعند هذه المرحلة لم تكن هناك ضرورة أو حاجة ماسة إلى الدخول فى تحالف رسمى مع أى حزب من الأحزاب الأخرى ، وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC عندما حاول فى العام ١٩٦٨ الدخول إلى جنوب أفريقيا عن طريق موزمبيق ، كان يعمل بالتعاون مع كل من لجنة موزمبيق الثورية (كوريمــو) ومنافستها جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) ، وقد استفاد رجال PAC من

المساعدات غير الرسمية التي قدمها القادة الميدانيون في هاتين المنظمتين . وعلى كل حال ، فقد رفض زعماء جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) في دار السلام جس النبض الذي قام به مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، حول إمكانية اتخاذ بعض الترتيبات الرسمية التي يمكن أن تساعد الجنوب أفريقيين في الوصول إلى بلادهم .

ووقف نيكوانا موقفا محايدا من مؤتمر الخرطوم الذي عقد في العام ١٩٦٩ تحت رعاية الروس ، وآثر أن يتجاهل الأهداف السياسية الوقتية في توجيه المؤتمر على أمل أن يرى امتداد أمل الوحدة ليشمل بعض التجمعات الأخرى ، وعلى العكس من نيكوانا راحت زعامة مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC تؤكد من جديد على مطالبتها بقيادة واحدة لجميع التجمعات التي تكافح النظام القائم في بريتوريا ، ولكنها أدانت اجتماع الخرطوم ووصفته بأنه اجتماع **انقسامي** ، واتهمت أولئك الذين حضروا المؤتمر – الروسي ، ودول أوربا الشرقية ، والشيوعيين الموالين لموسكو ، والتقدميين من بعض الأماكن الأخرى ، والذين زاد عددهم على عدد المقاتلين الأفارقة المحبين للحرية : اتهموهم بأنهم كانوا يحاولون توسيع " مدى المطامع السوفتيه في اقتسام السيطرة والهيمنة على العالم ، مع الإمبرياليين الأمريكيين ، واتهموهم أيضا بخنق جمهوريتى ألبانيا والصين الاشتراكيتين ، الصديقتين الحقيقيتين للكفاح التحررى الأفريقى ، كما اتهموهم أيضا بمساندة الأنظمة الصنيعه في كل من أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية [١٢٧] ، وعلى أى حال ، لم يكن هناك اعتراض من أى نوع كان على موقف حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC من النزاع الصينى السوفيتى ، يضاف إلى ذلك أن نيكوانا كان كثير الاستشهاد بأقوال ما وتسى تونج طوال جدله مع ليبالو .

وفي العام ١٩٧٠ تعرض ليبالو من جديد للانتقاد مرة ثانية من قبل بعض الجهات والمناطق لتورطه في محاولة خيانة تنزانية ، مع سبعة من رفاق أوسكار كامبونا ، السكرتير العام السابق للإتحاد القومي الأفريقي التنجانيقي (تانو) ، فقد وجهت إلى كامبونا تهمة محاولة الإطاحة ، من منفاه في لندن ، بحكم الرئيس جوليوس نيريري . وكان شاهد الادعاء الرئيس ، في هذا الاتهام هو ليبالو وحده ، الذى زعم أنه كان على اتصال سرى وثيق مع كل من كامبونا وأصدقائه ، وهو الذى كشف المؤامرة بكاملها أمام السلطات التنزانية ، و إذا كان البعض ينظرون إلى ذلك باعتباره تدخلا سافرا في الشئون التنزانية الداخلية والسياسية من قبل حزب سياسى أجنبى ، فقد راح ليبالو يدافع عن تصرفاته دفاعا مستميتا . وزعم ليبالو أن كامبونا كان " معاديا للصين " وأنه كان واقعا تحت تأثير كل من الكتلتين الشرقية والغربية ، وأنه كان على

استعداد لوقف كل المساعدات التنزانيه إلي كل من مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC وحركات التحرير المشاغبة الأخرى التى لا تلتزم بأى شكل من أشكال الاتفاقات الأمريكية – الروسية الخاصة بأفريقيا ، وسواء أكان ذلك أم لم يكن من قبيل الخيال والأوهام ، فقد كان واضحا أن ليبالو سوف يحافظ على ولائه لأولئك الذين كانوا يساعدون كفاحه ونضاله ، سواء أكان ذلك هو الرئيس جوليوس نيريرى ، رئيس تانزانيا أم الرئيس كوامى نكروما ، الرئيس الغانى المخلوع ، الذى ما يزال بطلا من أبطال الأفارقة الوحدويين ، و من جانبه نادى نيكوانا ، من جديد بفحص ودراسة أعمال مكتب جورج ما جومبى ، السكرتير التنفيذى للجنة التحرر الأفريقى ، والذى رافق ليبالو إلى لندن فى واحدة من الرحلات التى زعم ليبالو أنه التقى كامبونا خلالها لقاء سريا .

وعلى كل حال ، فقد كانت أكبر المشكلات التى واجهت حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC ، تتمثل فى كيفية الوصول إلى حدود جنوب أفريقيا والاندماج مع الجماهير السوداء هناك فى إطار كفاح ثورى ، وكانت المصاعب تتمثل فى بعد المسافة ونقص فى المال والعتاد ، وعدم تحمس الحكومات التى يمكن استعمال أراضيها قواعد للعمليات الأولية ، كانت زامبيا هى مفتاح كل هذا اللغز ، و كان هناك اعتقاد مفاده أن إتمام بناء خط تانزام الحديدى بواسطة الصين ، هو الذى سيضطر حكومتها إلى تغيير موقفها السلبى ، زد على ذلك ، أن شخصيات زعماء حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC كان لها تأثير كبير على مسيرة ذلك الكفاح ، غير أن قبول أو عدم قبول تلك الحركة سوف يعتمد بالضرورة على مدى ولاء الأغلبية الأفريقية فى جنوب إأريقيا الأسود مستقبلا للقيم و المبادئ الخاصة بالقومية الأفريقية ، وتمسكها بتلك القيم و المبادئ ، وإذا قدر لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC فى الخارج أن ينهار ، فإن الجماهير السوداء المستقلة والمغلوبة على أمرها ، سوف تسلم ، عن طيب خاطر ، بالرؤية متعددة الأعراق لجنوب أفريقيا والتى يتبناها تحالف حزب المؤتمر، وتصر على وجود النظام الطبقى ، وليس العنصرى ، فى تلك المنطقة التى يقوم القمع و الاستغلال فيها على التمييز العرقى الكامل .

وفى الصراع بين البيض والسود فى جنوب أفريقيا ، يتمتع حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية PAC بقدرة موضوعية وذاتية من منطلق أنه هو الحزب الثورى للسود ، وذلك بغض النظر عن بقاء الحزب صغيرا أو منقسما ومفككا خارج البلاد .

الهوامش

(١) قبائل من القبائل القديمة فى الجنوب الأفريقى (المترجم)

(٢) انظر مونيكا ويلسون وليونارد طومسون ، تاريخ اكسفورد لجنوب أفريقيا ، المجلد الأول (اكسفورد كلاريندون برس ١٩٦٩) صفحة ١٨٧

(٣) ج . ر . بوكسر ، الإمبراطورية البرتغالية المحمولة بحرًا (لندن هتشنسون ١٩٦٩) ص ١٠٦-١٢٧

(٤) مقتبسة عن كتاب ويلسون وطومسون .

(٥) ولتر فيتز جيرالد أفريقيا لندن ونيويورك ، ميثون أند ديوتون عام ١٩٥٧ صفحة ١٨٧ .

(٦) براين بونتنج قيام رايخ جنوب أفريقيا هارموند زورث ،بنجوين ١٩٦٩

(٧) المرجع السابق ص ٥١٣

(٨) يلاحظ هنا ، أن هذا أول احتكاك بين الوطنيين والمستوطنين (المترجم) .

(٩) انظر كتاب ويلسون وطومسون وفاجان – جنوب أفريقيا (لندن – تيمز اندهدسون ١٩٦٩) .

(١٠) مجموعة من البوشمن والخوى خوى أطلق عليهم الهولنديون هذا الاسم تحقيرا لهم . (المترجم)

(١١) حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية (أزانيا) ، تقرير اجتماع اللجنة التنفيذية ، موشى ، تنزانيا . الفترة من ١٩– ٢٢ من سبتمبر ١٩٦٧ لوساكا حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية ١٩٦٧ صفحة ١٨

(١٢) جى . أى . سبنس ، جمهوريات تحت الضغط ، لندن ،اكسفورد يونيفرسى برس عام ١٩٦٥ صفحة ١٢٠

(١٣) أماكن خاصة ومقصورة على الأفارقة (المترجم) .

(١٤) أبرام قبزشر ،كيوبى . بيان من قفص الاتهام : المحكمة العليا ، بريتوريا ٢٨ مارس عام ١٩٦٦ . لندن مطبوعات مايوبوى ١٩٦٦ صفحة ٢٤

(١٥) يمكن أن تكتب هذه الكلمة أيضًا الكالفينية : مذهب كالفين اللاهوتى الفرنسى البروتستنتى ١٥٠٩-١٥٦٤ القائل بأن قدر الإنسان مرسوم قبل ولادته (المترجم) .

(١٦) مقتبسة عن كتاب الطريق الثورى أفريقيا الذى أصدرته حركة الوحدة فى جنوب أفريقيا لوساكا حركة الوحدة ،مايو عام ١٩٦٩ .

(١٧) الليبرالى هو التحررى الذى ينادى بالتحرر وبخاصة فى ما يتصل بحقوق الفرد (المترجم) .

(١٨) بول فارم هام جغرافية *الشئون الأفريقية* هارموندز ورث وبنجوين عام ١٩٦٥ صفحة ٢١٠

(١٩) أنظر كتاب بونتنج الفصل التاسع صفحة ١٨٥ فى مناقشة حول "قوانين نورمبرج فى جنوب أفريقيا ".

(٢٠) ديفيد ليفنجستون *الأبحاث والرحلات التبشيرية فى جنوب إفريقيا* (لندن ١٨٥٧) صفحة ٢٩

(٢١) يلاحظ هنا أن الإعدام كان فقط للأفارقة الخلص وليس من بينهم ملونين (المترجم).

(٢٢) مارى بنسون *"الكفاح فى سبيل المولد "* هارموندزورث ، وبنجوين ١٩٦٦ ص ١٩

(٢٣) من يسيرون على هدى من المعتقدات الراديكالية التطرفية (المترجم).

(٢٤) فيزشر صفحة ٢٣

(٢٥) جى. س .دى رايدر ، *شخصية الأفريقى الحضرى فى جنوب أفريقيا : دراسة إختيارية للتقييم الموضوعى* لندن وروتلدج ١٩٦٠ صفحة ١٦٠

(٢٦) فيتوريو لانترنارى *أديان المغلوبين على أمرهم نيويورك* ، نيو أمريكان ليبرارى عام ١٩٦٥ صفحة ٣٩

(٢٧) بمعنى المنهجيين أى أتباع الحركة الدينية الإصلاحية التى قادها فى أكسفورد عام ١٧٢٩ تشارلز وجون ويزلى محاولين فيها إحياء كنيسة إنجلترا (المترجم)

(٢٨) فيتوريو لانترنارى *أديان المغلوبين على أمرهم نيويورك* ، نيو أمريكان ليبرارى عام ١٩٦٥ صفحة ٣٩

(٢٩) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٣٠) إدوارد روكس زمن *أطول من الجبال ماديسون* .ينفيرستى أوف ويسكنسون بريس عام ١٩٦٦ صفحة ١٩ .

(٣١) إدوراد فيت جنوب *أفريقيا :ديناميكية حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى* لندن ،اكسفورد ينفرستى برس معهد الأجناس صفحة ٦١ .

(٣٢) هانزتوش *السيكولوجية الإجتماعية* لندن ميثيون عام ١٩٦٦ صفحة ٥ أصل إيطالى .

(٣٣) البروليتاريا :طبقة العمال الكادحين (المترجم).

(٣٤) كتاب فيت .صفحة ٦٤

(٣٥) *الديناميكى* : النشط (المترجم).

(٣٦) أصحاب المبادئ اليسارية الشيوعية (المترجم)

(٣٧) بنسون صفحة ٣٨ .

(٣٨) المنطقة المخصصة للسود (المترجم) .

(٣٩) منظمة شيوعية سياسية (المترجم).

(٤٠) جورج بادمور حركة أفريقيا أم الشيوعية ؟ لندن ، (رويسون ١٩٦٥) صفحة ٣٤٧

(٤١) روكس .صفحة ١٧٧

(٤٢) وجهة نظر شيوعية حول اتحاد عمال التجارة والصناعة ، يمكن العثور عليها فى تريسازانيا ، أتحاد عمال التجارة والصناعة . مجلة الشيوعى الأفريقى عدد ٣٨ الربع الثالث من العام ١٩٦٩

(٤٣) زانيا صفحة ٧٧

(٤٤) المناطق الخاصة بالسود .(المترجم)

(٤٥) بادمور صفحة ٣٥١

(٤٦) الاسم الذى يطلقه اليهود على مدينة القدس (المترجم) .

(٤٧) مذكرة حول " برنامج العمل "تمت الموافقة عليها فى المؤتمر السنوى لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى شهر ديسمبر من العام ١٩٤٩ ، وقد جرى الاقتباس عن تلك الوثيقة المكتوبة بالآلة الكاتبة وغير المؤرخة فى فيت ص١ ،وكذلك فى باسيم .

(٤٨) اسم :أطلق على الاتفاق الذى أبرم بين الإنجليز والبوير بعد هزيمة البوير ، وفى هذا الاتفاق تحددت معالم السيطرة على السود فى جنوب أفريقيا .(المترجم)

(٤٩) انظر كتاب أف ميلى " الطبقة فى مواجهة اللون " وجهة نظر قارية ، سيشابا Sechaba - الصحيفة الرسمية الناطقة بلسان حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى (المجلد الرابع ،العدد السادس ،يونية ١٩٧٠)

(٥٠) التطويق فى المفهوم العسكرى هو الإحاطة بالهدف المعادى بالقوات من جميع الجوانب .(المترجم)

(٥١) يوافق ذلك اليوم يوم انتصار البيض على دينجان زعيم قبائل الزولو الأفريقية . (المترجم)

(٥٢) انظر كتاب بونتنج ، المرجع السابق الذى سبقت الإشارة إليه .

(٥٣) هم السكان المخلطون من أكثر من سلالة فى جنوب أفريقيا، وأصل الكلمة بلغة القوم "أفريكانر " وقد رأيت ترجمتها على هذا النحو تمييزا لهم عن الأفارقة الأصليين.(المترجم)

(٥٤) عن مقابلة غير منشورة بين بطرس روبوروكو والمؤلف فى دار السلام فى ١١ من مارس من العام ١٩٦٦ .

(٥٥) كان كوامى نكروما من بين هؤلاء الذين حضروا من أمثال : جومو كنياتا ،وجورج بادمور ، وهيستنجز، وباندا وأيضا دوبوا . انظر وثائق المؤتمر الأفريقى الخامس (لندن ،هامر سميث بوكشوب عام ١٩٦٣) .

(٥٦) روكس صفحة ٤٠٣ .

(٥٧) بنسون Benson صفحة ٨١ .

(٥٨) أنظر التعريف الكامل فى بونتنج . صفحة ١٩٩ .

(٥٩) روكس ،صفحة ٣٨٠ ، اتش هـ .ج ، إى ،سيجونز فى كتابهما بعنوان الطبقة واللون فى جنوب أفريقيا فى الفترة من ١٨٥٠ –١٩٥٠، هارمونذ ، بنجوين ١٩٦٩ ، فى الصفحة ٦٠٧– ٦٠٨ ورد أن أندروز وميخائيل هارمل أعطيا صوتيهما ضد رجل الحزب ، وقام كل من موسى كوهين ، .أى .أو ،هورفتش ،الرئيس الوطنى عندئذ بزيارة فروع الحزب فى الأحياء لشرح القرار الذى تمت الموافقة عليه دون معارضة كبيرة .

(٦٠) فيشر ،صفحة ٣٢ .

(٦١) فيت ،المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٦٢) المناطق المخصصة للبيض .(المترجم) .

(٦٣) بنسون Benson ، مرجع سابق ،ص ١٠٠

(٦٤) بنسون Benson ، صفحة ١٦٠

(٦٥) النظرية التى ابتكرها غاندى حتى يتسنى له التوفيق بين الطوائف المختلفة فى الهند (المترجم).

(٦٦) مقتبسة عن بنسون Benson ، صفحة ١٦٠

(٦٧) المقصود هنا بالحذف هو حذف كل ما يمكن أن يعطى القضية طابعا عاما ، ويظهر ذلك فى الفقرة الافتتاحية من الميثاق حيث تقول : " نحن : شعب جنوب أفريقيا " (المترجم).

(٦٨) نقلا عن جريدة الثورة Revolution (المجلد الأول ،العدد رقم ٦ ،عام ١٩٦٣).

(٦٩) الميثاق كما هو منشور فى مجلة الثورة المجلد الأول العدد الأول ١٩٦٣ .

(٧٠) مقتبسة عن الوثائق الرسمية لحزب الحركة الأفريقية فى جنوب أفريقيا (لوساكا حزب الحركة الإفريقية ، مارس ١٩٦٥) صفحة ٢١

(٧١) كتاب بنسون Benson ، صفحة ٢٠٢

(٧٢) بى .إل .نسيلى ، رسالة إلى المحرر ، عام البانتو ٢٨ أبريل عام ١٩٥٦ مقتبسة من فيت ، صفحة ١٧

(٧٣) انظر بنسون Benson ، صفحة ٢٠٦ ، ٢٠٧

(٧٤) مقتبسة عن بونتنج صفحة ٢١٦

(٧٥) جوماتثيور النضال المسلح فى جنوب أفريقيا الماركسية اليوم (سبتمبرعام ١٩٦٩).

(٧٦) مقتبسة عن بونتنج .

(٧٧) فيشر عن بونتنج .

(٧٨) جولد ريش ، صهيونى متعصب ذهب أخيرا إلى إسرائيل ، وقد زار مقر المؤتمر الأفريقى وتحدث عن الدروس المستفادة من الانتصار الإسرائيلى التى يمكن أن يستفيد منها المجاهدون الأفارقة .

(٧٩) بونتنج ،صفحة ٢٤٢ .

(٨٠) رأيت استعمال هذه الكلمة حتى يمكن التمييز بين الأفارقة والأفريكان وهم السكان المخلطون من الناحية العرقية . (المترجم)

(٨١) ماتثيور .صفحة ٢٧١ .

(٨٢) المذهب الارثونوكسى المتعلق بالكنائس الشرقية (المترجم).

(٨٣) نشرت جريدة الصنداى تلجراف ١١ مايو ١٩٦٩ قائمة خيالية إلى حد ما بالمعسكرات ، وذلك تحت عنوان رجال تحرير سود : صناعة موسكو .

(٨٤) المقصود بالجمهورية العربية المتحدة هنا هو جمهورية مصر العربية (المترجم)

(٨٥) انظر البلاغ الذى أصدره هاجرو حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جريدة بلاك دوارف لندن ، ٢٦ من نوفمبر عام ١٩٦٩ .

(٨٦) التحالف الذى أعلن أوليفر تامبو وشيكريما قيامه بين حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وبين اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى أغسطس عام ١٩٦٧ (المترجم).

(٨٧) إضافة المترجم .

(٨٨) التقرير السنوى لحركة مناهضة الأبارتهيد ، أكتوبر ١٩٦٨ نشر فى لندن عام ١٩٦٩

(٨٩) براين لابنج ،منفى غير رومانسى نيوسوسيتى (٢٤ يوليو ١٩٦٩).

(٩٠) انظر براين لابنج منفى غير رومانسى .

(٩١) انظر جارير تواند كوازا نجويزى اليسار فى جنوب أفريقيا والكفاح من أجل التحرر ، والعنصرية اليوم سبتمبر ١٩٦٩ .

(٩٢) المقصود هنا هو الأحزاب الشيوعية التى تدور فى فلك الحزب الشيوعى السوفيتى ، والاتهام بالمراجعة ينعت به السياسيون الصينيون القائمين على أداء السياسة (المترجم).

(٩٣) انظر عمر بامجى ، وأمين كاجى ، وحسين يعقوب ، وموريس موثمينى لماذا تركنا لجنة المقاومة الوطنية (حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى المنفى). بيان غير مؤرخ . كتب بالآلة الكاتبة ٧ صفحة

(٩٤) إضافة المترجم .

(٩٥) المترجم .

(٩٦) ذى أفريكان كوميونست ،العدد ٣٨ الربع الثالث عام ١٩٦٩

(٩٧) المرجع السابق – بالخط الإيطالى فى النسخة الإنجليزية .

(٩٨) فى كتيب بعنوان الطريق الثورى إلى جنوب أفريقيا لوساكا حركة الوحدة ، مايو عام ١٩٦٩ .

(٩٩) التروتسكية : هى مذهب فى السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وبخاصة نظريته فى الشيوعية، ودعوته إلى الثورة العالمية الشاملة . (المترجم)

(١٠٠) بونتنج ص ٢٧٨

(١٠١) نقلا عن الاتحاد الديمقراطى الشعبى لجنوب أفريقيا نحن نبنى أمة طبعة خاصة المجلد (أ) ، العدد ١٢، يونية - سبتمبر ١٩٦٧ نشرت فى لوساكا.

(١٠٢) من كتاب الطريق الثورى إلى جنوب أفريقيا .

(١٠٣) البونجزات : معناها بلغة القوم عند الأفارقة مجلس القرى . (المترجم)

(١٠٤) ليوكوبر برجوازية أفريقية نيوهافن آند لندن ، بل ينيفرستى برس عام ١٩٦٥ صفحة ١٦١ .

(١٠٥) حول مزيد عن إعادة التوطين فى جنوب أفريقيا ، انظر كتاب كوزماس ديزموندو الشعب المنبوذ ، هارموندزورث ، بنجوين ١٩٧١

(١٠٦) روكس ، مرجع سابق ص ٤٠٢

(١٠٧) بنسون . صفحة ٩٠

(١٠٨) الوثائق الأساسية لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى صفحة ١٢

(١٠٩) بادمور صفحة ٢١ .

(١١٠) المرجع السابق ٢٧٩

(١١١) المرجع السابق صفحة ١٢

(١١٢) حزب المؤتمر الأفريقى . صفحة ١٢

(١١٣) المرجع السابق صفحة ١٦

(١١٤) حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى . صفحة ١٦

(١١٥) المرجع السابق صفحة ٢٥

(١١٦) عن مقابلة مع بطرس روبوروكو دار السلام ، ١١ من مارس عام ١٩٦٦ .

(١١٧) إى . بوتخين ، قضايا إأريقية (موسكو ، دار نوكا للنشر ١٩٦٩ صفحة ١١٧

(١١٨) بنسون صفحة ٢٢٢

(١١٩) المترجم .

(١٢٠) عن كتاب ماثيو نكوانا أزمة فى الثورة : لندن ، مطبوعات ما نوبى عام ١٩٦٩ ، يدعى بأن المصطلح بدأ فى بورت اليزابيث فى العام ١٩٦١ ، غير أن أى إتباع البروتستانتين لحركة البانتو كانوا يستخدمون ذلك المصطلح عندما انفصلوا عن الكنيسة البيضاء فى الثلاثينيات .

(١٢١) ديفيد سابيكو : شار بفيل نقطة تحول ، فى الذكرى السنوية العاشرة لشار بفيل دار السلام ، حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى عام ١٩٧٠

(١٢٢) نيكوانا . صفحة ٥٠

(١٢٣) نضال أزانيا (المجلد الأول العدد ٥ عام ١٩٧٠)

(١٢٤) حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى ، تقرير اجتمـــاع اللجنة التنفيذية ، موشى ، تانزانيا ، الفـترة من ١٩ إلى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٦٧ (لوساكا . حزب المؤتمر الأفريقى ، عام ١٩٦٧)

(١٢٥) المرجع السابق . صفحة ٦

(١٢٦) نيكوانا ، المرجع السابق ص ٨٧ ـ ٩ الجزء المكتوب بالخط المائل موجود فى الوثيقة .

(١٢٧) سابيكو ص ٦

القسم الثالث

- جنوب غربي أفريقيا (ناميبيا)
- الاتحاد الوطني لجنوب غرب أفريقيا (سوانو) Swanu
- المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو) Swapo

الخلفية التاريخية

كانت صحراء ناميب الجرداء القاحلة الخالية من الماء ، هى وكثبانها الرملية الطاردة التى تمتد إلى آخر مرمى البصر ، بمثابة ساحل الموت أو ساحل الهيكل العظمى ، فى نظر البحارة البرتغاليين وغيرهم من المغامرين الأوربيين ، الذين فروا من تلك الصحراء على وجه السرعة بعد أن نزلوا إليها فى العام ١٤٨٤ الميلادى ، والشيء الوحيد الذى جذب البشر إلى ذلك الشريط البرى الرملى هو اكتشاف أنواع مختلفة من الماس بكميات كبيرة ، فى تلك المنطقة الرملية ، على الرغم من أن جنوب غربى أفريقيا لم يكن طاردا فى مجمله ، ومع ذلك ، فقد وصل البيض متأخرين ، بمعنى أنهم جاءوا الى تلك المنطقة بعد قرون من بداية الاستيطان الأوربى فى جنوبى أفريقيا ، إلى الجنوب من مستعمرة أنجولا البرتغالية الموجودة ناحية الشمال . وكان أول الأوربيين الذين بقوا فترات طويلة من الزمن ، هم المبشرون البريطانيون الذين جاءوا فى بداية القرن التاسع عشر ، وكانت أهم تلك البعثات التبشيرية - جمعية لندن التبشيرية - التى نقلت فكرة تناسخ الأرواح السوداء والأرواح البنية فى العام ١٨٤٠ الميلادى إلى جمعية الراين التبشيرية التى كانت تتركز فى بريمن وبذلك يكون الطريق قد أصبح ممهدا أمام الحكم الاستعمارى الألمانى المطلق فى شهر مايو من العام ١٨٨٥ الميلادى .

وفى ذلك الوقت كان البريطانيون منقسمين فى الرأى حول مدى جدوى استعمارهم لجنوبى غرب أفريقيا . كانوا قد استولوا بالفعل فى العام ١٨٧٨ على أفضل شواطئ ذلك الخليج الكالح الكئيب ، الذى يسمى باسم خليج ولفز ، فى حين رضى الألمان لأنفسهم بالاستيلاء على أفضل ميناء بعد الميناء الأول ، أطلقوا عليه اسم ميناء لودرتز Luderitz تيمنا باسم التاجر الألمانى الذى جاء من بريمن والذى احتال لرفض الوصاية عن طريق إعلان الحماية الاستعمارية وعن طريق سفينة مدفعية حصل عليها من بسمارك ؛ فقد نزل بسمارك ، ضيفا على مؤتمر برلين ، فى العام ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ، الذى قسم فيه الإمبرياليون الأوربيون خريطة أفريقيا ، فيما بينهم ، متنكرين فى ثياب الإحسان ، ومعربين جميعا عن رغبتهم فى أن يجعلوا أهل هذه البلاد ينعمون بمزايا المسيحية والتجارة ، وكانت الانقسامات القبلية وبخاصة الحروب المدمرة التى دارت بين شعب الهيريرو والناما بصفة خاصة - هى التى أضعفت تلك الشعوب غير المتجانسة فى جنوب غربى أفريقيا ، وقد أثبتت تلك الشعوب غير المتجانسة ، قدرتها على التوحد عندما خاضت كفاحا غير متكافئ ضد القوات الاستعمارية الألمانية وأسلحتها من طراز كروب Krupp.

ومساحة جنوب غرب أفريقيا التى تصل إلى ٣١٨,٢١٦ ميلا مربعا أكبر من مساحة فرنسا وبريطانيا مجتمعتين ، بل إن مساحته تقترب من مساحة نيجيريا ، غير أن سكان جنوب غرب أفريقيا حسب آخر إحصاء لهم فى العام ١٩٦٦ كان يقدر بأقل من ٧٠٠٠٠٠ نسمة ، وبذلك يصبح جنوب غرب أفريقيا اكثر أجزاء أفريقيا تخلخلا فى جنوبى الصحراء الكبرى ، ويشكل السكان من الأوربيين الذين يقدر عدد متحدثى الألمانية بينهم بأكثر من الربع حوالى ١٥,٧٣ فى المائة من إجمالى السكان.

ومن بين هؤلاء السكان البيض حوالى ٦٧ فى المائة ، من المتحدثين باللغة الأفريكانية لأنهم انحدروا عن المستوطنين الهولنديين الذين استوطنوا جنوب أفريقيا ، فى حين تبلغ نسبة من يتكلمون الإنجليزية منهم الى حوالى ١٠ فى المائة .

ويشكل السكان "الأوفامبو" حوالى ٤٤ فى المئة تقريبا من إجمالى السكان الأفارقة والسكان الأوفامبو عبارة عن مجموعة قبلية كبيرة تنحصر بمقتضى القانون الأفريقى فى الجزء الشمالى من البلاد ، على طول الحدود الأنجولية ، والواقع أن القبيلة – كما هو الحال فى أجزاء أخرى من أفريقيا – تنشطر انشطارا شديدا بشكل عمدى بسبب جهل البيض وعدم اهتمامهم، والحدود هنا هى التى تفصل بين أجزاء هذه القبيلة ، لأن أفرادها يوجدون على جانبى الحدود ، والأفامبو هم أصلا من الفلاحين ولكن ، فى غياب الرى ، فإن أراضيهم المنبسطة ، التى تنتشر فيها الملاريا ، والموبوءة بذبابة تسى تسى Tsetse وتنمو فيها الحشائش والأعشاب لا تنتج سوى محاصيل هزيلة حتى فى سنوات الوفرة ، وبحكم القانون لا يستطيع أحد أن يغادر تلك المنطقة بدون عقد عمل وتصريح مرور ، ومكاتب تشغيل العمال هى التى تعطى مثل هذه العقود لمدة تتردد بين اثنى عشر وثمانية عشر شهرا على شكل عبودية كاملة ، كما أن هذه المكاتب هى التى تشحن الرجال بالسفن للعمل فى المناجم الموجودة فى الجنوب .

والمناجم بكاملها مملوكة ملكية بيضاء وتدار من جنوبى أفريقيا إن لم يكن من أوربا وأمريكا ، وتعد المناجم من أكثر المشروعات التى من نوعها ربحا فى العالم . والمعروف أن الذى يدير شركة جنوبى أفريقيا التضامنية ويشرف عليها ، هو دى بيرز ، De Beers وهذه الشركة تنتج حوالى ٩٩,٦ من إجمالى الماس الذى يجرى إنتاجه فى جنوبى أفريقيا . ويعد اتحاد نيومونت الأمريكى للتعدين ، شركة ميتال كلا يمكس يُعّدان " من بين كبار حملة الأسهم فى اتحاد تسوميب العملاق ، وإلى جانب

شركة جنوب أفريقيا ذات المسئولية المحدودة يوجد الاتحاد العام للتعدين ، وشركة ريوتنتو الكندية ، وأيضا شركة ألمانية غربية ، بل وحتى مصالح يابانية ، وكل تلك الشركات تقوم باستغلال الخامات الغنية بالماس ، والرصاص ، والزنك والمنجنيز، والكروم ، والليثيوم ، والذهب ، وأى شىء آخر له قيمة فى الأسواق العالمية ، وبدون الأيدى العاملة السوداء الرخيصة ، كما هو الحال فى جنوبى أفريقيا ، لن يكون استغلال هذه الثروة مربحا بالصورة التى هو عليها الآن . والهيريرو يشكلون أكبر مجموعة قبلية بعد الأوفامبو، وهم شعب يتكلم لغة البانتو ، هاجر فى الماضى - منذ ما لا يقل عن خمسة قرون - من مكان ما إلى الغرب من بحيرة تنجانيقا ، وهرب جزء من تلك القبيلة إلى ما يعرف الآن باسم بوتسوانا وذلك بعد حرب هيريرو - ناما- الألمان فى الفترة من ١٩٠٤ - ١٩٠٧ ، ونظرا لأن الهيريرو هم رعاة بحكم التقاليد ، فإنهم كانوا يعدون أغنى الشعوب التى تقوم بتربية الماشية ، عندما استقرت بعثات التبشير الأولى فى أراضيهم وبينهم ، وبعد الهزيمة الساحقة التى أنزلها الألمان بالهيريرو فى الحرب الهررية - الألمانية فى الفترة من ١٩٠٤ - ١٩٠٧ ، أصبح محرما على الهيريرو من الناحية القانونية تربية الماشية ، وكان الهدف من وراء تحريم تربية الماشية على الهيريروية هو توفيرهم كقوة بشرية تستغل فى العمل فى المناجم والمزارع الأوربية ، ومع ذلك - فإنه بصورة ما - بقيت تقاليد تربية الماشية على قيد الحياة بين الهيريرو فى جنوب غربى أفريقيا ، فى المنطقة التى تقع إلى الخلف من أراضى الأوفامبو الشراقى [1] . وتعد الذرة العويجة (الدخن) المحصول الرئيسى، وهذه المنطقة واحدة من المناطق الزراعية الكبيرة والممتازة ، وفى الوقت الذى أسعد الحظ فيه الأوفامبو تماما بالعيش فى منطقتهم الشمالية دون المساس بهم ، نجد أن الهيريرو من أعدائهم الناميين التقليديين (وهم شعب خواسانى ، أطلق عليه الهولنديون اسم الهتنتوت) دخلوا فى صراع مرير مع الغزاة الأوربيين ، وفى النهاية جاءت أسعد نتائج ذلك القتال متمثلة فى تبنى قضية الوحدة بين الهيريرو والناما فى مسألة الكفاح ضد المستعمرين الألمان .

وهناك شعوب أخرى ، هى الدامارا أو بيرج - دامارا ، التى تشكل حوالى ٨,٢٣ فى المئة من السكان ، ويختلفون اختلافا طفيفا ، من حيث المظهر ، عن القبائل الأخرى ، وذلك بسبب ملامحهم الزنجية الزائدة وبشرتهم الداكنة ، وقد قاست شعوب " الدامارا " فى الماضى الأمرين على أيدى جيرانهم الأقوياء : الهيريرو والناما ، الذين احتجزوهم كعبيد أو طردوهم إلى غربى البلاد !

وهناك أيضا مجموعة صغيرة من "التسوانيين " تشكل حوالى ١ فى المئة من السكان ؛ وهى تكاد تكون العنصر الغالب فى منطقة بوتسوانا المجاورة ، وهناك أيضا البوشمن ، الذين يشكلون حوالى ٨١,٢ فى المئة من السكان ، وهم عبارة عن تجمع سكانى بسيط يعيش على الصيد ، استطاع عن طريق الهرب إلى صحراء كلهارى ، أن يفلح فى البقاء على قيد الحياة وينجو من المذابح التى أقامها لهم المستوطنون الهولنديون ، كما نجوا أيضا من محاولة استرقاقهم ، وتحويلهم إلى عبيد !

وفى النهاية هناك مجموعتان من الملونين ، أى الأشخاص من أصل أفريقى وأوربى مختلط ، وأبرز هاتين المجموعتين هى ما يسمى " الريهوبوث باستر ، أحفاد أولئك الذين يتكلمون اللغة الأفريكانية ، والذين انحدروا عن التزاوج الذى حدث بين فلاحى البويرونسوة الناما ، والذين قطعوا مسافة سفر طويلة من الكيب فى أواخر النصف الثانى من القرن الثامن عشر ليكونوا منطقة مستقلة من المولدين ، أو إن شئت فقل الأبناء غير الشرعيين ، الذين يقولون لهم بلغة القوم " الريهوبوث جبيت ؛ وحصل الريهوبوث على أراضى لهم فيما يعرف الآن بجنوب غرب أفريقيا وذلك عن طريق مفاوضات أجروها مع أحد رؤساء قبيلة الناما ، والتى تم إقرارها والموافقة عليها فى العام ١٨٧٠ الميلادى ، فى اجتماع عقده الهيريرو والناما فى مدينة " أوكهاندجا ؛ وعندما نزل الألمان هناك أبرم الريهوبوثيون معهم معاهدة خوّلت الألمان حق حماية طائفة الريهوبوثيين ذات السيادة ، وتركت لهم قانونهم الجنائى والمدنى ، أما القسم الآخر من السكان الملونين فهو مكون من ملونين من جنوبى أفريقيا هاجروا إلى جنوب غربى أفريقيا ، حيث يزاولون أعمالا ماهرة وشبه ماهرة أيضا . والريهوبوث يشكلون حوالى ٢,٢٤ فى المائة من السكان (٢) أيضا ، كما يشكل الملونون من جنوب أفريقيا ٢,٥٢ فى المائة من السكان .

ومع أن بعض الأفريكانر فى جنوب أفريقيا ، انضموا إلى جانب الألمان مع بداية اندلاع الحرب العالمية الأولى ، كما رأينا ، إلا أن قائدى البوير المخلصين بوثا Botha و(سمطس) Smuts قاما بسحق ذلك التمرد على وجه السرعة ، وفى العام ١٩١٥ تمت هزيمة السادة الألمان هزيمة تامة فى جنوب غرب أفريقيا ؛ كما سمح للغالبية الساحقة من المستوطنين الألمان ، – مع استثناء الضباط والموظفين منهم – بالبقاء فى المستعمرة التى وضعت تحت انتداب عصبة الأمم فى حين كانت تدار مباشرة من جنوب أفريقيا . ومنذ العام ١٩٤٦ ، بدأت المصالح الدولية تزداد بصورة كبيرة فى جنوب غرب أفريقيا ، وبخاصة عندما رفضت منظمة الأمم المتحدة الوليدة السماح لجنوب أفريقيا بضم تلك المنطقة بصورة نهائية إلى الإتحاد ؛ وفى الوقت

ذاته ، تعين على حكم الأقلية البيضاء فى بريتوريا ، أن يمضى قدما ، بصرف النظر عن المنظمة الدولية ، كما بدأت المشاجرات القانونية بدون جدوى تتفاقم وتدوّى منذ ذلك الحين ، فى المجالس المختلفة التابعة للأمم المتحدة وفى محكمة العدل الدولية فى لاهاى ، وراحت حكومة جنوب أفريقيا تدعى بأن انتداب عصبة الأمم إنما ولاها بدلا من الأمم المتحدة الوليدة حقوق إدارة جنوب غربى أفريقيا باعتباره جزءً أساسيا من جنوبى أفريقيا ، حدث كل ذلك بعد حل عصبة الأمم فى العام ١٩٤٥ .

واستمرت أمام محكمة العدل الدولية ، ولمدة ست سنوات تقريبا ، مناقشة التحدى الطويل لنظام الحكم فى جنوبى أفريقيا من قبل كل من إثيوبيا وليبيريا ، إلى أن انعقدت محكمة العدل الدولية فى العام ١٩٦٦ الميلادى ، وقررت بأغلبية صوت واحد : أن أى من هاتين الدولتين ليس لها أى حق أو مطلب شرعى فى القضية . ومع أن المحكمة قررت بصورة قاطعة أنها لم تكن تصدر حكما فى القضية حول مزايا أو استمرار حكم جنوب أفريقيا لجنوب غربى أفريقيا ، إلا أن القرار كان ينظر إليه ، بشكل عام ، على إنه انتصار كبير لجنوب أفريقيا . وأعرب القاضى فليب سى . جيسوب الأمريكى ، عن رأى معارض قوى ؛ وبذلك خاب أمل الدول السوداء التى كانت تساند قضية أثيوبيا – ليبيريا خيبة مرة ، ويرجع السبب فى خيبة الأمل تلك أن جميع الدول الأفريقية الأعضاء فى الأمم المتحدة ، باستثناء أثيوبيا وليبريا ، لم تكن أعضاء فى عصبة الأمم التى إنحلت وماتت .

وأعطى ذلك القرار هو وعجز الأمم المتحدة عن فعل أى شيء أكثر من مجرد القرارات الأفلاطونية حول عدم شرعية استمرار حكم جنوب أفريقيا ، أعطى تنظيم " الكفاح المسلح " حافزا قويا للعمل ضد حكم جنوب أفريقيا .

وفى الحادى والعشرين من شهر يونية من العام ١٩٧١ الميلادى ، أصدرت محكمة العدل الدولية رأيا استشاريا [٣] بتأييد قرار الأمم المتحدة الذى ينص على أنه يتحتم إلغاء انتداب جمهورية جنوب أفريقيا على جنوب غربى أفريقيا ، وأن المنطقة ينبغى أن تدار بواسطة لجنة تابعة للأمم المتحدة ، أثناء البت فى استقلالها الكامل ، وجاء حكم المحكمة فى صورة قرار بأغلبية ثلاثة عشر إلى اثنين ، ومع صوتين سلبيين للقاضى البريطانى والقاضى الفرنسى ، وعلى الجانب الأخر ، ساندت حكومة الولايات المتحدة بشدة إلغاء انتداب جنوب أفريقيا . يقول حكم المحكمة :

نظرا لأن استمرار وجود جنوب أفريقيا فى ناميبيا – الاسم الذى أطلقته الأمم المتحدة على المنطقة – يعد أمرا غير شرعى ، فإن جنوب أفريقيا يعد ملزما بسحب إدارته فورا وبذلك يضع حداً لاحتلاله لتلك المنطقة .

وحيت جريدة النيويورك تايمز ، فى مقالها الافتتاحى فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يونيه من العام ١٩٧١ الميلادى ، قرار المحكمة ووصفته بأنه حكما عادلا بإنهاء حكم جنوب أفريقيا . وبرغم مساندة الولايات المتحدة سياسيا للقرار إلا أن الصحيفة أبدت ملاحظة محزنة مفادها أن " واشنطن ليست مستعدة لتأييد العقوبات الاقتصادية – ناهيك عن الإجراء العسكرى – ضد جنوب أفريقيا لفرض قرار المحكمة الدولية ، واتهم جون فوريستر ، رئيس وزراء جنوب أفريقيا ، المحكمة بالتحيز ضد جنوب أفريقيا ، ورفض حكم المحكمة ، الأمر الذى اضطر معه الوطنيون الأفارقة إلى اللجوء إلى الكفاح المسلح دفاعا عن حقهم الذى أقره العالم كله آنئذ وسلم أيضا بحق ناميبيا فى الاستقلال الكامل عن جنوب أفريقيا .

وتمشيا مع سياسة حكومة جنوب أفريقيا داخل حدودها المعترف بها ، قامت بإدخال كل تقنناتها العنصرية ضمن نظام الأبارتهيد ، وبصورة متدرجة إلى جنوب غرب أفريقيا ، وسرعان ما حظى السكان الذين كانوا أصلا من الأفريكانر أو الألمان بتمثيل لهم فى برلمان جنوب أفريقيا وذلك بعد أن تولى الأفريكانر الوطنيون السلطة فى عهد الدكتور مالان فى العام ١٩٤٨ ، زد على ذلك أن الوطنيين كانوا بحاجة إلى أصوات الدائرة الانتخابية للبيض التى كانت تضم فى ذلك الوقت ٢٤٠٠٠ صوتا فقط، وأعطى الوطنيون ستة مقاعد فى " مجلس الجمعية الأولى " وأربعة شيوخ فى "المجلس الأعلى "، وكان أصحاب كل تلك المقاعد من المؤيدين الأشداء للأبارتهيد .

أضف إلى ذلك ، أن الأوربيين فى جنوب غربى أفريقيا انتخبوا "جمعية تشريعية" من ثمانية عشر عضوا ، اتخذت من العاصمة (ويندهوك) مقرا لها ، وأصبحت بريتوريا هى التى تدير وتشرف بصورة مباشرة على شئون الدفاع ، والأمن والشئون الخارجية ، وشئون البانتو ، والهجرة إلى البلاد ، والجمارك ؛ فى حين كانت "الجمعية الإقليمية " تتولى كافة المجالات الأخرى ، أما السلطات التنفيذية فكانت من صلاحيات لجنة تنفيذية مكونة من المدير ، وهو رئيس الجمعية التشريعية ، وأربعة أعضاء تنتخبهم الجمعية وينتخب الملونون أعضاء "المجلس الاستشارى للملونين" فى الوقت الذى ترك فيه الأفارقة لمجالسهم القبلية وتحت رحمة الوزارة الخاصة بشئون البانتو فى بريتوريا .

ونظرا لأن (مابورومبا كيرينا) كان شخصية بارزة فى جنوب غربى أفريقيا فقد أعلن فى العام ١٩٦٥ الميلادى ، أمام اللجنة الرابعة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة :

إن القائمة الطويلة للأعمال الوحشية التى ترتكبها حكومة جنوب أفريقيا ضد شعبنا تعرفها تلك اللجنة ، هى والكثيرون من المندوبين البارزين الذين كانوا يحافظون على استمرار تركيز الأضواء - داخل الأمم المتحدة ، على مشكلات جنوب غربى أفريقيا ، طوال العشرين عاما الماضية ، ومع أن الأبارتهيد والقمع ، يعدان أمرين واضحين فى أجزاء كثيرة من البلدان الاستعمارية إلا أنهما لا يمارسان ، فى أى مكان آخر ، مثلما يمارسان فى جنوب غربى أفريقيا . ان رجالنا مستعبدون ومحبوسون فى حظائرهم ، مثل المطايا ، فى الأرض التى ولدوا فيها ، ومع ذلك فإن تصميم شعبنا على تحرير نفسه من استعمار جنوب أفريقيا ما يزال راسخا رسوخ صخرة جبل طارق [٤].

ومع أن الأمم المتحدة لم تستطع قط أن تفعل شيئا ناجحا لعلاج آلام الأفارقة ، إلا أنها وفرت لمندوبهم ، فى أضعف الأحوال ، منبرا للخطابة ينفسون فيه عن أحزانهم . وحدث الشيء نفسه للأغلبية السوداء فى جنوبى أفريقيا ؛ غير أنه فى الوقت الذى استطاعت فيه حكومة جنوب أفريقيا أن تسوق حججا مؤداها أن الأمور المتعلقة بالبانتو إنما تعد أمورا داخلية تماما ، ومن ثم فهى بعيدة عن طائلة الهيئة الدولية ؛ وأن تاريخ الانتداب نفسه ، بغض النظر عن القرار الغريب الذى أصدرته المحكمة الدولية ، إنما يتضمن مغزى مفاده أن جنوب غربى أفريقيا كان يعد مجرد مسألة دولية تطورت فى النهاية إلى نزاع استجمعت فيه بريتوريا قوتها ضد الأمم المتحدة ، الأمر الذى انكشف على أثره حكم الأقلية البيضاء فى جنوب غربى أفريقيا، وأصبح فى رأى الجميع عملا غير قانونى كما يقول فورد هام : وبذلك تصبح لهذا البلد قيمة أكبر من قيمة سكانه ، وموارده ، ودرجه نموه [٥].

وإذا كان يتعين علينا أن نعى شيئا واحدا عن جنوب غرب أفريقيا ، فإنه ينبغى أن يكون أكثر من واضح للجميع أن جنوب غربى أفريقيا ليس هو جنوب أفريقيا . وبغض النظر عن تكامل الجزء تكاملا لصيقا مع الجمهورية البيضاء ، إلا أن جغرافية وتاريخ وشعوب ذلك الجزء من الأرض الذى يطلق عليه بعض سكان جنوب غرب أفريقيا ، هم والأمم المتحدة ، اسم ناميبيا ، تثبت أن تلك الأرض لها كيان قومى مستقل . زد على ذلك أن وحدة تلك الشعوب فى كفاحها ضد ظالمهم ينبغى أن تؤدى فى النهاية إلى خلق دولة إفريقية مستقلة عن جيرانها فى الجنوب . وبرغم الحشد الهائل للقوات والشرطة فى البلاد إلا أن جنوب غربى أفريقيا يشكل حلقة ضعيفة داخل إمبراطورية بريتوريا العنصرية .

المقاومـــــة

كـان الألمان فى جنوب أفريقيا يتصرفون تصـرف المستعمرين تماما فى كل مكان ، غير أنه نظرا لأنهم كانوا على النقيض من البريطانيين فى الصـراع الاستـعمـارى الكبير فى الفترة من ١٩١٤ - ١٩١٨ ، فقد عمل أعداؤهم المنتصرون ، على نشر سجل غطرسة الألمان على أوسع نطاق ممكن ، وبطبيعة الحال لم يكن مفروضا على البريطانيين أن يزينوا ذلك السجل الذى يعد مثالا فريدا على الإبادة الجماعية إذا وجدت حالة لذلك ، أو أن شئت فقل : إنه حالة إبادة جنس ، والأدهى من ذلك : أن العالم لم يصل بعد إلى الكلمة التى يمكن أن نصف بها ذلك العمل .

كانت السنوات الأولى من الاستعمار الألمانى تتميز بالجهود المبذولة بتوجيه من المفوض الإمبريالى - ذلك الرجل الذى كان يدعى الدكتور جورنج Goring، الــذى اشتهر نجله هيرمان Hermann" بفعل أعماله السيئة والمشينة - مثل سائر القادة النازيين - من أجل توقيع معاهدات للحماية مع قادة القبائل ؛ فى حين كانت القوات الألمانية تقوم - بدون انذار سابق - بالهجوم على من لا يوقعون مثل تلك المعاهدات ، وذلك كما حدث لهندريك وتبوئى Hendrik Witbooi رئيس الناما فى العام ١٨٩٠ . وكان ويتبوئى قد هرب لمواصلة الكفاح ضد البيض ، وجرى أيضا سحق أناس آخرين مثل شعب البوندلز ، الذى يشكل قبيلة صغيرة ، بواسطة قوات تتفوق عليها عددا وعدة وعتادا ، وظل واضحا لفترة من الزمن أن الألمان الجشعين عندما كانوا يقومون بخنق شعب من الشعوب ، كان ينبرى هناك شعب آخر متمردا على ذلك الحكم الأجنبى .

ومن الطبيعى أن خطة الاستعمار الألمانية ، كانت تتضمن إبعاد القبائل عن أراضيها حتى يتسنى للمستوطنين الألمان الحصول على تلك الأراضى والاستيلاء عليها ، وما أن وصلت طلائع البيض الأوائل إلى جنوب غرب أفريقيا حتى بدأت تضع أعينها على قطعان الماشية الضخمة لدى شعوب الهيريرو ، وفى العام ١٩٠٣ ، كان الألمان قد استولوا على أكثر من نصف ماشية الهيريرو وذلك عن طريق العمليات التجارية السريعة والسرقة المطلقة ، كما أبرمت أيضا صفقات مماثلة لحرمان الهيريرو وقبائل أخرى من أجزاء كثيرة من أراضيها .

كان شعب الناما قد أطلق شرارة الثورة فى العام ١٩٠٣ ، وتحولت حرب الناما عقب فترة الخمول التى أعقبت هزيمة ويتبوئى ، إلى حرب شملت شعب الهيريرو بكامله فى العام ١٩٠٤ ، وذلك عندما قام ٧٠٠٠ مقاتل - معظمهم بلا أسلحة -

وتحت قيادة شيف صامويل مكاريرو بتوجيه ضربة مفاجئة إلى الألمان ، الذين تراجعوا إلى معاقلهم الساحلية انتظاراً لوصول تدعيمات لهم من الوطن ، وأخيرا وصلت تلك التدعيمات وقام الألمان بحمله لاستئصال الهيريرو العزل وإبادتهم ، وصدرت الأوامر إلى الجنرال فون تروثا Trotha، الخبير الاستعمارى الألمانى ، بالتوجه إلى جنوب غرب أفريقيا ، ولما كان فون تروثا خبيرا فى قتل غير البيض ولما كان قد اشترك فى سحق ثورة البوكسر فى الصين ، فقد أصدر مع بداية حرب "ماجى ماجى" فى تنجانيقا ، أمرا بإبادة الهيريرو المنهزمين سواء أكانوا رجالا أم نساءً أو أطفالاً ، ويقدر عدد الهيريرو الذين ذبحتهم القوات الألمانية بحوالى ٦٠٠٠٠ نسمة ، بينما مات حوالى ٢٠٠٠ من الألمان أثناء القتال .

وكان شيف هندريك ويتبوئى هو الذى قاد الناما ومعظم القبائل الجنوبية الأخرى ضد الألمان ، وبعد عام من المعارك اليائسة ، وغير المتكافئة ، قتل ويتبوئى أثناء القتال ، ومع ذلك استمر القتال بقيادة شيف يعقوب مارنجا حتى العام ١٩٠٧ وحولت تلك الحملة الدامية ، قوات الهيريرو البالغ عددها ٨٠٠٠٠ مقاتل إلى حوالى ١٥٠٠٠ لاجئ كانوا يموتون جوعا ، ويتحقق الانتصار الكامل للألمان الذين أبادوا نصف الناما والدامارا ، ثم جرى بعد ذلك تجريد الهيريرو من أراضيهم ، ومنعهم من تربية الماشية ؛ وبذلك أمكن تحويلهم إلى أيدى عاملة رخيصة للألمان الذين كانوا يستوطنون أراضيهم بالفعل ، وهنا بدأت فترة رواج الهجرة الألمانية ، كما أدى اكتشاف الماس والبدء فى تعدين النحاس إلى زيادة وانتعاش المستعمرة " التى فرض عليها السلام " كما تم أيضا مد السكك الحديدية وتطوير مينائى (لودريتز) و (سوكوبموند) ، وبقيت هناك بعض القوات الألمانية التى تحولت إلى مستوطنين فى الأراضى التى أخذوها من الأفارقة .

أما فى الشمال ، فقد هرب الأوفامبو من الاشتباكات المباشرة مع الألمان ، وللحيلولة دون وقوع أى من تلك الاشتباكات ، حرّمت الحكومة الألمانية على الأجانب الدخول إلى أراضى الأوفامبو ما لم يتم حصولهم على إذن خاص بذلك من الحاكم . واضطر الأوفامبو الذين أحسن تسليحهم وتنظيمهم تنظيما قويا إلى أن يتجنبوا ذلك التعدى البرتغالى عليهم من أنجولا وذلك فى العام ١٨٨٥ والعام ١٩٠٢ ، وتحمل سكان المناطق الشمالية والوسطى من البلاد حدة جشع الألمان وسيقوا كالقطعان إلى معازل فقيرة تعرف باسم " المعازل الوطنية ".

أما عن الحقائق الوحشية للإستعمار الألمانى فى جنوب غربى أفريقيا فقد قامت لجنة تحقيق بريطانية خاصة بنشرها فى كتاب أزرق فى العام ١٩١٨ عن الحكم الألمانى ، وكان تقرير اللجنة التى تكونت لديها مظاهر الرعب والعنف – وجميعها صادقة تماما – يهدف إلى إقناع الرأى العام العالمى بأن ألمانيا الإمبريالية المنهزمة لا تصلح لتحمل العبء المربح للرجل الأبيض فى أفريقيا بل وفى أى مكان آخر ، ولو أنشئت لجان مشابهة أخرى ، فى كل من الهند الصينية ، وشمال أفريقيا ، أو جزر الهند الغربية لتوصلت إلى نتائج أخرى مشابهة ، ومع ذلك ، فإن الألمان الذين بدأوا متأخرين فى سباق المستعمرات : قلما كانوا أكثر طيشا فى جشعهم أو أكثر قسوة فى أساليبهم ، عما كانت عليه الدول الاستعمارية الأوربية القديمة فى الماضى بشكل عام .

وعلى كل حال ، فإن الحرب العالمية الأولى أدت إلى إنهاء المطامع الاستعمارية الألمانية . وقامت قوات بريطانية ، من جنوب أفريقيا ،باحتلال جنوب غرب أفريقيا . وبعد أن تم إنزال الهزيمة بالقوة الألمانية التى كانت تفوق القوات البريطانية عددا ، أصبح جنوب غرب أفريقيا يحكم حكما عسكريا فى الفترة ما بين ١٩١٥ و ١٩٢٠ . وبناء على بنود المادة ١١٩ من معاهدة فرساى تنازلت الحكومة الألمانية عن جنوب غربى أفريقيا إلى الدول الرئيسية فى مجموعة الدول المتحدة المتحالفة ، ونقلت الحكومة الألمانية أمر تلك البلاد إلى بريطانيا التى قامت بدورها بتسليم إدارة جنوب غربى أفريقيا إلى اتحاد جنوب أفريقيا بناء على الفقرة "جيم " من انتداب عصبة الأمم .

معنى ذلك أن الظروف الخاصة لعدد صغير من السكان ، أو بعد المنطقة أو حجمها ، قد تحتم إدارة المنطقة باعتبارها جزءًا أساسيا من دولة الانتداب ، التى تخضع بدورها لضمانات مصالح الشعوب المختلفة ؛ غير أن جنوب أفريقيا ، كان يرى فى الانتداب خطوة أولى نحو ضم جنوب غربى أفريقيا إليه بصفة نهائية . والواقع أن مجلس وزراء الحرب الإمبراطورى البريطانى كان قد أعطى وعدا سريا لجنوب أفريقيا بإعطائه جنوب غربى أفريقيا ، زد على ذلك ، أن الجنرال سمطس Smuts كان عضوا فى ذلك المجلس فى العام ١٩١٤ ، ونظر لأن ذلك الاتفاق تم قبل دخول الولايات المتحدة الحرب ، فقد عارضه الرئيس وودرو ولسون Woodrow Wilson رئيس الولايات المتحدة [٦] معارضه شديدة ، غير أن ولسون عاد ووافق على ذلك فى

النهاية ، مثلما فعل فى مسائل أخرى كثيرة ، وفى كل الأحوال ، فإن انتداب جنوب أفريقيا ، لم يعط شعوب هذه المنطقة السيادة على أراضيها ، وإنما أعطاها مسئولية إدارتها باعتبار ذلك شكلا من أشكال الوصاية .

وعهد الحاكم العام لجنوب أفريقيا ، إلى حاكم من جنوب غربى أفريقيا بتلك السلطات الإدارية ، وخوّل المواطنون البيض فى العام ١٩٢٥، حق انتخاب أعضاء "جمعية تشريعية " يكون كل أعضائها من البيض ، واختير عضو أوربى ليكون ضمن " المجلس الاستشارى " لحاكم جنوب غربى أفريقيا تأسيسا على زعم يتعلق بإلمام ذلك العضو إلماما تاما برغبات واحتياجات الأجناس البيضاء فى المنطقة (٧) ؛ وبطريقة آلية أعطيت للمستوطنين الألمان جنسية تلك البلاد وأصبح لهم تمثيل متساو فى تلك الجمعية ، زد على ذلك ، أن الجنرال سمطس شخصيا كان شغوفا بتوحيد كل البيض فى البلاد مستهدفا بذلك الحيلولة دون اندلاع أى شكل من أشكال التمرد الثورى الأفريقى .

ومع ذلك ، حدث تمرد وثورة ، فقد قامت (البوندلز و ورتز) ، إحدى قبائل الناما بالتجمهر والتمرد على " ضريبة الكلاب " التى فرضت عليهم لإجبارهم على العمل فى خدمة المستوطنين الأوربيين ، وقامت قوات وطائرات جنوب أفريقيا بسحق ذلك الاحتجاج خلال خمسة أيام ، إذ قتلت مائة من الرجال ، والنساء ، والأطفال . واضطر الملك (ماندومى) ملك الأوفامبو فى العام ١٩١٧ ، بعد مكافحته الهجوم البرتغالى الذى أحدث خسائر جسيمة فى شعبه إلى الخضوع " للحماية " من قبل قوة جاءت من جنوب أفريقيا ، وسوى البرتغاليون وأفارقة الجنوب نزاعاتهم على الحدود ، التى لم يتم ترسيمها ، عن طريق رسم خط يمر بمنتصف شعب الأوفامبو ، غير أن مندومى وشعبه رفضوا الالتزام بعدم عبور الحدود المصطنعه ، وهجم الأوربيون عليهم فى (أونديجيفا) ، ومهما كان الأمر ، فإن الملك وحرسه الخاص هربوا ، بل ويقال إنهم انتحروا ، ونقلا عن رواية شعبه يقال : إنهم قطعوا رأس الملك ماندومى ، بعد ذلك وأخذوها غنيمة ، ونقلوها فى موكب انتصار ، إلى مدينة ويند هوك حيث جرى دفنها فى حديقة لم يسمح بعد لأى أفريقى بالدخول إليها .

كان نظام الانتداب يتكفل بالتقارير السنوية التى تقدم " للجنة الانتداب الدائمة " ، التابعة لعصبة الأمم ، والتى كانت تتكون من مندوبين من أربعة دول غير خاضعة للانتداب وأربعة مندوبين من الدول القائمة بالانتداب ، وكما

أوضح (بى . تى . مون) فإن النظام كان غامضا بصورة لا تعقل : إذ إن عصبة الأمم التى أوكل إليها مسئولية تأكيد إدارة أقاليم الانتداب طبقا للمبادئ الإنسانية الواردة فى ميثاق (عصبة الأمم) ، كانت مزودة برغم ذلك بسلطات محدودة لا تكفى لإنجاز المهام المطلوبة منها ، ولم يكن بوسع عصبة الأمم - أو بالأحرى لم تستطع - أن تصدر أوامر بتحسين الظروف أو إصدار أحكام قضائية لوقف الأعمال التى تثير الاعتراض والنفور [٨] .

وأمكن الوقوف على حقيقة اللجنة عن طريق فيرست First الذى قام بدراسة عملها لما يزيد على ربع قرن من الزمان ، وأوضح فيرست أن اللجنة كان لديها المعلومات الكافية ، غير أنها فى النهاية لم يكن لها حول ولا قوة [٩] ، وبدأت حقيقة الأمور فى مناطق الانتداب ، تظهر بصورة بطيئة عن طريق التحرى الدقيق بسؤال ممثلى جنوب أفريقيا ، والدراسة الدقيقة لكل فقرة من فقرات تقريرهم ؛ غير أنه لم يكن بوسع اللجنة استقبال أية تقارير أو سماع أية التماسات من السكان الأفارقة المضطهدين ، أو أن تقوم اللجنة بتحرى الواقع بنفسها ، والأهم من كل ذلك أن اللجنة لم يكن بوسعها حتى مجرد نشر تقرير بالنتائج التى انتهت إليها بشأن الموقف فى تلك المناطق .

وعلى ذلك ، سارت الأمور ومرت السنون وحزن الأفارقة يتزايد إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وهنا وصل جيل إفريقى شاب من جنوب غربى أفريقيا إلى المقدمة ؛ وانضم هذا الجيل إلى زعماء القبائل التقليديين ، وراحوا جميعا يطالبون بالعدل للجماهير السوداء ، وكان بعض هؤلاء الرجال الشبان ، أمثال (جريرتوندى كوز نجويزى) Jariretundu kozonguizi ، قد تلقوا تعليمهم فى (فورت هير كوليج) ومدارس أفريقية أخرى فى جنوب أفريقيا ، ولكنهم ألقى القبض عليهم فى الانتفاضة التى قامت بها رابطة الشباب التى بعثت الحياة من جديد ولفترة قصيرة فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، واستطاع آخرون الهرب إلى الخارج عن طريق المعلمين الذين كانوا يعملون فى البعثات التبشيرية ، بطرق أخرى ملتوية ، ونظرا لأن الأمم المتحدة كانت قد تولت العمل بدلا من عصبة الأمم البائدة ونظرا أيضا لأن أعضاء الأمم المتحدة كانوا يعدون جنوب غربى أفريقيا منطقة حماية طبقا لميثاق الأمم المتحدة فقد بدأ الأفارقة يتطلعون إلى الأمم المتحدة وكلهم أمل أنها ستنجدهم وتأخذ بيدهم .

وفى البداية وبينما كان جنوب أفريقيا لا يزال يؤكد أن جنوب غربى أفريقيا لم يصبح بطريقة آلية منطقة حماية ظهر جنوب أفريقيا بمظهر الذى كان ينحنى طاعة للهيئة الدولية ، غير أنه فى العام ١٩٥٠ ، وعندما أكتشفت محكمة العدل الدولية أن

جنوب غربي أفريقيا كان لا يزال يعد منطقة تقع تحت الانتداب الدولي ، أعلن ممثلوا جنوب أفريقيا قرار حكومتهم بتجاهل قرار الأمم المتحدة ومعاملة جنوب غربي أفريقيا كجزء مندمج مع جنوب أفريقيا ، واستطاع فريق من الأفارقة الغاضبين أن يشقوا طريقهم إلى نيويورك ليدلوا بشهادتهم أمام اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة بقيادة " ميبورومبا كيرينا " في العام ١٩٥٧ واستطاع ذلك الفريق أن ينضم إلى الأب ميكل سكوت Rev. Michael Scot الذي كان يسعى بالفعل للضغط بصورة شديدة على كبار أعضاء الأمم المتحدة نيابة عن الأفارقة ، كما جرى تهريب كل من (ريهوبوذر) و (هانزبيوكز) إلى خارج جنوب غربي أفريقيا عن طريق ثلاثة من الأمريكان المغامرين هم : شيرمان بول ، وإيموري بوندي ، وآلارد لونستين ، وفي العام ١٩٥٩ ، أوفد كوزنجويزي من قبل مجلس زعيم الهيريرو ليتكلم نيابة عن شعوبهم أمام الأمم المتحدة وكان القس ماركوس كوبر قد شق طريقه أيضا إلى نيويورك ، بعد هروبه عن طريق أراضي بتسوانا ليدلي بشهادته عن الموقف في (هوشانا) Hoachana: وبدأ ذلك في العام ١٩٦٤ بالتماس وحيد قدمه زعماء الناما والهيريرو ؛ وبذلك وصل إجمالي عدد الالتماسات التي أرسلت إلى اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة في العام ١٩٦٠ فقط (١٠) إلى ١٢٠ التماسا .

وبذلك ، نرى أن شعلة المقاومة ظلت مشتعلة بفضل رؤساء القبائل ومجالسهم ، ومع الإلحاح على المطالب التي طواها النسيان ، والإشارة إلى فقرات في معاهدات طويلة منتهكة مع الأوربيين ، لم تحقق القبائل الأفريقية شيئا في وجه تصميم البيض على الاستيلاء على أراضيهم وتحويل تلك القبائل إلى عبيد أرض حقيقيين ، غير أنهم سمح لهم بالحديث ، حتى ولو لأنفسهم فقط ، الأمر الذي أدى إلى الإبقاء على جذوة مشاعر شعوبهم تجاه الظلم الذي حاق بهم وجعلهم يبحثون عن علاجات أخرى .

ويمكن لنا الوقوف على نواة فكرة التنظيم السياسي الحديث في جنوب غربي أفريقيا في "هيئة الطلاب " في جنوب غربي أفريقيا ، التي أنشأها طلاب جنوب غربي أفريقيا الذين كانوا يدرسون في جنوبي أفريقيا في العام ١٩٥٢ ، والتي أعيد تشكيلها في العام ١٩٥٥ تحت اسم " الاتحاد التقدمي لجنوب غربي أفريقيا " (سوابا) Swapa أضف إلى ذلك أن جميع التجمعات الوطنية التي جاءت بعد ذلك كانت لها جذور في ذلك التنظيم الطلابي ، وتبرز ثلاثة أسماء بين أعضاء ذلك التنظيم هي : كيرينا ، كوزنجويزي ، وزيدكيا نجا فيرو ، وفي مدينة الكيب ، التقى كوزنجويزي أيضا بتويفوهيرمان جاتويفو ، أحد العسكريين السابقين من الأوفامبو ، الذي كان يعمل آنئذ في جنوب أفريقيا وجمع حول نفسه في المنفى مجموعة من ذوي الميول الوطنية الذين كانت لديهم أفكاره نفسها .

غير أن التنظيم السياسي الفعلى فى جنوب غربى أفريقيا بدأ فى العام ١٩٥٨ . وبرغم أن طلاب جنوب غربى أفريقيا الذين كانوا فى جنوب أفريقيا كان يحدوهم أمل مشاهدة تكوين حزب وطنى حقيقى إلا أن التنظيمات التى ظهرت فى النهاية كانت تقوم على أساس قبلى . ونقلا عن كيرينا :

١- أسس شعب الأوفامبو ، حزب المؤتمر الشعبى الأوفامبى ، الذى أصبح فيما بعد يسمى باسم المنظمة الشعبية الأوفمبية ، ثم تحول فى النهاية إلى المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا(سوابو) Swapo

٢- قام شعب الهيريرو بالاشتراك مع شعب مابانديرو بانشاء الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) Swanu

٣- قام شعب الناما بانشاء " المنظمة الوطنية المستقلة المتحدة لجنوب غربى أفريقيا " Swanio

٤- قام شعب الدامارا بانشاء الاتحاد الديمقراطى لجنوب غربى أفريقيا Swadu.

٥- قام الملونون من جنوب غربى أفريقيا الذين كانوا يعيشون فى جنوب غربى أفريقيا بانشاء منظمة الملونين فى جنوب غربى أفريقيا الشهيرة بسوء سمعتها Swaco.

٦- قام شعب ريهوبوث بانشاء اتحاد برجرز ريهوبوث ؛ الذى يشار إليه فى معظم الأحيان باسم " باسترز راد " Basters raad.

٧- كما كان شعب الهيريرو يعمل أيضا من خلال المجلس القومى لزعيم القبيلة الشريف هوسياكوتاكو ، الذى لعب دوراً حيويا فى الصحوة السياسية لجنوب غربى أفريقيا قبل ظهور التنظيم السياسى فى تلك المنطقة .

كانت كل تلك التجمعات ، باستثناء منظمة الملونين فى جنوب غربى أفريقيا ، تعارض سياسة الأبارتهيد فى جنوب أفريقيا ، ونظام حكم الأقلية البيضاء الذى كان يحكم جنوب غربى أفريقيا ، من بريتوريا . وأبقت المجموعة الملونة التى كانت تخضع للسيطرة الكاملة من قبل حكومة جنوب أفريقيا - على الوعى السياسى الوضيع والفوضى التى كانت تضرب بين الملونين الذين استوطنوا جنوب غرب أفريقيا والذين

بدأو يثقون بالعهود التى كانت تقطع لهم من وراء الحدود بأنهم سيشاركون فى استقلال تلك البلاد التعيسة .

كما جرت داخل وخارج البلاد محاولات فاشلة وعقيمة من أجل الوحدة . ففى العام ١٩٦٥ ، أعلن كيرينا أمام اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة تكوين منظمة ثورية متحدة ، غير قبلية تكون بمثابة حزب التحرير الوطنى الرئيسى للبلاد ؛ وبرغم ذلك فإن " المنظمة الديمقراطية للوحدة الوطنية " التى كانت تساندها شخصيات بارزة من أمثال هوسياكوثاكو ، س . هـ . وتيبوى " وكليمنتس كابويو" ، " وهانزبوكيز " بل وكيرينا نفسه ، لم تبعث إلى الحياة كما أن كيرينا نفسه ، الذى يعد متحمساً سياسيا وناطقا باسم جنوب غربيأفريقيا استوطن مع زوجته الأفرو - أمريكية وأطفاله مدينة نيويورك وفى إحدى المناسبات قرر كيرينا العودة الى وطنه جنوب غرب أفريقيا ، غير أن محاولته أحبطت نتيجة عوامل عديدة ولم يصل إلى أبعد من بوتسوانا ، التى طرد منها فى النهاية . ثم عاد إلى نيويورك وسرعان ما أعلن عن تكوين " حركة وحدة " أخرى أطلق عليها اسم الجبهة الوطنية المتحدة لجنوب غربى أفريقيا ، . وذوى ذلك التنظيم أيضا على عوده ، واستقر كيريناً بصورة أكبر فى دوره كخبير (١١) ومستشار لوفود الأفارقة من جنوب غربى أفريقيا فى الأمم المتحدة .

ولم تدب الحياة بصورة تسترعى انتباهنا هنا إلا فى اثنين فقط من بين التنظيمات السبع التى تقوم على أساس قبلى ، والتى اعد بها كيرينا قائمة فى العام ١٩٦٥ ، وهاتان المنظمتان هما : سوانو: أى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا وسوابو : أى المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا "- كما أن واحدة منهما ظهرت فى السبعينات كما لو كانت تتشبث بالحياة .

الاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا (سوانو)

كانت جذور حركتي التحرير الفائزتين في البداية في جنوب غربي أفريقيا تعود في الحقيقة الى أصل واحد. وكان يمكن توحيدهما في هيئة واحدة تشمل الأمة كلها ، لو أن الشبان حققوا ما أرادوا ، غير أن السياسة القبلية تدخلت في ذلك الأمر ، فقد كان الرئيس هوسياكو تاكو زعيم الهيريرو قائدا لشعبه منذ العام ١٩٠٤ وظل يشغل منصب الزعامة الى أن وافته المنية عن ١٠٠ عام تقريبا في العام ١٩٧٠ ، كان شعب الهيريرو أول من قام بمبادأة تقديم التماس للأمم المتحدة ، ثم انضمت في النهاية كل القبائل الأفريقية إلى ذلك العمل ، غير أن تنافسهم القبلي القديم لايزال يجعلهم يشكون في بعضهم بعضا وجعل مسألة تكوين حزب وطني واحد أمراً مستحيلاً .

وفي مدارس جنوب أفريقيا كان الشبان من الرجال ينتمون إلى هيئة واحدة لطلاب جنوب غربي أفريقيا ، كما كونوا في وطنهم الأم مع آخرين تنظيما آخرا يحمل اسم الاتحاد التقدمي لجنوب غربي أفريقيا . تحت قيادة يواتجا كاوكيوتو Uatja Kaukuetu وبذل ذلك الإتحاد جهودا مضنية من أجل خلق حركة وطنية موحدة في كل أنحاد جنوب غربي أفريقيا . وعندما طرد تويفو جاتويفو الزعيم الأوفامبي النشط في المنفى ، من جنوب أفريقيا في العام ١٩٥٨ بسبب إرساله التماساً مسجلاً على شريط إلى مبيرومبا كيرينا في الأمم المتحدة ، سافر هو وجريرو توندا كوزنجويزي عائدين إلى جنوب غربي أفريقيا سوياً . وهناك أجريا محادثات مع كبار الزعماء ، من أمثال هو سياكوتاكو وكليمنتس وكابويو وذلك حول تكوين حركة وطنية ، وكان يتحتم على كوز يونجويزي أن يقوم بالتنظيم في ويندهوك على حين واصل تويفو الاتجاه شمالا إلى شعبه الأوفمبي حيث وضع تحت الرقابة المستمرة لعدة سنوات .

وكانت قبيلة الهيريرو ، في ذلك الوقت ، قد قامت بانتداب كوزينجويزي للإنضمام الى القس ميخائيل سكوت في الأمم المتحدة كواحد من أصحاب الإلتماسات . ذلك أنه منذ العام ١٩٥٦ ، وبينما كان المبشر الإنجليزي سكوت يقوم بعرض القضية الأفريقية بطريقة حية ، نجد أن مبيرومبا كيرينا كان بمثابة مقدم الالتماس الوحيد من جنوب غربي أفريقيا ، وقد استطاع أن يغادر جنوب أفريقيا بجوازسفريحمل إسم إيريك جيتزن ، كما سافر إلى الولايات المتحدة أيضًا حيث حصل على منحة دراسية في جامعة لينكولن ، وكانت لكيرينا مراسلات مع تويفو في مدينة الكيب ، كما عرض أيضًا أن يقوم بتمثيل التنظيم الجديد في الأمم المتحدة ، الذى كان بالفعل فيها صاحب التماس بناء على تفويض له بذلك من قبل كل من هيئة الطلاب في جنوب غربي أفريقيا وهو سياكوتاكونيابة عن قبيلة الهيريرو .

وفى فبراير من العام ١٩٥٩ سافر كوزنجويزى إلى نيويورك ، عن طريق بوتسوانالند ، وفى إبريل من ذلك العام قام سام نجوما ويعقوب كوهانجوا بإنشاء المنظمة الشعبية الأوفمبية التى أسست على النظام القبلى على حين جاء إلى الوجود أول اتحاد وطنى لجنوب غربى أفريقيا فى شهر مايو ، وكان يواتجا كاوكيوتو أول رئيس له ، وجرى فى شهر سبتمبر توسيع قيادة سوانو كما جرى أيضا اختيار كل من نجوما وقادة المنظمة الشعبية الأوفمبية فى المجلس التنفيذى لما كان مقرر له أن يكون منظمة وطنية .

ومهما كان الأمر ، فإن المنافسة فى الداخل والخارج ، حالت دون دعم سوانو لحركة وطنية موحدة . كما حدث نوع من التوتر فى نيويورك بين كيرينا وكوزنجويزى ، وكتب كيرينا إلى نجوما ، يطلب منه توسيع المنظمة الشعبيه الأوفمبية لتصبح تنظيما وطنيا . ثم قام الدكتور كيرينا فى محاولة منه لجعل المنظمة الشعبية الأوفمبية تنظيما وطنيا بإبتكار اسم سوابو أى المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا ، وقد صرح بذلك ناثانيل مابا بيفا ، أحد رفاق كيرينا ، فى اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة فى العام ١٩٦٥ ، وجاء ذلك التصريح عندما انفصل كيرينا المضطرم بالحماس عن سوابو [١٢]. وربما لم يكن نجوما بحاجة إلى إشارة خفية من نيويورك نظرا للخلافات القبلية فى البلاد . وعلى أى حال ، فقد وجد نجوما نفسه فى المنفى بعد إطلاق النار الذى حدث فى ويندهوك أولدلوكيش فى العاشر من ديسمبر من العام ١٩٥٩ ، وقامت الشرطة التى كانت تهدف إلى إزالة الأفارقة وطردهم إلى مدينة أخرى من مدن الابارتهيد إسمها كاتوتورا Katutura بقتل ثلاثة عشر من الأفارقة ، من بينهم شقيق كيرينا ، كما جرح اثنان وأربعون آخرون، وقد حدثت تلك المجزرة بعد خمسة أشهر من مذبحة شاربفيل - لانجا فى جنوب أفريقيا ذاته .

أما كوزنجويزى الذى جرى اختياره رئيسًا للاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، فى انتخابات سبتمبر - برغم غيابه - فقد التقى نجوما فى منروفيا - ليبيريا - وقام الزعيمان الشابان بتوقيع خطاب مشترك يطالب بوحدة منظمتيهما فى الوطن ، ولكن تلك الإشارة لم تسفر عن شىء واستمرت المنظمتان كل فى طريقها المنفصل ، ومع ذلك كانت المنظمتان تتصادقان وتتعاونان فى بعض الأحيان ، ولكنهما فى حالات كثيرة كانتا منقسمتين بسبب الخلافات الشخصية والأيدلوجية علاوة على النزعة القبلية ، واستمرت المجموعتان تعملان بطريقة شبه شرعية فى جنوب غرب أفريقيا كما كانتا تعملان أيضا فى المنفى .

أما الأفكار البسيطة التى مفادها أن الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا يعد حزبا للهيريرو فقط فتكذبها حقيقة مركبة إلى حد بعيد ، ففى موضع من المواضع نجد أن مجلس رئيس الهيريرو وبتحريض من كيرينا فى نيويورك بدأ يتبرأ من الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، علاوة على أن كثيرين من الرجال الشبان الذين أنشأوا الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فى ويندهوك وفى مراكز أخرى من جنوب أفريقيا تنصلوا من سياستهم القبلية ، ومع ذلك كان زعماء الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا يجدون أنفسهم باستمرار متورطين فى سياسات قبلية (١٣).

أما فى الخارج فقد أصبح سوانو مرتبطا بشخصية كوزنجويزى ، ففى البداية ، لعب كوزنجويزى الدور الذى كان مطلوبا منه كصاحب التماس فى الأمم المتحدة وكمبعوث للحكومات الأفريقية المستقلة ، وعلاوة على ذلك أنشئ مكتب للإتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فى دار السلام وآخر فى القاهرة ، حيث تجمع فيهما بعض المنفيين من جنوب غربى أفريقيا . وأخذت كل من منظمة سوانو ومنظمة سوابو ، مثل منافسيهما ، تتوسلان إلى الأمم المتحدة للتدخل فى جنوب غرب أفريقيا . ولما كان الجانب القانونى واضحـًا تماماً للأفارقة ، فقد ظنوا أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تفشل فى التصرف نيابة عنهم ، وبخاصة إذا ما أرادت أن تحافظ على التمسك بميثاقها وبالعمل به . غير أن الأمم المتحدة بقيادة بريطانيا التى كانت تخشى من أن يؤدى أى صراع عنصرى فى جنوب أفريقيا إلى الاضرار بالمصالح البريطانية الواسعة فى جنوبى افريقيا ، لم تذهب إلى أبعد من التصويت على قرارات أفلاطونية . أضف إلى ذلك ، أن برنامج الإتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، الخاص بقوة الشرطة التابعة للأمم المتحدة التى طال انتظارها ، والتى تتكون قواتها من قوات مأخوذة من دول (١٤) أسيوية ، وأفريقية أخرى محايدة -، لم تصبح مطلقاً واقعاً مادياً ويتوسل كوزنجويزى ، دون جدوى مطالباً باتخاذ اجراء ويعلن : التناول الإصلاحى للكفاح فى سبيل التحرر ، والاصلاح قد استنفذ كل وقته الذى دام خمسة عشر عاما من الالتماسات والمؤتمرات الاهلية مع "المسئولين الوطنيين" ، ومع الوفود ، ومع وزير جنوب غربى افريقيا ومع ماكميلان أيضاً ... إننا نرفض أيضا فكرة أن خلاصنا يجب أن يعتمد تماما على الدول الكبرى . إننا نتوسل إلى دول الأمم المتحدة جميعها وبخاصة الدول الشقيقة فى أفريقيا أن تتخذ أجراءً ضد جنوب أفريقيا ومع ذلك فإن حق اتخاذ القرار يظل كامنا فى شعب جنوب غربى أفريقيا وحده ، إن علينا أن نجد الأساليب الفعالة لتحرير أنفسنا (١٥) .

كان كوزنجويزى ، الذى كان عضوا فى فرع الاتحاد الوطنى الأفريقى للطلاب فى فورت هيركوليج فى تلك الأيام يميل إلى الشك فى الأفريكانست (الوحدة الافريقية) كما كان يتعاطف بصورة أكبر مع شيوعى جنوبى أفريقيا الذين كان يرى فيهم حسب إحساسه أمل العمل ، ومن هنا جاءت رغبته فى ارتياد آفاق الاتصالات مع الدول الاشتراكية ، ومما يدعو إلى السخرية أن زعماء سوابو : المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا هم الذين عارضوا ذلك بشدة ، عندما تحدث كوزنجويزى من راديو بكين أثناء زيارته للصين . واستطاع سوانو : الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا تحت زعامة كوزنجويزى أن يقيم علاقات وثيقة مع الشرق ، وبخاصة مع الصين ، غير أن ذلك قبل أن يتجلى الإنقسام الصينى - السوفيتى بصورة علنية . وفى ذلك الوقت هاجم الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا (سوابو) زعماً بأنها كانت لها علاقة وثيقة مع اتحاد كلايمكس الأمريكى للمعادن الذى كانت له مصالح كبيرة فى جنوبى غرب أفريقيا ، والذى قدم فى أحيان كثيرة وبصورة متكررة منحاً لأعضاء المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا فى الخارج . وبذلك أصبح الإتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، نظراً لأنه كان يعد جماعة عسكرية تقدمية - عضواً فى منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية ، وحضر الاتحاد المؤتمر التأسيسى لمنظمة القارات الثلاث فى هافانا فى ٣ من يناير من العام ١٩٦٦

وعندما تأسست منظمة الوحدة الأفريقية رحب سوانو بالهيئة الجديدة ورفض خلق قوة عسكرية تكون تحت رعاية لجنة تحرير أفريقيا ، وفضلا عن ذلك راح كوزنجويزى يسخر من الكتائب المتزايدة لحركات التحرر الأخرى وتنبأ بأنها يمكن أن تكون ، فى الوقت المناسب ، بمثابة صداع لمنظمة الوحدة الأفريقية ، بل وللحركات ذاتها ، طالما أن الموقف السياسى لا يسمح بالاستعانة بهؤلاء المقاتلين فى سبيل الحرية فى القتال ضد جنوب أفريقيا ، وثمه اعتبار آخر ربما يكون قد حدا بكوزنجويزى إلى الاستخفاف بدعوة منظمة الوحدة الافريقيه لتدريب مقاتلين من محبى الحرية فى جنوب غربى أفريقيا ، كان يتمثل فى الطابع شبه القانونى لحزب كوزنجويزى . وبرغم تلك الصعوبات المتزايدة استمر الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، زد على ذلك أن سلطات جنوب أفريقيا لم تكن قد حرمت الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا أو المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا عندما حظرت كلا من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وحزب مؤتمر الوحدة الأفريقية علاوة على تجمعات أخرى فى جنوب أفريقيا .

وأيا كانت الأسباب التى تكمن وراء ذلك القرار فقد كان بمثابة خطأ تكتيكى جعل الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا يخسر فى النهاية تأييد منظمة الوحدة الأفريقية وترتب على ذلك إغلاق مكتب الاتحاد فى دار السلام ، وشطب الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا باعتباره منظمة فاسدة وذلك برغم احتفاظ الاتحاد بمكتبه فى القاهرة واستمرار حصوله على شىء من المساعدة المحدودة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة . وعن طريق أوربا الغربية استطاع طلاب الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فضلا عن طلابه السابقين فى أوربا الشرقية ، ان ينتشروا فى أمريكا الشمالية .

ونجح (زيديكيانجافيرو) ، الاخصائى الاجتماعى السابق ، فى الهرب من جنوب غربى أفريقيا بعد حادث إطلاق النار فى العام ١٩٥٩ فى مدينة ويندهوك لوكيشن ، كما حدث الشىء نفسه أيضا لشارل كوريزا وهو مدرس سابق ، إذ تجمع حول هذين الرجلين فى السويد مجموعة من أعضاء الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، وهناك فى السويد جرى بمساعدة من التجمعات الديمقراطية الاشتراكية السويدية والتجمعات السياسية والاشتراكية الأخرى تشكيل المجلس الخارجى للإتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، الذى ترأسه فى البداية نجافيرو ، ثم أصبح كوريزا ، فى العام ١٩٦٨ رئيسا لذلك المجلس الذى كان يتكون من ستة أعضاء . ولم يصبح مطلقا كوزنجويزى ، الذى كان رئيساً للإتحاد الوطنى لجنوب غربى افريقيا منذ شهر سبتمبر من العام ١٩٥٩ عضوا من بين أعضاء ذلك المجلس .

وعندما توفر الوقت لدى كوز نجويزى نتيجة عدم دورانه فى أروقه الأمم المتحدة وعدم قيامه بسفريات أخرى ، راح يدرس القانون بصورة متقطعة فى لندن ، وكسائر كل المنفيين من جنوب غربى أفريقيا تقريبا ، راح كوزنجويزى يتتبع قضية بلاده بصورة وثيقة فى محكمة العدل الدولية فى لاهاى ، بل إنه غالبا ما كان يزور المحكمة فى أحيان كثيرة ، وبرغم الحكايات المرة حول عدم فاعلية الأمم المتحدة كان يبدو أن كوزنجويزى هو ورفاقه كانوا مقتنعين بأن المحكمة ، سوف يتحتم عليها أن تعمل لصالحهم ، ولصالح جنوب غرب أفريقيا ، وذلك تحت ضغط الرأى العام العالمى – إن لم تكن قوات الأمم المتحدة ذاتها – عليها أن تعيد إليهم وطنهم المهجور .

وربما كانت الخلافات التى لم تتبين بعد للأشخاص غير المنتمين ، راجعة بصورة أكبر للشخصيات عنها للسياسات ، والسبب فى ذلك أن تلك الخلافات نشأت فى الأصل بين كل من كوزنجويزى والمجلس الخارجى الذى اتخذ لنفسه مركزا فى

السويد ، وبرغم ذلك ، فإن كوزنجويزى هو الذى مثّل جنوب غرب أفريقيا فى مؤتمر هافانا القارات الثلاث ، وذلك فى شهر يناير من العام ١٩٦٦ ؛ وكانت الدعوة قد وجهت إلى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا نظراً لأنه كان ما يزال عضواً فى منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية التى اتخذت من القاهرة مقرًا لها . غير أن أعمال تلك اللجنة تعطلت بشكل كبير نتيجة لأصداء الصراع الصينى - السوفيتى . ومن ذلك أن بعض الوفود المرشحة لاجتماع هافانا لم يصلوا إلى هناك وقدموا شكاوى مفادها أن الدعوات وتصاريح الدخول احتجزتها أو عطلتها عن عمد العناصر الموالية لروسيا فى القاهرة . فقد استطاع وفدا حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية وحركة الوحدة ان يصلا إلى هافانا ، غير أنهما لم يسمح لهما بحضور المؤتمر . ونظراً لمعاملتهما كمجرد سائحين فقط جرى إنزالهما فى فندق هابانا ليبر البعيد عن المؤتمر فى قلب مدينة فيدادو .

وكان يسيطر على المؤتمر صراع له اتجاهات ثلاثة بين الجماعات المناضلة ، الموالية للصين والجماعات الموالية لروسيا ثم التنظيمات الموالية لكوبا فى أمريكا اللاتينية وأماكن أخرى ، وكان الصراع واضحا بصورة جعلت "جون كى تتيجا " John K Tettegah رئيس الوفد الغانى يتوسل طلبا للهدوء ، كما حذر رفاقه المندوبين قائلاً : إننا لن نخدم أهدافنا من خلال كلماتنا التى تهدف إلى إثارة الفوضى وعدم النظام وتحطيم الوحدة التى نكافح من أجلها (١٦) .

ودافعت العناصر الموالية لروسيا ، بقيادة حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا ، هى والوفد الهندى ، ووفد الجمهورية العربية المتحدة ، عن الوحدة القائمة على أساس من الحفاظ على الهيمنة السوفيتية على الحركات الثورية فى العالم ، ورفضت تلك العناصر الهجوم على مفهوم التعايش السلمى ، الذى كان يعد بمثابة حجر الأساس فى السياسة الخارجية السوفيتية فى عهد خروشوف وما بعد خروشوف ، وأعلن خالد محى الدين ممثل الجمهورية العربية المتحدة : إن أفريقيا تعلم جيــدا أن التعايش السلمى يعد وسيلة من وسائل تحقيق السلام القائم على العدل .

وعلى الجانب الآخر أصّر شيزيما كاى رئيس الوفد اليابانى : لا يمكن أن نوافق مطلقا على استعمال التعايش السلمى ذريعة للكفاح التحررى الوطنى فى الدول التى تحت السيطرة الإمبريالية وإخضاع ذلك الكفاح لسياسة التعايش السلمى أيضا ، وعن الوحدة أعلن ، ووهو سيو - تسون Wuhsueh- Tsuen رئيس الوفد الصينى :

هناك بعض الناس يؤكدون بأنهم يناصرون العمل الموحد من أجل شن كفاح مشترك ضد العدو ، غير أن أعمالهم الحقيقية تضطرنا لإثارة الأسئلة التالية : مع من يقومون فى الحقيقة بذلك العمل الموحد وضد من تلك الوحدة ؟ ولماذا يعدون الإمبريالية الأمريكية العدو اللدود للشعب فى قاراتنا الثلاثة ؟ وكحليف أساسى لهم ، معلنين أن سياستهم التى تنادى بالتعاون الشامل مع الولايات المتحدة لن تتغير أبدا ؟ لماذا يخربون الحرب الشعبية ولماذا يحضون هنا وهناك على أن شرارة صغيرة يمكن أن تثير حريقًا عالميًا هائلاً ؟

وبرغم أنه لم يحدث فى أى وقت أن كان هناك أى اعتراض على إنشاء منظمة عالمية دولية جديدة ، فإن عددا من الوفود الأفرو - آسيويه ، بقيادة الصين رفضت مناقشة حل منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا التى اتخذت من القاهرة مركزًا لها أو حتى مجرد دمج وتوحيد تلك المنظمة فى منظمة تضامن جديدة تضم القارات الثلاث ، وعلى الجانب الآخر راح الوفد السوفيتى يكافح من أجل أن يكون المقر الجديد للهيئة الجديدة فى القاهرة ، وراح وفد الجمهورية العربية المتحدة يؤيد بشدة موقف الاتحاد السوفيتى ، وكان الوفد المصرى ينادى بأن القاهرة هى العاصمة الطبيعية للعالم الثالث . كما أيد وفد حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ذلك الموقف بشدة واحتج بأن هافانا كانت بعيدة جداً ومن الصعب جداً على المندوبين من كل من أفريقيا وآسيا الوصول إليها .

وفى النهاية أمكن حل تلك المشكلة عن طريق التدخل الشخصى من رئيس الوزراء الكوبى فيدل كاسترو ، الذى قام بإجراء محادثات مع عدد من الوفود الأفريقية كما قام بزيارة للوفد الصينى ، وصوت الصينيون على أن تكون هافانا مكانا للهيئة الجديدة . وفى مواجهة المعارضة المتزايدة ، تخلى الوفد السوفيتى عن الوفد المصرى ووفد حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ووافق على أن هافانا ينبغى أن تكون مركزا لرئاسة المنظمة الجديدة للقارات الثلاث ، كما تقرر أيضا أن يستمر وجود منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا المستقل فى القاهرة ، أو على الأقل لحين انعقاد مؤتمرها الذى تحدد فى يوم ما من أيام العام ١٩٦٧ - إن لم يكن قد تحدد لذلك تاريخ معين فى بكين - غير أنه قدر لذلك الاجتماع ألا ينعقد .

ومن الواضح أن الروس كانوا يتصورون ، أنه لو قدر وأصبح مكان منظمة تضامن شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فى القاهرة OSPAAL، بالقرب من

منظمة تضامن شعـوب آسيا وأفريقيا AAPSO فإنها سوف تمتص تلك الهيئة الصغيرة كثيرة الشكوى ، وتصبح جميعها تحت السيطرة السوفييتية ، وذلك بفضل وجود عنصر لاتيني - أمريكي كبير موال لموسكو في منظمة القارات الثلاثة وإذا كان السوفيت ينتوون بعد وصولهم إلى هافانا ، أن يستبدلوا منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا بهيئة أخرى في سلسلة القيادة حتى يتسنى لهم وضع حركات الثورة في أفريقيا وآسيا تحت سيطرتهم فقد فشلوا في ذلك فشلاً ذريعًا وتحتم عليهم أن يخوضوا معركة السيطرة مرات ومرات في ميادين أخرى كثيرة بعد ذلك .

ولعب الاتحاد الوطني لجنوب غرب أفريقيا (سوانو) دورًا هامًا في تلك المعارك ، وفي هافانا أحدثت كلمات كوزنجويزي التي خلت من التنميق صدمة في ،

نفوس الكثيرين من المندوبين والأصدقاء وبخاصة عندما قال : إننا على العكس مما يتوقع الكثيرون ، زد على ذلك أن قوى الثورة من وجهة نظرنا ، في أضعف الأحوال ، تعد الآن في فوضى في كل أنحاء العالم وأردف قائلا : سيكون من غير المفيد أن نغادر هذا المكان بواحد من الإعلانات العامة قليلة الشأن التي تزعم أنها جماعية ثم تصبح بعد ذلك عرضة لكثير من التفسيرات .

وبدلاً من ذلك انضم كوزنجويزي إلى إدانة الصدام الأمريكي - السوفيتي تحت ستار التعايش السلمي ، وأعلن أن الطريق الوحيد لخلاص شعوب العالم المغلوبة على أمرها هو طريق الكفاح المسلح ، وأردف قائلا : إن استقلال أفريقيا اليوم لا يعد استقلالاً كاملاً ، والسبب في ذلك أن الكفاح المسلح في تلك القارة التي ولدت فيها ليس كفاحا كاملاً ولن ترى آسيا السلام أبدًا مالم يتم طرد الإمبرياليين بالقوة . وسوف تظل أمريكا اللاتينية - باستثناء كوبا - دائما في أيدي الولايات المتحدة الأمريكية وبدون كفاح مسلح .

كما ألمح كوز نجويزي في خطابه الموجز إلى أنه أصبح متشبعًا تمامًا بالكلمات وأنه سوف يتحول عن قريب إلى العمل المباشر ، وعلى أي حال فإن كلماته النارية ، التي أزالت الغشاوة عن عيني المؤتمر لم تنس مطلقًا ولم يغتفرها له كثير من الأوساط والجهات الرسمية . كما أعرب كوزنجويزي بعد ذلك ، عن شكوى مفادها ، أن أربعة من ستة من أعضاء المجلس الخارجي التابع للاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا أعربوا عن عدم موافقتهم على العمل المباشر ، ووصل الصراع الطويل المرير بين كوز نجويزي والمجلس إلى قمته بعد عودة كوزنجويزي إلى لندن قادمًا من هافانا بشهور قليلة .

وأعلن كوزنجويزى فى خطاب مفتوح إلى الأصدقاء والرفاق استقالته من رياسة الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا بتاريخ ٤ من يوليو من العام ١٩٦٦ . وقال : إنه اعتبارا من ذلك التاريخ فصاعدا لن يكون هناك " رئيس أو ممثل أو مندوب أو عضو " فى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، غير أنه أصر على أن موقفه من الكفاح ضد الاستعمار والإمبريالية والاستعمار الجديد فى كل أنحاء العالم ... سيبقى كما هو دون تغيير ؛ ولكن بعد ذلك بفترة قصيرة وفى مقابلة له مع المؤلف أنكر بشدة أية خطط أو آمال فى إنشاء حركة تحرير جديدة داخل أو خارج جنوب غربى أفريقيا . ومهما كان الأمر فقد أعلن كوزنجويزى بصورة سرية أن استقالته إنما جاءت نتيجة عاجلة لسلسلة من المنازعات مع المجلس الخارجى الذى ادعى أنه لا يساند موقفه المكافح للإمبريالية ، ويقال إن أعضاء المجلس الخارجى قد اشتكوا من أن مثل ذلك الحديث القوى أحرجهم فى علاقتهم مع الولايات المتحدة الأمريكية والحكومات الغربية الأخرى ، وأيضا مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية والدول الأخرى فى أوربا الشرقية كما أحرجهم أيضا مع الأحزاب الشيوعية الأخرى الموالية لموسكو .

وقال كوزنجويزى : إن الصراع كان يمكن أن يؤدى إلى انقسام لو إنه قرر عدم تقديم استقالته ، واكد كوزنجويزى أن موقفه المكافح الموالى للصين بطريقة واضحة كان يؤيده تماما كل زملاء الكفاح فى جنوب غربى أفريقيا ؛ وأنه بصرف النظر عن الأعضاء المعاندين فى "المجلس الخارجى" فإن الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا لا يمكن أن يتخلى مطلقا عن موقفه دون أن يخسر المساندة الحيوية من الداخل ومن الخارج ، كما أعرب كوزنجويزى عن أمل مفاده أن الاتحاد الوطنى لجنوب غرب أفريقيا (سوانو) فى الداخل ، وبقيادة جيرسون فى Gerson Veii نائب الرئيس وأعضاء الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا الذين لا يزالون فى "اللجنة التنفيذية" الوطنية التى تضم خمسة عشر عضوًا يمكن أن يكون بمثابة العامل الأساسى فى الكفاح ضد الحكم فى جنوب أفريقيا [١٧] .

وتلقى كوزنجويزى برقية ورسالة من اللجنة التنفيذية الوطنية فى ويندهوك ترفض استقالته برمتها، وقام موسى كاتجونجوا الذى كان آنئذ ممثلا للاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فى القاهرة علاوة على أنه كان عضوا فى "المجلس الخارجى" مع عضو آخر فى السويد هو بامبا إيراب Bamba Uirab – قاما فى أحيان كثيرة بحث كوزنجويزى على أن يعيد النظر فى استقالته ، وبرغم موافقته على اعتبار نفسه عضوًا فى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فإن كوزنجويزى لن يستأنف رئاسته للاتحاد مرة أخرى ، بل إنه ظهر حتى بهذه الصفة أمام الأمم المتحدة .

وقام شارل كوريزا بتمثيل الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا فى الجولة التالية من معركة السيطرة على منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا . ثم قام الروس بدعوة مجلس منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا إلى الاجتماع . واجتمع المجلس بالفعل فى ظل حماية قوات الأمم المتحدة فى فندق هيلتون - قبرص فى شهر فبراير من العام ١٩٦٧ لغرض سريع مفاده إلغاء اختيار بكين مكانا لانعقاد مؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا الذى تحدد له العام ١٩٦٧ ، وكان من المقرر أن ينعقد فى تانزانيا المجلس المصغر الذى يسبق انعقاد المؤتمر ، ولكن التانزانيين أرسلوا باعتذاراتهم عن قبول انعقاد المؤتمر عندما واجههم الروس بمطالبهم الخاصة بتغيير مكان انعقاد مؤتمر المنظمة ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى شقاق مع الصين ، ثم قام الروس بعد ذلك بنقل اجتماع المجلس إلى قبرص .

وقبل الموعد المحدد لبداية الجلسة بعشرة أيام استنكرت لجنة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا الصينية اجتماع المجلس كمحاولة من جانب المراجعين السوفيت لرفض القرار السابق حول عقد المؤتمر فى بكين واكمال الاستعدادات الأمر الذى أدى فى النهاية إلى انقسام تنظيمى فى حركة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وترددت أصداء ذلك الموقف لدى عدد من المنظمات الأعضاء .

ومع ذلك أمكن لمنظمى اجتماع نيقوسيا أن يعلنوا بعد الافتتاح بفترة قصيرة أن مندوبين من ستين مجموعة كانوا يحضرون الاجتماع بالإضافة إلى مراقبين من منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فى هافانا وكذلك من الجامعة العربية فى القاهرة ، ولم يرفض حضور اجتماع المجلس فى نيقوسيا من بين أعضاء السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا التى تتخذ من القاهرة مركزا لها ، وتضم خمس عشرة دولة ، سوى الصين ، وغانا ، وغينيا وإندونيسيا واليابان برغم أن مندوبى كينيا وتانزانيا أوضحوا أنهم حضروا فقط بناء على احتجاج على الطريقة التى نظم بها الاجتماع.

وقام حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى كان يرأس الجناح الموالى للاتحاد السوفيتى بين أعضاء منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا بتقديم طلب كتابى ليوسف السباعى أحد المصريين والأمين العام لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا يحثه فيه على نقل مكان الاجتماع من بكين بسبب الظروف ، السائدة فى الصين نتيجة "لثورة البروليتاريا" الثقافية التى كانت تسود البلاد ، واتخذ السباعى موقفا محايدا فى الوقت الذى راح يمضى فيه قدمًا بالاستعدادات اللازمة لاجتماع المجلس ؛ وذلك برغم احتجاج كل من الصين وآخرين .

ورفض السباعى القصص الزائفة تماما التى نشرتها صحافة قبرص ومفادها أن وفودا من الحزب الشعبى البوتسوانى BPP والحزب التقدمى من سوازيلند SPP والاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا قد زودتها الصين بتذاكر سفر إلى قبرص . وكل تلك المنظمات أعضاء دائمين فى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، كما كانت المنظمات تحصل على أتعابها من أرصدة منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا . بل إن الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا كان أيضا عضوا فى اللجنة التنفيذية لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا التى كانت تضم ثلاثين دولة .

وجرى أيضا الترحيب فى نيقوسيا ترحيبا فاترا ، بممثلى مؤتمر الوحدة الأفريقية واتحاد زيمبابوى الوطنى الأفريقى الذى ظلت طلبات عضويته معلقه منذ مؤتمر منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا الذى انعقد فى وينيبا Winneba فى العام ١٩٦٥ .

ولكن الصراع داخل المجلس برغم عدم جدواه للمعادين لخط موسكو : كان يدور بقيادة كل من كوريزا مندوب الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، وبوبى ماك Bob-by Mack مندوب الحزب الشعبى فى بوتسوانا. واحتج كوريزا بشدة على غياب حرية التعبير عن الاجتماع الذى انعقد من خلف أبواب مغلقه تماما ، كما تهكم كوريزا أيضا من الحديث عن "الوحدة" ، فى مثل هذه الظروف.

وفى كل الأحوال ، فإن روبرت ريشا Robert Resha ممثل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، تلك الشخصية التى عرفت بعدائها للصين فى الاجتماعات الأفرو _ آسيوية السابقة ، راح يهاجم الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا هجوما وحشيا من منطلق أن ذلك الاتحاد هو "جماعة طلابية" ، ليس لها وجود حقيقى وأنها تعمل قولاً وفعلا ، للتقليل من شأن منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، واستشهد روبرت ريشا بالخطاب الذى القاه كوزنجويزى فى هافانا بوصفه مثالاً على الموقف السلبى الذى وقفه الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، كما طالب أيضا بطرد سوانو من منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، ورد كوريزا بأن هذا الإجراء غير دستورى ، فجرى التصويت وادعى ليزاريدس القبرصى أن نتيجة التصويت ٢٥ للاشئ بالنسبة لفصل سوانو واتهم بعض المندوبين ليساريدس Lyssarides بأنه حسب ستة من أصوات الوفد الروسى واربع من أصوات حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كما لو كانت أصوات وفود قائمة بذاتها ، وعلى أى حال ، فإن وفد الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا سرعان ما غادر الاجتماع وتبعه عدد من الوفود الأفريقية الأخرى ، ولم تعد تلك الوفود إلى الاجتماع قط مما أحدث انقساما جوهريا فى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، فى الوقت الذى تشبث الروس فيه بسكرتارية المنظمة فى القاهرة .

واستطاع المجلس الخارجي للاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا ، عن طريق كوريزا ، الذي لم يكن رئيسا للجنة أن يترك انطباعا قويا في اجتماع نيقوسيا ، زد على ذلك ان كوريزا استطاع ان يحتل مكانه مرموقة بين صفوف المناضلين الموالين للصين وبعد المؤتمر الذي عقده الاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا في برلين الغربية في شهر أغسطس من العام ١٩٦٨ (الاجتماع الذي أطلق عليه اسم اجتماع المنفيين من جنوب غربي أفريقيا وجرى فيه انتخاب كوريزا رئيسا) بدأ الخلاف مع كوزنجويزي يغلي مرة أخرى ولكن بطريقة دنيئة ومنحطة ومثيرة للدهشة ، أما المشكلة التي أثارتها مجلة ويندهوك ريفيو ، في عددها مايو / يونية من العام ١٩٦٩ – وهي صحيفة يجري نسخها بالاستنسل يصدرهاموسي كاتجونجا ، الذي انتقل من القاهرة إلى السويد ، فقد ظهرت تلك الصحيفة وبها صورة فوتوغرافية لقاتل جاريروتوندي كوزنجويزي مع ما نشيت يقول : كوزنجويزي ، هل هو جاسوس من جنوب أفريقيا ؟ وتقول الويندهوك ريفيو : إنها تذيع على الملأ بعض الوثائق الهامة التي وقعت في حوزتها لصالح أمن حركة تحرير شعوب أفريقيا عامة ، وشعوب جنوب غربي أفريقيا بصورة خاصة ، كما تدخل تلك الوثائق أيضا ضمن مصالح صداقة الكفاح بين شعب جنوب غربي أفريقيا والشعب نفسه في مختلف الدول ، ودعا المحرر القراء إلى استخلاص نتائجهم الخاصة ، غير أن المانشيت كان بالفعل قد أشار إلى النتيجة التي كان يفترض أن يصل إليها القارئ .

أما الوثيقتان اللتان أدرجتا تحت المانشيت فكانتا عبارة عن زعم بأنهما تقريرين سلمهما المحترم موضوع البحث إلى عميل من عملاء جنوب أفريقيا البيضاء ، ولكن الوثيقة "ب" كانت عبارة عن موجز مختصر لأنشطة "كوزنجويزي"« K » ، قدمه ذلك العميل إلى أصدقائه في العمل أو إلى رؤسائه ؛ ثم نشر بعد ذلك خطاب من قنصلية جنوب أفريقيا في لندن ، في جريدة ويندهوك ريفيو عدد يوليو وأغسطس حول التماس أو طلب مقدّم للحصول على جواز سفر أو تأشيرة .

أما كيف سقطت تلك الوثائق في أيدي كاتجونجا والويندهوك ريفيو فأمر غير واضح ؛ ومع ذلك فإن ظروف كوزنجويزي العائلية التعيسة في لندن في ذلك الوقت كانت تشكل بصورة عامة التفسير الكامل لكل ذلك فقد صار مهزوزا لكنه رفض التعريض به ، وأبرق إلى اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة يطلب إليها إجراء تحقيق رسمي ؛ ولكن من الواضح أن أعضاء الأمم المتحدة كانت أمامهم أمور أخرى أكثر إلحاحا يتحتم عليهم تناولها بدلا من خلافات الزعامة في الاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا .

ويبدو أن ذلك كان أيضا هو موقف بعض العناصر القاعدية . فقد كتب أحد الأفراد [١٨] خطابا مفتوحا إلى المجلس الخارجي وأعضاء الاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا يقول فيه : إنني لا أنكر أن كوزنجويزي ربما كان جاسوساً ، فإن كان جاسوسا فلندع الأدلة وحدها تتكلم بصوت عال وواضح ، بيد أننا نرجو ألا تمدنا بأدلة لا يمكن أن نصل فيها إلى نتيجة [١٩] ، ومع ذلك جاءت الأدلة بشكل يصعب معه الوصول إلى نتيجة ، غير أن كوزنجويزي لم يتعجل هجومه المضاد ، واجتاز آخر امتحاناته في القانون في ربيع العام ١٩٧٠، وبدأ كوز نجويزي يكسب عيشه من مهنة المحاماة أمام المحاكم العليا .

أما كوريزا ، رئيس المجلس الخارجي الذي صرح في النهاية في شهر سبتمبر من العام ١٩٦٩ بأن دلائل الخيانة التي نشرتها الويند هوك ريفيو إنما نشرت بعلم كامل من المجلس الخارجي فقد بدا عليه الاهتمام بإعادة بناء المنظمة المهلهلة بصورة سيئة ، وقام كوريزا برحلة إلى أوربا الشرقية في محاولة لتحسين أحوال حوالي أربعين طالبا تابعين للاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا هناك ، كانوا يشكون من سوء المعاملة بسبب موقف حزبهم من النزاع الصيني – السوفيتي ، الذي تشهده الأمم المتحدة .

وفي جنوب غربي أفريقيا، أدى الوجود شبه القانوني للاتحاد الوطني لجنوب غربي أفريقيا (سوانو) في العام ١٩٦٧ إلى إلقاء القبض على جرسون فيئي Ger-son veii ومحاكمته ، وهو النائب السابق لرئيس سوانو الذي تولى الرياسة بعد استقالة كوزنجويزي . ووجهت إلى فيئي veii تهمة التحريض على قتل الأوربيين وأدين فيئي بالفعل طبقا لقانون قمع الشيوعية في جنوب أفريقيا وصدر عليه حكم بالسجن لمدة خمس سنوات . وانتقد أيضاً جيرسون كانجويهي نائب الرئيس والقائم بعمله مع آخرين بفساد زعامتهم ، حدث ذلك عندما قام جيرسون فيئي مع جون موندجوا Muundjua وزير الخارجية – بناء على القانون النهائي لكاتوتورا Katutura في العام ١٩٦٨– بمغادرة ويندهوك أولدلولوكيسشن . وكانت معركة العمل الايجابي الفعلي كما رأينا ، قد بدأت في العام ١٩٥٩ ، عندما قامت الشرطة بقتل وجرح عدد من الأفارقة المعارضين . ومع أن تلك القضية ظلت خاملة لعدد من السنين فإن تصميم جنوب أفريقيا على خلق بانتوستانات في جنوب غربي أفريقيا لم يتناقص ، ومهما كان الأمر فقد تغيرت أساليب تحقيق ذلك الهدف ، ونتيجة للضغوط الغامضة المتزايدة أذاع ديفيد ميرور والرئيس الوطني للمنظمة الشعبية لجنوب غربي أفريقيا (سوابو) قرار الأفارقة بالانتقال إلى كاتوتورا ، وحث كليمنتس

كابويو الذى كان يتكلم عن المنظمة الديمقراطية للوحدة الوطنية (نيودو) التى لم تكن فى الحقيقة سوى مجلس الرئيس بقيادة كابويو ، حث الشعب على أن يترك كاتوتورا، ثم أصدر (هياشيف كازنجو منجا) ، سكرتير الدعاية فى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) بيانا إلى الويند هوك آدفرتايزر فى ١١ سبتمبر من العام ١٩٦٨ يستخلص فيه العبرة من الموقف ، تلك العبرة التى زعم أنها يجب أن تعلم المجتمع الأفريقى ما يلى :

(أ) نوعية الزعامة الواجب إتباعها .

(ب) أن يدفن وينسى منظمة الأمم المتحدة التى تشبه كلبا ذو رأس كبير وأنف أغطس وبلا أسنان .

(جـ) أن خلاصنا يكمن فى أيدينا وأن الشعب نفسه هو الذى يتحتم عليه أن يوجد الحل .

(د) أن يفكر المجتمع الأفريقى بصورة جدية وأن يعمل لتطوير الوحدة بين الأفارقة .

وانتقل كانجويهى القائم بأعمال رئيس الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ووزير خارجيته إلى معزل امينيوس Aminius Reserve وتبعه بعض الأفارقة فى حين انتقلت البقية الباقية بعد ذلك إلى كاتوتورا ، وتعلق الويندهوك ريفيو [٢٠] على ذلك بطريقة لاذعة فتقول : لقد ظنوا أن البيانات الصحافية والخطابات السياسية كافية لردع الحكومة ، لقد فشلوا فى إدراك أن الأمر يتطلب استراتيجية جديدة وأعقب ذلك اقتباس من أقوال الرئيس ماو عن الاعتماد على النفس ، والحاجة إلى ثوار استراتيجيين .

استهدافا لاحتقار العدو ومن أجل الجرأة على الكفاح ضده واستهدافا لتحقيق النصر ومن الناحية التكتيكية أيضا ، وفيما يختص بكل جزء وكل كفاح على حده يتحتم على الثوار أن يأخذوا العدو مأخذ الجد ، وأن يكونوا حريصين متدبرين للعواقب ، وأن يدرسوا فن الكفاح دراسة واعية وكاملة وأن يختاروا أشكال الكفاح التى تناسب الأزمان والظروف والأماكن المختلفة حتى يتسنى لهم عزل العدو والقضاء عليه خطوة بخطوة .

وفى منتصف العام ١٩٧٠ ، أكد تونجورو هواركا، سكرتير المجلس الخارجى للعلاقات الدولية والاستعلامات الذى كان يتخذ من لندن مقرا له أكد أن الخلافات الداخلية قد انتهت وأنه يجب أن نتوقع أن يفاجئ الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) العالم بنشاطه فى أفريقيا وفى أماكن أخرى ، أما هل وعوا وهضموا دروس الرئيس ماو فذلك أمر ما يزال فى طى المستقبل [٢١] .

المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا (سوابو)

المنظمة الشعبية الأوفمبية OPO التى أسسها كل من سام نجوما ويعقوب كوهانجوا فى شهر أبريل من العام ١٩٥٩ ، لم تكن لديها مطالب أو ادعاءات بأنها أكثر من مجرد تجمع قبلى ، وكان نجوما وأعضاء آخرين من المنظمة الشعبية الأوفمبية قد اشتركوا فى مؤتمر الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) الذى انعقد فى شهر سبتمبر من العام ١٩٥٩ ، كما جرى انتخاب كل من نجوما ولويس نيلنجانى وأعضاء آخرين من المنظمة الشعبية الأوفمبية (أوبوا) فى اللجنة التنفيذية الوطنية لتلك المنظمة التى كان يرجى لها أن تصبح حزبا وطنيا موحدا فى جنوب غربى أفريقيا .

وأدى تشاحن القبائل ، وبخاصة بين الهيريرو ، وكذلك التنافس التقليدى بين الجماعات التقليدية المختلفة إلى جعل تشكيل حركة موحدة أمرا بالغ الصعوبة كما أسفرت الانقسامات التى حدثت فى الخارج عن تفاقم الانقسامات فى الداخل ، وفى الأمم المتحدة حيث كان ميبورومباكيرينا يتصارع مع جارير وتوندو كوزينجويزى ، الرئيس الجديد للاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) قام كيرينا بإرسال رسائل إلى سام نجوما يحثه على التخلى عن الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا وتحويل المنظمة الشعبية الأوفمبية (أوبوا) إلى حزب وطنى منافس .

والواقع أن الاسم (سوابو) ، بمعنى المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا قد أطلقه كيرينا على المنظمة أيام أن كان فى نيويورك ، زد على ذلك أنه هو الذى أصبح رئيسا للهيئة الجديدة ، كى يتسنى له ان يمحو آثار الأصول القبلية للمنظمة ، وبفضل جهود تويفو جاتويفو التى بذلها فى المنصب نفسه استطاعت تلك الجهود ، برغم الرقابة – من قبل قادة القبائل الرجعيين وسلطات جنوب أفريقيا ، أن تحول القاعدة القبلية فى منظمة الأوفامبو إلى قاعدة راسخة لم يحدث أن سقطت قط ، وتأكدت الأهمية الحيوية لذلك العمل عندما اتخذت الحركة قرارا فى المنفى باللجوء إلى الكفاح المسلح بوصفه الطريق الوحيد المفتوح أمامها لتحرير جنوب غربى أفريقيا .

وربما يرجع فضل مباركة مجلس رئيس شعب الهيريرو ، للمنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا ، رغم أصلها الأوفمبى ، الى اتصالات كيرينا وعلاقاته . زد على

ذلك ، أن مشايخ القبائل كانو يخشون تماما الشبان الراديكاليين فى الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا (سوانو) نظرا لأن هؤلاء الشبان كانوا يعارضون مسألة الرياسة من حيث المبدأ ، أما كبار السن فقد كانوا يشكلون مقعد السلطة القبلية الوحيد ، ومن ثم قاموا بمبادأة تمثلت فى تقديم التماس إلى الأمم المتحدة ومن ثم فإنهم لم يستشعروا أى عيب من أى نوع كان فى دورهم فى الكفاح الوطنى .

وكانت تراود المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا الأوهام نفسها التى راودتها من قبل عن الأمم المتحدة ، فقد طالب ممثلوا المنظمة الأمم المتحدة ، فى كثير من الأحيان بقوة شرطية تابعة للأمم المتحدة للتدخل فى جنوب أفريقيا من أجل طرد أفارقة الجنوب الذين تعدوا على حقوق غيرهم . وما تزال المنظمة تناشد الهيئة العالمية اتخاذ إجراء من نوع ما ، وفى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٩ قام وفد سوابو المكون من خمسة رجال برياسة (جو تفريد هاج جينجوب) ممثل الحزب فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بالإدلاء بشهادته أمام اللجنة الرابعة التابعة للأمم المتحدة ، وأوجز جينجوب مطالب حزب سوابو عندما طالب بالآتى :

١ – اعتراف الأمم المتحدة بشرعية الكفاح فى ناميبيا الاسم الذى أطلقته سوابو على جنوب غربى أفريقيا وأقرته الأمم المتحدة [٢١] وتقديم المساعدة المادية .

٢ – أن يتخذ مجلس الأمن إجراءً لفرض القرار رقم ٢٦٩ لعام ١٩٦٩ الذى يطالب حكومة جنوب أفريقيا بالانسحاب من ناميبيا .

٣ – أن يخول مجلس الامم المتحدة الخاص بناميبيا لتعديل قوانين الأراضى الخاصة بالمؤسسات التى تمارس أعمالاً تجارية فى ناميبيا ، وفرض ضرائب على تلك المؤسسات كى توفى بالتزاماتها وتقدم عددا كبيرا من المنح الدراسية للناميبيين ؛

٤ – أن تعترف جميع الدول بالقوانين التى أصدرها "مجلس ناميبيا" ، كما هو الحال فى قوانين الدول الأخرى ذات السيادة [٢٢] .

وبدأ سام نجوما الرئيس الشاب لحزب سوابو ، مستقبله الشخصى بتقديم التماس أمام المنظمة الدولية فى العام ١٩٦٠ ، ونجح سام نجوما فى الهرب من جنوب غربى أفريقيا بعد حادث كاتوتورا ، الذى فتحت فيه شرطة جنوب أفريقيا النار وقتلت ثلاثة عشر من الأفارقة وجرحت اثنين وأربعين آخرين فى اليوم العاشر من ديسمبر من العام ١٩٥٩ ، وعلى الفور جرى إبلاغ أنباء تلك المذبحة إلى اللجنة الرابعة التى أعربت عن أسفها للحادث ثم تفرغت إلى أمور أخرى ، وفى الحال تم

بناء على ذلك نفى نجوما من ويندهوك إلى أفامبولاند التى غادر البلاد منها فى النهاية ، والتقى نجوما ، فى منروفيا ، كوزنجويزى ، الذى كان يقوم بجولة فى أفريقيا ، وتوصل الاثنان إلى اتفاق بتوحيد منظمتيهما ؛ غير أنهما من الخارج لم يستطيعا فرض تنفيذ قرارهما ، زد على ذلك أن فرصة الوحدة ضاعت مرة أخرى بسبب المعارضة فى نيويورك .

وفى النهاية أعرب كيرينا عن استنكاره لحزب سوابو بوصفه منظمة قبلية أوفمبية زاعما أن حكومة جنوب أفريقيا كانت تعمد إلى زرع الانفصال الأوفمبى على أمل خلق بانتوستان فى المنطقة الشمالية ، ويعلن كيرينا : ثمة نظرية مميته لفصل الأوفامبو قد تُبْعَثُ من بريتوريا، وقد تقوم بعض الدول الاستعمارية باستغلالها فى الخارج لتكون بمثابة الأساس فى وجدان الشعب عن بانتو ستان أو (أوفامبو ستان) .... ونظرا لتأثير ظروف الانعزال الغريبة والتلقين النظرى الاستعمارى وقوى القمع على سكان أوفامبو لاند فإن شعبنا فى الشمال ربما يكون أكثر وأسرع تأثرا بالديماجوجية السياسية القبلية ، وفى الوقت ذاته فإن الناما ، والهيريرو والداامارا والملونين يجرى تحريضهم عن طريق المواقف الفكرية ، والسيادة الحضارية على رفاقهم الاوفمبيين ، ومن هنا يجرى أيضا تحريض تلك الشعوب على العمل ضد الاوفمبيين ، إن حركات التحرير الوطنية لا يمكن أن توجد فى مثل هذه البيئة تحت تأثير الزعامة القبلية التى تدور فى فلك آخرين، وعلى المدى الطويل ، فإنه نتيجة للضغوط الحتمية ومؤثرات الكفاح ستصبح مصالح الجماهير العريضة أقل أهمية من الانتهازية والاستغلال ، وسوف نضحى بهذه المصالح الجماهيرية العريضة على مذابح السيطرة القبلية التى نشهدها بصورة محزنة فى بلادنا (٢٣) .

ويصرف النظر عن التنافس القبلى فى الداخل ، نجد أن زعماء سوابو فى الخارج وبخاصة سام نجوما كانوا ينكرون - فى كثير من الأحيان - طابع منظمتهم القبلى ، بأن يشيروا إلى أعضاء المنظمة غير الاوفمبيين الذين كانوا ضمن قيادتها ، باعتبار ذلك دليل على عدم قبلية المنظمة . واثبت سام نجوما الذى ارتاب شيوعيوا جنوب أفريقيا هم والتقدميون فى اكتمال افريقيته ، أثبت حسه الوطنى العالى من خلال تعاملاته الشخصية مع أفارقة آخرين من جنوب أفريقيا ، ودامت صداقة سام

نجوما الحميمة فترة طويلة من الزمن مع كورنجويزى منافسه الحقيقى الذى عرض عليه نجوما وظيفة فى حزب سوابو فى حالة ما إذا كان يريد الانضمام إلى الحزب بعد استقالته من حزب سوانو الذى انتشرت أخباره وذاعت على نطاق واسع غير أن كورنجويزى رد على ذلك أن الاعتبارات العقائدية تجعل من وجوده فى حزب سوابو الذى يعتمد على موسكو أمرا مستحيلاً ، وأن تلك الاعتبارات إذا ما أصابت أحداً بالحرج فإنها لن تصيب سوى نجوما نفسه .

وفى العام ١٩٦٠ ، كشف برنامج حزب سوابو عن نفوذ الأفريقانيين (الأفريكانست) الذين أسسوا حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية فى جنوبى أفريقيا ؛ ومع ذلك لم يكن يوجد بين السكان الأوربيين القليلين فى جنوب غربى أفريقيا أحد من كبار الشيوعيين البيض المراجعين أو من الليبراليين البيض ، كى يهدد دور الزعامة السوداء فى عملية الكفاح الوطنى ، ومع ذلك فقد شعر الناس عبر الحدود بحملة العمل الإيجابى التى قام بها حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية . وجاءت الفرصة مواتية عندما حدد حزب سوابو عام ١٩٦٣ عاما للاستقلال ، وهو الأسلوب نفسه الذى إتبعه حزب PAC فى جنوب أفريقيا ، وبرغم المشكلات الخارجية التى حدثت عقب تحول أعضاء حزب سوانو عنه وانضمامهم الى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا التى يسيطر عليها الروس وهيئات أخرى إستطاع أعضاء سوابو أن يستمروا فى الحفاظ على علاقاتهم الشخصية الودية مع أعضاء حزب PAC والمجموعات الأخرى التى لاتوافق عليها موسكو .

أما حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الذى كان قد احتج من قبل على ضم جنوب غرب أفريقيا فقد أقام إتصالات مع طلاب جنوب غربى أفريقيا فى فورت هيركوليج وأماكن أخرى ، واستمرت تلك الاتصالات إلى ما بعد انقسام المنظمة وتشكيل PAC غير أنه يبدو واضحا أن آمال Congress Alliance كانت تعلق بصورة أساسية على حزب الاتحاد الوطنى لجنوب غربى أفريقيا ، وقد أثبتت الأحزاب أن حزب سوانو كان راديكاليا تماما طبقا لمعايير الشيوعيين الإصلاحيين التابعين للحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا وأنه كان مواليا تماما للحزب الشيوعى السوفيتى، زد على ذلك ، أن الشيوعيين فى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا اتهموا كورنجويزى ورفاقه فى النهاية بأنهم خانوا الصينيين ، وعلى الجانب الآخر أبرز زعماء سوانو أنشطة كيرينا فى نيويورك ، كما زعموا أيضا أن شركات التعدين الأمريكية ذات المصالح فى جنوب غربى أفريقيا قدمت منحا من الغذاء والكساء لحزب سوابو ، كل ذلك ألمح بشدة إلى أن منافسيهم كانوا يدورون فى فلك الإمبريالية .

وبرغم ذلك كانت هناك محاولة أخرى للوحدة بين حزب سوابو وحزب سوانو فى الأول من اكتوبر فى الأول من العام ١٩٦٣ ، فقد أصدر التنفيذيون فى المنظمتين قراراً بتوحيدهما فى جبهة التحرير الوطنية لجنوب غرب أفريقيا (SWANLEF). واشترك كل من نجوما وكوزنجويزى فى تقديم المنظمة الجديدة إلى لجنة تحرير أفريقيا فى السادس من شهر ديسمبر ، وفى الثانى من يناير من العام ١٩٦٤ ، كتب لويس نيلنجانى نائب رئيس حزب سوابو من القاهرة إلى ممثلى حزب سوابو فى دار السلام يرفض شكلا وموضوعاً جميع القرارات التى اتخذت على طريق الوحدة ، ويتساءل نيلنجانى ما الذى تريدونه من تلك الجبهة المزعومة ، التى لا يمكن أن تكون لدينا فى حزب سوابو ؟

وزعم فاثانيل مابابيفا [٢٤] أن القبلية تعد السبب الرئيسى فى فشل بعث جبهة التحرير الوطنية لجنوب غربى أفريقيا إلى الحياة . وفى أحيان كثيرة كان الأوفمبيون يشعرون بإحساس مفاده أنه يتحتم التسليم بحزب سوابو نظرا لأن الحزب يشكل أكبر القبائل فى جنوب غربى أفريقيا وأن حزب سوابو ينبغى أن تكون له المراكز القيادية فى الهيئة الجديدة . زد على ذلك ، أنهم كانوا يخافون أيضا كلا من تقاليد زعامة الهيريرو ، التى تطورت الى تقديم الالتماسات للأمم المتحدة والمراحل الأولى من الكفاح الوطنى ، وفى نفس الوقت ، إنهارت الجبهة الصغيرة الموحدة بين حزب PAC وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، فى المنفى وكانت لحظة قلما تبشر بالوحدة .

وفى الوقت ذاته ، أنشأ كيرينا و(مابابيفا) اللذان أدليا بشهادتهما أمام اللجنة الرابعة نيابة عن حزب سوانو فى نيويورك حركة وحدة أخرى تدعى الجبهة المتحدة الوطنية لجنوب غربى أفريقيا Swanuf (سوانف) ، وكانت تلك الحركة سيئة الطالع شأنها شأن الحركات التى سبقتها من ذلك النوع ، وبرغم القول إنها كانت عبارة عن اندماج بين حزب سوابو وحزب سوانو إلا أن زعماء الحركتين أنكروا أى دمج من ذلك النوع وأصدر حزب سوانو قرارا بوقف مابابيفا ، ويبدو أن حياة حركة (سوانف) أى الجبهة المتحدة الوطنية لجنوب غربى أفريقيا كانت مقصورة فقط على أروقة المقر الدائم للأمم المتحدة والمراسلات الطويلة المملة بين كيرينا وزعماء القبائل والزعماء السياسيين الآخرين فى جنوب غربى أفريقيا . وبقيت حركة (نيودو) أى المنظمة الديمقراطية للوحدة الوطنية فترة قصيرة من الزمن تعمل كامتداد لمجلس زعيم الهيريرو كلمنتس كايويو.

وبعد خيبه الأمل التى وقعت فى العام ١٩٦٣ ، عندما تبددت الآمال فى انتصار سهل على السادة البيض قامت زعامة حزب سوابو بتعديل أساليب عملها وبدأ حزب سوابو يستفيد من رعاية لجنة تحرير أفريقيا فى تدريب قوات العصابات ، وبرغم رفض سلطات جنوب أفريقيا إصدار جوازات سفر للأفارقة للسفر إلى الخارج إلا أن قوات الشرطة القليلة التى كانت تنتشر فى ذلك الوقت على امتداد الحدود الطويلة مع بوتسوانالند (بوتسوانا حاليا) سهلت الأمر نسبيا بالنسبة للشبان الذين كانوا يتطلعون الى مغادرة البلاد - وغادر البلاد - بتشجيع من الزعماء ، مئات من الشبان واستطاعت تلك المئات فى النهاية أن تشق طريقها إلى زامبيا وتنزانيا حيث جرى تدريب البعض منهم هناك . أما الكوادر فقد إتجهت إلى الجزائر ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاتحاد السوفيتى وإلى أماكن أخرى طلباً للثقافة العسكرية . وفى النهاية بل حتى بعد أن اكتشفت ذلك سلطات جنوب أفريقيا ، كان هناك معسكر للتدريب يعمل فى مدينة أونجو لمباشى Ongulumbashe فى أوفمبولند Ovamboland ، واصطادت الإغارة التى قامت بها الشرطة على المعسكر سبعة وثلاثين من رجال العصابات ، وصدرت ضدهم أحكام بالسجن مددا طويلة فى سجون جنوب افريقيا .

وفى العام ١٩٦٦ وقبل بداية أى عمل من الأعمال ، وقع حادث غريب لم يتم بعد تفسيره تفسيرا كافيا إلى الآن ، فبعد شىء من التوتر فى زعامة الحزب فى المنفى طار سام نجوما فجأة فى طائرة مستأجرة إلى جنوب غربى أفريقيا ، وكانت هناك تكهنات مفادها أن نجوما كان يخطط لتقليل النشاط السياسي وبخاصة أن زعامته فى أحيان كثيرة كانت تتعرض لأقذع أشكال النقد من بعض رفاقه . ونقلاً عن التقارير الوثيقة رفض موظفوا الجوازات والهجرة المرتبكين - عندما هبطت طائرة نجوما فى مطار ويند هوك - أن يصدقوا بأنه هو نفسه رئيس حزب سوابو . ونقل نجوما اثناء الليل إلى مركز رئاسة شرطة الأمن فى ويندهوك ، حيث تم استجوابه مرة ثانية ، وإنتظاراً أيضًا لوصول قرار من بريتوريا فى ذلك الشأن ، وفى الصباح التالى طُردَ الزعيم الأفريقى المنحوس مرة ثانية إلى المطار حيث أعيد إلى طائرته . وأنذرت سلطات جنوب أفريقيا الطيار بالأقلاع بمسافره بأقصى سرعة ممكنة من جنوب غربى أفريقيا الذى يمكن أن يكون على حد فهمهم ، الرئيس نكروما ولكن متنكرا . وأعلن جون فورستر وزير العدل أمام برلمان جنوب أفريقيا فى ٢٦ من أغسطس ١٩٦٦ عن بداية عمل العصابات التابعة لحزب سوابو ، وأعلن فورستر أيضا عن وقوع صدام فى صباح ذلك اليوم بين وحدة من وحدات شرطة جنوب

أفريقيا وبين مجموعة من المتسللين فى أوفامبو لند . كما أعلن فورستر أن الحكومة تلقت معلومات ، فى وقت ما مفادها أن مجموعة قوامها ستة عشر من الأفارقة عبرت الحدود مستهدفه اغتيال زعماء الأوفامبو وإظهار النية الحسنة تجاه البانتو والبيض وتدريب أعضاء بعض منظمات التخريب بهدف التحريض على الاغتيال والعصيان المسلح (٢٥) .

وزعم فورستر أن اثنين من رجال العصابات قد قتلا وأن ثمانية آخرين - جرح البعض منهم - تم أسرهم ، وفى دار السلام (المقر المؤقت حاليا لحزب سوابو) وجه بطرس نانيمبا Peter Nanyemba ممثل حزب سوابو - بعد ذلك بأيام عدة- اتهامات إلى فورستر بأنه لم يذكر خسائر جنوب أفريقيا ، وزعم حزب سوابو أن خمسة عشر من رجال الشرطة قد قتلوا فى الاشتباك بالنيران برغم أن فورستر صرح بأن أحدا من رجال الشرطة لم يصب بأذى .

وطوال بقية العام كان يجرى الإبلاغ عن مزيد من الهجمات . وقامت شرطة جنوب أفريقيا ومعها الكلاب الشرطية ، وقصاصى الأثر من البوشمن وطائرات الهليوكويتر بتمشيط (٢٦) المناطق الجبلية الوعرة من البلاد وقتلت وأسرت مجموعات متفرقة (٢٧) من رجال العصابات ، وفى ديسمبر من العام ١٩٦٦ قتل بطلق نارى أحد أفراد الحرس الخاص لجاكى أهيبالا زعيم الأفامبو كما جرح اثنان آخران عندما قام رجال سوابو بالهجوم على مجموعة أكواخ الزعيم أى (السكرال) بلغة القوم وهو المكان نفسه الذى قتل فيه من قبل (ليوشوبالا) زعيم حزب سوابو . وفى ١٢ يناير من العام ١٩٦٧ نشرت الويندهوك أدفرتيزر أن الشرطة ألقت القبض على أربعين من الإرهابيين المزعومين ، وقالت الصحيفة : إن عشرة من هؤلاء الرجال سيقدمون الأدلة للدولة ؛ أما الثلاثين الباقين فسوف تجرى محاكمتهم جراء تخريبهم المزعوم طبقا لقانون الإرهاب فى جنوبى أفريقيا .

أما الويند هوك ريفيو النشرة الشخصية لموسى كى . كاتجيونجا- وهو أحد أعضاء المجلس الخارجي لحزب سوانو - فقد زعمت أن لويس نيلنجانى نائب رئيس حزب سوابو قد تحول إلى شاهد لدى الدولة عندما ألقى القبض عليه فى العام ١٩٦٨ وأنه أفشى خطط رجال العصابات لسلطات جنوب أفريقيا حتى يتسنى له إنقاذ حياته ، وإذا ما تدبرنا الاستخدام المنظم وعلى نطاق واسع للتعذيب فى الاستجواب فى سجون جنوب أفريقيا ، فإننا قلما نندهش ألا تستطيع قوى الأمن فى النهاية استخلاص أية معلومات قيمة من الأسرى .

وبرغم تلك النكسات ، استمرت العصابات فى شن غاراتها من معسكر القاعدة فى زامبيا ، وكانت تلك العصابات تدخل جنوب غربى أفريقيا أما عن طريق شريط كابريفى الوعر Caprivistrip المكشوف ، أو فى شىء قليل من المخاطرة المبدئية المحدودة عن طريق جنوب أنجولا ، وفى العام ١٩٦٢ أعلن على نطاق واسع عن اتفاق لم يدم طويلا بين حزب سوابو والحكومة الثورية لأفريقيا فى المنفى (جراى) وقام هولدن روبرتو ممثل الحكومة الثورية لأفريقيا فى المنفى بالتفاوض شخصيا من أجل ذلك التحالف مع يعقوب كوها نجو Kuhangua مندوب حزب سوابو . وبينما كان حزب سوابو يحتاج إلى مساعدته فى المرور عبر إقليم كوانهاما Cuanhama فى أنجولا كان روبرتو يتطلع بصورة أوضح إلى تأييد حركته التى كانت تقتصر تماماً على شمالى أنجولا بطول الحدود الكنغولية فى المنطقة الواقعة بين الأوفامبو الذين يعيشون على جانبى الحدود المصطنعة (٢٨) .

ثم أقامت سلطات الاستعمار البرتغالية علاقات تعاون مع أصدقائهم من الحكام البيض فى جنوب غربى أفريقيا ، وزيادة على ذلك نجد أن الشرطة الدولية للدفاع عن الدولة (فيدى) أو إن شئت فقل الشرطة السرية البرتغالية بدأت فترة من التعاون الوثيق على مستوى قارتى أفريقيا وأوربا ، مع مخابرات جنوب أفريقيا وشركائهم الصغار فى حكومة إيان سميث فى روديسيا ، واشتركت الشرطة وقوات جنوب أفريقيا والبرتغال فى عمليات ضد العصابات على طول حدود شريط كابريفى وأوفامبولند . وفى الحقيقة أن أحد زعماء حزب سوابو فى لوساكا أرسل للمؤلف فى العام ١٩٦٨ تقريراً مفاده أن وحدات من طائرات الهليوكوبتر التابعة لجنوب أفريقيا كانت تقوم بدوريات فى عمق أنجولا على حين كانت الوحدات البرية التابعة لجنوب أفريقيا تحل محل القوات البرتغالية فى ذلك الجزء من المستعمرة المتنازع عليها .

وفى شهر يولية من العام ١٩٦٤ انفصل جوناس سافمبى ورفاقة عن الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وشكلوا بعد ذلك فى مارس من العام ١٩٦٦ حركة الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا UNITA (يونيتا) ، وتوصل حزب سوابو إلى ترتيبات مرضية للغاية مع (يونيتا) بل وتوصل إلى أكثر من ذلك مع الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) ، وقد أدى هذا التحالف غير الرسمى إلى تخفيف غضب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA (امبالا) على حزب سوابو الذى كانت تزعم بأنه كان يتعاون مع سافمبى ، الذى وصفته من نواح متعددة بأنه عميل للمخابرات المركزية الأمريكية وسفاح "ماوى" ؛ والأهم من ذلك بكثير بالنسبة لحزب سوابو – الذى

اعترفت به لجنة تحرير أفريقيا والتى كان يتلقى منها مساعدات مادية كثيرة -أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا راحت تسعى الى وقف تلك المساعدات إذا لم يوافق حزب سوابو على قطع جميع الروابط التى بينه وبين حركة (يونيتا) كما طلبت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إلى حزب سوابو أن يساعد حركة امبالا على وضع قواتها فى الجزء الجنوبى من أنجولا ، وحذر زعماء حزب سوابو من أن القتال بين حركات التحرير الأنجولية المتنافسة لن يخدم فقط سوى البرتغاليين والأفارقة الجنوبيين ، ومع ذلك فان حركة إمبالا ، التى كانت قد تحولت إلى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى طلبًا لمساعدته لها فى إعادة حزب سوابو الى الخط السابق زادت من ضغطها وضاعفت من تهديداتها ضد المتطفلين ، زد على ذلك أن تلك الضغوط مورست بصورة فظة فى مؤتمر الخرطوم فى العام ١٩٦٩ الذى عقدته حركات التحرير التى تدور فى فلك موسكو والذى حضره وفد يمثل حزب سوابو ، وعلاوة على ذلك ، نادى زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، وبصورة خاصة فى مؤتمر الخرطوم بتحالف مع حزب سوابو يماثل ارتباط حزبهم مع اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا (زابو) . ومع تزايد الفشل فى روديسيا بدأ زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى يتطلعون إلى توسيع تحالفهم ليشمل حركات أخرى . وركز المؤتمر الذى عقده حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى موروجورو على هذا الجانب . وكتبت جريدة أفريكان كوميونست الناطقة بلسان الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا تقول : يجب دعم تحالف [٢٩] زابو / المؤتمر وتوسيعه كى يضم الفريليمو ، وحركة إمبالا وحزب سوابو .

ورغم انقسام زعماء حزب سوابو فى أحيان كثيرة بصورة واضحة حول تلك القضية إلا أن الغالبية العظمى منهم كانت تشعر بأن أى تحالف رسمى مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا لن يكون سوى مجرد ذريعة يتعلل بها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لفشله العسكرى فى أماكن أخرى ، كما أن ذلك التحالف يمكن أن يكون أيضًا بمثابة منطقة لإغراق حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بالبضاعة الأجنبية ، هذا إن لم يكن بمثابة مثواه الأخير نظرًا لأن مثل ذلك التحالف سيضم قوات العصابات فاسدة الأخلاق واهنة العزم الخاملة إلى حد بعيد . ومع أن عصابات حزب سوابو لم تكن جميعها من الأوفامبو - وهو الأمر الذى تؤكده التقارير الصحفية فى جنوب أفريقيا - فإن الأساس القبلى ستظل له أهمية كبيرة إذا قدر أن تكون لحزب سوابو منطقة محررة فى أى مكان من جنوب غربى أفريقيا دون أن يقدم الأفارقة الجنوبيين - الذين ليس لهم علم بعادات البلاد أو لغاتها - يد المساعدة لحزب سوابو فى هذا الصدد .

أضف إلى ذلك ، أن قوات حزب سوابو من وجهة النظر القانونية الدولية كانت تحظى بدعم أدبى محدود من الأمم المتحدة بوصفها هيئة لا يمكن أن تتخذ إجراء من جانبها وحدها ضد جنوب أفريقيا ، غير أن وجود العصابات فى جنوب غربى أفريقيا يمكن أن يعطى حكومة بريتوريا عذراً قيماً وواضحا للإبقاء على وجودها غير المرغوب فيه فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من نهر أورانج ، ومن ناحية أخرى فإن بعض زعماء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إتهموا حزب سوابو فى تكتم بمحاولة عقد صفقات مع بريتوريا عن طريق الأمم المتحدة وعن طريق الإمبرياليين وأن تلك الصفقات يمكن أن تمنح جنوب غربى أفريقيا شيئا من الاستقلال ، الاسمى - إن لم يكن إستقلالاً موجهًا - ومثل هذا العمل يمكن أن يحول بطبيعة الحال بين حزب المؤتمر الأفريقى وبين إستخدام جنوب غربى أفريقيا كنقطة وثوب فى مسيرته نحو الجنوب ، ومما يدعو إلى التهكم أن بعضاً من السود فى جنوب أفريقيا ساقوا الحجج نفسها التى ساقها الأوربيون فى بلادهم مما نتج عنه أن جنوب غربى أفريقيا بعدد سكانه الصغير وحجمه الهائل ، وتكامله الإقتصادى مع جنوب أفريقيا أصبح محتما عليه أن يتحول إلى جزء من جنوب أفريقيا ؛ وأن يظل على ذلك الحال ، بغض النظر عن كون الحكومة بيضاء أو سوداء ، وفى الحقيقة أن تلك المنازعات التى تعافها النفس لم تنشر غير أن التقارير الوثيقة عن مدى ومرارة ذلك النقاش كانت باستمرار تصل إلى الأجانب طوال العام ١٩٧٠

ومن حيث المبدأ قسم جيش تحرير ناميبيا التابع لحزب سوابو البلاد إلى أربعة أقاليم :

١ - الإقليم الشمالى ، ويشمل أوفامبو لند وأوكافانجو .

٢ - الإقليم الشمالى الغربى ، ويشمل كاوكفيلد .

٣ - منطقة جرواتفنتين فى الإقليم الأوسط .

٤ - الإقليم الشمالى الشرقى ويشمل شريط كابريفى .

وقد ورد فى التقارير أن الجزء الأكبر من نشاط ذلك الجيش كان يدور فى أوفامبولند وعلى طول شريط كابريفى الذى حولته طائرات الهليوكوبتر التابعة لجنوب أفريقيا ، والدوريات البرية والرادار إلى مصيدة قتل للكثير من محاربى الحرية الشجعان ، ومن هنا كانت الأهمية التى تعلق على المرور عبر أنجولا وقد أدلى سام نجوما بتقرير أمام مؤتمر الخرطوم فقال :

نحن لا نزعم في الوقت الراهن أننا حررنا مناطق ، ولكننا بالفعل لدينا مناطق كبيرة تحت سيطرتنا ، كما أن تلك المناطق تضم آلافا من الفلاحين ، زد على ذلك أن محاربينا في تلك المناطق يديرون بعض الأعمال شبه الإدارية مثل الخدمات الطبية والاجتماعية كما أنهم يقومون على نطاق صغير بتعليم الناس القراءة والكتابة . وإنه لمن الحقيقة أيضاً أن العدو حتى الآن لم يرسل قوات فائقة العدد إلى تلك المناطق . غير أنه نظراً لأننا لا يمكن أن نحتفظ لنا بقوات دائمة في تلك المناطق فمن الطبيعي أن يترك وراءه – في تلك المناطق – قوات تتحول إلى هدف سهل للعصابات التي تقف من خلفها .

ومن سوء الطالع ، وبناء على ما نشرته صحيفة ناميبيا نيوز بعد ذلك ، أن "الأهداف السهلة" كان يصعب العثور عليها في عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ، هذا برغم التقرير الذي نشره إلفنتر في اليوم الأول من شهر يوليو من العام ١٩٦٨ في الديلي اكسبريس اللندنية من جوهانسبرج ويقول فيه :

قتل بعض الأفارقة الجنوبيين وتدمير اثنين من طائرات الهليوكوبتر التابعة للشرطة أثناء مطاردة وقعت في بعض الأدغال شبه الصحراوية من البلاد لوحدة من وحدات العصابات التابعة لحزب سوابو قامت بالهجوم على شريط كابريفي ، وقد هاجم الأفارقة القاعدة الجوية الكبيرة التابعة لجنوب أفريقيا في كاتيمو موليلو .

كما هاجموا أيضاً المركز الإداري لجنوب أفريقيا في رونتو والذي يقع على بعد عدة أميال ناحية الغرب . وقد تم في النهاية إخلاء العصابات من الشريط ، ولكن ذلك لم يحدث قبل أن يكرر جون فورستر رئيس وزراء جمهورية الأبارتهيد، تهديداته بضرب قواعد العصابات في زامبيا ، إذا دعت الضرورة .

وانكشفت الخطط التي كان جنوب أفريقيا ينفذها لمكافحة العصيان والتمرد نظرا لأن :

أنشطة العصابات تؤدي إلى إلقاء القبض على الجماهير ، واحتجاز المواطنين الأبرياء ، والانتقام الوحشي وكذلك الانتقام من شعب ناميبيا ، وقد يسوق البعض حججاً مفادها أننا نسبب لسكاننا الوطنيين معاناة لاضرورة لها وذلك باستمرار الكفاح عن طريق العصابات ، ونحن بدورنا لا نقبل هذا ولا نسلم به أو نرضى عنه ، وقد أوضحنا مراراً أن هناك أوجه شبه كثيرة بين جنوب أفريقيا في عهد

فورستر وبين ألمانيا الهتلرية ؛ بيد أن ذلك لا يبدو أمرًا جديرًا بالتسجيل . إن الأعمال الوحشية التي تقوم بها حكومة جنوب أفريقيا هي أعمال وحشية وغير انسانية تمامًا مثل الأعمال التي قام بها أذناب هتلر ، ومهما كان الأمر فإن تلك الأعمال لا تجرى خارج الباب الأوربى مباشرة ولكنها تجرى بعيدًا في جزء من العالم تصادف أن يكون السواد فيه من نصيب البشر كما تصادف أيضًا أن يكون البشر فيه ضحايا مستغلة نتيجة اللامبالاه الدولية ، إننا عندما نلجأ إلى السلاح كي يتسنى لنا الدفاع عن أنفسنا نعلم أننا لا نقاتل فحسب من أجل حريتنا بل إننا نقاتل أيضا ضد قوة تهدد السلام العالمى (٣٠) .

وظل الثمن الذى كانت العصابات تدفعه أرواحًا وأحكامًا بالسجن لفترات طويلة يتزايد طوال العام ١٩٧١ بالنسبة لرجال العصابات الذين وقعوا في أيدى جنوب أفريقيا .

وفى الوقت نفسه راح حزب سوابو يتمسك باستقلاله التنظيمى الذى كان يتهدده الخطر ، كما زاد حذره أيضًا من الحلفاء ومن الناصحين المستقبليين ، وساق زعماء سوابو احتجاجًا مفاده أن ناميبيا لم تكن جنوب أفريقيا ، وفى يونية من العام ١٩٧٠ ، أعلن سام نجوما عندما كان في زيارة لنيجيريا إننا لسنا بحاجة إلى أن يحررنا الأجانب (٣١) ، وتوسل نجوما طلباً للسلاح والمساعدات المادية الأخرى لحزب سوابو ، فى الوقت الذى كان يستبعد فيه إمكانية ذهاب قوات من نيجيريا أو قوات أجنبية أخرى إلى جنوب غربى أفريقيا لمساعدة قوات حزب سوابو .

غير أنه من الواضح أن كفاح حزب سوابو كان يعتمد على عوامل معقدة فى السياسة الأفريقية والسياسة العالمية . وإذا لم يستفد حزب سوابو شيئًا من الاعتماد على النفس الذى دلل عليه رفاقه المنافسين فى حركة يونيتا ، فسوف يواجه هزيمة سياسية على أيدى حلفاء منتظرون ويتعاظمون بعيدا عن حدود (أوفامبو لند) وشريط كابريفى ، والاندماج فى صفوف المتحمسين نتيجة الضغط الذى تمارسه موسكو فى تحالف المؤتمر .

وزادت قوة الدلائل التى مفادها أن بعضًا من زعماء حزب سوابو بدأوا يشكون فى السياسة القديمة وينظرون فى اتجاهات أخرى طلبًا للمساعدة ، وفى الخامس عشر من سبتمبر من العام ١٩٧٠ نشرت وكالة أنباء هنهوا الصينية بيانًا من دار السلام صادر عن هيونيا سيهيبو المندوب الرئيسى لحزب سوابو هناك يحيى فيه بحرارة الشعب الصينى بقيادة الرئيس ماو ، فى كفاحه ضد الإمبريالية غير أن طائرًا مغردًا واحدا لا يمكن له وحده أن يصنع ربيعًا أحمرًا (٣٢) .

الهوامش

(١) المقصود بالأرض الشراقى هنا ، هى الأرض القابلة للزراعة التى حرمت من الماء فترة طويلة (المترجم) .

(٢) سجل أرقام السكان ، نقلت عن هوريل .

(٣) صوت مع قرار الأغلبية رئيس المحكمة ، السيد بيرس سيندر (إستراليا) الذى أعطى الصوت المرجح الذى أدى إلى فك الارتباط بين أربعة عشر قاضيا فى المحكمة . كما صوت أيضا لصالح القرار قضاة من بريطانيا ، واليونان ، وإيطاليا وفرنسا ، وجنوب أفريقيا وبولندا ، وتقاعد بعد ذلك القاضى البولندى مستر / وينيارسكى فى الغرب بدلا من عودته إلى وطنه ، وجاءت أصوات المعارضة من الولايات المتحدة ، واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، واليابان ، والصين الشعبية ، والمكسيك ، والسنغال، ونيجيريا (انظر جريدة التايمز ١٩ يوليو ١٩٦٦) .

(٤) وثائق الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٦٧ - ٦٥ ، بيان ألقاه مستر (موريوروموباكيرينا فى الجلسة رقم ١٥٦٥ للجنة الرابعة ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .

(٥) فوردهام ص ٢٢٧ .

(٦) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٧٦ — ٦٥ كيرنيا ص ٥٢٤ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) بى . تى . مون ، الإمبريالية والسياسة العالمية ، مقتبسة عن فيرست ص ١٧٣

(٩) فيرست صفحة ١٧٤ .

(١٠) فيرست صفحة ١٩٥ .

(١١) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٧٦ — ٦٥ كيرينا ص ٤٨

(١٢) وثائق الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٧٧ — ٦٥ ، بيان ألقاه مستر ناثانيل مابابيفا فى الاجتماع ١٥٦٥ اللجنة الرابعة ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .

(١٣) فيرست ، يقدم سرداً منفصلاً ، الجزء الخامس ، القسم الرابع صفحة ١٩٦ — ٢٠٨

(١٤) فيرست ، صفحة ٢٠٦ .

(١٥) مقتبسة عن المرجع السابق ص ٢٠٤

(١٦) وثيقة المؤتمر ٦٤أ-١٢-١٦ ما لم يتم التصريح بغير ذلك ، فإن جميع الاقتباسات فى هذا القسم مأخوذة عن الوثائق الرسمية لمؤتمر القارات الثلاث .

(١٧) المقصود بالصف هنا هم ضباط الصف وتبدأ رتبهم العسكرية من وكيل عريف وتتدرج حتى تصل إلى رتبة المساعد (المترجم) .

(١٨) الفرد هو الجندى فى المصطلحات العسكرية (المترجم) .

(١٩) صورة طبق الأصل من خطاب كتبه بالآلة الكاتبة إدوالد تجوتو كو كانجواتجيفي بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٦٩ من فيلادلفيا .

(٢٠) مقتبسة من الويندهوك ريفيو ، مايو / يونيه ١٩٦٩ .

(٢١) كان ميبورما كيرينا في العام ١٩٦٥ يشير بالفعل إلى وطنه ناميب على أنه يقع بعد الصحراء الساحلية الكبرى وأنه غني بالماس ؛ غير أن حزب سوانو سخر من تلك الأسماء فضلا عن إنها لا تظهر أبدا في مطبوعاته اللهم إلا في السنغال الذي يرمي إلى الاستخفاف بتلك الأسماء والسخرية منها .

(٢٢) ناميبيا لندن ، يوليو / ديسمبر ١٩٦٩ المجلد ٢ ، العدد ٧-١٢

(٢٣) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٧٧ – ٦٥ مابابيفا ص ٣٠٠ .

(٢٤) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٤٤٤٧٧ – ٦٥ مابابيفا ص ٣٠٠ .

(٢٥) جريدة ذي ستا ٢٦ أغسطس ١٩٦٦ .

(٢٦) التمشيط : هو تطهير المنطقة التي يتم الاستيلاء عليها من قوات العـدو (المترجم)

(٢٧) القوات المنعزلة : هي القوات التي تفقد الاتصال والمعاونة من القوات الصديقة بسبب العدو (المترجم) .

(٢٨) انظر جون ماركوم ، الثورة الإنجولية كامبردج ، ماسوستس برس ١٩٦٩ ص ٣١٠

(٢٩) الأفريكان كوميونست العدد ٣٨ ، الربع الثالث عام ١٩٦٩ ص ٧

(٣٠) ناميبيانيوز لندن ، يوليو / ديسمبر ١٩٦٩ المجلد الثاني ، العدد ٧-١٢ ص ١-٢

(٣١) برقية وكالة الصحافة الفرنسية رقم ١٢١٦٨٤ يونيه ١٩٧٠ من لاجوس .

(٣٢) المقصود بالربيع الأحمر هنا هو العمل على نشر الشيوعية (المترجم) .

القسم الرابع

- زيمبابوى (روديسيا)
اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى (زابو)
- الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى (زانو)
- جبهة تحرير زيمبابوى (فروليزى)

الخلفية التاريخية

ينقسم أفارقه هذا البلد المحاط باليابسة فى وسط أفريقيا ، في الرأى فيما بينهم حول أمور كثيرة ولكنهم جميعا يتفقون على شىء واحد هو ألأيطْلق على هذا الجزء من أفريقيا اسم روديسيا . ويشمئز الأفارقة هناك لذكر اسم سيسل رودس ، الإمبريالى العتيق الذى يلتصق اسمه بأراضيهم كلعنة وإذلال يومى ، وفى الوقت الذى انفصل فيه الروديسيون عن اتحاد وسط أفريقيا الذى لم يدم طويلا والذى كان يمكن أن يفرض حكم الأقلية البيضاء من قبل سالسبيرى ، على الأقطار الثلاثه المكّونه للاتحاد غيّرت نياسلاند المحظوظه تمامًا اسمها إلى ملاوى كما سارع شمالى روديسيا بتغيير إسمه إلى زامبيا بعد أن حصل على استقلاله فى العام ١٩٦٤ أما جنوب روديسيا الذى مُنحَ مستوطنوه البيض منذ العام ١٩٣٢ ، حق التصرف فى شئونهم الداخلية ، و كذلك شئون الغالبية الأفريقية أيضا فقد بقى تحت حكم الأقلية البيضاء مع تقصير اسمه فقط إلى روديسيا تيمنا باسم مؤسسها الأبيض غير أن جميع الأفارقه فى جميع الأحزاب ، يعرفون أراضيهم باسم زيمبابوى (١) ، لأنها أقدم بكثير من مشروعات رودس .

وتبلغ مساحة زيمبابوى ١٥٠,٨٢٠ ميلا مربعا أى ثلاثه أضعاف مساحة إنجلترا ، ويعد ، إقليم جزيرة ، الفيلد الأعلى أهم الأقاليم الجغرافية الرئيسة الثلاثه . وهذا الاقليم عبارة عن حزام من الأرض يتردد ارتفاعه بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر . وعلى العموم لا يزيد عرض هذا الاقليم على ٥٠ ميلا مقاسا من أسفل بولا وايو Bulawaya فى الجنوب الغربى من سالسبيرى فى الشمال الشرقى ، و التربه جيدة ونسبة سقوط الأمطار اكثر مناسبة للزراعة ، وزيادة على ذلك توجد هناك بعض الموارد المعدنية ، وتتركز غالبيه السكان فى الفيلد الأعلى وفى كل أنحاء البلاد يتفوق الأفارقه من الناحية العددية على المستوطنين الأوربيين بنسبة عشرين إلى واحد ، وفى ٣١ من ديسمبر من العام ١٩٦٩ كان العدد الإجمالى للسكان يقدر بحوالى ٥,١١٩,٠٠٠ نسمة منهم ٤,٩٣٠,٠٠٠ من الافارقة و٢٣٤,٠٠٠ أوروبى و ٢٤٠٠٠ أسيوى وأجناس أخرى من الآسيويين والمولّدين (٢) .

وتقع فى إقليم الفيلد الأعلى ، مدينه سالسبيرى العاصمة وهى أكبر المدن وبها حوالى ٣٩٠,٠٠٠ نسمة وتعد مدينة بولاوايو ثانى المدن الكبرى وهى مركز للسكك الحديدية وتقع ناحية الجنوب و فى الفيلد الأوسط، وتربط الخطوط الحديدية البلاد

بجنوب أفريقيا وموزمبيق اللتان تعدان المنفذان الرئيسيان للاستيراد والتصدير . هذان المنفدان اللذان أصبحا طريقين سريين منذ أن أعلنت حكومة الأقلية البيضاء برئاسة إيان سميث - إعلانها غير الشرعي للاستقلال من جانب واحد في اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر من العام ١٩٦٥ ، وهناك خط حديدي آخر يربط البلاد بالسكك الحديدية في زامبيا وخط حديد بنجويلا وأنجولا عبر جزء من زائير التي كانت تسمى من قبل الكنغو كينشاسا .

وتقع أسفل الفيلد الأعلى الذي يتمتع بجاذبية خاصة ومناخ صحي منطقة كبيرة من الفيلد الأوسط الذي يغطي نصف إجمالي مساحة البلاد ويتردد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر بين حوالي ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ قدم ، وهنا أيضا نجد أن التربة جيدة زد على ذلك أن سقوط الأمطار يمكن الاعتماد عليها إلى حد كبير ، غير أن تلك المنطقة تعد أقل تطوراً كما أن جزءً كبيرا منها يفلحه الأفارقه . أما في الشمال فيقع إقليم الفيلد الأسفل على الحدود مع زامبيا ونهر زمبيزي ،كما يمتد إقليم الفيلد الأسفل في الجنوب ، بطول نهر ليمبوبو وجنوب أفريقيا، وهذا الإقليم عبارة عن منطقه حارة، موبوءة بالملاريا وذبابة تسيتسي ، ويظهر نشاط العصابات بصورة بالغة الحدة في الجزء الشمالي من هذا الإقليم المخلخل السكان .

ولدى السود من الأسباب ما يكفي لجعلهم يواصلون القتال والكفاح ، فقبل إيان سميث بوقت طويل كشف الأوربيون بوضوح عن نيتهم في ضم زيمبابوي بلد الأفارقه إلى الدومينيون الأبيض تحت التاج البريطاني ؛ هذا برغم أن البرتغاليين في موزمبيق المجاورة كانوا أول أوربيين يزورون المنطقة ، فقد قام البرتغاليون بثلاث غزوات للبلاد في القرن السادس عشر ، وتشهد زمبابوي على الدمار الكبير الذي أصابها بسبب تطور المملكة الأفريقية التي كانت تُحكَمُ من هناك فيما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، وتقع زيمبابوي في ماشونالند ، في الشمال الشرقي الذي بقي على قدَمه، حيث يوجد فيه السكان الناطقين بلغه البانتو الذين جاء وا من الشمال. أما أَحفادَهم فيكُوِّنُونَ القبائل التي يطلق عليها بصورة جماعية اسم الشونا Shona

وفي الجنوب يوجد جزء من أمة الزولويسمي باسم نديبيلي - وهم الذين يطلق عليهم عموماً وبصورة غير صحيحه إسم ماتابيلي - إذ إن ذلك الجزء من السكان قد هاجرا واستوطن الجزء الجنوبي من البلاد الذي أطلق عليه فيما بعد اسم ماتابيلند ، وقد أقام ملكهم ، مازيليكازي مجموعة أكواخه (Kraal) بالقرب مما يُعْرف الآن باسم بولاوايو ، ولما كان شعب النديبلي شعبًا محاربا فقد قام بعدة غزوات متكررة على

جيرانه الشماليين ، زد على ذلك ، أن الصراع بين الشعبين هو الذى سهَّل فى الحقيقه هزيمة الأوربيين لهما ، وبرغم وقوف النديبيلى و الشونا مؤخرا جنبا إلى جنبٍ فى القتال ضد العدو المشترك ،إلا أن العداء القبلى المستمر يربك ويثير الحيرة فى حركتى التحرير الوطنيتين المتنافستين .

وأدى اكتشاف المعادن وبخاصة الذهب وكذلك مطامح سيسل رودس فى تسيير وإدارة خط حديدى تحت العلم البريطانى من الكيب إلى القاهرة، إلى زيادة اهتمامه بالبلاد التى أصبحت تحمل اسمه ، وفى العام ١٨٨٨ استهوت شركة رودس فى جنوب أفريقيا البريطانية لوبنجولا ملك النديبيلى فمنحها حق التنقيب عن المعادن فى كل أنحاء (الماتا بيلى لند) وتدفق المغامرون الأوربيون على المنطقة ، وأدى إمتياز المعادن الذى يُعْرَفُ باسم " امتياز رود " إلى أن يقوم سيسل رودس بتأسيس الشركه البريطانية لجنوب أفريقيا التى تلقَّت مرسوماً ملكيا فى العام ١٨٨٩ يخوِّل للشركة أن تقوم تحت إشراف المندوب السامى فى جنوبى أفريقيا بتطوير الحرف والتجارة والحضارة والحكومة ، معنى ذلك أن امتياز رود جرى تفسيره على إنه ترخيص بالإستيلاء على ذلك البلد الأفريقى ، وبسلوك المنافقين دخل المستعمرون البريطانيون الذين كانوا يعربون عن أسفهم لتحرشات النديبيلى فى الماضى ضد الشونا إلى ماشونالند واحتلوها بأنفسهم فى العام ١٨٩٠

أما وجهة النظر الأفريقية فإنها بطبيعة الحال ترى فى ذلك خيانة وعدوانا . وفيما يتعلق بالروَّاد الإمبرياليين كان الأفارقه يشكلون مجرد عقبه طبيعية أخرى أمام حقهم فى التوسع ، ثم بعد ذلك مصدراً للأيدى العاملة الرخيصة لمزارعهم ومناجمهم، وبرغم طرافة الكلام وطلاوته فى الدستور إلا أن الأفارقه يميلون إلى اعتبار أية حكومه تُفْرَض من قبل الأوربيين دون موافقتهم عليها – نوعًا من ديكتاتورية الإستيطان البريطانية [٣] ، كان البريطانيون يرون فى مكافحة ذلك الاعتداء على حقوق الغير الذى بدأ يأخذ شكل العنف فى الفترة من ١٨٩٠–١٩٠٠ شكلاً من أشكال التمرد وتعاملوا معه من ذلك المنطلق . أما تمرد ماتابيلى الذى حدث فى العام ١٨٩٣ فقد انتهى فى العام التالى بوفاة الملك لوبنجولا على إثر إصابته بالجدرى ؛كما أن ثورة ماشونا التى حدثت فى العام ١٨٩٧ ، وبرغم أنها كان لها زعماء أبطال من أمثال ماجندانى ونيهاندا فقد انتهت أيضا بسحق الأوربيين للأفارقه .

كانت روديسيا الجنوبية – وهذا هو اسمها فى ذلك الوقت – تدار حتى العام ١٩٣٢ بواسطة شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى روديسيا – وتطور الحكم الذاتى

للأوربيين بسرعة بعد تشكيل المجلسين التنفيذى والتشريعى فى العام ١٨٩٨ من أعضاء معيّنين ومنتخبين من المستوطنين – وفى العام ١٩٠٧ أصبح ممثلو المستوطنين المنتخبين أغلبية بالفعل ، وفى العام ١٩٢٢ طلب من كل من لهم حق الانتخاب أن يُدلُوا بأصواتهم حول قضية ضم البلاد إلى اتحاد جنوب أفريقيا المجاور أو أن تصبح إحدى دول الدومينيون الأبيض وأن يكون لها حكم ذاتى فى إطار الإمبراطورية البريطانية ، وفاز وضع الدومينيون بنسبة ٨٧٧٤ صوتا كان الجزء الأكبر منها من أصوات المستوطنين الإنجليز الذين كانوا يشكلون دائما الغالبية العظمى من الأوربيين ، مقابل ٥٩٨٩ صوتاً هى أصوات البوير الهولنديون ، و فى اليوم الثانى عشر من شهر سبتمبر من العام ١٩٢٣ جرى رسميًا ضم روديسيا الجنوبية إلى الدومينيون الأبيض كمستعمرة ، وفى أول أكتوبر مُنحتْ المستعمرة حكمًا ذاتياكاملاً استثناء التشريعات التى تخص حقوق الأفارقه ، والسكك الحديدية والشئون الدولية . ومن المهم أن نعرف أن الحكومة البريطانية مع أنها كان لها حق قانونى فى استعمال الفيتو ضد تشريعات الأفارقة ، إلا أنها لم تستعمله قط ، زد على ذلك ، أن ثروة روديسيا من التعدين والزراعة تعتمد بصورة أساسية على الأيدى العامله السوداء فالمناجم جميعها مملوكة للأجانب كما أنها تحقق أرباحًا عالية تماماً وتقوم على استغلال موارد الإسبستوس ، والذهب ، والكروم ، النحاس ، والليثيوم ، والنيكل ، والكوبالت ، و خام الحديد ، والرصاص، والزنك ، والبورانايت ، والفضة ومعادن أخرى ، وعلاوة على ذلك ينتج منجم الوانكى كولَيرى Wankie Colliery كمية وفيرة من الفحم ، أما الكهرباء الهيدروليكية من سد كاريبا Kariba والتى يتم اقتسامها مع زامبيا فهى التى توفر الطاقة اللازمة للصناعه ، ويعد التبغ أكبر محصول رئيس تقليدى يليه قصب السكر ، كما يجرى أيضا تربيه الماشيه فى ظل ظروف مواتية فى أجزاء كبيرة من البلاد .

وبناء على قانون تقسيم الأرض لعام ١٩٣١ أوجد الأفارقة – الذين هم ريفيُّون أصلا – أنفسهم محدودين بتملك الأراضى خارج الفيلد الأعلى: أما هؤلاء الذين عاشوا هناك بالفعل فقد وجدوا أنفسهم مضطرين إلى البقاء بلا أرض كعمال زراعيين فى خدمة الفلاحين البيض ، وجرى تقسيم البلاد إلى أرض أوربيه وأرض أفريقيه ، علاوة على أرض التاج غير المخصصة لأحد ، كما أعطى للعدد الصغير من السكان الأوربيين ٤٩ المائة من المساحة الإجمالية ؛ وتم بناء على قانون استئجار الأراضى الذى أصدرته حكومة إيان سميث فى العام ١٩٦٩: زيادة تلك النسبة إلى أكثر من نصف الأرض القابلة للزراعة فى البلاد ، كل ذلك كان يعد مجرد أسلوب واحد من

الأساليب الدستوريه لحكومة المستوطنين التى كانت تهدف إلى الإبقاء على حكم الأقلية البيضاء إلى الأبد : فقد أكَّد ديزموند لاردنر - بيرك وزير العدل فى الحكومة الجمعيه التشريعية فى سالسبيرى : إنه طبقا لدستور التمييز العنصرى فإن حكم الأغلبية الأفريقية كهدف لم يعد أمراً يمكن تحقيقه من الناحية الدستورية ، وبذلك أصبح تمثيل الآفارقة فى مجلس الشيوخ ومجلس الجمعيه التشريعيه ، أمراً مضحكاً من الناحية الديموقراطية فى حكومة تضم رؤساء قبائل أفارقه للسيطرة ينتخبون جميعًا من بينهم عشرة شيوخ أفارقه مقابل عشرة شيوخ أوربيين منتخبين و ثلاثه أشخاص آخرين من أى جنس آخر يُعَيِّنُهم رئيس الدولة ، أما فى مجلس الجمعية الأدنى فإن خمسين من الأوربيين المنتخبين يواجهون سته عشر من الأفارقة ، يتم اختيار ثمانية منهم بواسطة الرؤساء ، وعلى أى حال ، ومهما كان عدم التوازن بين السكان ، فإن عدد الأفارقة لم يكن يزيد على عدد الأوربيين .

وبعد انهيار اتحاد وسط أفريقيا الذى كان يضم روديسيا و نيسالاند ، بسبب مقاومة الوطنيين الآفارقة له فيما يعرف الآن باسم ملاوى وزامبيا قامت الحكومات البريطانية المتعاقبه بسلسلة من مفاوضات الاستقلال مع حكومة المستوطنين فى الفترة من ١٩٦٣ إلى أن أعلنت حكومة سميث الاستقلال من جانب واحد فى العام ,١٩٦٥ أما الموقف البريطانى فكان يرتكز بصورة أساسية على ستة نقاط:

١- أن مبدأ ونيُّه التقدم غير المشروط لحكم الأغلبية الوارد بالفعل فى دستور ١٩٦١ يتحتم تأكيده وضمانه.

٢- يجب أن تكون هناك ضمانات أيضا ضد أى تعديل يمكن أن يؤدى إلى أى تدهور دستورى .

٣- يجب أن يكون هناك تحسُّنًا مباشرا فى الوضع السياسى للسكان الأفارقه

٤- يجب أن يكون هناك تقدُّمًا نحو إنهاء التمييز العنصرى .

٥- أن الحكومة البريطانية بحاجة إلى إقناعها بأن أى أساس للاستقلال يجب أن يكون مقبولا من شعب روديسيا كله.

٦- من الضرورى أن يكون هناك تأكيد بصرف النظر عن الجنس بأن ليس هناك أى قمع للأغلبية بواسطة الأقلية أو للأقلية من الآغلبية.

وبرغم أن المقترحات البريطانية كانت تفيض بالنوايا الحسنه ؛ إلا إنها تركت للمستوطنين مسألة السيطرة الكاملة على البلاد فى المستقبل القريب ، ولم يكتف بذلك المتطرفون السياسيون المهيمنون فى حكومة سميث من الجبهه الروديسيه التى تمثل

حـزب الأغلبـيـه من المسـتـوطنين، ومـن الواضـح أن الرأى الوطنى الأفـريقى - برغم تحطمه نتيجة القمع السياسى و القانونى - ثارت ثائرته لما استشعره بأنه بيع لحقوقه وتملصا من مصالحة - و تأكد الأفارقه التعساء بطريقتهم الخاصة أن حكومة الأغلبية الأفريقيه ربما وصلت فى النهاية إلى السلطة فى روديسيا بناء على تلك المقترحات فى فترة تتراوح ما بين ١٥ إلى ٥٠ عاما .

وكشف الإعلان غير القانونى للاستقلال خدعة بريطانيا فلم تكن لدى أية حكومة بريطانية رغبة فى استـعـمال القـوة ضد أبناء جلدتهم ، الذين يعيـشـون فى مـواقع محصنة فى سالسبيرى ، ومما لا شك فيه وكما تكشف عن ذلك اقتراعات الرأى العام أن أعداداً كبيرة من الشعب البريطانى تتعـاطف تعـاطفـا واضـحـا مع البيض فى روديسيا ، وكبديل للقـوة العسكرية ؛ التى يمكن استعمالها بسرعة ضد الحكومة الثورية السوداء وهو ما يؤكده اندفاع القوات البريطانية و الشرطه إلى أنجويالا An-guilla فى العـام ١٩٦٩ - اقـتـرحـت الحكومـة البـريطانيـة عـقـوبات اقـتـصـادية ضـد روديسـيـا وصـادق مـجلس الأمـن التـابع للأمم المتحدة فى نوفمـبـر من العـام ١٩٦٥ وديسمبر من العام ١٩٦٦ على تلك العقوبات ، وأهاب مجلس الأمن بالدول الأعضاء أن توقف التجارة بينها وبين روديسيا ، وقامت البحرية الملكية بضـرب حـصـار حـول مـيناء بيرا Beira فى موزمبيق وذلك فى محاولة منها لوقف توصيل إمدادات البترول إلى روديسيا . وعلى كل حال ، فإن الفضل فى إثبات فاعلية الحظر التجارى يرجع إلى التواطؤ الرسمى بين البرتـغـاليين وحكومـه جنوب أفريقيـا على تشـجيع التـجارة المثلثه [٤] للتغلب على العقوبات.

وتقرر استدعاء المندوب السامى فى زامبيا إلى بريطانيا بعد أن وصف بريطانيا بطريقه غير دبلوماسيه بأنها أصبحت كلبا ضخما بلاأسنان لاضرر منه ، ومع ذلك كانت وجهه نظر المندوب السامى مبالغ فيها ولا علاقه لها بأفريقيا السوداء .

وعندمـا كـان جورج سيلوندكا - سكرتير الإعلام فى اتحـاد شـعب زيمبابوى الأفريقى ، فى يوم ١٢ من مايو من العام ١٩٦٩- أمـام لجنة الاستعمار التابعة للأمم المتحدة ، راح يدافع عن اختيار منظمته الكفاح المسلح طريقا وحيدا لتحرير زمبابوى، وأشار إلى الرقم القياسى الذى خصصته حكومة سميث فى الميزانية وهو ١٠٣ مليون جنيه استـرلينى فى العـام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، كـفـائض فى الميزانية السـابقه . وأردف قائلا: إن الفائض والميزانية القياسية التى أعقبت ذلك يحدث فى روديسيا فى عصر تسود فيه العقوبات الإقتصادية العالم كله كما أن بريطانيا تعد بمثابة رأس الحربة من هذه العقوبات و أوضح قائلا :

إن العقوبات الاقتصاديه التى أدخلتها الحكومة البريطانيه إلى الأمم المتحدة - كإجراء بإجراء - كانت مجرد ممارسة لا لإحداث نتيجه عكسية على اقتصاد روديسيا بل لتشجيع تنويع هذا الاقتصاد كى يتسنى له تحمل الاختناقات عندما يصبح الإستقلال أمرًا شرعيا . أن مساحة مزرعه البن قد وصلت إلى رقم قياسى ،الأمر الذى نتج عنه توسعًا فى زراعة المحصول و قد طرأ التوسع نفسه على زراعة القطن ٠٠٠٠؛ كما أن زراعة القمح وبخاصة فى مشروع ماكوازيمى الذى يبعد حوالى عشرين ميلا عن شيردزى ارتفع إنتاجها من القمح من ١٦ جوالا للفدان فى العام ١٩٦٦ إلى حوالى ٢٠ جوالاً للفدان هذا العام [عام ١٩٦٩] ، زد على ذلك أن إنتاج الشاى فى المناطق الشرقيه من البلاد وصل إلى ثلاثة أضعاف الإنتاج فى المنطقة التى تفرض عليها العقوبات البريطانية وبذلك تغير موقف روديسيا من موقف المستورد إلى موقف المصدر الكامل الذى يصدر حوالى ٢,٥ مليون ، كما زادت الثروة الحيوانية أيضا و أصبحت الحكومة منذ ذلك الوقت مكتفية ذاتيا من ناحية منتجات الألبان (٥) .

وذكّر زعيم زابو مستمعيه أن قانون الأرض طبقا لأسلوب الأبارتهيد يقضى بأن يملك كل مواطن أوربى ٥٠٠ فدان مقابل كل فدان واحد يمتلكه أفريقى ، وفوق كل ذلك فإن معدّل خصوبة الفدان الذى يملكه الأوربى تصل إلى أربعة أضعاف خصوبة الفدان الذى يمتلكه الأفريقى .

وفى الوقت الذى كان بعض الزعماء الأفارقة والليبراليون البيض خارج أفريقيا يتوقعون فيه دون خوف أن روديسيا ستصبح "فيتنام بريطانيا" أكدت الحكومة البريطانية عدم ميلها إلى مزيد من التورط هناك ؛ بل إنها قدمت بدلاً من ذلك جميع الأدلة التى كانت تؤكد أنها كانت تسعى إلى فك ارتباطها تماماً بالمشكلة . واجتمع هارولدويلسون رئيس الوزراء إلى إيان سميث على ظهر السفينة تيجر التابعة لبحريه صاحبة الجلالة فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٦ واقترح على الحكومة بعض الأساليب للعودة إلى الشرعية ، الأمر الذى رفضه سميث ، ثم التقى رئيس الوزراء مرة أخرى فى اكتوبر من العام ١٩٦٨ وإيان سميث على ظهر السفينة فيرلس التابعة لبحرية صاحبة الجلالة فى جبل طارق غير أن تلك المحادثات إنهارت عندما رفض سميث إعطاء أيّةُ تنازلات للأغلبية الأفريقية .

وفى سالسبيرى مضت الحكومة قدماً بخططها لإعلان البلاد جمهورية، وذلك فى ٢ من مارس من العام ١٩٧٠ وأعلن سميث الذى كان يتطلع إلى الانتخابات العامة في بريطانيا عن استعداده لاستئناف المحادثات مع "المحافظـين" إذا ما تم انتخابهم و أصر سميث على أنه لا يمكن أن تكون هناك عودة عن استقلال روديسيا ودستور الأقلية البيضاء ، مع إجراءات للفصل بين الأجناس على أساس من خطوط التفرقة العنصرية . وأدّى انتصار المحافظين فى يونيه من العام ١٩٧٠ إلى إثارة البهجة فى نفوس الروديسيين البيض ، الذين كانوا ينتظرون بشغف دلائل التصالح والقبول من جانب حكومة إدواردهيث رئيس الوزراء .

كما أوضحت حكومة هيث – التى كان يعمل فيها أليك دوجلاس هيوم وزيرا للخارجية – أن العلاقات الودية والمبيعات المحدودة من الأسلحة لجمهورية جنوب أفريقيا كانت من بين أولويات الحكومة كجزء من معالجه واقعية لأفريقيا تقوم على أساس من نصيب بريطانيا الكبير فى رفاهية جنوب أفريقيا . وراحت حكومة بريتوريا من جانبها ، تضغط على من يتمتعون برعايتها فى روديسيا حتى يتصالحوا مع بريطانيا ، وبخاصة إذا كانت هناك صيغة ما لإنقاذ ماء الوجه يمكن التوصل إليها . أما البيض فى جنوب أفريقيا فكانوا ينظرون إلى إعلان الاستقلال من جانب واحد على أنه تعجل لا ضرورة له ، ومع ذلك اضطرتهم الظروف إلى دعم ومساندة أية حكومة بيضاء فى منطقة جنوب أفريقيا.

وسرعان ما أسفرت المعالجة "الواقعية" التى قال بها المحافظون البريطانيون عن اتفاق أدى إلى إنهاء الصراع الذى دام ست سنوات بين لندن وحكومة المستوطنين . وواقع الأمر أن ما وقعه كل من إيان سميث و السيراليك دوجلاس هيوم فى سالسبيرى فى الرابع والعشرين من شهر نوفمير من العام ١٩٧١ أضفى طابعا شرعياً على ديكتا تورية الأقلية البيضاء المطلقة ، زد على ذلك ، أن هذا الاتفاق كان يعطى وعودا غامضة بالتقليل من التمييز العنصرى و إقامة حكومة ديموقراطية فى المستقبل البعيد بطريقة أو بأخرى ، وهاجم الأفارقة من جميع الأحزاب هم والمعارضة التى كانت تتمثل فى حزب العمال فى بريطانيا الاتفاق و أدانوه بأنه بيع للحقوق والمصالح وتخلٍّ عن المبادىء السته التى وضعت أصلاً لإنهاء الصراع ، وأعرب حزب زابو فى منفاه فى لوساكا عن مشاعر كل حركات التحرر الثلاثة عندما أعلن أن الاتفاق وضع زيمبابوى "على حافة حمام دم عنصرى حتمى" .

وفى مقابل كل صوت كان ينادى بسياسة الاحتفاظ ببريطانيا بيضاء كان هناك صوت مماثل ينادى بالإبقاء على أفريقيا سوداء ، ومن خلف هذا النداء كان هناك نداء أكبر . يقول: أخْرِجَوا البيض من أفريقيا بكل أقنعتهم و متاعهم ، وعلَّق الوطنيون الأفارقة فى زمبابوى بأنهم لم يعد أمامهم من خيار سوى " الشيمورنجا " ، أى الكفاح المسلح ، اذا كانوا يتطلعون لاسترداد بلادهم .

المقاومـــــة

في العـام ١٩٠٠ كـان التـفـوق المسلح البـريطانـي قـد اسـتطاع سـحق المقـاومـة الأفريقية القبلية التي كانت تواجه الغزو الاستعماري ، وأصبح لشركة جنوب أفريقيا البـريطانيـة اهتـمامـاً مـتـزايداً ، في فـرض حكمـهـا علـى شـعـبى الندبيلي و الشـونا المنهزمين ، وفي الوقت الذي بدأ فيه المستوطنون الأوربيون الذين وصلوا حديثا إلى البلاد ينشغلون باستغلال الثروة المعدنية في البلاد وأراضي إقليم الفيلد الأعلى ، راحت جـمـعـيّـات التبشـير تعـمل على تعويض الجـانب الروحي لدى الأفـارقـة ، وفي الحقيقة أن المبشرين البريطانيين كانوا قد سبقوا المغامرين الروديسيين ؛ وعلى سبيل المثال فإن الدكتور ديفيد ليفنجستون صاحب الشهره الذائعة كان قد وصل إلى البلاد في العام ١٨٥١ على حين انه كان قد وصل إلى شلالات فيكتوريا في عام ١٨٥٥ .

ونشطت جمعية التبشير اللندنية بين شعب الندبيلي في العام ١٨٦١ وكما قال بسمـارك بعد أن تحوّلت ألمانيا متأخـرة إلى أفريقيـا: "إن المبشـر والتـاجر يجب أن يسـبقا الجـنـدي "، وفي روديسـيا تُرك أمر التجـارة للشركة التي كانت تنتشر في جميع الأنحاء ، أما المبشرون المسيحيون فكانوا برغم ذلك عملاء لا يمكن للاستعمار الإستغناء عنهم .

وكمـا كـان الحـال في أماكن أخـرى من أفريقـيا لم يلبي الدين الذي اسـتوردته بعثات التبشير باحتياجات الجماهير الأفريقية المغلوبة على أمرها . و ظهرت في روديسيا حركات دينية محلية مهدوية (خلاصية) ، أما عبادة كيتاوالا فكانت أهم من ذلك كله ، وقد أسس تلك العبادة مواطن من نياسلند اسمه رومو نيرنيدا الذي ادعى لنفسه بأنه مونا ليزا Muana Lesa، أي ابن الرب وقد أضفت تلك العبـادة "الطابع الأفريقي" على حركة برج المراقبة الأمريكية التي تُعْرَفُ أيضا باسمُ شـهود يهوه . وراح نيـريندا يدعـو لنظريته في كاتانجـا في البـداية حيث كـان القـمع والاسـتغـلال البلجيكيين للكنغوليين بالغا الشدة والمرارة . ثم سافر بعد ذلك هو وأتباعه على نطاق واسع في كل أنحاء شرق ووسط أفريقيا ، أما نيريندا نفسه الذي إتُّهم بقتل البيض فقد تم في النهاية إعدامه في العام ١٩٢٦ في روديسيا وزادت هالة الاستشهاد من جاذبية العبادة في أنظار الكثيرين من الأفارقة.

وراحت حركة برج المراقبة الدينية الأمريكية التي أنشأها في الولايات المتحدة الأمريكية شارل تي راسل في العام ١٨٧٤ ؛ وهي حركة تقوم على نظرية سفر الرؤية (العـهد الجديد) تدعو إلى الاقتراب من نهاية حقبة معركة أرمـا جيدون بمعنى الصراع العنيف بين الأمم وأن نخوضها بين الرب والشيطان . كما أن انتصار الرب

في هذا الصراع النهائى بين الخير والشر يمكن أن يؤدى إلى حقبة من العدل ، والأهم من ذلك بكثير بالنسبة للأفارقة الانهزاميين كثيرى التفكير ، الذين يؤمنون بالقضاء والقدر ، أن شهود يهوه أدانو كلا من الدولة والدين المنظم على نطاق واسع على إنهما من أعمال الشيطان ، و تنبأوا لهما بالدمار العام ، وقد أضافت عبادة نيريندا كيتاولا إلى هذه العناصر وتراً قوميا أفريقيا تماما يضفى طابعا شرعيا على مقاومة المتطفلين الأوربيين وأنه ، فى حالة الفشل ، فإن ذلك يشكل أملا فى يوم القيامة المحتومة عندما يلقون جزاء ما اقترفوا من جرائم(٦) .

وقد تأسست أول منظمة أفريقية تعمل فى نطاق إطار المؤسسات الاستعمارية الجديدة عندما قام شيرى موهاتا (٧) فى العام ١٩١١ بتكوين الاتحاد الوطنى لروديسيا الجنوبية وجاء ذلك الاتحاد بمثابة قناة يستلزمها الاحتجاج على إجراءات المستوطنين التعسفية المختلفة ، ومناشدة السلطات البريطانية للوقوف فى وجه تخريب الأراضى الأفريقية ، وسرقة الماشية والأغنام الأخرى ، كما كان هناك فى عقول الأفارقة انقسام وهمى بالفعل بين اغتصاب المستوطنين والبيض المحليين للأموال وبين الإحسان والإنصاف المفترضين فى الدوائر الرسمية البريطانية فى كل من كيب تاون ولندن البعيدتين ، ومن ثم أنشأ جيرى سوبانتو **Jerry Sobantu** فى العام ١٩١٩ عصبة الناخبين الأفارقة على أمل أن يكون للسود صوت فى ديمقراطية الاستيطان الجديدة . وفى انتخابات مايو عام ١٩٦٥ ، لم يحسب سوى ١٧٨١ صوتا – من إجمالى أصوات السكان الأفارقة البالغ عددهم ٤ملايين فى الدائرة الانتخابية الثانية التى تتكون أصلا من أحياء إنتخابية إفريقية ، وجرى تخفيف وقع تلك النتيجة بحقيقة مفادها أن الناخبين الأفارقة قاطعوا تلك الإنتخابات على نطاق واسع ، وعلى أى حال فإن بعض الأفارقة فى روديسيا على العكس من هؤلاء فى جنوب أفريقيا – أصبح لهم حق الانتخاب بصورة منطقية ، غير أنه توجد هناك مواصفات قياسية للملكية الأمر الذى يترتب عليه عدم صلاحية الجماهير الأفريقية . وعلى سبيل المثال فإن قانون الإنتخابات الذى أصدرته حكومة سميث فى العام ١٩٦٩، ينص على اقتصار كل الأفارقة والأوربيين على قوائم انتخابية منفصلة . وإذا ما أراد المواطن أن يكون أهلا للإدلاء بصوته فان القانون يحتم على الأبيض أن يكون له دخل سنوى لا يقل عن ٩٠٠ جنيه روديسى أو ممتلكات قيمتها ١٨٠٠جنيه روديسى أو تمضية أربع سنوات فى التعليم الثانوى ودخل سنوى حوالى ٦٠٠ جنيه روديسى أو ممتلكات قيمتها ١٢٠٠ جنيه روديسى ، وكل هذا يعد مطلبا سهلا جدا فى ظل ظروف الحياة

الاستعمارية التى تقوم على الإمتيازات ، أما الأفريقى فكان يطلب منه أن يكون له دخل سنوى يقدر بحوالى ٣٠٠ جنيه روديسى ، أو ممتلكات قيمتها ٦٠٠ جنيه روديسى أو عامين من التعليم الثانوى ودخل سنوى قيمته ٢٠٠ جنيه روديسى أو ممتلكات تقدر ٤٠٠ جنيه روديسى ، وقد وصل الفقر بالسود حدا لم يعودوا معه أهلا لهذا الحق المحدود فى التصويت فى الانتخابات ، وذلك باستثناء بضعة آلاف قليله من السود .

وقد استشعرت روديسيا تماما قسوة تأثير المنظمات الأفريقية فى جنوب أفريقيا، وربما جاء أشد تلك التأثيرات من اتحاد عمال التجارة والصناعة الذى أسسه كلمنتس كادالاى فى مدينة الكيب فى العام ١٩١٩ ؛ إذ ازدهر الاتحاد فى العشرينيات ، كما قام كادالاى الذى قدم إلى جنوب أفريقيا من نياسلند ، بإنشاء فروع للإتحاد فى كل أنحاء الجزء الجنوبى من أفريقيا بما فى ذلك روديسيا ، ففى روديسيا أسس (ماسوتشا ندلوفو) فى العام ١٩٢٤ فرعاً لإتحاد عمال التجارة والصناعة بصفة رسمية فى مدينة بولاوايو التى تعد المدينة الثانية فى المستعمرة . وقد أدى التشكيل السريع للبروليتاريا السوداء فى المناجم وفى الريف من الفلاحين الذين لا يمتلكون أرضا إلى خلق الظروف المثالية لحركة النقابات الحرفية . وبرغم ذلك وقعت بعض المشاحنات مع السلطات الاستعمارية والبرجوازية البيضاء حول مسائل تكاد تكون ذات طابع صناعى : مثل المعركة التى دارت حول قانون التمييز العنصرى الذى يمنع السود من السير على أرصفة المستوطنين [8] أو الوقوف فى المناطق المخصصة لهم .

وكان كادالاى نفسه يتخذ من جنوبى أفريقيا قاعدة له . ومع ذلك فإن تأثير شخصيته الحماسية وأفكاره النقابية الفوضوية وصل إلى العمال السود فى روديسيا، كما تركت مهمة تصريف الشئون اليومية فى اتحاد عمال التجارة والصناعة للزعماء المحليين من أمثال (ماسوتشاندلوفو) (و شارلزميزنجلى مويو) وأدت السياسة الخاطئة ، والتنظيم البيروقراطى الضعيف وشخصية كادالاى – سريعة التقلب كما رأينا بالفعل – إلى إنهيار تلك الحركة الجماهيرية الأفريقية العظيمة خلال عقد واحد من تأسيسها ، فقد تكرر الانقسام والتملص فى روديسيا بنفس الأسلوب الذى حدث به فى جنوب أفريقيا حيث حاول مويو أن يقيم هناك اتحاداً لعمال التجارة والصناعة خاص به . وبرغم كل هذه التقلبات ، أمكن لاتحاد عمال التجارة والصناعة أن يبقى على قيد الحياة فى روديسيا بشكل أو بآخر إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية . ويشكل أسلوب ذلك الاتحاد فى الاجتماع عن طريق الطبقة العاملة المكافحة عنصراً أساسيا فى تراث[9] حركة الكفاح الوطنى فى زيمبابوى .

وثمة شيء آخر استورد من جنوب أفريقيا هو حزب المؤتمر الوطني الأفريقي . ففي خلال سنوات قلائل من إفتتاح الحزب في بلويمفونتين تحت اسم حزب المؤتمر الوطني القومي في جنوب أفريقيا ، ظهرت تنظيمات مشابهة في أماكن أخرى من أفريقيا ، وفي العام ١٩٣٠ لم تكن قد تأسست في روديسيا هيئة مشابهة لحزب المؤتمر الوطني القومي في جنوب أفريقيا أثناء الكفاح ضد قانون تخصيص الأرض - الذي خصص ٤٩ في المائة من أراضي البلاد للأوربيين ، الذين كانوا يشكلون أقل من ٧ في المائة من السكان ، وفي العام ١٩٣٤ تغير إسم ذلك الحزب الذي أطلق على نفسه في البداية إسم حزب مؤتمر البانتو ليصبح حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في روديسيا الجنوبية . وفي ظل زعامات مختلفة يحتمل أن يكون حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في روديسيا اكثر إصلاحا من نظيره في جنوب أفريقيا : فقد تركز عمل ذلك الحزب على الصفوة من السود ، وراح يسعى ويتوسل بصورة مستمرة لدى السلطات البيضاء في سالسبيري وفي أماكن أخرى طلبا لشيء من العدالة للأغلبية الأفريقية.

ولم تحدث الحرب العالمية الثانية في روديسيا ، أثرا تحريضيا مباشرا مثلما أحدثت في أجزاء أخرى من أفريقيا ، ففي جنوب أفريقيا طرأ تقدم كبير في عام ١٩٤٥ ، على تكوين رابطة الشباب التابعة لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي ، و في روديسيا الجنوبية لم يصل الشبان الماثلون إلى المقدمة قبل العام ١٩٥٦ ، عندما تأسست رابطة الشباب مستقلة عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي ذوى عوده ؛ ومع ذلك بقي حزب المؤتمر الوطني الأفريقي على قيد الحياة في مدينة بولاوايو برئاسة جوشوا نكومو ، و في العام ١٩٥٧ تأسس حزب مؤتمر وطني جديد في روديسيا الجنوبية من المجموعتين : مجموعة نكومو Nkomo في مدينة بولاوايو التي كانت ترتبط بحزب المؤتمر الوطني الأفريقي ، ورابطة الشباب التي تأسست في المدن الأفريقية المحيطة بمدينة سالسبيري حول شابين متحمسين هما : جيمس شيكيريما وجورج نياندورو .

وعندما اقترحت حكومة المستوطنين لأول مرة في الأربعينات وأوائل الخمسينات تأسيس اتحاد لوسط أفريقيا شارك كل من حزب المؤتمر الوطني القديم واتحاد الصوت الأفريقي ، واتحاد عمال التجارة والصناعة المعدل في المحادثات التي دارت في فورت جيمسون ، مع المنظمات الأفريقية الأخرى المشابهة في نياسلند و روديسيا الشمالية لكي تعرب كل المنظمات عن احتجاجها على الاتحاد المقترح ، وبعد ذلك

المؤتمر تكون فى روديسيا حزب ميثاق كل أفريقيا لمقاومة المشروع الفيدرالى ، الذى تم فرضه على الجميع برغم كل ذلك فى العام ١٩٥٣ .ثم إنهار بعد ذلك حزب ميثاق كل إفريقيا فى العام ١٩٥٤ (١٠) .

ولم تأت التأثيرات المباشرة على حركة روديسيا الجنوبية من جنوبى أفريقيا البعيد وإنما جاءت من روديسيا الشمالية و نياسالاند ، حيث يوجد أيضا حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى صاحب التقاليد العتيدة فى الكفاح ، زد على ذلك أن الحزبين كانت لهما فروع بين عمالهما المهاجرين إلى روديسيا الجنوبية ، يضاف إلى ذلك ، أن دونـدوزا Dunduza شيزيزا رئيس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى نياسلند الذى عاش فى سالسبيرى إلى أن طردته حكومة المستوطنين منها فى شهر يولية من العام ١٩٥٦ كان مصدرا أساسيا من مصادر توجيه وتشجيع كل من شيكيريما ونياندورو وبرغم العقبات التى أثارتها حكومة العسف إلا أنها بذلت بعد ذلك جهودا كبيرة ، طلبا للتنسيق بين مختلف الأنشطة القومية الأفريقية ، غير أن اجتماع القمة الذى جرى التخطيط لانعقاده فى بلانتيرى فى شهر فبراير من العام ١٩٥٩ من قبل الأمناء العامون فى الأحزاب الوطنية الأربع الرئيسية – كانت هناك منظمتان متنافستان فى روديسيا الشمالية – لم ينعقد نظرا لأن تلك الأحزاب جميعها باستثناء حزب واحد أضحت محظورة من قبل الحكام البيض ، والحق أن العذر الذى انتحله الحكام البيض فى روديسيا الجنوبية لتحقيق ذلك الحظر كان يتمثل فى أن حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى كان يشترك فى العمل مع حزب المؤتمر فى كل من نياسالاند وزامبيا وهذان هما الفرعان اللذين أصدرت بشأنهما إحدى اللجان الحكومية إعلانا بأنهما منظمتان تخريبيتان تلتزمان سياسة العنف (١١) ، كما احتجزت حكومة السير ادجار هوايتهد ٣٠٧ عضوا من أعضاء حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى روديسيا الجنوبية ، وعلاوة على ذلك أصدرت الحكومة على وجه السرعة سلسلة من إجراءات القمع التى تحد من النشاط السياسى الأفريقى .

ويصف جون ديى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى حياته التى استمرت عامين فيقول :

جرى الهجوم على حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى على جبهة واسعة ؛ إذ أن الحزب أصاب نجاحا ملحوظا فى نشر السخط والاستياء ضد قانون فلاحة الأرض الوطنى ، الذى كانت الحكومة تحاول تنفيذه فى ذلك الوقت (١٩٥٧) ، وجرى تنفيذ ذلك القانون الذى

كان يـرمى إلى تحسين أســاليب الـــزراعة دون أن يضع منفـــذوه فى اعتبارهم استياء الأفارقة من جزئيتين أساسيتين فى ذلك القانون هما : التـجريد من الماشـيـة وتحـويل الأرض المملوكـة ملكيـة جمـاعيـة إلى مزارع مملوكة للأفراد .وفى معظم الأحيان ، ينظر الأفـارقة إلى هذين الاجراءين على أنهما هجوم ضـار على طريقة معيشتهم وعلى أسـاليب حيـاتهم التـقليدية، وطوال وجـوده كان حـزب المؤتمر الوطنى الأفـريقى يشن هجومـه العنيف مبـاشـرة على القوانين وعلى سياسـة روديســيا الجنوبية وإداراتها ، ولم يحاول الحزب ، مثل من خلفوه ، توجيه ضغط غير مباشر عن طريق طلب المسـاعدة من الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية (١٢).

ومع أن حـزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ربما كان يسـاند الاسـتـقلال بهـدف أن يكون حكم الأغلبية الأفريقية هدفا نهائيا له ، إلا أن جهود الحزب كانت تقتصـر على علاج بعض المظالم الأفريقية التى حدثت فى ظل النظام الذى تـأسس فى بلادهم فى العام ١٩٢٣ وبرغم ذلك فإن العنصرية ونجاح كل من شيكيريما ، ونياندورو ، و نكومو فى تجـميع السـود من حـولهم على أسـاس من الخطوط القبلية فى كل أجزاء العـالم قدرها البيض تقديرا صحيحا بأنها كانت تشكل تهديداً حاسما .

ومـهمـا كان الأمـر ، وبرغم احـتـجاز زعـمـاء حـزب المؤتمر الـوطنى الأفـريقى لم توصـد كل قنوات العـمل السيـاسى ، ففـى يناير من العـام ١٩٦٠ تشكل حـزب وطنى أفـريقى جـديد هو الحـزب الديمقـراطى الوطنى (NDP) تـأسـس ذلك الحـــزب من أصـحاب النشاط داخل حزب المؤتمر الوطنى المحظور ، وهنا حاولت الحكومة بزعامة هوايتـهيد إقناع الأفارقـة بأن أفضل آمـالهم إنما تتـمـثل فى التـعاون مع الحكومة . واتخذت الحكومة عددا من الإجراءات – التى الغتها حكومة سميث بعد ذلك – اقتصر بمقتضاها التمييز العنصرى على الأماكن العامة .

وأصـاب جوشوا نكومـو حظًا كبيرا لأنه كان فى الخـارج عندما صـدر قرار حظر حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ؛ فقد قام نكومـو بتمثيل ذلك الحـزب فى أول مـؤتمر للمنظمـات الشـعبية لكل أفريقيـا الذى انعقـد فى اكرا فى شـهر ديسـمبـر من العام ١٩٥٨ ، ولم يعد نكومـو بعد ذلك إلى روديسيـا ، وعندمـا ألقى القبض على رفاقـه فى ٢٦ من فـبـراير من العـام ١٩٥٩ ، كـان نكومـو نفسـه يمثل حـزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى اجتمـاع مـجلس منظمـة تضـامن شـعوب آسيا و أفريقيـا فى القـاهرة ،

وبدلاً من أن يعود نكومو إلى وطنه ليوضع فى السجن سافر إلى لندن حيث أنشأ هناك فى شهر يناير من العام ١٩٦٠، لجنة مؤتمر روديسيا الجنوبية فى الخارج . وكان نكومو قبل أن يفعل كل ذلك قد قام بأسفار طويلة فى أفريقيا . كما قام بجولة فى الولايات المتحدة ؛ ثم ظهر لأول مرة أمام الأمم المتحدة ، كمراقب غير رسمى ، فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٠ ، ولم يعد نكومو إلى روديسيا إلا بعد أن انتخبه مؤتمر الحزب الوطنى الديموقراطى الذى إنعقد فى ذلك الشهر ، رئيسا للحزب ، وبعد أن توقف فى طريقه فى كل من نيجيريا وكينيا ، وصل أخيرا فى ٢٠ من نوفمبر إلى روديسيا حيث بقى أسبوعا واحدا فقط قبل أن يعود إلى لندن لحضور المؤتمر الفيدرالى ، والمؤتمر الذى أعقبه بشأن روديسيا الجنوبية . وعندما انهار ذلك المؤتمر قبل عيد رأس السنة فى العام ١٩٦٠ رجع نكومو إلى سالسبيرى ، و حكمت الظروف على نكومو أن يقوم برحلات أخرى عديدة إلى الخارج ، و لكن مع ذلك كانت تلك الرحلات موضع جدل كبير فيما بعد(١٣).

والأهم من ذلك بكثير إن أردنا أن نفهم تطور حركة التحرير فى زيمبابوى هو النظام الذى أسسته تلك الحركة لتناشد به الهيئات والمؤسسات الخارجية على أمل الضغط على سالسبيرى من أجل أن تمنح الأغلبية الأفريقية بعض الامتيازات ؛ علما بأن دستور العام ١٩٢٣ يعطى الحكومة البريطانية حق الفيتو (حق الاعتراض) على تشريعات التمييز العنصرى الخاصة بالأغلبية الأفريقية . ومع أن الحكومة البريطانية لم تستعمل ذلك الفيتو مطلقا ، إلا أن الساسة الأفارقة كانوا مفتونين بالسياسة الرسمية البريطانية برغم الحكم الذاتى الاستيطانى الذى كان مفروضا على بلادهم . وعلى الجانب الأخر، حاولت حكومة هوايتهيد وحكومات الاستيطان التى أعقبتها ، إقناع بريطانيا أن تمنح روديسيا – وبخاصة بعد انهيار الإتحاد الفيدرالى – الاستقلال الكامل بدون سلطات تحفظية ، وراح الجانبان كلاهما يسعيان إلى ذلك الاستقلال فى أروقة هوايتهول ولدى الساسة البريطانيين ، و مع ذلك بقيت السلطة كلها بيد جهاز الدولة الأبيض ، هو وشرطته وقواته الجوية ، وعلى ما يبدو ، لم يكن الناس على استعداد لتأسيس تنظيم سياسى سرى أو إنشاء أى شكل آخر من أشكال العنف ضد الحكومة .

وبدلا من تعبئة الجماهير السوداء ، أعطى نكومو ورفاقه الأولوية الأولى لكسب التأييد للقضية الأفريقية فى بريطانيا ، وكسب انحياز وتأييد الأمم المتحدة والحكومات الأفريقية الصديقة وحكومات الدول الأجنبية من أجل الضغط على الحكومة البريطانية للتدخل بصورة مباشرة فى روديسيا – وجرى فتح مكاتب للحركة فى الدول الأفريقية

المستقلة وفى لندن ونيويورك ، وفشلت كل تلك الضغوط فى الإبقاء على صمود الحكومة البريطانية التى كانت تحاول فرض دستور ١٩٦١ ، وانعقد فى سالسبيرى المؤتمر الدستورى برياسة دينكان سانديز ، الذى كان يعمل آنئذ وزيرا للخارجية لشئون الكومنولث ، وشارك فى المؤتمر كل من حكومة هوايتهيد ووفد الحزب الوطنى الديمقراطى برياسة نكومو ، وسرعان ما تحولت الموافقة المبدئية من جانب نكومو وزعماء الحزب الوطنى الديمقراطى الآخرين إلى رفض عندما تأكدوا من رفض الأفارقة المؤتمر ، ومهما كان الأمر فقد طار سانديز بالفعل عائدا إلى لندن . كما رفضت أيضا مطالب الحزب الوطنى الديمقراطى بعقد مؤتمر جديد ، وأصبح الدستور سارى المفعول فى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٢ ، بعد كسب موافقة دوائر الأوربيين الانتخابية ، وقاطع الأفارقة كل ذلك ، كما قاطعوا أيضا انتخابات العام ١٩٦٢ - التى دفعت بجبهة روديسيا العنصرية إلى السلطة - برغم النصيحة الخالصة من الزعماء السياسيين لهم بمحاولة إعمال دستور عام ١٩٦١، وفى ظل حكومات المحافظين وحكومات العمال قدر لذلك أن يبقى بمثابة أساس لموقف بريطانى من الأفارقة ، وتورد صحيفة داى Day تقريرا مفاده أن دوق ديفونشير وزير الخارجية فى ذلك الوقت ، لشئون الكومنولث أبلغ فى العام ١٩٦١ وفد الحزب الوطنى الديمقراطى - الذى كان يضم كلا من نكومو ، و موتون ماليانجا وإينوك ديمبوتشينا - أن الأفارقة لا يمكن أن تكون لهم السيطرة فى روديسيا الجنوبية لأن مركب التنظيم(١٤) الصناعى هناك لا يمكن أن يوضع فى أيدى غيرمدربة وناقصة الخبرة .

وبرغم تلك الإهانات وبرغم ذلك الرفض وبادرة عدم النجاح إلا أننا نندهش لإصرار الزعماء الأفارقة على جهودهم التى على ما يبدو لم تتخل قط عن أمل ، مفاده أن الرأى العام العالمى على المدى الطويل ، يمكن أن يجبر الحكومة البريطانية على السماح لأغلبية أفريقية بالوصول إلى السلطة فى روديسيا ، وإذا ما صرفنا النظر عن مدى حيوية سعى الأفارقة فى أروقة لندن ونيويورك ، نجد أن زعماء ذلك السعى لم يقدروا تعاطف البريطانيين مع أبناء جلدتهم فى روديسيا ، حق قدره ، كما لم يقدروا أيضا المدى المؤثر الذى يمكن أن تصل إليه المصالح الصناعية والمالية الكبرى التى كانت تهتم هى الأخرى بمستقبل روديسيا .

وأصدرت حكومة المستوطنين فى ديسمبر من العام ١٩٦١ ، قرار بخطر الحزب الوطنى الديمقراطى ، وزعمت حكومة المستوطنة أن الحزب بدأ حملة للعنف وهنا سرعان ما تكون حزب وطنى آخر أطلق على نفسه اسم اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى ،الذى تشكل بالضرورة من نفس الناس .

اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى (زابو)

يعد اتحاد شعب زيمبابوى الخلف المباشر للحزب الوطنى الديموقراطى المحظور. ولم يشعر زعماء ذلك الاتحاد بأى نوع من القلق إزاء تأكيد تلك النقطة عند إنشاء ذلك الاتحاد فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦١ م والسبب فى ذلك أنهم كانوا يخشون بحق القمع الحكومى . وقد ذاع أن الاتحاد يعد المنافس الرئيسى ، فى حركتى التحرير المتنافستين فى روديسيا من ناحية وفى إرثه لتراث المقاومة والقتال الأفريقيين من الناحية الأخرى ، ويدور الآن حول وجهة النظر الأولى كثير من الجدل أما وجهة النظر الثانية فهى مسلم بها تماما ولكلتا الحركتين ماض مشترك بيد أنهما انقسمتا فى الأصل حول مسألة فشل الزعماء فى وضع سياسيات قادرة على التأثير على اتجاه السيادة البيضاء فى الحكومة فى سالبيرى ، أو على السلبية فى لندن ، كما زادت الخلافات الشخصية من توسيع هوة ذلك الانقسام .

ويعد جوشوا نكومو Joshua Nkomo الشخصية الرائدة فى ذلك المجال ، وقد ولد ذلك الرحالة الذى لايعرف الكلل ودائم السعى فى الأروقة من أجل القضية الوطنية الأفريقية ، لأسرة من الفلاحين فى إقليم ماتوبا فى روديسيا الجنوبية وسافر بعد انتهاء تعليمه الثانوى فى روديسيا إلى جنوب أفريقيا للدراسة فى الكلية فى الناتال ثم فى مدرسة هوفمير للخدمة الاجتماعية فى جوهانسبرج ، وعندما عاد نكومو إلى روديسيا جرى تعيينه فى العام ١٩٤٧ اخصائيا اجتماعيا لدى اتحاد موظفى السكك الحديدية الأفريقية بروديسيا والذى اصبح له فى العام ١٩٥٢ اثنين وعشرين فرعًا ويضم ما يزيد على ٢٦٠٠ عضوا ، ونظرا لآن نكومو كان بروتستنتيا ، فقد كان يتمتع بإيمان دينى عميق فى ذلك الوقت .وظل نكومو لفترة من الوقت فى إسار نفوذ حركة إعادة التسلح الخلقى المحافظة ، وهو الذى أحيا حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لروديسيا الجنوبية الذى كان فى طور السبات ، وشارك فى حزب ميثاق كل أفريقيا الذى شن حملة لا جدوى منها ضد دستور اتحاد روديسيا ونياسالاند وحاول نكومو أن يحصل لنفسه على مقعد فى البرلمان الفيدرالى فى العام ١٩٥٣ غير أنه رفض من قبل الأغلبية الساحقة من الناخبين البيض ، وهجر نكومو عمله فى اتحاد السكك الحديدية وبدأ يعمل فى مشروع تجارى خاص كمندوب تأمين ودلال للبيع بالمزاد العلنى ، وبرغم انتخابه رئيسا لحزب المؤتمر ، فإنه لم يستطع تطوير الحزب بفروع اكثر من فرعه الوحيد فى بولاوايو Bulaway واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن عقد تحالفا مع كل من جيمس شيكريما Chikerema وجورج نياندورو من رابطة

الشباب Youth League الذى أسس معهما حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الجديد فى روديسيا الجنوبية ، وسافر نكومو فى ديسمبر من العام ١٩٥٨، إلى اكرا لتمثيل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الجديد فى اجتماع مؤتمر شعوب كل أفريقيا ، ثم سافر بعد ذلك إلى القاهرة حيث علم ، كما أوضحنا فى القسم السابق ، أن حكومة الاستيطان قد أعلنت حالة الطوارئ فى روديسيا وألقت القبض على زعماء حزب المؤتمر واحتجزتهم. وبقى نكومو فى الخارج ما يقرب من العامين ،يعمل من مكتب له فى لندن قبل أن يعود إلى روديسيا فى أكتوبر من العام ١٩٦٠ ليصبح رئيسا عاما للحزب الديمقراطى الوطنى الذى تكون مع مطلع العام ١٩٦٠ ليحل محل حزب المؤتمر المحظور .

وبعد إنشاء اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا اتفق نكومو وصحبه حل هذا أيضا فلن يشكلوا حزبا آخر ولكن سيعملون سرا فى بلدهم مع فتح مكاتب فى الخارج ،وتحركت الحكومة بسرعة بحظر زابو فى سبتمبر من العام ١٩٦٢ بعد تسعة أشهر من النضال الشاق ، اقتراح نكومو الذى أصبح خبيرا فى التحرك السياسى فى المنفى نظرا لأنه عاش فى الخارج الفترة من ١٩٥٨-١٩٦٠ يدير مكتبا فى لندن نقل القيادة بكاملها إلى خارج روديسيا ثم فى النهاية أنشأ حكومة أفريقية فى المنفى ، وفى أحيان كثيرة لم يكن رفاق نكومو يقتنعون بالحكمة التى تكمن وراء ذلك الاقتراح ، وقبل أن تعلن الحكومة حظر اتحاد شعب زيمبابوى فى ٢٠ من سبتمبر طار نكومو إلى تنجانيقا ،حيث عرض اقتراحا بإقامة حكومة زيمبابوى فى المنفى هناك .

وفى شهر مارس من ذلك العام ،ظهر نكومو وواشنجتون مليا نجا سويا أمام اللجنة الرابعة للأمم المتحدة ، وهذا يعد أول ظهور رسمى لاتحاد شعب زيمبابوى فى روديسيا كمنظمة صاحبة التماس ، كما جرى أيضا استجواب جارفيليد تود رئيس الوزراء الليبرالى السابق لروديسيا أمام اللجنة بناء على دعوة من نكوموا وأوفدت أيضا لجنة فرعية خاصة بروديسيا إلى لندن لبحث الوضع القانونى لروديسيا وعادت بتقرير مفاده أن روديسيا لم تكن إقليم حكم ذاتى حقيقى كما أوصت اللجنة أيضا أن تُعجل بريطانيا باستقلال الأغلبية الأفريقية ووافقت اللجنة بكاملها على ذلك الموقف الذى أقرته أيضا الجمعية العامة للأمم المتحدة ،غير أن الحكومة البريطانية لم تكن لتُحَثّ على التصرف نيابة عن الأفارقة ، وتقول، **جريدة داى Day اتخذت الحكومة البريطانية خطا مفاده أنها وحدها هى التى لها الحق أن تفعل أى شىء بشأن روديسيا الجنوبية وأنها اختارت ألا تفعل ذلك** (١٥)

أما نكومو فكان فى نيويورك فى شهر يونية عندما وافقت الجمعية العامة على توصيات اللجنة الرابعة وما توصلت إليه ، ولم يكن نكومو العضو الوحيد فقط فى اللجنة التنفيذية الوطنية لاتحاد شعب زيمبابوى ، الأفريقى لروديسيا الذى كان مقتنعًا بأن آراء تلك الهيئة العالمية لايمكن تجاهلها إلى الأبد من قبل الحكومة البريطانية ، وهنا زاد اتحاد زيمبابوى من سعيه بين أروقه الأمم المتحدة .

وبدأ مركز رياسة الحزب المؤقت يعمل فى المنفى من دار السلام برياسة عضوين من اللجنة التنفيذية هما القس ندابانجى سيثولى Reverend Ndabinngi Sithole– موخا هليرا Mukhahlera! كما إجتمع نكومو ،عندما كان فى تنجانيقا ، ورشيدى كواوا رئيس الوزراء وكبار المسئولين فى الحكومة وحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى فى تنجانيقا TANU حتى يتسنى له الحفاظ على اتحاد شعب زيمبابوى فى الخارج .

ثم غادر نكوموا دار السلام عائدا إلى روديسيا عن طريق لوساكا Lusaka التى علم فيها أن الحكومة قد حظرت حزبه فى النهاية وألغى نكومو رحلته وعاد إلى سالسبيرى Salisbury ؛ حيث ناقش الموقف مع المسئولين فى حكومة روديسيا الشمالية ثم عاد بعد ذلك إلى دار السلام ، وهناك حثه سيثولى على العودة إلى الوطن برغم إلقاء القبض على بعض زعماء حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ،الأمر الذى تحقق منه فى النهاية مع بداية شهر أكتوبر ،وفى الحال وضعت الحكومة نكومو تحت الحظر والمراقبة غير أنه أفلح فى الحفاظ على اتصاله بالكثيرين من رفاقه ، زد على ذلك ،أن نكومو استطاع فعلا عقد اجتماع للمجلس التنفيذى فى النهاية ، برغم مراقبة الشرطة له ،ويقدم لنا ناثان شاموياريرا (١٦) الصحفى الذى انشق على نكومو أفكارا وثيقة عن عمل اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى لروديسيا فى ذلك الوقت ، ويقدم زعماً مفاده أن نكومو اقترح فى ذلك الاجتماع أن يهرب المجلس التنفيذى من روديسيا وأن يؤسس حكومة فى المنفى فى دار السلام ، ورفض رفاق نكومو ذلك الاقتراح ،لأنهم كانوا يعتقدون أنهم مايزال بوسعهم أن يلعبوا دورا هاما داخل البلاد .

وبقى نكومو تحت طائلة الحظر والمراقبة حتى شهر يناير من العام ١٩٦٣ وبرغم صدور إعلان عن حظر اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ،اجتمع وفد بقيادة نكومو يمثل الحزب إلى د.أ. بتلر الذى كان آنئذ وزيرا بريطانيا لشئون وسط أفريقيا أثناء زيارته لسالسبيرى ،، وجد الأفارقة فى بتلر شخصية أكثر تعاطفا مع قضيتهم عن دينكان سانديز ؛ غير أن بتلر أيضا رفض مطالبهم حول عقد مؤتمر

دستورى آخر ؛ بل إنه على أقل تقدير حثهم أن يرسلوا له وثيقة يسجلون فيها مظالمهم الأمر الذى أسعدهم جدا وتحدث نكومو ورفاقه إلى بتلر مرة أخرى فى شهر مارس فى لندن على هامش محادثاته التى كان يجريها هناك بشأن مستقبل روديسيا الشمالية وعلاقاتها بروديسيا الجنوبية .(وكان نكومو قد أسرع مسافرا إلى لوساكا كى يتكلم مع كينيث كاوندا فى حزب الاستقلال الوطنى المتحد الذى كان يعد انفصالا عن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى روديسيا الشمالية) وسافر نكومو من لندن إلى نيويورك وظهر مرة ثانية فى الأمم المتحدة ، وعندما عاد نكومو إلى لندن التقى سيثولى الذى كان ما يزال مديرا لمكتب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى دار السلام ،ثم سافر بعد ذلك إلى عاصمة تنجانيقا ليجتمع إلى أناس آخرين من الحزب.

وفى نهاية مارس عاد نكومو أخيراً إلى روديسيا .وعقد إجتماعا سريا للمجلس التنفيذى لحزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا فى بولاوايو الذى كان محظوراً فيها من الناحية القانونية، واقتنع أعضاء المجلس بأن الزعماء الأفارقة الآخرين كانوا يرون أن من الحكمة للمجلس التنفيذى بكامله أن يغادر روديسيا بعد أن وصل إلى هذه المرحلة ، وكان من المقرر أن يبقى فى البلاد جيمس شيكيريما فقط الذى كان قد أطلق سراحه مع بداية العام بعد احتجاز دام أربع سنوات .

ونقلا عن شاموياريرا اكتشف الأعضاء التنفيذيون عندما وصلوا إلى دار السلام أن الرئيس جوليوس نيريرى لم يوافق على تحركاتهم ، وعلى أى حال صرح نكومو للصحافة بأنه لم يشكل حكومة فى المنفى ، ثم سافر بعد ذلك فى جولة إلى بعض الدول الأفريقية ،كما ترأس فى شهر مايو وفدا من حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا إلى أديس أبابا لحضور مؤتمر قمة رؤساء الدولى الأفريقية الذى أسفر عن تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية .

وفى الحال طلب نكومو من منظمة الوحدة الأفريقية مساعدة مالية للحزب كى يستطيع إعاشة القيادة فى المنفى، غير أن ذلك الطلب رفض رفضا قاطعا وأهيب باللجنة التنفيذية لحزب اتحاد شعب زمبابوى الأفريقى فى روديسيا أن تعود إلى الوطن ،برغم الحظر الذى كان مفروضا على نشاطها الوطنى - حتى يتسنى لها تنظيم المزيد من النشاط السياسى الأفريقى داخل روديسيا .وبعد ذلك وعندما جرى تشكيل لجنة التحرير الأفريقية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية أرجئ اتخاذ إجراء بشأن طلب آخر تقدم به الحزب من أجل مساعدة مالية إلى أن يثبت للجنة أن الحزب كان يعمل داخل روديسيا ؛ ولكن ذلك الصدّ من قبل الأخوة الأفارقة زاد من حدة

التناقضات داخل اللجنة التنفيذية فى حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا (١٧) الأمر الذى أدى مباشرة إلى تفكك التنظيم.

وفى ذات الوقت فى منتصف العام ١٩٦٢ وقع تطور آخر كان يحدد الخط العملى الوحيد لعمل الوطنيين الأفارقة ، وبفضل الاتصالات الأجنبية لحزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ؛ سافرت مجموعة من الشبان الأفارقة إلى الخارج لتبدأ تدريبا عسكريا فى الجزائر والصين وتشكوسلوفاكيا وغانا ، وكان على المجموعة أن تكون الكوادر الأولى فى جيش تحرير زمبابوى ، وبدأت المجموعة العسكرية – عن طريق توزيع المواقع ، فى كل من سالسبيرى وبولاوايو –فى الإعلان عن وجودها فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢ أى قبل إعلان حظر الحزب مباشرة وبرغم الحقيقة التى مفادها أن المجموعة العسكرية كان يجرى توجيهها بصورة علنية من قبل أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب أعلن زعماء اللجنة على الملأ أنهم لاتربطهم أية علاقة بتلك المجموعة الإرهابية وبادرت اللجنة إلى ممارسة أشكال مختلفة من العنف البسيط ،غير أن حرب العصابات لم تبدأ إلا بعد ذلك بأربع سنوات ، وهنا قام الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى المنافس بدور القيادة فى تلك الحرب .

وعندما بدأ حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى الضغط بمطالبة من أجل الحصول على مساعدة مالية من منظمة الوحدة الأفريقية فى شهر مايو من العام ١٩٦٣ وبعده لم يؤكد (الحزب) ذلك ولو سراً –برغم المخاطر التى تترتب – على الاستعدادات والمجهودات التى اتخذها من اجل خوض حرب تحرير عامة ضد حكومة الإستيطان فى سالسبيرى . Salisbury، وفى شهر يونيه قام نكومو الذى كان مجلسه التنفيذى متمركزا فى دار السلام – بالسعى فى أروقه مؤتمر شلالات فيكتوريا الذى فشل فيه و ينستون فيلد Winston Field رئيس جبهة روديسيا ، فى الحصول على موافقة بريطانيا على الاستقلال الكامل .

وتوقف نكومو وبصحبته شيكريما فى لوساكا كى يتسنى لهما القيام بمحادثات مع كاوندا الذى حثّ زعماء حزب اتحاد شعب زيمبابوى فى روديسيا على العودة إلى الوطن حيث تّوقف النشاط المنظم توّقفا تاما ، بما فى ذلك النشاط غير العلنى ، علاوة على ذلك كان هناك استياء متزايد من زعامة نكومو التى وجة الدبلوماسية إليها نقد بأنها كانت مزورة وغير حاسمة ، وإن تلك الزعامة كانت تركز تركيزا كاملاً على الدبلوماسية مجهولة الهوية والسعى فى أورقه الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية أما اللجنة التنفيذية فإن النقد الموجه إليها كان يأتى من قبل كل من : نكومو وسيثولى

Sithole وليوبولد تاكاويرا، وموتون ماليانجا ، وروبرت موجابى .ومن سخرية الأقدار أن الإنقسام الفعلى حدث فى دار السلام بعد عودة نكومو إلى سالسبيرى حيث اكتشف أن نقاده فى اللجنة التنفيذية كانوا على اتصال بالقادة المحليين ؛.زد على ذلك ،أن نقاده كانوا يذيعون أيضا تقارير عن عدم كفايته وعجزه ، وفى الحال استنكر نكومو ما يقوله أعداؤه وأرسل برقية إلى دار السلام لوقف الأعضاء الأربعة المتمردين فى اللجنة التنفيذية .وعقد الأعضاء الأربعة مؤتمرا يضم سبعة أعضاء من اللجنة التنفيذية فى تنجانيقا لعزل نكومو ، وأعلن الأعضاء الثلاثة الموالين لنكومو وهم (ج.زد.موبو، وس. أم .موشاشى ،وجوزيف مسيكا)عدم دستورية المؤتمر ثم غادروا البلاد ، وانتخب سيثولى رئيسا ليحل محل نكومو ؛ غير أن الأعضاء الأربعة لم تكن لديهم أية نية فى البقاء أطول من ذلك فى المنفى ، وقرروا العودة إلى الوطن لتنظيم الحزب الوطنى الجديد الذى عارضه نكومو ، وجرى فى الثامن من شهر أغسطس من العام ١٩٦٣ تشكيل الحزب الجديد الذى سمى بإسم حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى .

وبطبيعة الحال كان حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى لروديسيا ما يزال محظورا غير أن تشكيل منافسيه لحزب جديد غل يدى نكومو ، وبدلا من أن يسمح نكومو لمنافسيه بحرية الحركة فى التنظيم بين الجماهير، كان عليه أن يوافق فى النهاية على خلق هيئة جديدة تسمى باسم المجلس الشعبى للدعاية ،الذى أكد على أنه ليس حزبا ، بل كان بمثابة "مجموعة اهتمام إفريقية " وواقع الأمر أن تلك المجموعة كانت عبارة عن حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى القديم ZAPU ولكن بدون المتمردين فى حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى، أما أعضاؤه فى الخارج فقد واصلوا العمل تحت لافتة اتحاد شعب زيمبابوى الشعبى الأفريقى لروديسيا ، وحظى كل من حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى والمجلس الشعبى للدعاية اتحاد شعب زيمبابوى الشعبى الأفريقى فى روديسيا بعام واحد فقط من الوجود القانونى فى ظل حكومة الاستيطان ،وقام مقاتلو التنظيمين خلال ذلك العام بتوجيه أكثر من ضربة إلى بعضهما بدلا من توجيهها إلى الحكومة البيضاء ، ومع ذلك كانت سياسة التنظيمين تختلف اختلافا كبيرا برغم أن النغمة العسكرية كانت أكثر وضوحا فى حزب الإتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى نظرا لأن نكومو لم يكن يرغب تماما فى إثارة حظر حكومى جديد على التنظيم .

ومهما يكن من أمر فإن حكومة إيان سميث الجديدة فضلت احتجاز قادة الحزب بدلا من ضرب الحزب ذاته ، وفى أبريل من العام ١٩٦٤ تم إبعاد نكومو إلى

معـسكر احتجاز فى (جوناكو دزنجوا) Gonakudzingwaحيث انضم إليـه لازاروس نكالا وجـوزيف مسيكا :وبقى نكومو هناك حتى بداية السـبعينيات وبخاصـة لم يتم القبض عليه أو محاكمته محاكمة رسمية عن أية جريمة مزعومة.

وأعرب الكثيرون من المتعاطفين مع قضية زيمبابوى عن أسفهم للتفكك الذى أصاب حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ، وبذلت جهود عدة لإحداث نوع من المصالحة كما زادت حدة العداء فى الوقت الذى تداخلت فيه التحالفات الأيدولوجية والانتهازية .وحث كل من كاوندا والدكتور هيستنجز .ك.باندا رئيس ملاوى المتنافسين على تسوية خلافاتهما . وكان باندا شخصيا يساند زعماء حزب الإتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى فى انتقادهم نكومو، على حين كان كاوندا يساند حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى شئ من التردد فى شهر إبريل من العام ١٩٦٤، وهو الوقت الذى بدت فيه المصالحة أمرا غير ممكن ، وهاجم شباب حزب الاستقلال الوطنى المتحد مكاتب حزب الاتحاد الوطنى ، الزيمبابوى فى زامبيا ، غير أن المستعمرة الناهضة من اللاجئين الزمبابويين فى لوساكا والمراكز الأخرى شجبت تلك الهجمات وفى النهاية أعفى الزامبيون أنفسهم من الترخيص والسماح للحزبين المتنافسين بتأسيس مركزى رياستهما فى زامبيا .

ومع استمرار الاتصالات بالبريطانيين والحكومات الأخرى ومع الأمم المتحدة يصبح هناك وفدان عن زمبابوى بعد أن كان لها وفد واحد وراح كان منهما يسعى بين الأروقة – بدون نجاح تماما –كى يتسنى له منع بريطانيا من نقل القوات المسلحة التابعة لاتحاد وسط أفريقيا إلى حكومة الأقلية البيضاء فى روديسيا ، وتقدمت غانا إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بقرار ضد نقل تلك القوات ،غير أن بريطانيا إستعملت الفيتو ضد ذلك القرار .

وأعلنت حكومة إيان سميث فى أغسطس من العام ١٩٦٤ عدم قانونية المجلس الشعبى للدعاية (اتحاد شعب زيمبابوى ، الأفريقى فى روديسيا)، وأيضا عدم شرعية الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى .وفى ذلك الوقت كان مركز الرياسة فى لوساكا خاضعا تماما لرئاسة جيمس شيكيريما : الذى أصبح نائبا للرئيس بعد احتجاز نكومو ، وكان يساعد رفيقه جورج نياندورو منذ زمن طويل ، أما جورج نياندورو فكان سكرتيرا وطنيا المجلس الشعبى للدعاية ، الذى إنعقد فى مدينة كولد كامفورت فارم بروديسيا فى العاشر من شهر اغسطس من العام ١٩٦٣ لحل جميع الترتيبات الحزبية السابقة .وأرسل كل من شيكيريما ونياندورو إلى لوساكا لإدارة تنظيم المنفى ، غير أن ما دار فى ذلك الاجتماع أصبح موضع جدل عنيف كما

سنرى، وكل ما يهمنا هنا أن نلاحظ آن شيكريما ونياندورو إنضم إليهما فى لوساكا فى أوائل العام ١٩٦٤ ، كل من جى ، زد .موبو ، أمين الصندوق الوطنى ، وتى جى سيلونديكا السكرتير الوطنى للإعلان والمعلومات .ولم يكن عملها فى البداية محاولة توجيه الكفاح داخل البلاد ولكنه كان ببساطة يتمثل فى السيطرة على الجهود الدبلوماسية للحزب فى الخارج والقيام بحملة دعاية نشطه ، وبرغم احتجاز نكومو فى منطقة نائية كان هنالك افتراض مؤداه أنه كان يقوم بتوجيه الحزب السرى داخل روديسيا . وبخاصة أنه كان لايزال مسموحا له باستمرار زيارة جوناكودزنجوا .Gonakudzingwa

وعندما أصبح واضحا ان سميث كان على وشك أن يعلن الاستقلال من جانب واحد وبذلك يجرد حكومته من وضعها الدستورى فى نظر المسئولين البريطانيين ألح شيكيريما ورفاقه أنهم ربما يعلنوا قيام حكومة فى المنفى فى مثل هذه الحالة .كما توقعوا أيضا حدوث عنف أفريقى على نطاق واسع بعد إعلان الاستقلال من جانب واحد ، وبالرغم من إعلان حظر كل من المجلس الشعبى للدعاية وحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى لم تظهر هناك أية بادرة من بوادر العنف الأفريقى عندما مضى سميث قدما فى إعلان الاستقلال من جانب واحد فى نوفمبر من العام ١٩٦٥ ، ولم يحدث مطلقا أن أعلن قيام حكومة فى المنفى .تلك الحكومة التى لايمكن تأكيد مشروعيتها إلا عن طريق المصالحة بين قيادات كل من حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا وحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى فى المنفى.

وفى نوفمبر من العام ١٩٦٨ وبعد المحادثات التى دارت على ظهر سفينة جلالة الملكة "فيرلس " Fearless" بين هارولد ويلسون رئيس الوزراء البريطانى وإيان سميث إنفصل " نكومو " هو ورفاقه وسرعان ما عجل **نكومو** ورفاقه بعمل ترتيبات لعقد اجتماعات فى مطار ساروم بمدينة سالسبيرى مع كل من جورج طومسون ، الوزير المفوض المسئول عن روديسيا – ومع موريس فولى وزير الدولة لدى مكتب الكمنولث ، كما عقد أيضا سيثولى هو ورفاقه الذين احتجزتهم حكومة إيان سميث اجتماعات مماثلة مع المسئولين البريطانيين الزائرين .وحاول سميث إقناع كلا من مجموعتى الزعماء الأفارقة المحتجزين ، الذين لم تكن لهم معرفة مسبقة بالشروط ، بأن توافقا موافقة روتينية وبلا نقاش على المقترحات البريطانية بشأن تسوية أزمة روديسيا ، ومع ذلك لم يعط نكومو أو سيثولى البريطانيين أية موافقة برغم زعم مصادر حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزمبابوى بعد ذلك أن نكومو قدم خلال حديثه الذى دام ساعتين مع طومسون وفولى Foley اقتراحا يقضى باحتمال استعداده لقبول ذلك

لو أن سميث كون وزارة ائتلاف إسمى مع المجلس الشعبى للدعاية / اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى في روديسيا بحيث يكون فيها مقعد باسم الأغلبية الأفريقية .

وجاء الصدام الذى وقع فى سينويا Sinoia فى ٢٩ من أبريل من العام ١٩٦٦ بين عصابات حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى وقوات حكومة إيان سميث بمثابة صدمة مريرة لحزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا ، وبرغم تلقى رجال حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا تدريبا عسكريا فى عدد من البلدان إلا إأهم كان عليهم أن يشتركوا جميعا فى العمليات باستثناء تلك الحفنة القليلة التى كانت تعمل داخل البلاد تحت اسم جيش تحرير زيمبابوى ، وفى روديسيا استنكر أتباع اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى المنفى العملية التى قام بها حزب الأتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى على أنها عملية "غير مسئولة " ؛ و ربما جاء ذلك الانتصار من منطلق أن تلك العملية كانت تكشف بوضوح عن جهد يبذله منافسوهم لشن حرب عصابات على نطاق واسع ، فى شهر يوليه من العام ١٩٦٤ أعلن قيام "عصابة التمساح" التابعة لحزب ZANU بقتل بفلاح أوروبى بالقرب من ميلستر غير أن ذلك جاء بمثابة حادثة منفصلة ، د على ذلك ان سلطات زامبيا لم توافق على العنف داخل روديسيا فى ذلك الوقت ، وبرغم استمرار إعراب المسئولين فى زامبيا عن جهلهم الرسمى بوجود العصابات على أراضيهم إلا أنهم لم يعوقوا عملياتهم بصورة جدية وخيب الناطقون باسم حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا آمال تنظيمهم وكشفوا عن آثار النفوذ الذى ترتب على الصراع الصينى – السوفيتى المتزايد ، عندما وصفوا مقاتلى حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى الذين تدربوا فى الصين بأنهم **متطرفين موالين للصين** .

وربما جاء تحرك أتباع حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا أكثر اقترابا إلى المسار السوفيتى نتيجة لاعتقاد مؤداه أنهم ربما يحصلون على المزيد من الدعم والمعونات من الروس ، أو أنهم قد يحصلون على نفس الدعم والمعونة نتيجة لعلاقاتهم الوثيقة المتزايدة مع حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ANC فى جنوب أفريقيا الذى قام ممثلوه فى الدول الأفريقية المستقلة وبخاصة فى أوربا الشرقية بتقديم رجال حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا للزعماء المحليين على أمل الحصول على مساعدات منهم ، وبرغم ذلك قام شيكيريما بزيارة للصين فى يناير من العام ١٩٦٤ نيابة عن المجلس الشعبى للدعاية اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى وذلك عقب الاتصالات التى قام بها الزعماء السابقون قبل التفكك ، وعلاوة على الدول الاشتراكية والالتماسات التى قدمت إلى الدول الأفريقية مثل غانا والجزائر كرر كل من حزب

اتحـاد شـعب زيمبـابوى الأفـريقى فى روديسـيـا وحـزب الاتحـاد الوطنى الأفـريقى الزيمبابوى مطالبهما للجنة التحرير الأفريقية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية بشأن طلب مساعدة مالية ومادية ، استعدادا للكفاح المسلح .

ولأسبـاب يصـعب تقـييـمـهـا ، بدأ حزب اتحـاد شـعب زيمبـابوى الأفريقى فى روديسـيـا يربط حـزب المؤتمر الوطنى الإفـريقى فى جنوب أفـريقـيـا باسـتـعـداداته العسكرية ، وهذا الأمـر من السـهل علينا فـهـمـه والوقـوف عليه من وجـهـة نظر حـزب المؤتمر الوطنى الأفريقى . وطالما ظلت زامبيا تعتمد بعد روديسـيـا بدرجة كبيرة على جنوب أفريقيا كمنفذ لصـادراتها ووارداتها فإن الرئيس كاوندا ، الذى لايميل كثيرا إلى سفك الدماء فى أى وقت من الأوقات -لن يسمح باستعمال أراضيه بصورة علنية قاعدة الهجوم المباشر على جنوب أفريقيا ،وثمة إستثناء خاص فى ذلك الصدد يتمثل فى الحالة الوحيدة التى شنت فيها العصابات هجماتها من قواعد لها فى زامبيا - عليـه - فى أكـتـوبر من العـام ١٩٦٦ ، وهـناك من الأدلة مـا يكفى للدلالة على أن العـصـابات التـابعـة لحـزب المؤتمر الوطنى الأفـريقى وحـزب اتحـاد شـعب زيمبـابوى الأفريقى فى روديسـيـا قد تدربت أصـلا على ابتزاز حكومـات الأقلية البيضـاء أثناء التفـاوض مـع الحركات الوطنية الإفـريقية ؛ وبخـاصـة بعد أن فشلت العـصـابات فى إقناع الأمم المتحدة أن الأمر يتطلب عملا دوليا عاجلا حتى يمكن تجنب تهديد سلام العالم الذى يمكن أن يحدث نتيجة وقوع أى صراع أساسى فى جنوبى أفريقيا .

وفى ١٩ أغسطس من العام ١٩٦٧ وبعد ساعات فقط من عبور قوات العصابات المشتركة التابعة للحزبين نهر زامبيزى إلى روديسيا ، عقد أوليفر تامبو رئيس حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى هو وشيكيريما مؤتمرا صـحفيا فى لوسـاكا ليعلنا فيه قيام تحالف عسكرى بين حـركتيهما ، كما أعلنا أيضـا أن قواتهما كانت تشتبك بالفعل فى عملية طويلة الأجل تهدف إلى نقلهم عن طريق روديسيا إلى جمهورية جنوب أفريقيا . وأدى وجود الأفارقة الجنوبيين فى روديسيا إلى انتحال عذر يقضى بالتعجيل بإرسال شـرطة جنوب أفـريقيـا علـى طائرات الهليوكـوبتر التـابعـة للقـوات الأوربيـة والقـوات الأفريقية المرتزقة التى كانت تحت إمرة حكومة إيان سـميث ، وفى الحقيقة أن بعض القوات الأفريقيـة الجنوبية كانت مـوجودة بالفعل فى البلاد قبل وقـوع الهـجوم ، ونقلا عن المصادر الأفـريقية فإن القوة الأفريقية الجنوبية التى كانت فى روديسيا فى العام ١٩٦٩ وصلت إلى ٢٧٠٠ رجل فى الوقت الذى كان فيـه لدى الحكومـة البـيضـاء غير الشـرعـيـة ١٨٠٠ من الجنود النظامـيين و حـوالى ١٨٠٠ آخـرين من المرتزقـة السـود التابعين لها ؛ علاوة على عدة آلاف من جنود الاحتياط البيض. [١٧] أمـا القـوة الجـوية

الروديسية التى أعطتها بريطانيا لحكومة لسالسبيرى رغم احتجاجات الأمم المتحدة فقد دخلت العمليات أيضا ضد العصابات ؛ ومن سوء الطالع أن تلك القوات لم تستطع أن تحسن نشر وتوزيع معداتها الثقيلة ، كما أن الإستراتيجية الضعيفة التى كان ينتهجها قادة تلك القوات أجبرت تلك القوات على أن تتركز فى منطقة تشبه لعبة الونكى Wankie game؛ وبذلك تكون القوات قد جعلت من نفسها هدفا ممتازا للنفاثات القاذفة والمقاتلة .

ولكن عدد العصابات التابعة لحزب اتحاد شعب زيمبابوى فى روديسيا وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى التى خاضت تلك المعركة الأولى فأمر يثور من حوله الجدل ذلك أن عددهم كان يتردد بين الخمسين والمائتين ، ونقلا عن تقرير جون ورال لجريدة الجارديان من سالسبيرى فى ٢٨ أغسطس من العام ١٩٦٧ فإن المقاتلين وقعوا فى كمين .يقول ورال :

إن الأفارقة وقعوا فى كمين هائل ، أعدته لهم قوات روديسيا وجنوب أفريقيا .

ونقلا عن الاستخبارات عن طريق العملاء السريين الذين كشفت لهم الاستخبارات عن خطط الهجوم على غربى ماتابيليلاند Matabeleland التى لاتبعد كثيرا عن حدود بتسوانا Botswana، أما الحقيقة التى لايثور من حولها أى جدل- كماورد فى تقرير ورال فهى أن السود حاربوا بوحشية بأسلحتهم القاتلة الروسية والصينية الصنع ، ومع ذلك قُتلَ أو أسر الكثيرون من السود على حين هرب آخرون أمام القوت الروديسية التى كانت على درجة عالية من خفة الحركة ، وبرغم كل ذلك رحب الناطقون باسم حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى وأصدقائهم فى كل أنحاء العالم بهزيمة وانكى Wonkie التى اعتبروها ، انتصارا لهم .

وأثنى حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى على شجاعة مقاتليه ولكنه استنكر التركيز الكبير للقوات واستخدام رجال حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى على أنه تخريب كبير .وتقول "زيمبابوى" نيوز " التى يطبعها حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى فى لوساكا ، فى تعقيب لها على ذلك :

إن أعظم عون يمكن إن نحصل عليه من حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إنما يتمثل فى شن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى حرب عصابات ، وأن يحتوى ويشغل كل قوة جنوب أفريقيا داخل جنوب أفريقيا ذاته ، وهنا يستطيع الزيمبابويون أن يكونوا قوة فى مواجهة سميث دون أى عون من جنوب أفريقيا ، .وكما هو الحال الآن فإن

تحالف حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى والمجلس الشعبى للدعاية / اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى سهّل لكل من سميث وفورستر Vorster أن يوحدا ويركزا قواتهما لذبح الزيمبابويين (١٨) .

وتمضى الجريدة الناطقة باسم حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى فى معرض استيائها من استخدام الأفارقة الجنوبيين فى روديسيا إلى القول بأن :

هناك أربعة ملايين من الزمبابويين ، يكفون بحق لهزيمة ٢٠٠٠٠٠ من البيض فى روديسيا .كما أن إحضار المرتزقة – رجال حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى– لمساعدة الزيمابويين إنما يعد إهانة ولعنة لمبدأ الثورة وقدرة كل فرد من الزيمابويين على القتال (١٩).

كما أعرب حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية فى أزانيا (جنوب أفريقيا) عن أسفه لتواجد حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى روديسيا ، وجاء إعراب حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية عن أسفه ضمن مذكرة تقدم بها إلى اجتماع مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الأفريقية فى كينشاسا ، وزعم حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية أن كلا من تامبو Tambo وشيكيريما لم تكن لديهما أية فكرة عن حرب العصابات ، وأن استراتيجيتها الواضحة التى تقوم على المواجهة المباشرة مع جيش نظامى كان محكوما عليها بالهزيمة وتمضى المذكرة إلى القول : " إن ذلك من غير المقبول تماما لا من الناحية النظرية أو حتى من ناحية التطبيق وأن تلك الإستراتيجية تعد أبشع "الخدع" وأفزع عمل إجرامى لذبح الرجال نظرا لأن العقدة الواضحة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى كانت تقوم على أن الحكومات العنصرية يمكن أن ينزل بها الخوف وبالتالى يمكن أن تبتعد عن شن حرب فورية شعبية حقيقية ، أما حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فكان يهدف ويأمل من وراء ذلك إلى جذب انتباه العالم إلى الجبهة المتحدة ، أما إذا كان الأمر لمجرد الجدل فإن العملية تعد ناجحة وبوسعنا أن نتخيل كيف يمكن أن يتخوف العالم الإمبريالى من إنشاء حكومات صنيعة فى جنوب أفريقيا فى وجود نظام استغلالى لايمسه سوء وتديره البرجوازية القديمة .

وبعد عام من هزيمة وانكى Wankie، إدعى ناطق باسم حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى لزيمبابوى فى لوساكا أنه توصل إلى اكتشاف مفاده أن المرشدين من حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا قاموا بتوجيه المقاتلين التابعين لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى إلى أحد الأدغال بالقرب من مدينة وانكى وتركهم بهدف العودة لجمع الطعام والمعلومات ، وأفاد الناطق أيضا أن هؤلاء المرشدين عادوا بعد

ذلك بساعات قليلة على رأس كتيبة معادية ، واستطرد الناطق يقول ومن المعروف أن حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا يعانى من عدوى المخبرين الأعداء و انتشارهم بين صفوفه - وهذه الحقيقة هى التى تفسر فشل الحزب الذريع فى القيام بمعركة تستمر حتى ولو لدقيقة ، واحدة ضد القوات المعادية .وأيا كانت الحقيقة فيما يتعلق بمعركة وانكى لايمكن لامرئ أن ينكر أنه عندما قدم محاربو الحرية للمحاكمة فى بولا وايو Bulawayo كان مرشدوهم السابقين من حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا من بين الشهود الأساسين ضدهم [٢٠] .

وجاءت التقارير عن القرويين الأفارقة مزعجة بنفس الدرجة ذلك أنها تقول بأن هؤلاء القرويين كانوا يتخذون موقفا عدائيا من العصابات ، فقد ظهر أن حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا لم تكن له كوادر سياسية فى المنطقة كما أن رؤساء القبائل كانوا يعملون كشرطة مساعدة نيابة عن حكومة الاستيطان وأنهم فى أحيان كثيرة كانوا يبلغون السلطات عن أماكن هروب العصابات ومعسكراتهم الأساسية داخل روديسيا ، ونقلا عن كريستوفر موينون Christopher Munnion فى جريدة الديلى تلجراف بتاريخ ٧ من مايو من العام ١٩٦٨، فإن العصابات المزودة بالمعدات تزويدا جيدا كانت لها مخابئ مستورة جيدة الإخفاء ، مكدسة بالطعام والمؤن والمعدات غير أنها لم تكن تحصل على المعاونة والدعم والإسعاف الذى كانت تنتظره من السكان الأفارقة الخلص ؛ ومن الواضح أنه كان هناك نوع من الفشل السياسى ،بمعنى أنه لم يكن هناك تكامل عضوى بين العصابات والشعب وهو أول مبدأ من مبادئ الحرب الشعبية الكلاسيكية فى رأى ماو .

وفى أضعف الأحوال كانت معظم الغارات المشتركة التى كان يشنها حزبا اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا و حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بعد هزيمة وانكى وباستعمال وحدات صغيرة ، كانت تنفذ فى العادة بعبور نهر زمبيزى من القواعد الموجودة فى زامبيا وتتحرك بأقصى سرعة ممكنة داخل الغابة فى الوادى إلى أن تكتشف قوات الأمن الروديسية -الجنوب أفريقية مواقعها ، ومن الواضح أن تلك التسللات كان من السهل السيطرة عليها من الخصوم ، أضف إلى ذلك أن مظاهر الفشل المتلاحق والتوتر بين حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى علاوة على التناحر القبلى فى كلتا الحركتين كل ذلك أدى إلى اضمحلال الكثير من العصابات .زد على ذلك أن الفشل حرضَ أيضا أعدادا كبيرة على هجر القوات [٢١] . التابعة لحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى .

ومع مطلع العام ١٩٧٠ إدعت السلطات الروديسية أنها منذ إعلان الاستقلال من جانب واحد فى العام ١٩٦٥ قتلت مالا يقل عن ١٤٦ من رجال العصابات ،مقابل فقدانها ١٤ من الروديسيين والأفارقة الجنوبيين ومع ذلك يؤكد أكثر المتحدثون الأفريقيون أن قوات أمن الحكومة البيضاء تكبدت خسائر أكثر مما كشفوا عنه ، ومهما يكن الأمر ،فإن خسائر الأفارقة لم تكن عالية فى الظروف غير المتكافئة للحروب الثورية فى مراحلها الأولى وبخاصة أن الأرواح التى أزهقت غرست الثورة بين الناس وخلقت مناطق محررة لاستمرار وتوسيع الكفاح ، غير أن الأمر لم يكن بمثل هذه الدرجة من الوضوح فى روديسيا .

ويمكن لنا أن نقف على الآراء السياسية والعسكرية لزعماء حزب اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا فى عملية التحول، ففى النهاية وبرغم استمرار مناشدة الرأى العام الحر فى بريطانيا فقد الحزب الأمل فى الحصول على أى إجراء تتخذه الحكومة البريطانية لصالح القضية الأفريقية ، وفى الحقيقة بدا الخوف يراود الناس هناك من أن أى تدخل بريطانى فى المستقبل ربما يهدف إلى منع أى اضطلاع للأفارقة بالمهمة فى حالة انهيار حكومة الاستيطان بصورة أو بأخرى .وقد أبلغ جورج سيلونديكا سكرتير حزب زابو Zapu للنشر والإعلام فى ١٢ من مايو من العام ١٩٦٩ لجنة الاستعمار التابعة للأمم المتحدة أثناء جلسات الاستماع التى عقدتها اللجنة فى لوساكا :

نحن نرى أنه قد آن الأوان لنضع حد لمناشدتنا لبريطانيا أن تستخدم القوة لإسقاط حكمها فى روديسيا ، وبنفس الدرجة ينبغى الأتراودنا بعد الآمال التى مفادها أن بريطانيا تستطيع حل مسألة روديسيا بصورة عادلة بطريقة أخرى ، وهذا ليس يأسًا أو غطرسة منا إنها مسألة مواجهة حقائق محددة والابتعاد عن مخاطر الأوهام التى من قبيل : أولا : أن بريطانيا لن تستخدم القوة فى مواجهة وكالة من وكالاتها التى هى حكومة الاستيطان فى روديسيا.

ثانيا : أن بريطانيا حتى لو استعملت القوة فى روديسيا ، فان ذلك سيكون فقط لإحباط النجاحات التى أصابها الكفاح المسلح لمقاتلى الحرية فى زمبابوى . ومن هنا فلماذا الاستمرار فى التماس أعذار مسبقة لبريطانيا إلا تلك الأعذار التى سوف تستعملها فى حينها ولأغراضها الخاصة وبالتحديد فى مواجهة نجاح الحرية التى تناضل من أجل تحقيقها (٢٢) ؟

غير أن زعيم حزب زابو ZAPU لم يفقد الأمل فى الحصول على إجراء من جانب الأمم المتحدة إذ صرح :

" ونحن نرى أن الوقت قد حان لتعطينا الأمم المتحدة كل المساعدات من خلال الدول الأعضاء التى يمكن أن تعطينا وبصورة مباشرة العتاد والتسهيلات الضرورية حتى يتسنى لنا تحقيق تدمير المؤسسة العنصرية الاستيطانية البريطانية فى روديسيا عن طريق السلاح ،

وفى ضوء نظام عمل المنظمة الدولية وفى ضوء القيود القوية التى تفرض على أى إجراء يصدر عنها يمكن أن نصف تلك المناشدة للأمم المتحدة بتقديم المساعدة المادية للمتمردين الأفارقة ، بأنها تكشف عن سذاجة لا تقل عن السذاجة التى تكشف عنها أوهام الإحسان البريطانى .

أما على الصعيد العسكرى فإن زعماء حزب زابو كانوا يغيرون أفكارهم ففى لقاء تليفزيونى مع فريق من البرنامج التلفزيونى "**العالم فى حركة**" من تليفزيون جرانادا التجارى البريطانى و الذى أذيع من لندن فى الأول من يناير من العام ١٩٧٠ نجد أن جيمس شيكريما زعيم حزب زابو فى المنفى لم يعارض مقدم البرنامج عندما قال له : إن رجالكم يتصرفون تصرفات مشينة فى الحقيقة ، بل أنه أكتفى بالرد قائلا :

حسنا إن هذا فى الحقيقة لكفاح طويل - ونحن لاننتوى أن ينتهى ذلك الكفاح خلال ٢ أو٣ أو٤ أو حتى ٥ سنوات - إنه كفاح متطاول ، إن نوع الحرب التى نخوضها يعتمد على التغيرات فى التكتيك ؛ واستطيع أن أقول لكم إننا غيرنا تكتيكنا ... سيربط التكتيك بين الأمرين فحيثما يلتقوا بنا وحيثما يعترضوننا - سنصمد ونقاتل .... سنصبر ونقاتل حيث لايروننا - سنذهب إلى مناطقنا الخاصة بنا ونتسلل بين السكان وننظم جماهيرنا .

كما سُمِحَ لمصورى التلفزيون البريطانى بتصوير معسكر زابو داخل زامبيا ،كما سمح لهم أيضا بمقابلة شيكيريما ، أما أقرب مكان اقتربت منه آلات التصوير فكان عبارة عن لقطة أخذت على ضفاف نهر زامبيزى حيث كانت قوات الأمن الروديسية ترى بصورة غير واضحة على الضفة المواجهة ، والجدير بالذكر إن شيكريما ورجال حزب زابو الآخرين فى الفيلم لم يذكروا ولو لمرة واحدة حلفاءهم فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى .

وتكلم شيكيريما أيضا عن تغيرات فى التكتيك ، وأبرز كما هو الحال مع كل زعيم آخر الصورة الوردية المريحة لحتمية الانتصار .غير أنه كان معروفا للجميع فى لوساكا وفى دار السلام أن التوترات الخطيرة بدأت تتزايد داخل تحالف زابو على أثر كل انتكاسة كانت تقع عقب هزيمة ونكى Wankie، وقد عجلت المقابلة التليفزيونية باندلاع انفجار الغضب الذى بدد تنظيم حزب زابو بكامله فى المنفى والسبب فى ذلك أن المقابلة التليفزيونية تمت دون موافقة من رفاق شيكيريما أو سلطات زامبيا التى شعرت بحرج كبير نتيجة الإعلان عن وجود قواعد العصابات بهذا الشكل السافر والمكشوف فى أراضيها .

وأذيعت على العالم فى ثلاث وثائق غيرعادية : اتهامات الفساد السياسى والقبلية والقسوة التى تردد أنها كانت تقع فى مراكز ، حزب زابو فى لوساكا ، وكانت الظروف التى جرى الكشف عنها مخيفة إلى حد أن بعض ذوى النوايا الحسنة فى الخارج الذين كانوا يرددون بإخلاص بيانات النصر المشتركة الصادرة عن تحالف زابو فى البداية ادعوا أن تلك الوثائق كانت مزيفة ؛ولكنهم بعد أن ثبت غير ذلك تراجعوا فى صمت مهين (٢٣) .

وكانت أولى تلك الوثائق تحمل عنوان ملاحظات على كفاحنا ، تاريخ هذه الوثيقة ٢٥من فبراير من العام ١٩٧٠ وهى موقعة من جى .زد مويو Moyo أمين الصندوق الوطنى فى حزب زابو ، ويعرب مويو فى تلك الوثيقة عن شكوى مفادها أنه اعتبارا من منتصف العام ١٩٦٩ كان هناك تدهور منتظم ذا طابع خطير فى الجناح العسكرى لحزب زابو كما يتناول مويو أيضا الهجمات الطاحنة على القيادة العسكرية وحالات التحريض القبلى ، كما يورد أيضا واقعة هجران الحزب من خمسة رفاق من بين التسعة الذين كانوا فى معسكر حزب زابو ضمن الجماعة الثانية قائلا : إنه وقع فى سبتمبر من العام ١٩٦٩ أيضا تمرد فى المعسكر نفسه عندما جرى احتجاز رئيس الأركان وضباط الرياسة العامة أثناء وصول نائب رئيس الحزب إلى معسكر الجماعة الثانية ، وعلى العموم فإن الصورة العامة تدل على عدم الانتظام " الذى بدأ يصل بسرعة إلى مستويات خطيرة فى جيشنا، زد على ذلك ، عدد الهاربين الذى وصل حدا مزعجا وكذلك عدد القوات المنحلة المتزايد نظرا لأن كوادر الحزب تعيش فى أى مكان تختاره لنفسها " .

ويعرب مويو عن شكواه من الجنود الذين كانوا يطلبون البيرة والمشروبات الروحية من الموظفين الذين كانوا يزورون معسكراتهم فيقول : ليس لى أى اعتراض

على الفكرة على هذا النحو ، ولكن تعنينى فى الحقيقة المشكلات التى واجهتها بشخصى عندما زرت المعسكرات بدون بيرة ومشروبات روحية ، وترددت أسئلة تدور حول الأسباب التى دعتنى إلى عدم إحضار مشروبات معى . إذا كان فلان وفلان يستطيع أن يحضر لنا شيئا فلماذا يستحيل هذا عليك ؟ أى أن الأمر حظى من جانبى باهتمام قليل .

ويقدم مويو اقتراحا فى هذا الصدد مفاده أنه لتحاشى الإحراج كان يتم من حين لآخر شراء البيرة للكوادر من الأرصدة الشعبية .

وينتقد مويو بعد ذلك القرار من جانب واحد ، الذى يقضى بالسماح لفريق التليفزيون البريطانى بتصوير كوادر حزب زابو؛ الأمر الذى أدى إلى كشف سرية الكوادر دون علم له بذلك وهو عضو فى المجلس التنفيذى الوطنى والقيادة العليا ومجلس الحرب فى حزب زابو .ويردف مويو قائلا :أريد أن اعترف أننى اعتبر إخفاء هذا الفيلم الذى كان معروفا لكوادر ومجموعة منتقاة من أعضاء الرياسة العسكرية إشارة إلى عدم الثقة بى .

وفى النهاية يحتج مويو بشدة على الترتيب الذى بمقتضاه كان كبار قادة تنظيم ضباط الاستخبارات على اتصال مباشر باستخبارات زامبيا .إن هذا النظام " معاد لمصالحنا الحاضرة والمستبقية" ، ويستطرد مويو فى تصريحه قائلا : " إن هذا يجعل نظام الاستخبارات التابع لحزب زابو فى هذه المرحلة الحرجة ، معرضا للاختراق " .

وينادى أمين الصندوق الوطنى لحزب زابو بعلاج تلك المثالب عن طريق تنفيذ القوانين العسكرية واظهار الإحترام لحقوق الشعب من القمة إلى القاع على جميع مستويات الجيش كما ينادى أيضا بمراجعة استراتيجية الكفاح المسلح من قبل القيادة العسكرية للرياسة العامة وتوسيع مجلس الحرب فى حزب زابو، وذلك بضم ثلاثة من الرفاق من القيادة العسكرية يمثلون أعضاء مجلس الحرب الثلاثة فى "جونا دوزينجوا " Gona duzingwa وأن تكون لكل عضو من أعضاء مجلس الحرب واجبات إشرافية خاصة به يؤديها مشيرا إلى استحالة الترشيح من زامبيا ، ويرفق مويو مع هذه التصريحات برنامجا مقترحا للتجنيد من داخل زيمبابوى . وفى النهاية يحث على أنه يجب أن تعطى أفضلية التدريب بقدر المستطاع ، للأفراد الذين تتم الاستفادة منهم عقب إكمال برنامجهم التدريبى مباشرة ، وبرغم أن الموقف الذى صورناه بين الصفوف العسكرية لحزب زابو كان بعيدا عن المثالية إلا أن تصريحاته

جاءت خالية من الأضرار تماما ، ورغم ذلك ظهر مقال بعنوان رد على ملاحظات عن نضالنا فى ١٧ من مارس من عام ١٩٧٠ ، وجاء ظهور ذلك المقال كالرعد فى ١٥ صفحة وموقع من شيكيريما نفسه .

ويستهل نائب رئيس حزب زابو مستنكرا بشدة وجود الهيئات مثل " مجلس الحرب " أو المجلس الوطنى التنفيذى "، أو حتى المجلس الشعبى ، ونقلا عن شيكيريما فإن مؤتمر كولد كومفورت القديم بتاريخ ١٠ من أغسطس من عام ١٩٦٣ لم يخول " التفويض الكامل الآن لرجل واحد هو الرئيس الرفيق جوشوانكومو Josh-ua Nkomo ويعلن شيكيريما: لم يتم تأسيس أية مجالس أو أية لجان ، ولم يجر اختيار أى فرد من قبل أى إنسان لأى منصب من المناصب بل أعطى التفويض لشخص واحد حق اختيار ، وتعيين وطرد ،بل وتعيين أى ضابط فى أى وظيفة ،وعلى ضوء التحليل السابق تم تعيينى من قبل ذلك الرجل الواحد الذى وضع على كاهله كل مسئولية ومصير حركة تحرير زيمبابوى ، والذى يضع على كاهله ممثلو شعب زيمبابوى ،الذى يبلغ تعداده خمسة ملايين ،كل آمالهم وثقتهم الكاملة بقيادتهم وأنها ستقودهم إلى التحقيق الكامل لآمالهم وما يتوقون إليه.

وبعد أن يرفض شيكيريما اقتراح موبو بمجلس الحرب المكون من خمسة رجال " الأمر الذى يعنى ضمنا سحب سلطتى من جميع الأقسام التابعة لى وأن يقوم غيرى بإدارتها لى " يصر شيكيريما أنه ونكومو "هما اللذان أسسا البنيان الكامل للجنة الدعاية الشعبية ، وعينا كل رعاتها الذين يضمون جميع أعضاء المجلس التنفيذى الوطنى ، وكل أعضاء المجلس الشعبى وجميع الضباط المحليين وضباط المناطق " كما يؤكد شيكيريما أيضا أن هذا التشكيل يعد مسئولا مسئولية مباشرة أمام نكومو أو "يخوِّل السلطة لنائبه المحدد له ممارسة هذا التفويض "، وأن الرجل الذى كان يتم تحديده ..إنما هو أنا .

وفى النهاية ينكر شيكيريما ملاحظة موبو العابرة التى مفادها أن قرار إنشاء الجيش الذى صدر فى العام ١٩٦٤ إنما يرجع أصلا إلى العام ١٩٦٠ ولم يكن إنشاء ذلك الجيش يستهدف شن حرب عصابات ،ولكن بغرض تنفيذ أعمال التخريب التى كانت تعد أساسا لتجسيد الخوف والفزع أمام المستوطنين فى روديسيا كى يؤثروا على الحكومة البريطانية والمستوطنين الأجانب فى روديسيا فيخضعوا لمطالب الثوار من شعب زيمبابوى .

أما عن المظالم التى أعرب عنها مويو بشأن الجيش فيقرر شيكيريما معترفا أن الموقف كان سيئا إذ يقول : نعم أيها الرفاق ، إن الحزب والجيش يعانيان من خيبة الأمل .فليس للجيش قائد وليست هناك إدارة ،إذ أن روح الفريق منعدمة ، إنه الفساد أو بالتالى ليست هناك أمانة ؛ أو إخلاص للأهداف ؛ ومع ذلك يتهم شيكيريما وثيقة مويو بأنها تتحدث من البداية إلى النهاية ....عن موقف نفاق محسوب ومناورات محسوبة من أجل المراكز والنفوذ داخل الحزب والجيش ، إن الهدف منها حماية العشائر ومنع الفساد القبلى فى الحزب والجيش .

أما عن دراسته الخاصة بشئون الجيش فيردف شيكيريما قائلا :إنه وجد الأمور على صورة مخجلة فى الجيش ، فقد كان الانحلال والفساد والمحسوبية والقبلية والأنانية والانعدام الكامل للمسئولية من جانب الإدارة العسكرية يستشرى من القمة إلى القا ع ويردف الرجل قائلا :

انقسم الحزب إلى أطراف قبلية ، بل الأهم من ذلك أن الحزب ينقسم إلى أطراف قبلية وإمبراطوريات عشائرية ، إن هناك بعض الكوادر التى تتساوى مع بعضها وذلك على العكس من بعض الكوادر الأخرى داخل الجيش والحزب ، كما أن هناك بعض الكوادر التى تحظى باهتمام خاص على أساس من الاعتبارات القبلية والعشائرية فى كل من الحزب والجيش .فهناك بعض الكوادر التى تستأجر لها أماكن للاجتما ع إلى خليلاتهم وقضاء الليل معهن ، إنهم أحسن الناس هنداما ، إن نقودهم لا تنضب أبدا وإن معظمهم فى الحقيقة يتفاخرون بأنه طالما أن فلان وفلان فى مناصبهم فإنهم لن يضاموا أبدا .

وبخصوص الفيلم التليفزيونى البريطانى ،مثار الجدل والنقاش ، يعترف شيكيريما بمسئوليته الكاملة عن الترخيص بذلك الأمر الذى يعده حقا من حقوقه ومع ذلك يضيف شيكيريما قائلا :" إن حكومة زامبيا كانت تعارض بحق تصوير الفيلم بدون علم منها ، كما أننى اعتذرت عن ذلك لرئيس زامبيا وبالنسبة لى فإن الأمر يعتبر منتهيا ، " ولم يعد بعد موضوع سقوط نائب رئيس حزب زابو أمرا يحظى بالحفاوة من الحضر " .

وبعد أن أورد شيكيريما هذا الموقف يعلن أنه قد حل القيادة العسكرية بكاملها بالشكل التى هى عليه حاليا وذلك بتعيين قيادة عسكرية جديدة وإنشاء تشكيل قيادى جديد يعد مسئولا أمامه مسئولية مباشرة وليس أمام أى إنسان آخر ، وزيادة على ذلك يعلن شيكيريما أنه يتولى السيطرة والإشراف على جميع الشئون الخارجية بدلا

من جورج نياندورو George Nyandoro السكرتير الوطنى لحزب زابو الذى تولاّها من تى جى سيلونديكا ، كما تولىّ أيضا السيطرة والإشراف على حساب أرصدة الحزب الخارجية أيضا بدلا من جى .زد .مويو الأمين الوطنى للصندوق .

ويعلن شيكيريما أيضا حل مجلس المنطقة كله فى لوساكا ويمنع أعضاء المجلس السبعة من تولٍ أية مناصب فى الحزب مدة ثلاث سنوات لأن المجلس أصبح مركزا للدس والتآمر القَبلى وزيادة تأليه الفرد لفترة طويلة ولمجرد زعم بمحاولة اغتيال الرفيق نياندورو السكرتير الوطنى .

أما الوثيقة الثالثة بعنوان "عن أزمة الانقلاب الطارئ الذى ينظمه شيكيريما ومؤرخه ١٢ من مارس من العام ١٩٧٠ فهى موقعة من كل من مويو وإدوارد اندلوفو Ndlovu، نائب السكرتير الوطنى لحزب زابو وسوليبنديكا ، سكرتير الإعلام و الإعلان فى الحزب ، ويذيع الثلاثة – بنغمة تغلب عليها المصالحة إلى حد ما – أن وثيقة شيكيريما تم إعداد مسودتها بالتعاون مع نياندورو Nyandoro، ويعلن الثلاثة أن اسم شيكيريما إنما يعد جبهة من جبهات السلطة التى كانوا يتطلعون إلى المشاركة فيها عن طريق الاشتراك فى إدارة التنظيم كرجلين يفرضان نفسهما على كل شعب زيمبابوى .كما يلمحون أيضا إلى أن شيكيريما ونياندورو متورطان أيضًا فى الصراعات القبلية ويسوقون ادعاءا مفاده أن مجلس المنطقة فى لوساكا توصل إلى اكتشاف مؤداه أن شيكيريما نفسه إنما كان يعقد اجتماعات خاصة مع "جماعات خاصة من قبيلته ". ومع ذلك فنحن لم ندخل فى خصومه مع شيكيريما لو أنه تقدم بما يراه مشكلات تخص الحزب وقدم مقترحاته التى لم يتقدم بها قط إلى المجلس التنفيذى الوطنى لدراستها وحلها ." ، ويسوقون حججا مفادها أن شيكيريما قام بانقلاب مثل لوبوا جوناثان Leabua jonathan فى ليسوتو " الأمر الذى ورط الأمل الوحيد للشعب والحزب فى فوضى يؤسف لها نتيجة مطامحة الشخصية فى السلطة ".

وينكر الزعماء الثلاثة أنهم مدينون بوظائفهم فى الحزب لشيكيريما، ويؤكدون من جديد اقتناعهم بأن حزب زابو لابد أن يدار على أساس من "مبدأ المسئولية الجماعية للجنة التنفيذية الوطنية ، نحن لانسمح بإدارة حزب زابو بنفس الطريقة التى يدير بها باندا حزب المؤتمر فى ملاوى على أنه تركه شخصية ". ومن ناحية أخرى يعلن الزعماء الثلاثة أنهم لا يريدون أن يستغلوا "الأخطاء الشاملة" لزميلهم ، وأنهم يريدون فقط أن يدرك أخطاءه ، ويصرح الزعماء الثلاثة فى النهاية :

المشكلات التى تواجه الحزب والكفاح فى الوقت الراهن سواء أكانت مشكلات قبلية أو محسوبية أو فساد أو مناورات إنما هى مسئوليتنا جميعا فى المجلس التنفيذى الوطنى بما فى ذلك شيكيريما ونياندورو اللذان يحاولان إلقاء اللوم على الآخرين ، ولايستطيع أحد منا أن يهرب من الإدارة أو سوء الإدارة فى الحزب بمجرد خدعة الإشارة بالبنان إلى آخرين ثم الهبوط بعد ذلك إلى استعمال وتوريط صغار الموظفين فى الحزب بوصفهم طعمه فى تشكيل عسكرى تحت اسم مستعار ، ويتحتم علينا أن نتناول مشكلاتنا ونحددها فى هدوء ونحلها كمجلس تنفيذى وفاء لمسئولياتنا وبدون توريط الكوادر والضباط والأعضاء بالطريقة التى فعلها شيكيريما .

غير أن الصراع داخل الحزب وصل إلى جميع المستويات ثم قفز بعد ذلك إلى عنف بالغ ، عجل به العداء القبلى بين كل من التدبيلى Ndebele و الشونا Shona، وفى ٢٤ من أبريل من العام ١٩٧٠ أبرزت جريدة تايمز زامبيا فى صفحتها الأولى الشقاق فى حزب زابو ، وأوردت الجريدة تقريرا مفاده أن معركة كانت تدور خارج مقر حزب زابو فى إيمازديل تونشب بلوساكا Emmasdale Township ، وأُبلغ عن إصابة ستة من الرجال وفقد أربعة آخرين فى المعركة التى دارت بين أفراد الشونا والندبيلى Ndebele الأعضاء فى حزب زابو .

أما التدخل الشخصى الملحوظ من جانب الرئيس كاوندا فهو الذى عجل بذلك العنف ، إذ أعلن الرئيس كاوندا إنذارا مفاده أن حزب زابو سوف يطلب إليه مغادرة زامبيا مالم يسقط زعماؤه خلافاتهم ، وبعد هذا الإنذار اجتمع شيكيريما ويناندورو كاوندا لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع مع زملائهم الثلاثة المتمردين ، وأدى العداء بينهم إلى تفتيت حزب زابو وتوقف العمليات العسكرية بينهم بصورة مؤقتة كما أقنع شيكيريما أيضا حلفاءهم فى حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، الذين كانوا يساندون طرف مويو فى النزاع ، أنهم لم يعد بوسعهم بعد أن يعتمدوا على شركائهم الأصاغر من الزيمبابويين (٢٤) وأنهم يتحتم عليهم أن يبحثوا عن حلفاء آخرين .

وبعيدا عن الابتهاج بالعنف الدائر داخل حزب زابو قدم منافسوهم تعليقا مفاده أن التناحر القبلى ينزل الخطر بكفاح شعب زيمبابوى كله ، وفى داخل حزب زابو

أبدى الزعماء ملاحظة مفادها أن " بطاقة القبلى "إنما يجرى لصقها بكل أولئك الناس "الذين لايصــدقـون أن أى إنسـان يحمل الاسـم شـونا من حـقـه ان يمارس وظيـفـة الزعامة، (٢٥) ، ودافع هربرت شيتبو Herbert Chitebo الرئيس الوطنى لحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى (زانو) فى خطاب رجل دولة ألقاه بمناسبة يوم أفريقيا أى اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو من العام ١٩٧٠- عن الوحدة الوطنية فقال:

نحن فى زيمبابوى بحاجة إلى أن نعود إلى روح العام ١٨٩٦ عندما كان اسلافنا الشوناولندابيلى يواجهون التهديدالعام من الاستيطان الأبيض ، إن العمال والفلاحين فى العام ١٩٧٠ يجب أن يتحدوا حتى يتسنى لهم أن يطيحوا بالمستوطنين البيض الرأسماليين العنصريين ، إن علينا واجبا وطنيا باعتبارنا قادة لثورة زيمبابوى فى تحقيق ذلك ، أن من يقفون فى طريق الوحدة ستدينهم الأجيال فى المستقبل على أنهم خونة لثورة الفلاحين والعمال (٢٦).

غير أنه فى مناخ العداء والشك الذى ساد آنئذ فى زامبيا بين الصف والجنود وأيضا بين زعامة حزب زابو جرى اتهام ذلك النداء بأنه كان تأييدا حزبيا يهدف إلى مزيد من التفكك .

حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى (زانو)

تأسس فى ٨ أغسطس من العام ١٩٦٣ ،حزب الاتحاد الوطنى الافريقى الزيمبابوى بسبب خيبة الأمل التى نتجت عن غياب النشاط السياسى داخل زيمبابوى والفشل الذريع للإستراتيجية والتكتيك اللذين فرضا على زابو فى المنفى بعد أن تم حظر الحزب قانونيا فى المنفى فى سبتمبر من العام ١٩٦٢ ، وكان القس ندابانجى سيتولى Reverend Ndabaningi Sithole رئيس الحزب يتولى إدارة مركز رياسة حزب زابو من قبل فى دار السلام ، كما أن سيثولى هو الذى قام مع ثلاثة أعضاء آخرين من المجلس التنفيذى بتمرد على زعامة جوشوا نكومو، وكان ولع نكومو بالسفر إلى الخارج ، والدبلوماسية مجهولة الهوية ، وحساسيته غير المنطقية ، وافتقاره إلى اتخاذ القرار هو الذى زاد وعجل بالنقد الذى وجه إلى شخصه وأسلوبه فى القيادة ، زد على ذلك ، أن قرار نكومو بعدم تشكيل حزب أفريقى جديد فى روديسيا بعد أن أعلنت حكومة الاستيطان البيضاء عدم شرعية حزب زابو هناك أغضب بعض الرفاق الذين كانوا يرون أن من الخطأ وقف جميع التنظيمات السياسية العلنية التى تمثل الغالبية الأفريقية ، وبالنسبة للدور الذى لعبه نكومو فيبدو أنه كان متهما بالخسارة التى أصابت الحزب فى كثير من ممتلكاته وأرصدته داخل روديسيا فى الوقت الذى جرى فيه حظر الحزب كنتيجة حتمية للظروف ، زد على ذلك ، أن نكومو نفسه أنكر فى عديد من المناسبات قصده الذى كان يسعى إلى موافقة أفريقية على تأسيس حزب زابو فى الخارج ليكون بمثابة حكومة لزيمبابوى فى المنفى .

ثم عاد سيثولى وزملاؤه بسرعة إلى روديسيا من دار السلام ليبدأوا تحركاتهم وفقا لخططهم من أجل تنظيم الحزب الجديد ، الذى سيطلق عليه اسم حزب زانو ويلخص سيتولى الهدف من الحزب فى الكلمات الآتية :-

بدأت السياسة الأفريقية فى زيمبابوى كما هو الحال أيضا فى المناطق التى يحكمها البيض فى أفريقيا كسياسة إصلاح ؛ غير أننا الآن دخلنا الآن مرحلة تولى السياسة نظرا لأنه يستحيل فى الوقت الراهن على الأقلية البيضاء حكم زيمبابوى لصالح الغالبية الأفريقية المحرومة من التصويت، لقد دخلنا مرحلة المواجهة السياسية .إن حزب

زانو يمثل روح القتال التى بدأت مع الحكم الذى فرض علينا فى العام ١٨٩٠ كما يكشف ذلك الحزب أيضا ويؤكد الوحدة الروحية بين من رحلوا عنا وبين من لا يزالون على قيد الحياة ، إن علينا واجبا تجاه أنفسنا وتجاه أجيال زيمبابوى القادمة وهذا الواجب يتمثل فى تحرير زيمبابوى ، إننا فقط المحررون لأنفسنا .[٢٧]

ومع أنه من الإنصاف تماما القول كما تقول جريدة داى Day بأنه لم يكن هناك منذ البداية خلاف حول السياسة التى يتبعها حزب زانو فيما وراء البحار وبين المجلس الشعبى للدعاية /حزب زابو [٢٨] الذى تردد نكومو فى تشكيله، إلا أنه كان هناك على الأقل فرق واضح فى السياسة العسكرية التى تتبعها الأحزاب المنافسة وبذل سيثولى Sithole ورفاقه جهدا كبيرا بعد أن تحرروا من القيود التى فرضتها عليهم شخصية نكومو من أجل تجنيد الأعضاء لحزب زانو ودعمه ، وقد لقيت تلك الجهود فى معظم الأحيان فى ضواحى سالسبيرى عنفا ماديا من العصابات المؤيدة لحزب زابو ، ومن ناحية أخرى كانت نغمة حزب زانو البلاغية الخطابية أكثر عنفا من نغمة منافسيهم التى كانت تحث الأفارقة بشدة على الاستعداد للمواجهة مع حكومة الأقلية البيضاء .

وفى الخارج واصل حزب زانو الإتصالات التقليدية المعتادة مع الحكومة البريطانية ، تلك الاتصالات التى كانت موجودة قبل تشكيل حزب زانو بوقت طويل وسافر روبرت موجابى الأمين العام لحزب زانو إلى لندن بعد فترة قصيرة من الانقسام الذى حدث ليتشاور مع آر.إيه بتلر R.A Butler الذى كان يشغل منصب الوزير البريطانى لشئون وسط أفريقيا ، واستطاع بتلر أن يترك انطباعا شخصيا مناسبا على الوطنيين الأفارقة أكثر من سابقه دينكان سانديز ؛ غير أن موجابى كان لايزال غير قادر على إقناع بتلر بالغاء التحويل المنظم للجزء الأكبر من القوات المسلحة لاتحاد وسط أفريقيا الفاسد إلى حكومة الاستيطان فى سالسبيرى ، ولم يغير مجيئ حكومة من العمال بدلا من حكومة المحافظين فى بريطانيا شيئا من موقف هوايتهول Whitehall تجاه الأفارقة فى روديسيا ، ورفض آرثر بوتملى Bottomley وزير الكمنولث الجديد أن يقابل "سمبسون ماتمبا ننجوى " Simpson Mtam-banengwe سكرتير الشئون الدولية ونويل موكونو Noel Mukono سكرتير الشئون العامة فى حزب زانو عندما زارا لندن فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٤ ، وقد عوض

بوتملى عجرفته فى فترة لاحقة -عندما زار روديسيا فى شهر فبراير من العام ١٩٦٥ - فى محاولة للإطاحة بحكومة الاستقلال من جانب واحد ، أضف إلى ذلك ، أن بوتملى التقى عددا من المسئولين فى حزب زانو برئاسة ليوبولد تاكاويرا نائب رئيس الحزب ، أما سيثولى فكان بالفعل فى السجن ولم يكن مسموحا له بمقابلة عضو الحكومة البريطانية ، بل على الجانب الآخر كان مسموحا له بمقابلة نكومو ، الذى كان بدوره تحت الرقابة فى ذلك الوقت ؛ زد على ذلك أن بوتملى التقى زعماء حزب المجلس الشعبى للدعاية / زابو .ومع زيادة تأكيد حكومة الاستقلال من جانب واحد لذاتها ،طار رئيس الوزراء البريطانى هارولد ويلسون إلى سالسبيرى والتقى نكومو وسيثولى كلا منهما على حدة ثلاث مرات ، وحث هارولد ويلسون الزعماء الأفارقة المتنافسين على عدم التدخل نيابة عن الأغلبية السوداء الساحقة فى روديسيا والوقوف فى وجه الإصرار البريطانى ؛ وأن يعملوا من أجل تنفيذ دستور ١٩٦١ ، وكان من الطبيعى أن يرفض كل من سيثولى ونكومو مالايمكن أن يقبله وطنى أفريقى : ألا وهو استمرار حكم الأقلية البيضاء لبلادهم .

وسلك زانو الطريق نفسه الذى سلكه زابو فى الأمم المتحدة ، وأعرب زعماؤه عن آمالهم بأن تقوم المنظمة الدولية بإجراء ما ضد حكومة الاستيطان ؛أو على أقل تقدير الضغط على الحكومة البريطانية لاتخاذ هذا الإجراء ، وعندما ظهر جورج نياندورو ممثل حزب زابو أمام لجنة الأربعة والعشرين التابعة للأمم المتحدة فى أبريل من العام ١٩٦٤ ، بعد تأسيس حزب زانو أكد أن التنظيم المنافس يحظى بتأييد شعبى قليل فى روديسيا ، وحضر سيثولى بنفسه بعد ذلك إلى الأمم المتحدة لتنفيذ ذلك المضمون فى الوقت الذى ردد فيه المطالب نفسها فى الهيئة العالمية مثلما فعل نياندورو من قبله .

وفى سبتمبر من العام ١٩٦٤ وأبريل من العام ١٩٦٥ ، زار ناتان شاموياريرا Shamuyarira أيضا الأمم المتحدة نيابة عن حزب زانو وتقدم شاموياريرا باقتراح أثار الجدل من حول قضية روديسيا وعرضها على محكمة العدل الدولية فى لاهاى ومع أنه كانت هناك أوهام كثيرة عن أن المحكمة أصدرت حكما فى صالح الأفارقة فى قضية جنوب غربى أفريقيا التى كانت معروضة أمامها إلا أن الوفود المعادية للاستعمار فى الأمم المتحدة اعتبرت اقتراح شاموياريرا غير موفق ولم يتابعه أحد ، زد على ذلك أن الحزب نفسه لم يتبن ذلك الاقتراح .

والأمر الأهم من ذلك بكثير لأى حزب وطنى آخر يتمثل على أقل تقدير ومن حيث المبدأ فى مساندة كل من الدول الأفريقية المستقلة له وكذلك مساندة منظمة الوحدة الأفريقية لمثل هذا الحزب وقد حث شيكيريما زعيم حزب زابو فى العام ١٩٦٤ لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية فى أول اجتماع لها على عدم الاعتراف بحزب زانو أو مساعدته بأى طريقة من الطرق ، وأيا كان الأمر فإن منظمة الوحدة الأفريقية حاولت بصورة جدية إجراء مصالحة بين القوات الأفريقية المنقسمة فى روديسيا .، قد باءت كل تلك الجهود بالفشل بسبب العناد السياسى من جانب حزب المجلس الشعبى للدعاية (زابو) أثناء تفاوضه مع منافسيه وخاصة عندما رفض وجود أتباع حزب زانو داخل روديسيا ، ومن ناحية أخرى باءت جهود المصالحة بالفشل نتيجة للتصميم الشديد أيضا من جانب حزب زانو على عدم الانتماء إلى أية حركة سياسية يكون جوشوا نكومو زعيمها الذى لاينازع .

وتحدى حزب زانو حزب زابو فى منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية ، غير أن مجلس المنظمة أرجأ اتخاذ قرار بشأن طلب العضوية الرسمى المقدم من حزب زانو إلى انعقاد مجلس المنظمة فى جلسته الساخنة فى نيقوسيا فى شهر فبراير من العام ١٩٦٧ ، وفى نيقوسيا كان من الواضح أن سيمبسون متمباننجوى Simpson Mtambanengwe ممثل حزب زانو كان يبتعد ، بشكل واضح عن اللجنة العسكرية الموالية للصين كلما وجد أملا يلوح لاتخاذ قرار فى صالح الطلب المقدم من حزب زانو ، وبطبيعة الحال لم تسمح الفرصة بذلك نظرا لأن مندوبى حزب زابو نظموا الأغلبية الموالية لروسيا حتى يتسنى لهم سد الطريق على منافسيهم ، وقد خططوا لذلك بإذاعة حكايات الخوف والفزع عن المتطرفين الموالين لبكين ، الذين زعموا أنهم يكونون حزب زانو ، واستطاعت تلك الحملة وبطاقة الموالاة لبكين ، التى ألصقت بالتنظيم أن تُسْكتَ إلى حد بعيد صوت متمبا ننجوى الذى درس القانون من قبل فى لندن . وأكد متمبا ننجوى بحق أن حزب زانو لم يكن منظمة شيوعية وإنما هو ببساطة حركة من حركات التحرر الأفريقية ، متناسيا فى ذلك أن الجماعات التى صوتت ضد الاعتراف بحزب زانو كانت من الزمرة ، السوفيتية التى كانت تسعى إلى تأكيد سيطرة موسكو على منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، وزيادة على ذلك ونظرا لأن حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا استطاع أن يدخل حزب زابو فى المدار السوفيتى ؛ فإن الروس لم يكونوا بحاجة إلى تقديم العون المالى إلى حركة منافسه لهم .

وكان الطلاب التابعون لحزب زابو يعترضون ، من حين لآخر – على دوران الحزب فى فلك موسكو ؛ولكن الاعتراض لم يطرأ عنه أى تغيير فى موقف زعامة الحزب بأى حال من الأحوال : ففى لندن شجبت فى العام ١٩٦٨ ، مجموعة من اتحاد طلاب أفريقيا التابع لحزب زابو وجود نيكولاس شتزيجا ممثلا لحزب زادو انئذ فى بريطانيا .

ويصف الطلاب المتمردون شتزيجا فى نشرتهم ، بأنه "إيزتلانجو سابانتو Isit-langu Sabantu" أنه " صنيعه فى أيدى سادته السوفيت الذين يستفيدون منه لصالح المراجعة والأضرار بالشكل الوحيد من الاشتراكية الذى يقبله جميع الأفارقة ، أى الإشتراكية العلمية ."ويضيف الطلاب :إن السبب الرئيسى وراء تحقيق المنافسين فى حزب زانو المغانم فى الصراع على السلطة فى زيمبابوى المستقلة إنما يرجع إلى توفقهم فى اختيار حلفاء محايدين مخلصين أقوياء لامصلحة لهم ، وبرغم ذلك أكد الطلاب من جديد تأييدهم لجوشوا نكومو رئيس حزب زابو فى سجنه ولم يقدموا أى دليل على انضمامهم إلى صفوف حزب زانو .

وتحولت سياسية حزب زانو العسكرية من الأقوال إلى الأفعال فى شهر إبريل من العام ١٩٦٥ عندما قامت وحدات من وحدات العصابات التابعة لحزب زانو وتضم كل واحدة منها خمس رجال ، قيل إنهم تدربوا في غانا قاموا بضرب عدد من المزارع الأوربية .وكان هدف تلك الوحدات إفشال الانتخابات العامة التى تجرى فى شهر مايو من العام ١٩٦٥ فى روديسيا، وجرى إعدام أو أسر ومحاكمة معظم المقاتلين أمام قضاة من البيض .وحكم على اثنين من تلك الوحدات بالإعدام شنقا فى العام ١٩٦٥ ، مع إفريقى آخر فى ٦ من مارس من العام ١٩٦٨ بناء على أوامر من حكومة سميث – التى لم تكن قد أطلقت على نفسها بعد اسم جمهورية والتى مضت قدما فى أحكام الإعدام ، برغم قرار استبدال حكم الإعدام من قبل الملكة اليزابث الثانية ملكة بريطانيا ، ممارسة منها للحق الملكى فى ممارسة الرحمة ، وبذلك أوضحت حكومة الاستيطان لمعارضيها الأفارقة أن الكفاح منذ ذلك التاريخ فصاعدا سيكون بلا رحمة أو هوادة .

واستهل حزب زانو فى شهر أبريل من العام ١٩٦٦ حالة من حرب العصابات على نطاق واسع من قواعد فى زامبيا ، وذلك بعد خمس شهور من إعلان استقلال روديسيا من جانب واحد ، أما الاحتجاج الأفريقى الواسع ضد حكومة الاستقلال من جانب واحد الذى توقعه الكثيرون من الزعماء الأفارقة فى المنفى فلم يتحقق نتيجة

لإجراءات القمع الشديدة من قبل حكومة سميت وعدم وجود حركة سرية سياسية وطنية أفريقية فعالة ، وقع أول صدام لجيش التحرير الوطني الأفريقي الزيمبابوى (زانلا) مع قوات الأمن فى روديسيا ليلة ٢٨ صباح ٢٩ أبريل من العام ١٩٦٦ بالقرب من سينويا Sinoia ؛ وادعى الناطقون بلسان حزب زانو بعد ذلك أن العصابات قتلت خمسة وعشرين من رجال الشرطة واسقطوا طائرتى هليوكوبتر ، وفى سالسبيرى أنكر المسئولون ذلك ، وادعوا أن قواتهم قتلت سبعة من بين الثلاثين مقاتلا من المقاتلين من أجل الحرية ، الذين ورد عنهم تقرير أنهم كانوا ضمن الوحدة التابعة لجيش التحرير الوطنى الأفريقى الزيمبابوى Zanla، ونظرا لاكتشاف وحدات من العصابات تعمل فى أجزاء مختلفة من البلاد أصبح واضحا أن حزب زانو إنما كان يزايد فى إصرار على البدء فى كفاح ثورى شامل.

وفى الحال أعربت الحكومة البريطانية عن أسفها إزاء تلك المبادأة نظرا لأن موقف الحكومة - برغم الأعمال غير الشرعية التى اقدمت عليها ديكتاتورية الاستيطان فى سالسبيرى - كان يقوم دائما على إدانة كل أعمال الإرهاب ،أيا كانت دوافعها ، وأيا كان مرتكبها ؛ [٢٩] وأدان حزب زابو القتال أيضا ، كما وصف قرار شن حرب العصابات بأنه قرار غير مسئول علما بأن حزب زابو نفسه كان يوفد الرجال فى بعثات للتدريب العسكرى منذ العام ١٩٦٠ ، بل وبصورة أخطر اعتبارا من العام ١٩٦٤ [٣٠] الأمر الذى كشف عنه شيكيريما نائب رئيس الحزب بعد ذلك فى مارس من العام ١٩٧٠ وبالنسبة لقادة الرجال فلم يكونوا ليشترك أى واحد منهم فى القتال بعد ذلك و لو فرض واشتركوا فإنهم كانوا يقومون بدور " المشرفين "بالنسبة لأعداد كبيرة من القوات التابعة لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوبى إفريقيا.

وفى روديسيا احتجز الكثيرون من زعماء حزب زانو داخل روديسيا قبل أن تعلن الحكومة حظرا على كل من حزبى زانو والمجلس الشعبى للدعاية فى شهر أغسطس من العام ١٩٦٤ ، وجرى اعتقال كل من سيثولى رئيس حزب زانو ونائبه ليوبولدتاكاويرا وروبرت موجابى الأمين العام للحزب ، ولم يعف تاكاويرا من السجن سوى موته فى ظروف غامضة نتيجة مضاعفات مرض السكر فى ١٥ من يونيه من العام ١٩٧٠ ، وتكلم جورج ماجومبى، السكرتير التنفيذى فى لجنة تحرير أفريقيا عن ظروف تحوم حولها الشكوك وقال :إنه يعلم أن تاكاويرا كان يعانى ، من التعذيب ، نتيجة إجراءات الأمن المشددة فى السجن ، وأعرب إى . إف ، موكاكا إنكولوس الممثل الشخصى للرئيس كاوندا فى مركز التحرير فى لوساكا عن أمل مفاده أن

زامبيا لم تعد بعد متردده وأن تلك الروح النبيلة ، لابد وأن تكون إشارة إلى حرب جديدة من أجل تحرير زيمبابوى تحريرا كاملا.

وبعد إعلان الاستقلال من جانب واحد فى العام ١٩٦٥ ، جرى نقل كل من تاكاويرا وسيثولى وموجابى من معسكر اعتقال جويلو إلى سجن الأمن الأقصى، وبقوافى ذلك السجن دون أن توجه إليهم أية اتهامات بل بدون محاكمة إلى أن وقع الانقلاب العظيم الذى آثار غضب المسئولين فى حكومة روديسيا البيضاء ، وتم تهريب وثيقة هامة خارج السجن كتبها سيثولى إلى لندن ، حيث قام فرانك زيامبى Frank Ziyambi، الذى كان وقتئذ ممثلا لحزب زانو فى بريطانيا بتسليمها بنفسه فى أوائل شهر ديسمبر من العام ١٩٦٨ إلى جورج طومسون الذى كان يشغل منصب الوزير البريطانى المسئول عن قضية روديسيا ، ورفضت الوثيقة رفضا قاطعا وواضحا مقترحات فيرلس Fearless على أنها نوع من النفاق وأعلن سيثولى أن حزب زانو رفض دون تحفظ مشروع فيرلس Fearless على أساس أنه محاولة لبيع حق ٥,٠٠٠٠٠٠ أفريقى الذى لاينازع فى تقرير مصيرهم ، إلى ٢٢٠٠٠٠ من المستوطنين البيض حيث المقترحات غير مقبولة كأساس لأى دستور .

وكان طومسون وبقية الحكومة البريطانية على علم تام بموقف زعماء حزب زانو ، المحبوسين ، غير أن معارضتهم العنيدة كانت قد وصلت إلى أقل حد ممكن أو أغفلت تماما فى المساعى الرسمية التى نجمت عن المحاولات التى بذلتها حكومة ويلسون Wilson للتوصل إلى اتفاق مع حكومة سميث بعد إعلان الاستقلال من جانب واحد . وجرى فى اليوم السابع من شهر نوفمبر من العام ١٩٦٨ إحضار كلا من سيثولى وتاكاويرا وموجابى إلى ميس [٣١] . الضباط فى مطار ساروم Sarum بسالسبيرى لحضور اجتماع عاجل فى مكتب الكمنولث مع طومسون وموريس فولى ، وزير الدولة Minister of stateاللذان كانا يزوران روديسيا فى ذلك الوقت . وحاول الوزيران البريطانيان دون جدوى الحصول على موافقة حزب زانو على مشروع فيرلس الذى لم يكن سيثولى أو زملاؤه يعرفون أى شىء عنه إلا بعد أن التقوا كلا من طومسون وفولى Foley، ومهما يكن من أمر فانه بعد إلقاء نظرة سريعة على نسخة من جريدة من البريتش هنسارد يوم ٢٢ أكتوبر من العام ١٩٦٨ ونسخة أخرى من روديسيا هوايت بيبر ، نظرا لأن هاتين الجريدتين كانتا تحتويان على تقرير عن المحادثات التى أجريت فى شهر أكتوبر بين سميث وويلسون على ظهر الباخرة فيرلس ، باخرة صاحبة الجلالة أعرب سيثولى عن أسفه على تلك المقترحات وإجراء مفاوضات بشأن مستقبل البلاد دون موافقة من الأغلبية الأفريقية .

وأعرب تاكاويرا عن سخطه على حكومة العمال لحساسيتها المفرطة فى استعمال القوة ضد حكومة الاستيطان غير الشرعية ، ونقلا عن محضر الاجتماع الذى عقده موجابى والذى جرى تهريبه إلى خارج سجن ريماند Remand بسالسبيرى –الأمر الذى أدى إلى استياء الحكومة البريطانية استياء بالغا –جاء رد طومسون على النحو التالى :

إن السبب فى عدم استعمال القوة يكمن فى أن استعمال القوة يمكن اعتباره غزوا ، ولو كنا قد اتخذنا قرارا بشأن استخدام القوة لكان قد تم ذلك من زامبيا وليست لدينا قاعدة قريبة ، إن لنا قاعدة فى عدن ولكنها لم تعد فى أيدينا بعد ، والسبب يتمثل فى أن جنوب إفريقيا بكامله سوف يتورط فى الحرب ، كما ستسفك كميات كبيرة من الدماء ، إن من السهل أن نبدأ حربا ؛ بيد أن الحرب مثل حريق الغابة إذا ما اشتعل فإنه يستمر وينتشر ، كما أنك لاتعرف متى وأين يمكن أن ينتهى مثل ذلك الحريق [٣٢] .

واعترف طومسون بعد ذلك صراحة أن بريطانيا لم يتيسر لها قوات كافية وأن تصميم بريطانيا على عدم استعمال القوة إنما يعد على أى حال ، مسألة خلقية ، كما أعرب طومسون عن اقتناعه بأن حكومة الأقلية البيضاء فى جنوب إفريقيا سوف تساند حكومة سميث فى حالة تحريك القوات البريطانية إلى داخل روديسيا ، وصرح طومسون فى أحد تصريحاته : ليس لدى أى شك فى أنهم سيقاتلون ، زد على ذلك ، أننى عقدت اجتماعات عدة مع مسئولين من جنوب أفريقيا ولم يعد يساورنى أى شك فى أن جنوب أفريقيا سيقاتل .

وبعد فترة قصيرة من وصول تلك الوثائق إلى لندن نقل سيثولى ورفاقه إلى سجن آخر من سجون الأمن البعيدة خارج سالسبيرى وازدادت ظروف وجودهم فى السجن سوءً ، وفى نوبة من نوبات الغل والغضب قدمت حكومة الاستيطان سيثولى فى النهاية للمحاكمة بتهمة التآمر المزعوم –من وراء القضبان – لقتل سميث والعديدين من رفاقه ؛ وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات وعاملوه بعد ذلك معاملة أسوأ من معاملة المجرم العام.

أما الإدارة الفعلية لحزب زانو فكانت فى أيدى هربرت شيتيبو Herbert Chitepo الذى كان أول محام أسود فى روديسيا بالإضافة إلى أنه كان يشغل منصب المدعى العام فى تانزانيا قبل انضمامه إلى زعامة حزب زانو فى العام ١٩٦٤، وهذا هو العام الذى تم فيه انتخاب شيتيبو غيابيا ليكون رئيسا وطنيا للحزب ، أضف إلى ذلك

أن شيتيبو كان بالفعل عضوا فى اللجنة التنفيذية فى الحزب الوطنى الديموقراطى ومارس مهنة المحاماة فى روديسيا كأول محام أفريقى فى البلاد إلى أن غادرها إلى تنزانيا فى العام ١٩٦٢ ليشغل منصب المدعى العام ، وأثناء وجوده فى روديسيا تناول كل القضايا السياسية تقريبا بل إنه عاد من تانزانيا إلى سالسبيرى للدفاع عن كل من نكومو وسيثولى فى العام ١٩٦٣ و ١٩٦٤ كل على حدة . وقد ولد هربرت شيتيبو Chitepo فى العام ١٩٢٣ فى مدينة باندا فى الجزء الشرقى من البلاد وتلقى تعليمه هناك ثم فى مدرسة القديس أوغسطين، ثم التحق بعد ذلك بآدامز كوليج فى الناتال Natal وبعد حصوله على شهادة القبول بالجامعة التحق بالدراسة فى فورت هيريونيفرستى كوليج حيث حصل على درجة الليسانس فى الآداب ، وبعد أن قضى فترة من الوقت كمساعد باحث فى جامعة لندن درس القانون فى كينجز كوليج وفى ميدل تمبل حيث تخرج فى العام ١٩٥٣ ثم عاد إلى روديسيا ليعمل بالمحاماة هناك .

وكانت عمليات حزب زانو فى المنفى تدار إلى العام ١٩٧٢ من أحد مراكز الرياسة فى لوساكا ، وفى الأساس فإن حركة التحرير كانت تدار بواسطة مجلس ثورة يضم ستة عشر عضوا برياسة شيتيبو .وكما كان الحال بالنسبة للاعتراف بحزب زابو فى المنفى ، كان هناك إحساس بالتوترات الشخصية والقبلية والأيدولوجية ، وتأكدت صعوبة استمرار الكفاح المسلح أكثر مما كان يتوقعه له الكثيرون من حيث المبدأ. ومع انتشار تزايد الإشاعات المتلاحقة من المتمردين من الطلاب عن مساعدات (٣٣) سرية إسرائيلية ، وعدم الحصول على الدعم الغربى "المحايد " باى شكل من الأشكال الملموسة وامتداد خطوط معركة الصراع الصينى -السوفييتى إلى أفريقيا ، أدى ذلك إلى أن يصف بعض الوطنيين الأفارقة المعتدلين منافسيهم وأعدائهم بأنهم متعصبين موالين لبكين ؛ أو بأنهم أشكال مقلوبة حتى يتسنى لها أن تثير الرعب والفزع " ، جاء ذلك الوصف بمثابة مظهر من مظاهر إثارة الفزع والرعب بصورة واضحة لدى من وصفوا بتلك الصفات .وهذا هو ما وقفنا عليه وأدركناه بالفعل .وعلى الجانب الأخر ،أصبح للنظام الثورى الصينى معنى أكثر من معناه المادى والعسكرى ، بدأت كوادر الحزب تدرس عقائديات الماركسية – اللينينية وتعنى بأقوال الرئيس ماو وتحافظ عليها أكثر من الكتاب المقدس . وبطبيعة الحال ، فإن القادة والقواعد الراديكالية كانت موضع ذكر ملح من الحكومات

البيضاء فى جنوب إفريقيا والعناصر الرجعية فى كل مكان كدليل على قناعتهم بأن الموجه الثورية السوداء هى فى مجملها عبارة عن جزء من مؤامرة شيوعية تم تفريخها فى موسكو أو بكين ، ومع ذلك فليس هناك دليل واحد على ذلك ، زد على ذلك أن الإدراك السليم الذى لايرى المتسيدون البيض ، أن الأفارقة يتمتعون به ، يشير إلى أن الظروف الموضوعية للحرمان والاستغلال والقمع من قبل الأقليات البيضاء -أكثر من أى نظرية - إنما أدى فى النهاية إلى تكوين حركة إصلاحية ثم حركات تحرير حقيقية بعد ذلك .

ومع ذلك ، كان للتوترات الأيدولوجية تأثير خادع على كثير من الحركات وبخاصة أن بعض تلك الحركات كانت لاتزال ترفض إعطاء أية التزامات سياسية واضحة ؛ يضاف ألى ذلك أن مقاتلى تلك الحركات كانت لديهم برامج وأفكار غامضة قديمة وعنيفة ، ومن ناحية أخرى فمن المؤكد أيضا أن اليمينيين فى معظم الأحيان كانوا يستغلون المصطلحات الثورية الماركسية - اللينينية كى يخفوا وراءها مضمونا مخالفا تماما ، وفى معظم الأحيان تستعمل الأيدولوجية فى إخفاء الصراعات الشخصية والمصالح التى لايتورع المنافسون أن يعلنوا بأن لها ذلك الطابع .

وبالنسبة لحزب زانو ومع التركيز بصورة خاصة على الجانب العسكرى ، كان يتحتم على بعض زعماء الحزب وبعض أعضائه من الصف والجنود أن يشعروا بعد فترة قصيرة نسبيا ، بأن الكفاح لايتجه صوب النصر بالمعدل السريع الكافى وترددت شكاوى حول وجود زعماء برجوزايين فى لوساكا ، وفى بريطانيا تناول جندى مجهول الإسم من الجنود الذين هجروا جيش التحرير الوطنى الأفريقى الزيمبابوى قوة حزب زانو العسكرية ، فى مقال ونشر موسوسا كازمبى ونشرته جريدة الجارديان فى ٨ من أبريل من العام ١٩٦٨ ، كما تعرض ذلك الجندى أيضا للأسباب التى دعته إلى التخلى عن الكفاح فقال : عاد بعض زملائى إلى روديسيا ولكنهم قتلوا ،أما الآخرين فقد وقعوا فى الأسر ، فلماذا أقف وحدى ؟ إن هناك سببين أولهما ، أننى لا أثق بالقيادة العسكرية ولا بالتنظيم وذلك لاختلاط الأولاد الذين جرى تدريبهم فى بلدان مختلفة داخل الوحدات ، غير أن الأهم من ذلك بكثير أننى أريد ثورة ، وليس مجرد كفاح وطنى مسلح ،ولايمكن لامرئ أن يقف فى منتصف الطريق، إننى من أتباع ماو .إن الحزب يتحتم أن يسيطر على الحركة بكاملها سواء أكانت

سياسية أم عسكرية ، وإذا قُدِّر لى أن اقتل فى روديسيا فأنا أريد أن أتاكد أننى أموت فى سبيل ثورة حقيقية ، وليس من أجل مجرد تغيير فى نظام مثل ذلك النظام الذى كان فى كينيا .

هذه اليسارية البالغة التى أعرب عنها ذلك الجندى المجهول إنما تحمل شبها قليلا بالتحليل السياسى المعقد الذى يقول : إن الحزب الشيوعى الصينى استطاع الوصول إلى السلطة عن طريق نظام الخطوة خطوة أثناء الحرب الطويلة ، ويشير ذلك الجندى مجهول الاسم –الذى اشترك كمقاتل فى حرب العصابات والذى تلقى تدريبة فى الصين – إلى نقاش جرى بينه وبين أحد المدربين الصينيين عن اعتراضاته على زعمائه الوطنيين فى الحزب ،فقد كان ذلك الجندى يخشى أن يقوم الحزب بتولى البرلمان على حين يقوم البيض بإدارة النظام الاقتصادى بكامله كالمعتاد ، ثم ينقل من الإجابة : لاتقلق ، إذا مابدأت الثورة فلن يستطيع أحد السيطرة عليها وسوف تدمر كل شىء يقف أمامها .

وظل المراقبون فى لوساكا يعتقدون أن هذا الجدل الإيدولوجى بالإضافة إلى التوترات القبلية والشخصية الأخرى ربما يؤدى إلى تدهور خطير فى حزب زانو بل إن ذلك ربما جاء نتيجة الانفصال العضوى بين مكتبيهما فى لوساكا ، ففى العام ١٩٦٨ كان يبدو أن شيتيبو **Chitepo** يدير مركزا مستقلا من مراكز رئاسة حزب زانو من مقر مركز التحرير الوطنى ، على حين كان واشنطن ماليانجا المتحمس يدير مركزا آخرا من مقر سكرتارية الإعلام والنشر فى قلب المدينة .

ومع ذلك تفجرت – كما رأينا – المتناقضات الداخلية داخل حزب زابو أكثر من حزب زانو .وقبل حدوث ذلك كانت وحدة الصف فى حزب زانو قد تأكدت فى مارس من العام ١٩٦٩ ، كما تأكدت أيضا ولفترة قصيرة زعامة شيتيبو ، واجتمع فى لوساكا (مؤتمر المراجعة الخاص) الذى كان يضم كل أعضاء الحزب فى الخارج وأقر ذلك المؤتمر إعادة تنظيم القيادة العليا للحزب ، وأدلى أكثر من مائة مندوب بأصواتهم فى أغلبية ساحقة لصالح استبدال المجلس الثورى الذى يضم ستة عشر عضوا بمجلس اعلى يتكون من ثمانية أعضاء برئاسة شيتيبو ، وتردد أن إعادة التنظيم الإدارى هذه يمكن أن تؤدى فى النهاية إلى تقوية الحزب وذلك بتسهيل رسم السياسة والقرارت العسكرية .

وأعلن شيتيبو أن الهدف الرئيس من تلك المرحلة من الكفاح يتمثل في الوحدة الوطنية التي كانت تهددها دائما القبلية والانقسامية ، وفي الفترة من مارس إلى إبريل من العام ١٩٧٠ اقترب شيكيريما من شيتيبو بفكرة خاصة عن توحيد حركتيهما. ووافق حزب زانو على الالتقاء مع شيكيريما ؛ غير أنهما وجدا أن الانقسامات الأيدلوجية والعقائدية داخل حزب زابو كانت كبيرة بصورة يصعب معها سد الفجوة كما وجدا أيضا أن وجود اتفاق بين نكومو وسيثولي أثناء وجودهما في السجن في روديسيا على أن يتعاونا من أجل مصلحة الوحدة وأن يهيبا بروبرت موجابي أن يرأس تنظيما جديدا يتكون من الحزبين المتنافسين (٣٤) ، غير أن شيكيريما - بتشجيع من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب إفريقيا ومن السفارة السوفيتية في لوساكا - كان غير مستعد للدخول في أي اتحاد يمكن أن يغير من موقف حزب زابو الذي كان مواليا للسوفيت من قبل .

جبهة تحرير زيمبابوى (فروليزى)

استاءت حكومة زامبيا من الفشل الذى منيت به الجهود الحثيثة التى بذلها كل من زعماء حزبى زابو و زانو من أجل تحقيق الوحدة بينهما ، وهددهما الرئيس كاوندا بأن يختارا بين تحقيق الوحدة أو التضحية باستعداد زامبيا لإيوائهما (٣٥)، وأدى ذلك التهديد إلى إتخاذ إجراء عاجل فى اكتوبر من العام ١٩٧١ ،أسفر عن قيام أعضاء التنظيمين فى مؤتمر صحفى عقدوه فى لوساكا بإعلان توحيد حزبى زابو وزانو فى جبهة واحدة هى جبهة تحرير زيمبابوى (فروليزى) .

وجرى تعيين شيلتون سو يلا Shelton Siwela البالغ من العمر ٢٩ عاما ، والقائد العسكرى السابق فى حزب زابو قائدا وزعيما للجبهة الجديدة على حين أسند إلى جود فرى سافا نهو عضو حزب زانو سابقا منصب سكرتيرالجبهة ، كما عين ناثان شاموياريرا ، من حزب زانو مسئولا لشئون البحث الخارجي والشئون المالية ، كما حضر المؤتمر الصحفى أيضا الذى عقد لإعلان قيام الجبهة الجديدة كل من جيمس شيكيريما وجورج نياندورو غير أنه تأكد أن الزعيمين السابقين فى حزب زابو سوف يتوليان فقط مناصب صغرى فى مجلس القيادة الثورى ،فى فروليزى (٣٦).

ومهما يكن من أمر فإن الوحدة كانت أبعد من أن تكون كاملة ، ورفض كل من هربرت شيتيبو من حزب زانو وآخرون كثيرون الانضمام إلى المجموعة الجديدة ، كما سار على الخط نفسه أيضا أتباع كل من جى . زد . مويو فى حزب زابو ، وعلى ذلك فإن حزبى زابو وزانو برغم أن العيوب كانت تقلل من حجم نشاطهما إلا أن عملهما لم ينته تماما ،بل اصبحت هناك ثلاث حركات بدلا من حركتى تحرير متنافستين .

ومع ذلك فقد كنا نتوقع بعد انقضاء فترة وفاق قصيرة ، أن يصدر عن حكومة زامبيا بيان بشأن المجموعتين المارقتين يعلن "أنهما غير مرغوب فى إقامتها " وجرى مؤخرا وعلى وجه السرعة طردهما من البلاد ، على حين تستطيع فروليزى من ذلك الحين فصاعدا ، أن تحظى بالمساندة الكاملة من كل من زامبيا ولجنة التحرير فى منظمة التحرير الأفريقية .

وحصل التنظيم الجديد على مساعدات عاجلة كى يتسنى له القيام بتنفيذ برنامج عسكرى لإنعاش الكفاح المسلح داخل زيمبابوى ؛ غير أن الاعتراف الرسمى بجبهة فروليزى كواحدة من حركات التحرر تأجل على أمل أن ينضم حزبا زابو وزانو شاءا أم أبيا ، إلى جبهة فروليزى المتحدة الوطنية ،ومن ناحية أخرى أتهم حزبا زابو وزانو

جبهة فروليزى بأنها لابد و أن تكون " مجموعة قبلية مستثناه " من قبيلة زوزورى التى ينتمى إليها جيمس شيكيريما ، وبصرف النظر عن كل ذلك ، فإننا نجد أن أعدادا كبيرة من الأعضاء الذين كانوا أعضاء عسكريين سابقين فى حزبى زابو وزانو فى كل من تانزانيا وزامبيا ، وردت عنهم تقارير من مصادر وثيقة تؤكد انضمامهم إلى صفوف جبهة فروليزى .

وأدى وصول لجنة بيرس Pearce التى أوفدتها حكومة دوجلاس هيوم فى يناير من العام ١٩٧٢ إلى روديسيا إلى إثارة انتفاضة جماهيرية داخل روديسيا .وكانت تلك اللجنة قد أُرسلت لاستطلاع الرأى العام حتى يتسنى إنهاء تمرد سميث عن طريق إطلاق حكم الأقلية البيضاء فى المستقبل القريب ، وفى وضوح وعن طريق سلسلة من المظاهرات والمسيرات ، كشف الأفارقة - الذين نظمهم المجلس الوطنى الأفريقى الذى لم تكن بينه وبين حركات التحرير الخارجية الأخرى أية روابط أو علاقات - عما كانوا يظنون أنه صفقة (٣٧) .

وردت قوات سميث على تلك المظاهرات والمسيرات بإطلاق النار على أربعة عشر من الأفارقة كما سجنت أيضا ٣٠٠ من الذين قاموا بذلك النشاط، والذين كان من بينهم جوشيا ورويث شينامانو وزكاريا كانياسا وجارفيلد ثم جودى تود ، ووجد بعض الرؤساء أنفسهم فى وضع اضطروا معه إلى أن يسيروا فى ركاب المجلس ، وقد أحرج ذلك لجنة بيرس إلى حد ما نظرا لأنه لم يكن بالوسع تأكيد التظاهر بوجود حل عام مقبول ، ومع مطلع العام ١٩٧٢ بدت النتائج طويلة الأمد أمرا تثور من حوله الشكوك.

الهوامش

(١) نظرا لأن هذا الكتاب مكتوب من وجهة النظر الأفريقية ، فسوف أشير إلى هذه المنطقة بصورة عامة باسم زيمبابوى ، بدلا من روديسيا ، وفى أقسام أخرى ، مثل جنوب أفريقيا ، فأنا لا أنحو هذا النحو نظرا لأن حركات التحرير لا تتفق على التسليم بالاسم الأفريقى المقترح .

(٢) المكتب المركزى للمعلومات ، مصلحة الاستعلامات البريطانية ، روديسيا (٥٨٦٤٧٠ لندن ، أبريل ١٩٧٠)

(٣) خلفية كفاح زيمبابوى ، زيمبابوى ريفيو المجلد ١ العدد ٢ يونيه ,١٩٦٩

(٤) التجارة المثلثة هى التجارة التى تقوم بين روديسيا والبرتغال وجنوب أفريقيا برغم فرض العقوبات (المترجم)

(٥) زابو أمام لجنة الاستعمار التابعة للأمم المتحدة ، زيمبابوى ريفيو المجلد الأول ، العدد ٢ ، يونيه ١٩٦٩ ص ١٣

(٦) انظر كتاب فيتوريولانترنارى ص ٣٧-٣٨ وكتاب روبرت كوفمان الذكرى الألفية والتأقلم الاجتماعى ، بروكسل ، نُسْخ معهد علم الاجتماع بالجامعة الحرة ، ١٩٦٤ .

(٧) انظر ، خلفية الكفاح فى زيمبابوى ، زيمبابوى رفيو المجلد ١ ، العدد ٢ ، يونيه ١٩٦٩، ص ,١٥

(٨) خلفية كفاح زيمبابوى ص ١٥ .

(٩) حول تاريخ إتحاد عمال التجارة والصناعة انظر تى . أو . رينجر ، الصوت الأفريقى فى روديسيا الجنوبية لندن، هاينمان عام ١٩٧٠ ص ١٤٨ – ١٩٣ .

(١٠) انظر تى . م فرانك العنصر والقومية : الكفاح من أجل السلطة فى روديسيا -نياسلند (نيويورك ، فورد هام يونيفرستى برس ١٩٦٠ .

(١١) جون دى القومية الدولية : العلاقات الاقليمية الخارجية للوطنيين الأفارقة فى روديسيا الجنوبية (لندن ، روتلدج وكيجان بول عام ١٩٦٧) ص ٦٣ – ٧ .

(١٢) المرجع السابق ص ١٥ – ١٦ .

(١٣) يسجل نكومو تفاصيل كثيرة فى الفصل التاسع ص ١١٢ – ١٩ .

(١٤) دى Day ص ٣٣ .

(١٥) داى ص ٤٩ .

(١٦) ن .م . شاموياريرا ، الأزمات فى روديسيا (لندن ، دويتش ،١٩٦٥) ص ١٧٥ .

(١٧) شامويايرا . ص ١٧٨

(١٨) زمبابوى شالنج ، لسان اتحاد طلاب زيمبابوى فى أوربا (إبريل ١٩٦٩) ص ٢٠

(١٩) زيمبابوى نيوز (المجلد الثانى العدد ١٥ ،٣٠ سبتمبر ١٩٦٧) .

(٢٠) استعادة اخفاق ونكى ، كتيب صادر عن (سكرتارية المعلومات والإعلان) فى حزب مؤتمر الوحدة الأفريقية ،دار السلام ، يناير ١٩٦٩) ص ٩ .

(٢١) أبلغ المؤلف عن المزاعم بصورة تفصيلية فى برقية إلى النيجرويرس أنترناشونال من لوساكا ، ونشرت هذه الرسالة فى جريدة شيكاغو ديلى ديفنندر (٢ مارس ١٩٨٦).

(٢٢) انظر " من الصين بالحب " مقال كتبه أحد الهاربين من حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى عن تجاربه والأسباب التى دعته إلى التخلى عن الكفاح بقلم موسوساكا زمبى فى الجارديان (٨ أبريل ١٩٦٨) .

(٢٣) زانو أمام لجنة الأستعمار التابعة للأمم المتحدة ، زيمبابوى ريفيو (المجلد الأول ، العدد ٢ ،يونية ١٩٦٩).

(٢٤) من أجل استثناء فريد ، انظر فرانسوا شينو ، المولد الحرج للعصابات الروديسية ، فى جريدة " لوتامب مودرن " (عدد ٢٩٢ ،نوفمبر ١٩٧٠) .

(٢٥) إشارة الى الزيمبابويين (المترجم).

(٢٦) زمبابوى نيوز (المجلد ٥ عدد ٤ إبريل ١٩٧٠).

(٢٧) المرجع السابق المجلد (٥ عدد ٧ يولية ١٩٧٠).

(٢٨) مقتبسة عن موينجى (لوساكا ،أحد الكتيبات الصادرة عن قسم الشئون السياسية بحزب زانو ،غير مؤرخ).

(٢٩) انظر داى **Day** ص ٢٢ .

(٣٠) كتيب صادر عن مصلحة الأستعلامات البريطانية برقم (٥٨٦٤/٧٠ لندن ، أبريل ١٩٧٠)

(٣١) كتيب جميس شيكريما بالآلة الكاتبة تحت عنوان رد على ملاحظات حول كفاحنا (لوساكا، زانو ،٧١ من مارس عام ١٩٧٠) .

(٣٢) الميس هو المكان المخصص لتناول الطعام فى الوحدة العسكرية (المترجم) .

(٣٣) كما هى مقتبسة من مخطوطة لم تنتشر ، مكتوبة بالآلة الكاتبة ،تحت عنوان لقاء بين وفد زانو والوزراء البريطانية، (سالسبورى ،٧ نوفمبر عام ١٩٦٨) وموقعه ومحققه من روبرت موجابى وعلى أنها حرفية تماما .

(٣٤) جاءت تلك الاتهامات من زعماء اتحاد طلاب زمبابوى فى أوربا ،ولكن سواء تأسيس أم لا فإن حزب زانو فى شهر يوليه من العام ١٩٧٠ كانت له اتصالات ودية ملموسة مع فتح فى حركة التحرير الفلسطينية ، المعادية لإسرئيل فى توجهها : كما كان الحال مع معظم حركات التحرير الأفريقية ، فإن بعض تلك الحركات ،مثل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب إفريقيا كانت له علاقات ودية مع الدولة الصهيونية .

(٣٥) تقرير السير ريتشارد جوت بجريدة الجارديان (١٢ يناير ١٩٧١).

(٣٦) انظر البيان الصحفى المشترك الصادر عن لجنة زامبيا العليا بلندن (رقم ٤٩ لعام ١٩٧١).

(٣٧) انظر "التايمز "والجارديان (٢ من اكتوبر عام ١٩٧١) ولوموند (٣ من أكتوبر ١٩٧١)

القسم الخامس

المستعمرات البرتغالية

التورط البرتغالى فى القارة الأفريقية هو الأطول من نوعه ، بل إنه يعد أبشع شكل من أشكال التورط فى ضوء المنجزات الهزيلة ، وفى ضوء الدمار والتخريب اللذين أحدثتهما الدول الاستعمارية الأخرى ، ومع ذلك ، كان القادة البرتغاليون يصرون ، الواحد تلو الآخر ، على التأكيد على الخصائص الصوفية التى انتحلها الاستعمار البرتغالى زعما بأنه كان بمثابة « مهمة تحضير وتمدين » اضطلعت بها البرتغال فى إفريقيا ، طوال الحكم الدكتاتورى للرئيس أنطونيو دى أوليفيرا سالازار ، فى الفترة من ١٩٢٨ - ١٩٦٨ ، وفى ظل خلفه الدكتور مارسيلو كاتيانو عندما كانت فى البرتغال حكومة أقليه تنهج أسلوبا إمبرياليا غامضا بلغ من العمر قرونا وأضحى أساسا للدولة البرتغالية الفاشيه الجديدة فى داخل البرتغال ذاتها وفيما وراء البحار أيضا .

بعد أن طرد البرتغاليون المغاربة من البرتغال ذاتها فى القرن الخامس عشر تحول اهتمامهم إلى أفريقيا ، وبدءوا بالاستيلاء على مدينه سيوتا **ceuta** ، من المغاربة فى شمال أفريقيا ، وذلك فى شهر أغسطس من العام ١٤١٥ الميلادى ، ثم أرسلوا سفنهم جنوبا بطول ساحل غربى أفريقيا بحثا عن ذهب غينيا الذى ورد ذكره فى الأساطير ، وبحثا أيضا عن مملكة بريسترجون **Prester John** الأسطورية وظنا منهم أن المملكة المسيحية الأسطورية تقع إلى الخلف من الدول الإسلامية أصبحت تلك المملكة تشكل الجانب الحيوى الثانى فى حركة تطويق يمكن أن تؤدى فى النهاية إلى سحق العالم الإسلامى ، وفى نفس الوقت كان لدى البرتغاليين ، تصريح من البابا بالتجارة مع السارا **Saracens** سينز أى الأماكن التى يثبت فيها أن التجارة أفضل من الغزو شريطة عدم بيع السلاح لتلك المناطق ، وكان الأمير هنرى الشهير بالملاح بمثابة الشخصية غير العادية التى تولت أمر تنظيم وإعداد القوة المحمولة جوا ، وهنرى الملاح هو الابن الثالث للملك جاءا **Joao** الأول الذى كان يرى أن تجارة الرقيق ساعدت ، إلى حد كبير فى تمويل تلك الرحلات إذ كان يجرى الحصول على الرقيق وتبر الذهب عن طريق المقايضة مع رؤساء الساحل الذين كانت لديهم الرغبة فى بيع رفاقهم الأفارقة وبخاصة أسرى الحرب والمجرمين المحكوم عليهم بالإعدام ، للتجار الأوربيين ، يضاف إلى ذلك أن الأمير هنرى كان مولعا أيضا بالقيام بحملات صليبيه على المغرب ؛ كما كان يتورط من حين لآخر فى الإغارات التى كانت تجرى لخطف العبيد من جزر الكناريا **CANARY ISLANDS**

وبعد وفاة الأمير هنرى فى العام ١٤٦٠ حصل التاجر الثرى فرناء جوميز ،

على ذلك الاحتكار ، وفى العام ١٤٧٥ أعطى الملك أفونسو الخامس ذلك الاحتكار المربح مرة ثالثة لابنه ووريثه دوم جاء والذى زاد اهتمامه إلى حد كبير بتلك التجارة الأفريقية عندما توج ملكا باسم الملك جاء والثانى فى العام ١٤٨١ ، ودار باثولوميو داياس حول رأس الرجاء الصالح لأول مرة فى العام ١٤٨٨ ، وفى نهاية القرن الخامس عشر وبعد رحلة فاسكودى جاما فى عهد دوم جاء والخلف ، والملك ما نويل الأول كانت السفن البرتغالية قد قامت باكتشاف الساحل الشرقى لافريقيا ووصلت إلى الهند بحثا عن التوابل ، وإلى ذلك التاريخ كانت التوابل – وبضائع الترف الأخرى – تصل إلى أوربا من الشرق عن طريق احتكار التجار البنادقة والمشرقيين – وهذا هو الأمر الذى كان يتطلع البرتغاليون إلى اختصاره بطريقهم البحرى الجديد إلى آسيا .

ويطلق مؤرخوا التوسع الإمبريالى البرتغالى على القرن الذى بدأ بالاستيلاء على سيوتا فى العام ١٤٧٥ اسم القرن العظيم – وقد كتب لويس فازدى كيموس ، الشاعر البرتغالى الذى عاش فى القرن السادس عشر وخدم ضمن القوات فى الشرق ملحمة يمجد فيها اكتشاف فاسكودى جاما للطريق البحرى إلى الهند – وما تزال قصيدة المدح والثناء التى كتبها كيموس والتى يقدم فيها الاستعمار البرتغالى على إنه حملة مسيحية نبيلة ضد الكفر ، أى بمثابة نكبة للأفارقة على طول ساحل غينيا ، يعد بداية لقرون طويلة من الاستغلال البشع للمخلوقات البشرية من قبل إخوانهم البشر الآخرين ويكفى أن البرتغاليين فى الفترة من عام ١٤٥٠ إلى ١٥٠٠ فقط ، أسروا ١٥٠٠٠٠ عبد أفريقى [١] فى غربى أفريقيا واستولوا عليهم .

كان ذلك مجرد بداية وحسب لتجارة العبيد **Slave - trade** مارسها أصحابها على نطاق واسع ، وقدر لها أن تنشر الدمار فى أفريقيا ، بل تركت وراءها مناطق كثيرة تعانى تخلخلا كبيرا فى السكان ، وطوال القرون الثلاثة الأولى من الوجود البرتغالى فى أنجولا ، أى فى الفترة من العام ١٥٥٠ إلى ١٨٥٠ كانت التجارة تنصب على الاتجار فى السود من البشر ، وكان الجزء الأكبر من تلك التجارة يجرى مع البرازيل ، أضف إلى ذلك ، أن تلك التجارة كانت تشكل أربعة أخماس إجمالى الصادرات خلال تلك الفترة .[٢]

والحق أن تجارة الرقيق فى أنجولا ، كانت تشكل السلعة التجارية الوحيدة ذات القيمة ، وفى الوقت الذى كان يجرى فيه الاحتفاظ ببعض العبيد للعمل فى المستعمرة كعمال أو حرفيين ، كان يجرى تصدير أولئك العبيد رأسا إلى الجزر الأفريقية التى تسيطر عليها البرتغال مثل جزيرة ساوتومى **Saotome** وبرنسيب **Principe** وجزر الرأس الأخضر وإلى البرتغال ذاتها ، ثم بعد ذلك إلى الأمريكتين ، وبصورة خاصة إلى البرازيل ، وفى منتصف القرن السادس عشر كان العبيد – الذين كان معظمهم من الأفارقة – يشكلون جزءً كبيرا من سكان لشبونة ذاتها كما كانو يشكلون أيضا الأغلبية الساحقة فى مقاطعة الجارفى [٣] التى تقع فى أقصى الطرف الجنوبى من البرتغال ، ويقدر عدد العبيد السود الذين استولى عليهم تجار العبيد البرتغاليين بحوالى أربعه ملايين ،هذا بالإضافة إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين عبد آخرين من أنجولا وحدها وذلك فى الفترة من عام ١٥٨٠ إلى ١٨٣٦؛ وهو التاريخ الذى ألغت فيه الحكومة البرتغالية رسميا تجارة الرقيق . وعلى كل حال ، فقد قدر لتلك التجارة أن تستمر فى السر أو تلبس أقنعة مختلفة مثل « عقد العمل » ، ليستمر الحال على ذلك المنوال إلى القرن العشرين .

وراح البرتغاليون يمدون مستعمراتهم هى والمستعمرات الإسبانية فى العالم الجديد بالرقيق ، وبقى البرتغاليون فترة من الزمن شبه محتكرين لتلك التجارة وحل الهولنديون محل البرتغاليين فى تلك التجارة فترة قصيرة ، ثم بدأت بعد ذلك بينهم وبين الإنجليز والفرنسيين مناقشات حادة حول التجارة ، ورغم أن تلك التجارة ، بدأت متأخرة عند البريطانيين إلا أنهم تفوقوا على منافسيهم تماما فى أواخر القرن الثامن عشر ، عندما نقلوا بسفنهم أكثر من نصف العبيد عبر المحيط الأطلنطى [٤] .

وقد وقعت أكثر الأحداث بروزا فى التاريخ الاستعمارى البرتغالى منذ بدايته بعد أن اكتشف البرتغاليون مصب نهر الكنغو فى العام ١٤٨٢ ووجدوا أنفسهم على اتصال بمملكة الكنغو التى يحكمها الملك مانيكونجو من عاصمته فى إمبانزا كنجو التى هى مدينه (سا وسلفادور) حاليا فى أنجولا . وأعاد المكتشف ديوجوسا وأربعة من الأفارقة كانوا قد اختطفوا قبل ذلك بسنوات قليلة إلى وطنهم الأصلى ، الأمر الذى كشف عن تأثرهم إلى حد كبير بوجودهم فى البرتغال ، وقد أكسب ذلك الظرف

البرتغاليين ثقة ملك مانيكونجو وهو الملك « نيزنجا – آ – كوم » الذى دخل مع الأسرة المالكة وكبار رؤساء القبائل فى المسيحية ، وأصبح خلفه (إمبمبا – آ – نيزنجا) ملكا باسم أفونسو الأول أى الملك المسيحى للكنغو ، وتحول إمبمبا بكل قلبه إلى إخوانه من الملوك المسيحيين من أمثال الملك ما نويل manuel الأول ثم بعد ذلك الملك جاء والثالث طلبا للمساعدة فى إدخال الطابع الغربى إلى دولته ، ورحب ملك الكنغو بالمبشرين والحرفيين والتجار البرتغاليين ؛ ولكنه سرعان ما اكتشف زيادة اهتمام البرتغاليين بأسر الكنغوليين والاستيلاء عليهم كعبيد أكثر من اهتمامهم بتحويلهم إلى المسيحية وتقديمهم إلى العلوم والتكنولوجيا الأوربية : ولم تحظ خطابات الدفاع التى أرسلها الملك أفونسو بأى رد فى معظم الأحيان ، وقامت السلطات البرتغالية وأصحاب المزارع فى ساوتومى بتخريب المراسيم الملكية البرتغالية المعطلة المناهضة للرق ، ومات الملك أفونسو محطما خائب الأمل ، وقدر لحملة التمدين ، البرتغالية فى أفريقيا أن تظل بمثابة غطاء لنهم الأوربيين تجاه العبيد السود واستغلال الموارد الطبيعية .

ونحن عندما نقارن البرتغال بالدول الاستعمارية الأخرى ، نجد أنها فشلت فى استغلال الموارد الطبيعية فى المستعمرات الأفريقية استغلالاً كاملاً ، وعلى سبيل المثال لم تصبح غينيا – بيساو قط مستعمرة مجزية وبخاصة بعد توقف تجارة الرقيق فيها بصورة مؤقتة ، واتضح أن البرتغاليين فقدوا اهتمامهم بمناطق غربى أفريقيا التى تعانى من نقص فى السكان وفى الوقت الذى يمكن أن تقدم فيه عذرا مفاده أن تلك المنطقة التى يتجلى الفقر فيها بصورة واضحة ، يصعب معها جذب أية دول أخرى إلى تلك المنطقة للاستثمار فيها ، نجد أن النمط نفسه كان سائدا أيضا فى البرتغال تجاه المناطق الأخرى ، ولم يغير من ذلك النظام بعد ذلك سوى الضغط من قبل القومية الأفريقية وتوفر رأس المال اللازم للاستثمار من قبل دول غربية أخرى فى منتصف القرن العشرين .

زد على ذلك ، أن السيطرة البرتغالية الفعلية ، طوال الجزء الأكبر من فترة التورط البرتغالى فى أفريقيا ، لا تعدو أن تكون مجرد سيطرة اسمية إذ كانت تقتصر ، إلى حد كبير على المناطق الساحلية ، ومع أن المكتشفين والمتآمرين البرتغاليين توغلوا داخل القارة الأفريقية ، بل إنهم عبروها إلا أنهم لم يهتموا سوى بتوطين رعاياهم والسيطرة

عليهم ، وعندما بدأ الإمبرياليون المنافسون ، وبخاصة البريطانيين والألمان يقفون في وجه التغلغل نحو الداخل إلى ما بعد مستعمراتهم ، آثر البرتغاليون البقاء في مصانعهم وقلاعهم في المناطق الساحلية التي بدءوا يديرون منها احتكارا تجاريا مجزيا مع القبائل والشعوب المتناحرة في الداخل ، والتي أسهم أسراها في زيادة تجارة الرقيق ورواجها .

ثم قامت البرتغال خلال القرن السادس عشر ، بعملية تجارية ناجحة على طول ساحل غينيا من نقاط ساحلية هامة مثل أرجيوم وسنتياجو وساو جورجي دا مينا . واستطاعت المقاومة الأفريقية في تلك الأماكن منع البرتغاليين من الاختراق إلى الداخل صوب مناجم الذهب الأسطورية في مملكتي الأشانتي والممالك الأفريقية الأخرى ، غير أن الرشوة والتآمر حققا مالم تحققه القوة ؛ وسقطت أعداد هائلة من العبيد وكميات كبيرة من الذهب في أيدي البرتغاليين ، ومع ذلك أخرج البرتغاليون من ساحل العاج في العام ١٦٤٢ ؛ ولم يستطيعوا الاحتفاظ سوى بغينيا بيساو وجزر سا وتومي والرأس الأخضر ، حيث توجد مزارع العبيد الزاهرة ، وهنا اضطر الأفارقة إلى تحويل عمليات اقتناص العبيد إلى أنجولا ، وإلى موزمبيق بدرجة أقل .

كان الحكام البرتغاليون في تلك المستعمرات بمثابة تجار العبيد الرئيسيين ، الذين كانوا يجنون أرباحا طائلة من بيع التراخيص لموردي العبيد ، أولئك الموردين الذين كانوا يمارسون ذلك العمل بطريقة فردية أو لحساب شركة من الشركات الاستثمارية ، بأن يصدروا عددا محدودا من السود خلال فترة زمنية محددة ، وكان يجري بيع العبيد إلى أولئك الموردين من قبل موردين محليين ، الذين كانوا بدورهم يوفدون الموردين الوطنيين (البومبيروز) **POMBEIROS** إلى الداخل لجلب الأسرى السود ، وكانت الوسيلة المفضلة التي كان البرتغاليون يلجأون إليها لتأمين الحصول على العبيد تتمثل في افتعال الحروب بين القبائل الأفريقية كي يتسنى للبرتغاليين شراء الأسرى من الطرفين ، زد على ذلك أن المبشرين اليسوعيين هم ومبشرين آخرين من الكاثوليك شاركوا في أحيان كثيرة ، في تجارة الرقيق لتغطيه تكاليف « حملة التمدين » (٥) .

ومع انعقاد مؤتمر برلين (عام ١٨٨٤ - ١٨٨٥) ساءت سمعة الاستعمار البرتغالي بفضل الرحلات التي قام بها الدكتور ليفنجستون في المناطق التي زعم أنها كانت تحت سيطرة البرتغاليين .

وتوصل ليفنجستون إلى أدلة على وجود تجارة الرقيق غير الشرعية كما وصف الأحوال المؤسفة التى كانت تسود الحياة فى المستوطنات الساحلية البرتغالية ، ومع ذلك استطاع ليفنجستون أن يسيطر على الأفارقة هم وأناس آخرين ، وراح المكتشف الأسكتلندى يحث بريطانيا على تولى أمر شرق أفريقيا من البرتغاليين .

حيث :

لم يتعلم مواطن واحد القراءة ولم يجر هناك تنمية ولو مجرد فرع واحد من التجارة ؛ وحيث تقوم على قدم وساق حركة نقل (العبيد) فى كل الأماكن التى تمتد إليها سلطة البرتغال أو تآمرها ، وهذا كله يتعارض مع كل تعاليم المسيحية بل يتحدى عدالة السماء (٦) .

وكان من الطبيعى أن يرد البرتغاليون على ذلك بقولهم : إن استنكار ليفنجستون لأساليبهم الاستعمارية واستهجانه لها يرمى ، فى المقام الأول إلى أن يكون مقدمة للتوسع البريطانى فى أفريقيا على حساب البرتغاليين ، ومع أن الشك لا يتطرق إلى الطابع الانسانى الذى اصطبغ به ليفنجستون **Livingstone** فى القرن التاسع عشر إلا أنه من المؤكد أن سيسل رودس الذى لم يكن سوى إنسان له مبادىء إنسانية أيضا كان يستشعر حماسا بالغا إزاء الاستيلاء على المناطق الداخلية ، التى قدر لها أن تكون روديسيا فيما بعد ، والذى قال عنه البرتغاليون : إنه كان يقوم بدور الاتصال بين مستعمراتهم الساحلية فى كل من أنجولا وموزمبيق ، كما استطاع رودس بجيشه الخاص والبوارج البريطانية أن يجبر البرتغال على التخلى عن الممر المتنازع عليه لبريطانيا وذلك فى معاهدة جرى توقيعها فى العام ١٨٩١ ، ولم يمنع بريطانيا وألمانيا بعد ذلك ، من التوصل إلى اتفاق حول تقسيم أنجولا وموزمبيق فيما بينهما سوى اندلاع الحرب العالمية الأولى .

وماتزال الظنون إلى يومنا هذا تدور برءوس البرتغاليين حول نوايا البريطانيين تجاه ممتلكات البرتغاليين فى أفريقيا ، برغم الاستثمارات المالية البريطانية والمستعمرات ، وتحاول البرتغال التى تعد عضوا فى منظمة حلف شمال الأطلنطى

(ناتو) منذ العام ١٩٤٩ ، أن تقنع حلفاءها دوما ، وبخاصة الولايات المتحدة ، أنها (البرتغال) تناضل فى أفريقيا ضد الشيوعية وأن هدفها هناك ليس الاستعمار وإنما هو خلق مدنية راقية ، مثل البرازيل ، واستغلالا لهذا الموضوع الذى كانت تستغله الدعاية البرتغالية قام جليرتو فريرى Gilherto freyre عالم الاجتماع البرازيلى بالترويج له على نطاق واسع ، كما أكد ذلك العالم أن البرتغاليين كانوا يتصرفون بطريقة تختلف تماما وتسمو من الناحية الأخلاقية ، أيضا عن الطريقة التى كانت تتصرف بها كل الدول الأوربية الأخرى فى كل من أفريقيا والعالم الجديد ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن البرتغاليين لم يعرفوا تلك الكراهية العنصرية المزعومة من ناحية ونزوعهم إلى التسامح بل وتعزيز الزواج بين البيض والسود من الناحية الأخرى . وهنا ينبغى أن نقر ونعترف أن ليفنجستون نفسه ، أبدى ملاحظة مفادها أن البرتغاليين على العكس مع المستوطنين الأوربيين فى جنوب أفريقيا ، كانوا يعاملون الملونين ، وبخاصة المستيكوس Mesticos (إن شئت فقل المخلطين) بشىء من التحرر ، كتب ليفنجستون يقول [٧] إن سلوك الرؤساء المدنى تجاه المرءوسين يحتمل أن يكون ناتجا عن المراكز التى كانوا يشغلونها من منحى وعن كونهم قله قليلة من البيض بين آلاف من السود من منحى آخر ، ومع ذلك فنحن لانجد هذه النية الحسنة بين الأوربيين أو الوطنيين فى أى مكان آخر .

وفى مواجهة هذا الرأى لابد لنا أن نزن إصرار الوثائق الرسمية البرتغالية على اظهار المصطحات التى من قبيل LimpeZa or pureZa de sangue لمبيزا أو « بيوريزا دى سانجوى » (ومعناها بلغة القوم نقاء الدم) أو المصطلح « راساس انفكتاس » racas in Fec Tas ومعناه بلغة القوم (الأجناس الملونة) . والأدلة كثيرة على التمييز فى المعاملة بين الأفارقة واليهود وبين غير المسيحيين ومن هم من غير الكاثوليك الروم ، زد على ذلك أن رجال الدين الأفارقة والآسيويين أو المستيكوس (المولدين) قاسوا الكثير بسبب جنسهم إلى الحد الذى توصل معه مؤرخ أمريكى معاصر إلى أن الإهانة العنصرية كانت أمرا عاما وشاملا فى كنيسة كانت تتباهى بالدعوة إلى الأخوة بين كل من يعتنقون الديانة المسيحية (أى الكاثوليك الروم) ، أضف إلى ذلك أن تلك الإهانة كانت بكل تأكيد أكثر وضوحا فى كل ضروب الحياة الأخرى [٨] .

والأهم من ذلك بكثير إن أردنا أن نفهم ديناميكيات القومية الأفريقية حاليا في المستعمرات البرتغالية هو الدور الذي يلعبه كل من المستيكوس (المولدون) ومجموعة قليلة من الأفارقة المتأور بين أو (الأسيميلادوس Assimelados بلغة القوم) [٩] . ولما كانت نساء برتغاليات كثيرات قد توطنَّ في كل من أنجولا وموزمبيق ، فقد أدى ذلك إلى انخفاض نسبة الزواج بين البيض والسود ، وبرغم الدعاية النشطة التي قامت بها حكومة سالا زار هو ومن جاءوا بعده عن الوئام العنصري المزعوم في ممتلكات البرتغال فيما وراء البحار إلا أن عنصر الاستيطان الجديد بعد الحرب العالمية الثانية كان يكشف في معظم الأحيان عن عداء عنصري حاد لكل من السود والملونين ، ذلك العداء الذي كان شبيها بالعداء الذي كان سائدا في كل من روديسيا وجنوبي أفريقيا .

ومع ذلك لم يتلق طوال العقود الثلاثة الماضية تعليما في البرتغال سوى عدد صغير من المستيكوس (المولدين) والاسيميلادوس (أي الأفارقة المتأوربين) ؛ أضف إلى ذلك أن البعض منهم أسندت إليهم مناصب محددة في الحكومة والحياة الخاصة ، غير أن الكثيرين منهم فهموا أنفسم على أنهم صفوة مختارة وبدأوا يدركون بصورة متزايدة الهوة التي كانت تفصل بينهم وبين السواد الأعظم من الأفارقة .

وظهرت أو ما ظهرت ، خيبة الأمل والمرارة اللتان أعقبتا التخلص من سحر الأيدولوجية البرتغالية عن الوفاق العنصري ، في الشعر والنثر ؛ ثم ظهرت بعد ذلك في تشكيل حركات التحرير المناوئة للحكم البرتغالي ، فقد كانت هناك نسبة عالية من الزعماء الأساسيين في حركات التحرر الأفريقية من مفكري المستيكوس (المولدين) من أمثال (ماريو دى أندرادى) ، ومارسيلينو دوس سانتوس ، وفرياتو داكروز Viria-to da cruz وأميلكار كابرال ، أما حقيقة أن هؤلاء المفكرين لم يكونوا من السود وكانت لهم صلات قليلة إن لم يكن على الإطلاق بالأفارقة المنتمين إلى القبائل ، إذ كشفت تلك الصلات بعد ذلك عن مشكلات سياسية خطيرة لحركات التحرر الخاصة بهم ؛ كما أدت هذه الحقيقة أيضا إلى تعقيد علاقة هؤلاء المفكرين بالحكومات الأفريقية المستقلة التي كانت تنظر في معظم الأحيان نظرة شك وارتياب إلى المفكرين السمر الكوزمو بوليتانيين الذين تقترب أساليب حياتهم من أساليب حياة رفاقهم المفكرين في كل من

لشبونه وباريس أكثر من اقترابها من أساليب حياة الأغلبية الأفريقية فى المستعمرات البرتغالية .

وحتى العام ١٩٣٠ كانت « السياسة الوطنية » البرتغالية تتمثل أصلا فى الإهمال الاستغلالى ؛ بمعنى أن الأفارقة كانوا إما يتركون وشأنهم أو يجرى أخذهم كعبيد أو يجبرون على العمل بمقتضى عقد وذلك طبقا للضرورة الاقتصادية المتقلبة ، ثم أصاب الركود اقتصاد المستعمرات بعد إنهاء تجارة العبيد بصورة رسمية ، ومن آن لآخر كان يجرى إرسال طابور من الجيش البرتغالى إلى منطقة بعيدة من المستعمرة لتهدئة الأفارقة الذين كانوا يثورون على الحكم البرتغالى ، وذلك تحاشيا من البرتغاليين لإغضاب حكامهم البعيدين .

وبعد أن أقامت لشبونه ديكتاتورية سالا زار بشرطتها تحت اسم « الدولة الجديدة » وفكرها عن " الاستعمار الجديد " كشفت عن اهتمامها الكبير باستغلال المستعمرات ، وبصعوبة بالغة كان يجرى تشجيع الفلاحين البرتغاليين على الهجرة إلى أنجولا وموزمبيق ، وبعد بداية الكفاح المسلح فى أنجولا عام ١٩٦١ أوفدت حكومة البرتغال أعدادا متزايدة من القوات إلى المستعمرات ؛ وحاولت ولكن بعد فوات الأوان تنمية المناطق المهملة ، ونقلا عن إحصائيات الأمم المتحدة فإن ما يزيد على نصف إيرادات الدولة فى العام ١٩٧٠ كان يذهب للإنفاق العسكرى مع تخصيص الجزء الأكبر منه لأفريقيا .

وعلى العكس مما كان يراه الكثير من المراقبين فى العام ١٩٦١ عندما توقعوا بقاء البرتغاليين لأسابيع أو لأشهر فقط ، أثبت البرتغاليون أنهم أكثر قدرة على التشبث بممتلكاتهم بصورة أكبر ، برغم أنهم فشلوا أيضا فى القضاء على الحركات الثورية التى كان يمكن أن يكون لها تأثير كبير لو أنها قدر لها أن تصبح حقيقة واقعة ، ثم بدأ توجيه رأس المال الغربى يتزايد فى تنمية أنجولا وموزمبيق ، وزادت الأسلحة التى قدمتها منظمة حلف شمال الأطلسى من الموارد العسكرية البرتغالية بشكل كبير . وبرغم أن الولايات المتحدة تنكر بشدة أن أسلحة منظمة حلف شمال الأطلسى كانت تستعمل خارج منطقة الحلف لأغراض غير أغراض الحلف ، إلا أن هناك تقارير عديدة ومفصلة عن أسلحة تابعة لحلف الأطلنطى كان يجرى الاستيلاء عليها من القوات

البرتغالية فى غينيا بيساو ، وأنجولا وموزمبيق ، زد على ذلك أن كلا من ألمانيا الغربية وفرنسا كانتا تمدان البرتغال علانية بكميات كبيرة من الأسلحة والطائرات والبوارج . ويفرض أن تلك الأسلحة والمعدات الأطلسية لم تذهب إلى أفريقيا ، إلا أن توريد تلك الأسلحة كان يسمح للبرتغال بتخصيص الأسلحة التى كان يجرى الحصول عليها من مصادر أخرى لاستعمالها فى الحرب الاستعمارية فى أفريقيا (١٠) .

وقد أدانت الولايات المتحدة السياسة البرتغالية فى أحيان كثيرة وبخاصة فى الأمم المتحدة عندما كانت تؤكد على الأهمية الإستراتيجية ، كما هو الحال فى جزر الآزور بالنسبة للقوات المسلحة الأمريكية ، كما أعلن وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي فى شهر مارس من العام ١٩٧٠ :

أما بالنسبة للمناطق البرتغالية فنحن عند اعتقادنا أنه ينبغى إعطاء تلك المناطق حق تقرير المصير ، إننا سنشجع التقدم السلمى صوب ذلك الهدف ، إن سياسة البرتغال المعلنة عن التسامح العنصرى تشكل عاملا هاما فى تلك المعادلة ، ونحن نرى أن هذا يشكل أملا حقيقيا فى المستقبل ، واعتقادا منا بأن اللجوء إلى القوة والعنف ليس فى مصلحة أحد فقد فرضنا فى العام ١٩٦١ حظرا على شحنات الأسلحة التى تستعمل فى المناطق البرتغالية ، وأكدنا هذا الحظر وسوف نستمر فى ذلك (١١) .

ومن ناحية أخرى يقول عدد من التقارير الوثيقة : إن حكومة الولايات المتحدة ، تقدم مساعدات مستتره لحركات التحرر ، وقد وصف هولدن روبرتو زعيم جبهة التحرير الوطنية / حكومة أنجولا فى المنفى ، فى أنجولا بأنه " موال لأمريكا " ويحظى بمساندتها برغم الزيارة التى قام بها إلى بكين ذلك الزعيم الوطنى الأنجولى ، ويزعم الطالب الأمريكى الذى كان يبحث فى عام ١٩٦٩ فى العلاقات الدولية لحركات التحرر أنه استطاع أن يكشف عن المساعدات المستتره التى كانت تقدمها وكالة المخابرات الأمريكية لجميع حركات التحرر الأفريقية بلا استثناء (١٢) ، كما كتب مراسل أمريكى جاد آخر يقول :

فى الوقت الذى كانت تساعد فيه الولايات المتحدة البرتغال بطريقة خفية فى حربها ضد العصابات عن طريق السماح للبرتغال بشراء القاذفات من طراز (ب – ٢٦) فإن الولايات المتحدة كانت ولا تزال تساعد العصابات ذاتها ، وهذه حقيقة

ليست معروفة على نطاق واسع ، ففى أنجولا على سبيل المثال ، كانت الولايات المتحدة تساند هولدن روبرتو ، وفى موزمبيق ، التى تعد مستعمرة برتغالية أيضا تساند الولايات المتحدة مجموعة متمردة بقيادة " إدواردو موندلين [١٣] " Mondlane وهو أحد الوطنيين الموالين للغرب .

ومهما يكن من أمر ، فإن موندلين الذى اغتيل بعد ذلك كان أول رئيس لجبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) كما أنه يعد أيضا واحدا من الزعماء الوطنيين القلائل الذين استطاعوا بشهادة التقارير أن يحافظوا على التوازن الدقيق لضمان وتأمين الحصول على المعونة من الاتحاد السوفيتى ، ومن الولايات المتحدة بل ومن المصادر الصينية والغربية أيضا .

ومن ناحية أخرى فإن المساعدات الصينية والسوفيتية لم تكن علنية وصريحة فحسب ، بل إن أجهزة الدعاية كانت تبالغ فى المساعدات السوفيتية لتبرير المحاولات السوفيتية التى كانت تهدف إلى السيطرة السياسية على الحركات التى تتلقى تلك المساعدات والتى جرى جمعها كلها فى مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية ، وبصراحة اعترف معظم زعماء حركات التحرير أن تلك الحركات لا تعتمد على نفسها وأنها لا تستطيع بعد القيام بكفاح عسكرى بدون مساعدة خارجية كافية ، ومن هنا كان يتحتم طلب مثل هذه المساعدة من منظمة الوحدة الأفريقية ، والدول الأفريقية الأخرى المستقلة أو من الدول الصديقة خارج أفريقيا .

واستطاع المرض العضال أن يبعد سالا زار العجوز المستبد عن رئاسة الديكتاتورية البرتغالية ، وكانت تراود بعض الزعماء الأفارقة شكوك حول احتمال انهيار النظام وحدوث تغيير فى السياسة الاستعمارية ، غير أن شيئا من هذا لم يحدث ؛ وسارت " الدولة الجديدة " ، فى ظل نظام مارسلو كايتانو العسكرى الذى كان وزيرا سابقا للمستعمرات ومديرا لجامعة لشبونه ، غير أن " ليبرالية " كايتانو أثبتت أنها أضعف الواجهات وأنها صممت أساسا للاستهلاك الخارجى ، لتسهيل قبول البرتغال داخل منطقة التجارة الأوربية الحرة وربما فى النهاية السوق الأوربية المشتركة ؛ التى كانت تستوعب بالفعل آلافا من العمال البرتغاليين النازحين ، وأعلن كايتانو عن عدم استعداده لتلبيه المطالب الوطنية الأفريقية فى المستعمرات ، وقد كتب كايتانو قبل أن يصبح رئيسا للوزراء عن خبرته الخاصة بالمستعمرات يقول :

" إن السود فى أنجولا يتحتم توجيههم وتلقينهم مذهبيا من قبل الأوربيين . . إن الأفارقة لم يتعلموا كيف يطورون وحدهم المناطق التى يسكنونها منذ آلاف السنين [١٤]

أما كيف تستطيع أفقر أمة فى غرب أوربا أن تأمل فى توجيه وتنمية إمبراطورية فيما وراء البحار على حين أنها هى نفسها لا تستطيع تنمية أراضيها الوطنية الخاصة بها فتلك مسألة أخرى ، ففى العام ١٩٧٠ كان هناك أكثر من ٣٠ فى المائة من سكان البرتغال من الأميين ، ونقلا عن المعهد القومى للإحصاء فى لشبونة فى العام ١٩٥٩ أى بعد خمسة قرون تقريبا من " حملة التمدين " فى أفريقيا نجد أن نسبة السكان الأفارقة فى غينيا بيساو ، وأنجولا وموزمبيق الذين يمكن وصفهم " بالتمدين " فى ضوء المعايير البرتغالية لم تصل إلى واحد بالمائة ؛ بمعنى أنهم يقرأون ويكتبون ويتكلمون البرتغالية ويدينون بالعقيدة الكاثوليكية الرومانية كما أن لهم عمالة مستديمة وأعمال تجارية منتظمة ، ويعيشون بنفس المعايير الاجتماعية البرتغالية ، وفى العام ١٩٦١ بعد انتفاضة الثورة الأفريقية ألغت حكومة سالازار حالة التمييز العنصرى وأضفيت كل نعم وبركات الدولة البوليسية البرتغالية على الجميع بغض النظر عن اللون ، بل إن سالازار نفسه لم يجرؤ حتى على إعلان أن البرتغال قد حققت مهمتها على حين كانت البرتغال متخلفة فى جميع المجالات عن جميع الدول الأخرى فى غرب أوربا ، وعلى كل حال قامت البرتغال بتشكيل أقوى القوات البرية فى أفريقيا جنوب الصحراء إذ كان عدد تلك القوات يزيد على ١٠٠٠٠٠ من القوات والشرطة [١٥] البرتغالية ، زد على ذلك أن تلك القوات كانت فى تحالف فعال غير رسمى مع حكومات الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا وروديسيا ، واتخذت تلك القوات مواقعها الميدانية فى مواجهة بضعة آلاف قليلة من العصابات الأفريقية ، وفى نهاية العام ١٩٧١ لم يستطع أى من الجانبين توجيه الضربة الحاسمة وطال زمن المعركة لتصبح فى الواقع معركة " يمكن أن يكسبها فقط صاحب الصبر الذى لا ينفذ [١٦] .

ا - أنجولا

- الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبِلا) . MPIA
- الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى / الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (جراي / فنلا) GRAE/FNLA
- الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) UNITA

الخلفية التاريخية

منذ القرن التاسع عشر ومؤرخو الاستعمار البرتغالى يصفون ممتلكات البرتغال فيما وراء البحار بنفس الأسلوب التقليدى على أنها مناطق « غزو » أو مناطق « سكان » ، وفى الحال الأخير ، كان المستوطنون البرتغاليون يوطنون أنفسهم ويؤسسون بذلك مزارع شاسعة لزراعة قصب السكر أو القطن ثم ينقلون العبيد الأفارقة للعمل فيها ، وتعد جزر الرأس الأخضر ، وساوتومى ، وبرنسيب مناطق أساسيه للسكان ، وتتميز بالاقتصاد الزراعى الذى تحول بصورة متدرجة من العبيد والرق إلى عقد العمل ، ثم تحول بعد ذلك تحولا طفيفا إلى شكل من أشكال السخرة المرهقة .

وأنجولا منطقة قديمة من مناطق الغزو ، ومع أن المكتشفين البرتغاليين أبحروا فى نهاية القرن الخامس عشر حول ساحلها الذى يبلغ طوله حوالى ١٠٠٠ ميل ابتداء من نهر الكونغو إلى نهر كيونينى **Cunene** على حدود ما يعرف الآن بجنوب غربى أفريقيا إلا أن الاستيطان البرتغالى حدث بعد ذلك بعدة قرون ثم اقتصر بعد ذلك على الشريط الساحلى فقط بمينائيه لواندا ولوبيتو .

وظروف أنجولا المناخية الاستوائية ، وأمراض المناطق الاستوائية إضافة إلى المقاومة الأفريقية هى التى جعلت البرتغاليين ينظرون إلى أنجولا باعتبارها مصدرا أساسيا من مصادر جلب العبيد والحصول على المواد الخام والعاج ، علما بأن أنجولا تقدر بأربعة عشر ضعفا من مساحة البرتغال إذ تصل هذه المساحة إلى حوالى ٤٨١,٣٥١ ميلا مربعا ، ولكن فيما يتصل بالعبيد والمواد الخام والعاج فإنها يمكن الحصول عليها عن طريق البومبيروز أو إن شئت فقل : التجار المحليين ؛ أو عن طريق التجار المخلطين [١٧] الأفارقة الذين كانوا يعملون لحساب حفنة من الأوربيين فى المصانع والقلاع الموجودة على الساحل .

والاسم « أنجولا » مشتق من كلمة « نجولا » التى هى اسم للأسرة المالكة ؛ إذ كان نجولا رئيسا لشعب « كيمبوندو » الذى يعرف الآن باسم إقليم « دونجو » ، ومملكة نجولا كانت أصغر بكثير من أنجولا الحالية التى تحدها زائير من ناحية الشمال

والشمال الشرقى ، وزائير كان يطلق عليها من قبل اسم الكونغو كينشاسا ؛ كما تحد زامبيا أنجولا من ناحية الشرق ، أما جنوب غربى أفريقيا فيقع على حدود أنجولا الجنوبية ، وتمتاز أنجولا بأنها – من الناحية الجغرافية – عبارة عن شريط ساحلى يصل عرضه إلى ١٥٠ ميلا ، مع هضبة داخلية تصل إلى ما يزيد على ٦٠٠٠ قدم . وباستثناء بعض الاختلافات المحلية تتميز فصول السنة عموما بالجفاف اعتبارا من شهر مايو إلى شهر سبتمبر ؛ وبالرطوبة اعتبارا من شهر أكتوبر إلى شهر مايو . ويختلف سقوط الأمطار اختلافا كبيرا إذ يتردد بين لا شىء تقريبا فى المناطق الجافة على الساحل و ٦٠ إلى ٧٠ بوصة فى غابات « مايومبى » فى كابيندا التى تقع إلى الشمال من نهر الكونغو ، وعلى كل حال ، فذلك أمر استثنائى ، أما سقوط الأمطار والثلج فى الأماكن الأخرى فأمر معتدل أو نادر .

وفى إحصاء العام ١٩٦٠ وهو آخر إحصاء قبل بداية حرب التحرير كان سكان أنجولا الذين يقدرون الآن بحوالى ٥,٥ مليون ، يقدرون بحوالى ٤,٨٣٠,٤٩٩ نسمة من بينهم ١٧٢٥٢٩ نسمة من الأوربيين ، وزاد السكان الأوربيون فى العام ١٩٦٩ إلى حوالى ٢٥٠,٠٠٠ نسمة بسبب الجهود الذاتية التى بذلتها الحكومة البرتغالية من أجل توطين الفلاحين البيض فى الأرض [١٨] الأفريقية المتنازع عليها ، وأيا كان الأمر فإن البلاد ما تزال تعانى من نقص شديد فى السكان مع وجود أغلبية ساحقة من الأفارقة تقدر بما لا يقل عن خمسة ملايين نسمه ، وقد وصل عدد السكان المولدين (المستيكوس) إلى حوالى ٥٣٣٢٩ نسمة فى العام ١٩٦٠ ، وبرغم زيادة أعداد المولدين بصورة مؤكدة منذ ذلك التاريخ إلا أننا لا يمكن أن نفترض ولاءهم للحكومة الاستعمارية .

ويعيش أكثر من ثلث السكان وهم من الأوربيين المستيكوس فى العاصمة لواندا التى يصل إجمالى عدد السكان فيها إلى أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، والمناطق الحضرية الأساسية الأخرى فى أنجولا هى لوبيتو التى ينتهى عندها خط بنجويلا الحديدى الذى ينقل النحاس من كل من زامبيا والكونغو إلى ساحل المحيط الأطلسى ومدينة بنجويلا ذاتها التى تقع بالقرب منه ، ويصل إجمالى السكان فى هذه المنطقة إلى حوالى ١٠٠,٠٠٠ نسمة ومن بين المدن الكبرى أيضا مدينة نوفاليسبوا (أى لشبونه الجديدة) [١٩] وتقع فى الهضبة الوسطى ، أما مدينة (سادا بانديرا)

ومدينة موكاميدس Mocamedes التى لا تبعد كثيرا عن الساحل مركزين من مراكز الاستيطان الأوربى ؛ بالإضافة إلى أن عدد السكان البيض فى هاتين المدينتين أكبر بكثير من عدد السكان السود ، ومدينة كارمونا فى الشمال تشكل مركزا رئيسيا فى منطقة البن ، يضاف إلى ذلك ، أن تلك المدينة تكبدت الكثير من الخسائر المالية فى سنوات الكفاح المسلح الأولى عندما قامت القوات التابعة للاتحاد الشعبى الأنجولى باجتياح المزارع المملوكة للأوربيين ، وحتى ذلك الحين ، كان منتجو البن فى أنجولا ينعمون بظروف الرواج ، ومع تزايد حرب العصابات ، التى كان من الواضح أنها تقتصر على أجزاء محدودة من البلاد أعيد بناء الهيكل الإقتصادى الجغرافى بعيدا عن مناطق الاضطراب .

والاقتصاد الأنجولى فى أساسه اقتصاد زراعى ويعد البن والسيزال والسكر والماس أهم صادرات أنجولا ، كما يعد خام الحديد والبترول من بين الصادرات الرئيسة أيضا ، وقد إكتشف حقل غنى بالبترول فى إقليم كابيندا ، التى تدار من أنجولا ، وتقوم باستغلال هذا الحقل استغلالا كبيرا شركة خليج كابيندا للبترول . . هناك شركات أجنبية أخرى للبترول تعمل فى أماكن أخرى ومع ذلك يعد حقل بترول كابيندا أغنى الحقول التى تم اكتشافها ، ويجرى استثمار رأس مال ألمانى غربى فى مناجم الحديد فى كاسينجا فى جنوبى أنجولا التى يتوقع لها أن تصدر فى النهاية ٧ ملايين طن من خام الحديد سنويا ، ولا تجرى فحسب تنمية موارد الحديد فى المناطق الغربية بل تتحقق هناك أيضا اكتشافات كبيرة من الذهب والنحاس ، ويجرى تأسيس صناعة الألونيوم فى دوندو Dondo وكامبامبى ودومبى جراند ؛ أما الإنتاج الصناعى فقد تضاعف بصورة شاملة فى العقد الذى بدأ اعتبارا من العام ١٩٦٠ كما يجرى أيضا تزويد الإنتاج الصناعى بطاقة كهربية هيدروليكية متزايدة ، ومع أن الجزء الأكبر من الاستثمارات فى أنجولا ما يزال برتغاليا إلا أن رأس المال الغربى ما يزال يعد حافزا إضافيا من حوافز التنمية ، وجنوب أفريقيا هو بمثابة مصدر آخر من مصادر رأس المال والخبرة التكنولوجية ، فقد أبرم جنوب [٢٠] أفريقيا العديد من الاتفاقيات الاقتصادية مع البرتغال علاوة أيضا على اتفاقيات تكميلية أخرى للمساعدات العسكرية ، ومنذ العام ١٩٦٨ والمصادر الوثيقة تبلغ عن وجود دوريات من جنوب

أفريقيا فى جنوب أنجولا تعمل فى طرد العصابات التابعة لمنظمة سوابو Swapo من قواعدها فى جنوب غربى أفريقيا ، تلك العصابات التى كانت تعبر أنجولا إضافة إلى ضرب مضيفهم أيضا وحلفائهم من الأنجوليين الأفارقة إذا اقتضى الأمر ذلك .

وكما هو معروف فى أى نظام استعمارى ، فان مطامح وضروريات الدولة المتحضرة هى التى توجه التنمية الاقتصادية ، ولم يكن أمام الأفارقة سوى أن يختاروا بين محاولة الاستمرار فى أن يعيشوا على الكفاف وبين قبول وضع البروليتاريا فى السوق الاقتصادية الاستعمارية ، أما القيود الإدارية والقانونية والضرائب ، فقد جعلت من الجانب الأول لذلك الاختيار أمرا مستحيلا تماما ، ذلك أن الفلاح الأسود تجبره اختناقات عديدة على أن يكون إما عامل يعمل لحساب شركة أوربية أو يعمل كفلاح " مستقل " تذهب أرباحه وإنتاجه بصفة إلزامية إلى أيدى الوسطاء الأوربيين الأقوياء ؟ وفى النهاية يكون بوسع الأفريقى كسر تلك الحلقة الحديدية من الاستغلال ، إذا ما استطاع ذلك الأفريقى أن يعرف مصيره عن طريق الوعى ، أو عن طريق التورط بمحض الصدفة فى الاضطراب والقمع الثورى أو أن يلقى بمصيره مع قوات التحرير الوطنية .

وعلى العموم ينقسم الأفارقة الأنجوليون إلى أربعة مجموعات إثنية لغوية رئيسية رغم وجود ما يقرب من مائة قبيلة فى البلاد ، أما اللغات الأربع التى يتكلمها ٧٠ فى المائة من السكان الأفارقة فهى لغة أومبوندو UmbuNdu (لغة شعب أوفمبوندو) ، ولغة الكيمبوندو Kimbundu ولغة الكيكونجو Kikongo ثم لغة شوكوى – لوندا Chokwe - lunda . ولهذه التقسيمات تأثير مباشر على الحركة الوطنية .

ويشكل الأفمبوندو أكبر مجموعة ؛ إذ يصل عددهم إلى ١,٥ مليون نسمة تقريبا ويعيشون فى الأراضى المرتفعة فى وسط أنجولا حول مدينة نوفا لسبوا (لشبونه الجديدة) Nova Lisboa ، ونظرا لأن الأفمبوندو كانوا على اتصال بالأوربيين منذ زمن طويل فقد كانوا أكثر تقبلا للمسيحية ؛ كما كانوا تجارا نشطين يتعاملون مع البرتغاليين فى أحيان كثيرة ، أما الكيمبوندو فهم المجموعة الكبيرة الثانية التى يبلغ تعدادها حوالى ١,٢ مليون نسمه وتتركز هذه المجموعة حول لواندا وقد تم دمج الكثيرين منهم فى حياة العاصمة الحضرية .

والأهم بكثير من جميع السكان الحاليين فى أنجولا ، هم الباكنجو (من يتكلمون لغة الكيكونجو) وهم ينحدرون من مملكة الكونغو القديمة التى اختفت فى القرن الثامن عشر وجرى بعد ذلك تقسيم الباكنجو بالحدود الاستعمارية القائمة حاليا بين أنجولا البرتغالية والكونغو البلجيكى ، أما اليوم وبعد سنوات من الحرب فى شمال أنجولا فربما لم يعد يتبق فى أنجولا سوى ما لا يقل عن نصف مليون نسمه من الباكنجو على حين هرب عدد يتردد ما بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٦٠٠,٠٠٠ نسمة من اللاجئين الأنجوليين الذين كانت غالبيتهم من الباكنجو ، عبر الحدود الكونغولية حيث الأمن النسبى ، وبرغم عدم نجاحها لعبت العبادات المهدوية للباكونجو والجهود التى بذلوها من أجل استعادة دولة مماثلة لمملكة الكونغو ، دورا حيويا فى بعث القومية الأنجولية الحديثة .

أما شوكوى – لوندا ، الذين وصل عددهم إلى ٣٦٠٠٠٠ نسمة فى العام ١٩٦٠ ، فهم أحفاد إمبراطورية لواندا التى كان يتزعمها مواتو – يامفو **Mwato - Yamvo** . وهم يعيشون فى شمال شرقى أنجولا وينتشرون عبر الحدود الكونغولية وأيضا فى كاتانجا .

وإلى جانب تلك المجموعات الأربعة هناك قبائل أصغر منها : من بينها قبائل كوانهاما فى جنوب أنجولا ، ويصل عدد تلك القبائل إلى ١٠٠٠٠٠ نسمة فقط ، على حين تعيش قبيلة أخرى ٢٥٠,٠٠٠ نسمة من الأوفامبو ولكنها ناطقة بلغة الجوانها ما إلى أقصى الشمال من منطقة جنوب غرب إفريقيا ، وقد استطاع شعب الجوانها ما الذى يتميز بروح القتال دحر كثير من المحاولات البرتغالية التى كانت تهدف إلى إنزال الهزيمة بهم ولكنهم أجبروا فى النهاية على الخضوع والاستسلام بعد أن تحالفوا مع الألمان الذين خسروا الحرب العالمية الأولى .

المقـــاومـة

بدأت حـروب البرتغـال فى أنجـولا فى العـام ١٥٧٥ ولم يمض عـام واحـد منذ ذلك التـاريخ دون قيـام حملة برتغالية استعمارية إلى مكان مـا فى أنجـولا ، أمـا الحـرب الأنجولية الحالية فقد بدأت فى ٤ من فبراير من العام ١٩٦١ عندما قام الحضـر من أتباع الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) بالهجوم على قلعة ساو باولو ومـركز رئاسة الشرطة فى لواندا ، وفى ١٥ من مارس امتدت تلك الحرب محققة نجاحا كبيرا فى كل أنحاء الجزء الشمالى من البلاد عن طريق العصابات الريفية التابعة لتنظيم آخر هو اتحاد شعب أنجولا **Upa** (يوبا) ، وبذلك تصبح الحـرب الأنجـولية أطول كـفـاح استـعمـارى صرف فى إفريقيا والذى دام أطول من الحرب الجزائرية (من نوفمبر ١٩٥٤ إلى يوليو ١٩٦٢) ، وباستثناء حرب فيتنام التى دامت عقودا طويلة تعد الحرب الأنجولية أطـول من أى حرب فى أى مكان آخر من الهند الصينية ، بل إن تلك الحرب تعد أطول حرب عصابات فى أى مكان آخر من العالم الحديث .

وأسـفر فشل البرتغال فى تلبية النداء الذى وجَّهه إليها ملوك مملكة الكونغو المسيحيين عن حتمية اندحار دولتهم فى أفريقيا تحت وطأة التمرد الداخلى والتنافس التجارى والرق والأعداء الأجانب ، وهنا حول البرتغاليون انتباههم جنوبا إلى شعب أومبوندو **Mbundu** الذى هو شعب من الإندونجو ؛ ومن سوء طالع تلك الشعوب أنها كانت أول أمة تخضع للحكم الاستعمارى الأوربى [٢١] .

أما عاصمة مملكة إندونجو فكانت مدينة " إمبانزا كاباسا " التى تقع بالقرب من دنجو الحالية ، وقد اكتشفت تلك المدينة فى القرن الرابع عشر تقريبا بواسطة شعوب من وسط أفـريقيا فى ظل حكم نجولا أنزينجا ، شيخ تلك القبائل ، أما نجـولا الذى ازدهر عصره وراج بسبب تجارة الرقيق مع البرتغاليين فى لواندا فقد أعلن استقلاله عن مملكة الكونغو فى القرن السادس عشر بعد الهزيمة التى نزلت بقوات مملكة الكونغو فى القتـال الذى دار عـام ١٥٥٦ ، ثم طلب نجـولا إرسـال ممثل رسمى عن البـرتغـال إلى بلاطه الملكى ، وأدى احتجاز (باولو داياس دى نو فاييس) ممثل البرتغال بعد المعركة التى دارت مع البرتغاليين ، إلى أن عجل البرتغاليون بمحاولة إنزال الهزيمة العسكرية بمملكة إندونجو .

وجـاء الأمـر الذى صـدر إلى داياس فى العـام ١٥٧٥ بإنزال الهـزيمة بمملكة إندونجو بمثابة بداية لقائمة من الأعمال الحربية التى استمرت قرنا من الزمان . وأكدت المقاومة الأفريقية مكانتها بأكثر مما كان يتوقعه لها داياس ، الذى مات قبل تحقيق الانتصار ، ولكن التحالف الذى تم بين نجولا ومملكة الكونغو والجاجاس **Jagas** فى ماتامبا أدى إلى إنزال هزائم كبيرة بالبرتغاليين فى عامى ١٥٩٠ و ١٥٩٤ ، ومهما يكن من أمر فقد انتهى ذلك التحالف فى العام ١٦٠٠ واستأنف البرتغاليون مذابحهم من جديد واستطاعوا فى العام ١٦٠٣ أسر وقتل نجولا نفسه ، كما جرى الاستيلاء أيضا على عاصمة مملكة إندنجو فى العام ١٦٢٠، وهرب الملك الجديد انزينجا مباندى ، إلى إحدى ، جزر كوانزا حيث احتفل بالقوات الأفريقية التى كانت - مع ذلك - لا تقوى على منع البرتغاليين من تدمير البلاد والاستيلاء على عدد كبير من السكان الذين حولتهم إلى عبيد .

وأجرت جينجا شقيقة نزينجا إمباندى ، فى العام ١٦٢١ (التى أطلق عليها بعد ذلك الاسم المسيحى أنا دى سوزا نزينجا) مفاوضات بشأن معاهدة سلام مع البرتغاليين ؛ واستطاعت أن تحصل منهم على الاعتراف باندو نجو دولة مستقلة ، ومات نزينجا مباندى بعد ذلك بثلاث سنوات وخلفته جينجا على العرش ، وبسرعة ارتدت " جينجا " عن المسيحية . . وفشلت جهود البرتغاليين بعد ذلك فى منع تلك الردة وكونت الملكة تحالفا من الممالك الأفريقية ونجحت فى مقاومة القوات البرتغالية إلى أن أبرموا معها اتفاقا فى العام ١٦٥٦ يقضى بإعادة العلاقات التجارية التى استمرت إلى أن توفيت الملكة بعد ذلك بسبع سنوات ، ولا يزال اسم الملكة جينجا ، إلى يومنا هذا يرمز إلى المقاومة الأفريقية للحكم البرتغالى .

وفى العام ١٦٤١ تحدى الهولنديون الحكم البرتغالى المهزوز فى أنجولا ، وبعد أن استولى الهولنديون على مدينتى لواندا وبنجويلا ؛ اجبروا المستوطنين البرتغاليين فى المدن الساحلية على الفرار إلى الداخل ، وفى العام ١٦٤٨ ، انضمت بعثة الأغاثه البرتغالية التى جاءت من البرازيل ، إلى الحلفاء الأفارقة فى طرد الهولنديين ، وبعد ذلك الانتصار استطاع الجيش البرتغالى الذى كان يقوده لويس دى سكويرا ، ويضم ٣٠٠٠ أفريقى بالأقواس والسهام و ٢٠٠ من القوات الأوربية ، ١٥٠ من المستوطنين ،

١٠٠ أفريقى من حملة البنادق استطاع أن ينزل هزيمة ساحقة فى العام ١٦٦٥ (٢٢) بالقوات الكونغولية فى أمبويلا Mbwila ، كما استطاع البرتغاليون الذين تحالفوا مع الملكه جينجا أن ينزلوا الهزيمة فى العام ١٦٧١ بالرئيس نجولا آرى وبذلك استطاعوا تدمير دولة إندونجو الأفريقية .

وفى العام ١٦٨٣ جرى التوقيع مع الماتامبا على معاهدة للسلام ، ودامت تلك المعاهدة نصف قرن ، إلى أن نشب العداء مرة أخرى عندما حاول البرتغاليون منع المنافسين الأوربيين من الدخول مباشرة ، إلى تجارة الرقيق ، وفشلت الحملة العسكرية البرتغالية التى أرسلت فى العام ١٧٤٤ واضطر البرتغاليون إلى أن يتركوا الماتامبا وفى أيديهم السيطرة الكاملة على تلك التجارة .

أما فى الأراضى المرتفعة من بنجويلا وفى جنوب البلاد ، فنجد أسلوب التدخل البرتغالى نفسه الذى يتمثل فى الجهود التى ترمى إلى احتكار تجارة العبيد ، ثم تعقبها بعد ذلك حروب محلية كثيرة ، ثم العودة إلى سلام هش ، ثم العودة مرة أخرى إلى مزيد من تجارة العبيد ، كما تم تأسيس قلعة كاكوندا على نهر لو طيرا Lutira لتكون قاعدة لتجارة العبيد والتوسع السياسى ؛ غير أن البرتغاليين لم يستطيعوا احتلال الممالك الأفريقية وإنهاء وجودها المستقل حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وقد قدرلإحدى مناطق الاوفمبيندو التى تقع إلى الشمال الغربى من « لسبوا الجديدة » (لشبونه الجديدة) أن تظل على عداء مع البرتغاليين إلى العام ١٩٠٤، أما فى هومبى Humbe التى تقع على الحدود مع جنوب غربى أفريقيا فقد استمرت المقاومة الأفريقية المسلحة بدون انقطاع إلى القرن العشرين ، وفى العام ١٩٠٤ أوقع ثوار كوانهاما Cuanhama قوة برتغالية فى كمين أعدوه لها فى كواماطو Cuamato وقتلوا من البرتغاليين ٣٠٠ فرد ، وتم إنزال الهزيمة بالكوا نهاما فى عام ١٩٠٦ على ايدى القوات البرتغالية الكبيرة ؛ ومع ذلك استمرت المقاومة الأفريقية فى المنطقة إلى العام ١٩١٥ ، بالإضافة إلى إن الألمان المنافسين للبرتغاليين فى جنوب غربى أفريقيا كانوا يساعدون الأفارقة فى بعض الأحيان ، وقد أدت الحرب العالمية الأولى فى أوربا إلى إرسال حملة برتغالية كبيرة إلى المنطقة وإنشاء قواعد عسكرية أساسية لإخضاع الكوانهاما الذين طال تمردهم وثورتهم .

وفى العام ١٨٦١ أبدى إس كالهيروس إى منيزيس الحاكم العام السابق لأنجولا بالملاحظة التالية : إن الظروف الطبيعية العادية لإدارة تلك المستعمرة ، تتمثل فى شن الحرب والاستعداد لها ؛ وقد اعتمد النظام العسكرى البرتغالى على قوات كبيرة من المساعدين السود الذين يطلق عليهم اسم جيرا بريتا (الحرب السوداء) الذين كان يتم جلبهم للقتال عن طريق رؤساء القبائل الموالية أو عن طريق استئجارهم كمرتزقة أو عن طريق إجبارهم على الالتحاق بالجيش ، وفى الفترة من العام ١٥٧٥ إلى ١٩٢٥ جرى استخدام عدد يتردد بين ٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ من تلك القوات الأهلية فى دعم ٢٠٠٠ أو ما يقل عن ذلك من قوات الخط الأول الأوربية الاستعمارية فى أنجولا [٢٣] وبطبيعة الحال فإن ظروف الحرب المتقطعة التى سادت منذ القرن الخامس عشر هى التى جعلت النفقات العسكرية تسيطر على جميع البنود الأخرى فى ميزانية أنجولا ، الأمر الذى وصل فى وقت من الأوقات إلى حوالى ٩٠ فى المائة من إجمالى الميزانية .

وما أن بدأ تسلل الدول الأوربية الأخرى إلى أفريقيا ، يهدد سيطرة البرتغال على مستعمراتها الأفريقية ، حتى أصبح البرتغاليون مقتنعين بصورة عامة بممارستهم للسيطرة التجارية واستبعاد المنافسين وإلى أن جرى إلغاء تجارة الرقيق كان البرتغاليون يشجعون تجارة رائجة فى العبيد أدت إلى أن بدأت مناطق شاسعة من أنجولا تشكو من نقص فى السكان ، ولكن الاحتلال الأوربى المنظم هو والاستيطان التدريجى والرسمى لم يبدءا فى أنجولا إلا فى العام ١٨٥٢ الميلادى ، ثم باء ت بعد ذلك بالفشل كل الجهود الأولى التى بذلت من أجل جلب المستوطنين من ما ديرا ، وبعد انسحاب دام فترة قصيرة من المناطق الداخلية المتمردة ، جرى من جديد استئناف التوسع العسكرى فى أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر وزاد الحافز على ذلك التوسع بعد مؤتمر برلين فى العام ١٨٨٤ عندما تقدم المنافسون البريطانيون والألمان بادعاء مفاده أن مناطق كبيرة من المناطق التى كانت تحت الحكم البرتغالى لم تكن تحت تأثير احتلال مبالغ فيه [٢٤] .

وبرغم ذلك لم تكن أنجولا كلها ، إلى قيام الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة استعمارية برتغالية فعالة ، ولم يبدأ العمل الإدارى الحقيقى إلا بعد العام ١٩٢٢ فى ظل البرنامج العام الذى رسمه نورتون دى ماتوس المندوب السامى للجمهورية ، وَسُمِحَ

للأوربيين باستيطان أية أرض شاءوا وبطريقة فوضوية ، ودون ما نظر إلى ما ينادى به الأفارقة من جراء تلك الأعمال ومن الاستغلال الشرس من قبل البيض ، أدى كل ذلك إلى التعجيل بأن يعرب المستوطنون عن سخطهم واستيائهم كما بدأوا يطلقون صيحات الاستقلال عن العاصمة المتحضرة ، وجاءت أكبر صيحة انفصالية من بنجويلا حيث كانت توجد قاعدة قوية تتمثل فى الكوريبيكا **Kuribeka** وهو الفرع الأنجولى الماسونيين الأحرار ، وظلت الحركة الانفصاليه للمستوطنين بمثابة العامل الهام للبيض فى أنجولا الذين يتمتعون بطبيعة الحال ببعض الحريات السياسية القليلة مثل أهليهم فى البرتغال ذاتها ، وكان يسيطر على الأقلية المستوطنة شبح الخوف من أن تتركها لشبونه وتتخلى عنها كما حدث وتخلت فرنسا الأم عن المستعمرين المستوطنين فى الجزائر أثناء حكم ديجول ، غير أن تلك الأقلية المستوطنة نالت تشجيعا كبيرا من جمهورية جنوب أفريقيا إلى الحد الذى كانوا يصدقون معه أن الحامية البيضاء فى الجنوب سوف تهب بسرعة لتعويض أى خسارة فى قوات الدولة الأم وتقديم المساعدة المالية أيضا ، وربما كان هناك احتمال للتفكير فى خلق اتحاد مفكك يضم جنوب أفريقيا البيضاء وحكومات الأقلية البيضاء فى كل من روديسيا وأنجولا وموزمبيق والدول السوادء العميلة التى يمكن أن تدور فى نفس الفلك مثل ليسوتو وبعض المحميات البريطانية سابقا ، وملاوى وبعض الحكومات المحافظة الأخرى .

وقد لعبت حركة الفصل الاستيطانية دورا رئيسا إثارة الوعى الوطنى وايقاظه بين الأنجوليين : ففى البداية وجدت تلك الصحوة تعبيرا ثقافيا خالصا فى تنظيم الجريميو أفريكانو (أنانجولا) **Gremio Africano** الذى تأسس فى العام ١٩٢٩ والذى تغير اسمه بعد ذلك إلى الاتحاد الإقليمى لأقليم أنجولا الطبيعية ، وكان من الضرورى فتح أبواب أى تنظيم للمولدين والخلاسيين الذين ولدوا فى أنجولا وفتح عضويته أيضا أمام أى إمرىء ولد فى أنجولا بصرف النظر عن جنسه ، ومهما يكن من أمر فقد كان من المنتظر أن يكون من يتقدمون بطلباتهم من بين المثقفين ، ونظرا لأن تنظيم أنانجولا كان يهتم منذ البداية بالدعاية والدفا ع فقط عن البرجوازية البيضاء والملونة فقد أصبح بعد ذلك الناطق بلسان الحضارة والقومية الأنجولية ، ومن حول ذلك التنظيم ومجلة

مينساجم **Mensagem** التى يصدرها فرياتو داكروز والتى تنشر فى لواندا التقى جيل من الكتاب الخلاسيين المولدين والمتأوربين كى يتسنى لهم التعبير عن الجوانب الوحشية للاستعمار ويؤكدوا وحدة وقيمة الحضارة الأفريقية وكرامة الملونين .

وحظى مفهوم خصوصية المجتمع الأنجولى والحضارة الأنجولية لكل من البيض والسود والمستيكوس (المولدين) بقبول واسع فى دوائر الطلاب فى كل من لشبونة وبنجويلا ، وفى العام ١٩٤٠ قامت حفنة من الخريجين العاطلين الذين لم يستطيعوا الحصول على وظائف فى الإدارة ، يعاونهم ويساندهم المتعاطفون معهم فى المدارس بمظاهرة ضد ممارسة التعيينات من قبل وزارة ما وراء البحار فى لشبونة ، ونتيجة لاحتجاج هؤلاء العاطلين على إرسال العمال بالقوة إلى ساو تومى ألقى القبض عليهم من قبل شرطة السياسة والأمن السرية ولكنهم تم إطلاق سراحهم بعد ذلك بواسطة الحاكم المحلى على أثر المعارضة أو الاحتجاج الشديد من جانب الجالية الاستيطانية .

وكانت شرطة السياسة والأمن السرية تراقب الليبراليين البيض عن قرب وهو نفس الشىء الذى كان يفعله الوطنيون السود الناشئون ، ونتيجة لولاء تلك الشرطة للشبونة فإنها كانت تقمع دوما الحركة الانفصالية البيضاء كلما ظهرت على السطح . وتأسست فى بنجويلا فى شهر يناير من العام ١٩٦١ الجبهة المتحدة الأنجولية (فوا) **FUA** منبثقة عن حركة العام ١٩٤٠ والطلاب البيض والمفكرين الآخرين الذين تعاونوا مع مجلة مينساجم **Mensagem** ومجلة كيلتورا (الحضارة) (٢٥) التى جاءت بعدها .

وبرغم عدم قبول مطالب الحركة الوطنية السوداء إلا أن الجبهة المتحدة الأنجولية **FUA** (فوا) راحت تضغط وتسعى من أجل الحصول على الاستقلال النهائى « للأمة الأنجولية » التى تتكون من جميع المجموعات الإثنية التى تضمها البلاد ، وألقى القبض على الكثيرين من أعضاء الجبهة المتحدة الأنجولية الذين نقلوا بعد ذلك إلى البرتغال . وهرب البعض منهم إلى فرنسا حيث أسسوا فى سبتمبر من العام ١٩٦١ لجنة فى المنفى . وفى الوقت الذى قدموا فيه التماسا للجنة الفرعية للأمم المتحدة حول الموقف فى أنجولا مفاده أن البلاد لم تكن مستعدة بعد للاستقلال الفورى ، استنكروا فى ذلك الالتماس أيضا وبشدة الاستعمار البرتغالى (٢٦) .

وراحت (فوا) تبحث عن صلات أخويه مع التنظيمات الوطنية الأفريقية بيد أنها لم تستطع توحيد تلك التنظيمات فى جبهة تحرير وطنية تحت زعامة الجبهة المتحدة الأنجولية (فوا) ، ولم يكن لنشاط (فوا) فى المنفى أى صدى فى الوطن حيث رفضت الأغلبية الساحقة من البيض أى اعتراف بالقومية الأفريقية ، وقد أدت الانقسامات العنصرية الواضحة والمتزايدة فى المجتمع الأنجولى إلى تكذيب وعدم صلاحية فكرة أيدولوجية الادماج والتعدد العرقى للدولة الجديدة ، تماما مثل التعدد العرقى فى داخل الجبهة المتحدة الأنجولية (فوا) ، وفى النهاية وجد الليبراليون البيض أنفسهم فى السجن أو فى المنفى دون أن يكون لهم أتباع فى الوطن ، وعلاوة على ذلك ، فإن الدور القيادى الذى كانت تبحث عنه جبهة فوا داخل جبهة التحرير الوطنية المتحدة المزمع تكوينها لم يحظ بقبول ولا بترحيب التنظيمات الأفريقية الأكبر التى كانت تحظى بتأييد جماهيرى مادى وملحوظ .

وتعد أقدم رابطة أهلية indigenous هى « رابطة انجولانا » أو « ليجا أنجولانا » التى تأسست فى العام ١٩١٣ ، وهو تنظيم خلاسى صرف كان يعبر عن مطالب التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى حدود النظام الاستعمارى البرتغالى ، وقد لعب المتأوربون الأنجوليون والخلاسيون الذين كانوا يعيشون فى البرتغال دورا أساسيا فى العام ١٩٢٣ فى الجلسة الثانية التى عقدها فى لشبونة مؤتمر الوحدة الإفريقية ، أما الجلسة الأولى التى عقدت فى لندن فقد حضرها هـ . ج ويلز H. G. Wells ، وهارولد لاسكى واللورد أليفيير كما تلقى المؤتمر برقية تشجيع من رامزى ماكدونالد ، وقرر الدكتور و. إى . بى دوبويس Du Bois عقد الجلسة الثانية فى لشبونة على أمل إقناع الحكومة الجمهورية فى ذلك الوقت باتخاذ وتنفيذ إجراءات عاجلة للإصلاح فى المستعمرات البرتغالية ، مع أن اثنين من الوزراء السابقين فى المستعمرات البرتغالية وَعَدَا المؤتمر باستعمال نفوذهما لتحقيق الإصلاحات المطلوبة ، إلا أن القليل ، بل لا شئ من ذلك نفذ على الإطلاق ، وبخاصة بالنسبة للأعمال الوحشية التى كانت تترتب على نظام العمل الإجبارى (٢٧) .

وقامت مجموعة من الأفارقة فى أنجولا ومجموعة أخرى من المولدين والأفارقة بتأسيس الحزب الوطنى الأفريقى PNA (بنا) فى لشبونة فى العام ١٩٢١ والذى راح

يطالب بإصلاحات فى المستعمرات ضمن دستور الجمهورية الأولى فى البرتغال ، وكان الدكتور « د يبويس » يتطلع إلى تقوية مجموعة المفكرين السود والملونين علاوة على مفكرى الاتحاد الأنجولى عن طريق جعل هذه المجموعة تلعب دورا فى المؤتمر الثالث لحركة الوحدة الأفريقية فى لشبونة ، وعندما جاءت حكومة سالازار إلى الحكم فى العام ١٩٢٦ قامت بخنق نشاطات هذه المجموعة عن طريق الرقابة والإجراءات الشرطية الأخرى ، ومع ذلك بُعِثَ من جديد الاتحاد الأنجولى فى مدينه لواندا بأنجولا فى العام ١٩٢٩ تحت اسم الاتحاد الوطنى الأفريقى LNA (لنا) وهو عبارة عن تنظيم الخلاسيين بين يسعى ويضغط من أجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى للمتعلمين والمدمجين فى حدود البنيان الاستعمارى ، ومع ذلك انقسم الاتحاد الوطنى الافريقى (لنا) فى الخمسينيات بين المحافظين القدامى وبين الراديكاليين الشبان الذين كانوا يطالبون بالتقدم الثقافى ، والاجتماعى للجماهير الافريقية وأيضا للصفوة .

أما الجمعية الثقافية الأنجولية التى تأسست فى العام ١٩٤٣ وزعمت أنها اتحاد ثقافى ، فكانت لها أهمية كبيرة فى نمو حركة القومية الأنجولية ، وفى الحقيقة أن ذلك التجمع كان له مغزى سياسى أكثر من مغزاه الثقافى بالنسبة الليبراليين والماركسيين الأوربيين ؛ فقد أعطاهم الفرصة لنشر أفكارهم بين الطلاب وصغار المثقفين ، وكان أعضاء الجمعية الثقافية الأنجولية الراديكاليين ، على اتصال بالشعراء الوطنيين فى مجلتى المينساجم والكيلتورا وهى المجلة التى حلت محل الأولى ، وقام بعض الأعضاء الراديكاليين فى تلك المجموعة من أمثال فرياتو داكروز ، المحرر المولد الشجاع فى مجلة المينساجم ، وما ريو دى أندرأدى الشاعر الخلاسى الذى يلهب العواطف ، بتكوين الحزب الشيوعى الأنجولى غير الشرعى فى أكتوبر ١٩٥٥ ، ومع ذلك فإن المنظمين الحقيقيين لهذا الحزب كانوا من الموظفين الأوربيين فى أنجولا ممن كانوا أعضاء سريين فى الحزب الشيوعى البرتغالى .

وفى مطلع العام ١٩٥٦ اتحد الحزب الشيوعى الأنجولى مع المجموعات الراديكالية الأخرى ليكون معها حزب كفاح الأفارقة فى أنجولا PLUA (بلوا) الذى كان يظهر كجبهة وطنية متحده ، وعلى ذلك يكون الحزب الشيوعى الأنجولى ، برغم صغره ، أول حزب ثورى فى البلاد ، أما الحركة الشعبية لتحرير أنجولا M.P.L.A التى

تأسست في شهر ديسمبر من العام ١٩٥٦ فهى تسير فى خطى سلفها أضف إلى ذلك أن الكثيرين من زعماء هذه الحركة ينتسبون إلى الحزب الشيوعى الأنجولى عن طريق حزب كفاح الأفارقة فى أنجولا **PLUA** (بلوا) ، أما حركة الاستقلال الوطنى لأنجولا **MINA** (مينا) فقد أنشئت أيضا إما فى العام ١٩٥٧ أو ١٩٥٨ ؛ ويحتمل أنها كانت جزءً من برنامج لإلغاء المركزية ويهدف أيضا إلى جمع أكبر جبهة ممكنة حول الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، التى تم توحيدها رسميا بعد ذلك [٢٨] .

وفى العام ١٩٥٩ دخلت شرطة السياسة والأمن السرية المدن الأنجولية لسحق الاضطرابات المتزايدة بين الأوربيين الليبراليين والراديكاليين والمولدين والمثقفين الأفارقة ، وتم إلقاء القبض على المئات بين شهرى مارس وديسمبر ؛ كما جرت فى شهر يناير من العام ١٩٦٠ « محاكمة » سرية لخمسين فردا وجهت لهم اتهامات وحكم عليهم بالسجن لآجال طويلة بتهمه التخريب السياسى ، وفى نفس الوقت ، بدأ الجيش البرتغالى فى أنجولا يحضر ويجهز سرا التدعيمات اللازمه لمواجهة الانتفاضات الوطينة المحتملة ، وعلى كل حال ، يجب أن يكون واضحا لدينا أن العنف حتى ذلك الوقت كان من جانب الإدارة الاستعمارية فقط علها يتسنى لها قمع الحركة الحضرية التى كان يقوم بها الأوربيون الانفصاليون ، والمثقفون من المولدين وحفنة قليلة من المتأوربين الأفارقة ، وجاء ذلك بمثابة القاعدة الأساس للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، وهذا بدوره يحتم دراسة تصرفات تلك الحركة بعد ذلك فى ضوء هذه الحقيقة.

وفى الريف بدأ ينمو شكل آخر من أشكال القومية ، ولم يغب عن الذهن تراث المقاومة القبلية للاحتواء البرتغالى وبخاصة فى ذلك الجزء من مملكة الكونغو التى طلب منها الملوك المسيحيون فى وقت من الأوقات ولكن بدون جدوى أن تساعدهم على إدخال النظم الحديثة إلى أراضيهم ، وبدلا من ذلك سمح البرتغاليون بنهب تلك الأراضى عن طريق تجارة الرقيق ؛ وفى النهاية وقف البرتغاليون إلى جانب مملكة اندونجو والدول المنافسة الأخرى كى يتسنى لهم تدمير سلطتها وإخضاعها مع جميع الدول الأفريقية المتحاربة الأخرى للقهر البرتغالى ومن ثم فى النهاية إخضاعها للحكم البرتغالى الاستعمارى ، وبرغم هزيمة مملكة الكونغو وانهيارها بقى ملوكها على قيد الحياة كما بقيت أيضا مظاهر الحكم التقليدى فى مدينة ساوسلفادور وما حولها ، ولم يكن

الكثيرون من الكونغوليين على عداء كامل مع المسيحية أكثر من المصادر الأخرى التى أفسدت الكاثوليكية الرومانية معظمها فى أواخر القرنين الخامس والسادس عشر من أمثال الملك جاوو الأول والملك أفونسو الأول ، وفى العام ١٨٧٨ سمح الملك دوم بدور ، الذى كان فى الحكم للجمعية التبشيرية البابوية فى لندن بإنشاء إرسالية تبشيرية لها فى عاصمته .

وفى الوقت نفسه كان الاستعمار البرتغالى يعتمد على البعثات التبشيرية الكاثوليكية فى دعم الدفاعات العقائدية للإمبراطورية ؛ زد على ذلك أن السلطات البرتغالية أثناء الحرب العالمية الأولى قامت بإرسال بعض القوات إلى منطقة باكونجو كما تم فى داخل ذلك الإقليم تجنيد الأفارقة بالقوة فى الجيرابريتا **Guerra Preta** أى (القوة السوداء المساعدة للجيش الاستعمارى البرتغالى) كى يقوموا بالقتال فى جنوب البلاد ، وفى النهاية عزل الملك البروتستانتى دوم مانويل كيديتو وحل محله ملك كاثوليكى ، وهرب الكثيرون من الباكونجو شمالا إلى الكونغو التى تحت الحكم البلجيكى فى ذلك الوقت ، ومن هنا تكون هذه العملية بداية هجرة الأنجوليين إلى الكونغو ، تلك الهجرة التى وصلت إلى نسبة كبيرة جدا قدرت بعشرات الآلاف من اللاجئين بعد العام ١٩٦١ وبخاصة بعد أن اشتد إوار القتال فى شمال أنجولا .

وبطبيعة الحال ألقى البرتغاليون باللائمة على الصعاب التى واجهتهم فى الشمال نتيجة نشاط البعثات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية والبريطانية هناك ، كما بذل البرتغاليون جهودا كبيرة لتحديد البعثات التبشيرية أو إبعادها تماما ؛ غير أنه فى ذلك الوقت كان البروتستانتيون قد أصبحت لهم قبضة قوية على جماهير باكونجو ، وبعد وفاة الملك دوم بدرو السابع فى ١٧ من أبريل من العام ١٩٥٥ قامت مجموعة ملكية معارضة – كانت تتكون أساسا من البروتستانتيين الذين يعيشون فى الكونغو – بمحاولة تولى السلطة على أساس حديث . وهنا تدخلت السلطات البرتغالية بدور الوساطة فى أزمة ولاية العرش ، وألقى القبض على المعارضين على حين أعلن حرمان آخرين من العودة إلى أنجولا من منفاهم فى الكونغو .

وبعد وفاة دوم أنطونيو الثالث الكاثوليكى فى ١١ من يوليه من العام ١٩٥٧ الذى نصبه البرتغاليون ملكا ، منعت السلطات الاستعمارية المخيفة اختيار خلف له إلى العام

١٩٦٢ وفضلت على ذلك بقاء المملكة تعانى من ظروف غير مواتية فى ظل دونا إزابلا داجـامـا Dona Isabela da Gama الملكة الأرملة ؛ مع الاحـتـفـاظ بـهـا تمامـا تحت سيطرتهم ودون أن يكون لها أية سلطة كبيرة على شعبها ، أما الباكونجو فقد قاموا من منفاهم عبر الحدود فى الكونغو بالتجمع فى العام ١٩٥٧ فى اتحاد شعب شمال أنجولا UPNA (يوبنا) ، ونقلا عن جون . أى ماركوم فإن النواة الأصلية للمقاتلين فى ليوبولدفيل ومتادى عندئذ لم يزد عددها على اثنى عشر فردا فى كل مدينه على (٢٩) حده ، ومنذ البداية راح تنظيم يوبنا (اتحاد شعب شمال أنجولا) الذى كان فى أساسه تنظيما قبليا أنجوليا تربطه علاقات وثيقة بشعب الباكونجو ، الذى جرى وضعه تحت الحكم البلجيكى فى الكونغو نتيجة التقسيم الأوربى الذى حل صدفة بأفريقيا ، راح تنظيم يوبنا يعبر عن قومية باكونجية خالصة ، كما راح تنظيم يوبنا يتطلع أيضا إلى تجديد مملكة الكونغو القديمة بدلا من خلق دولة أنجولية مستقلة .

ثم قررت منظمه يوبنا فى اجتماعها الذى عقدته فى نوفمبر من العام ١٩٥٧ فى مدينة كاتير Cattier فى الكونغو ، إرسال مندوب لها إلى الخارج للسعى لدى أفريقيا المستقلة وفى أروقة الأمم المتحدة ، وكانت الظروف هى التى أجلت هذا التصرف وبخاصة القيود الصارمة التى فرضتها السلطات البلجيكية على النشاط السياسى فى الكونغو ، ومن الأمور الملحوظة أن مانويل باروس نيكاكا رئيس منظمة يوبنا ظل على إتصال بالقس جورج هوسر Reverend George Houser رجل الدين الأمريكى البروتستانتى الذى كان يشغل منصب المدير التنفيذى للجنه الأمريكية المعنية بأفريقيا وعندما كان نيكاكا يجرى اتصالاته مع هوسر فى نيويورك حول إرسال مبعوث لمنظمته فى الخارج علم بانعقاد مؤتمر شعوب كل أفريقيا فى غانا فى العام ١٩٥٨ تحت رياسة الرئيس كوامى نيكروما ، وبفضل هوسر قام جورج بادمور الذى كان ينظم ذلك الاجتماع ، بإرسال دعوة رسمية إلى نيكاكا كى يقوم بتمثيل منظمة يوبنا فى الاجتماع .

أما هولدن روبرتو ابن شقيق نيكاكا فهو الشاب الذى تم اختياره للسفر إلى الخارج ، وقد ولد روبرتو فى ساو سلفادور فى ١٢ من يناير من العام ١٩٢٣ وسمى باسم المبشر البابوى البريطانى الذى قام بتعميده ، وقد أخذته إحدى عماته إلى

الكونغو فى العام ١٩٢٥ حيث انضم إليه والديه هناك بعد ذلك ، وقد تلقى روبرتو تعليمه فى مدرسة الجمعية التبشيرية البريطانية فى ليوبولدفيل وأوفد بعد ذلك إلى المدرسة المتوسطة فى ساو سلفادور فى ١٩٤٠ - ١٩٤١ ، وعندما عاد روبرتو إلى الكونغو ، عمل لحساب الإدارة البلجيكية ، فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦ فى ليوبولدفيل وبوكافو واستانلى فيل ، حيث التقى هناك بباتريس لومومبا ، وبدأ روبرتو نشاطه السياسى فى العام ١٩٥١ ، بعد أن انتابته صدمة نتيجة وحشية البرتغاليين التى شهدها أثناء زيارته لأنجولا التى استمرت ثلاثة أسابيع .

وتحت اسم مستعار سافر هولدن روبرتو فى العام ١٩٥٨ لحضور مؤتمر شعوب كل أفريقيا - وقد سافر روبرتو عن طريق الكونغو برازافيل ، والكاميرون البريطانية والفرنسية ، ثم نيجيريا - زد على ذلك أن روبرتو لم يكن لديه فى الحقيقة أية وثائق إلى حد أنه أمكنه عن طريق مقر المندوب السامى الغانى فى لاجوس ، الحصول على ترخيص من بادمور باصدار المستندات اللازمة كى يتسنى دخول روبرتو إلى غانا . وعلى ضوء النقد الذى وجه من قبل زعماء حركة الوحدة الأفريقية المعترف بهم ، الذين جاءوا لحضور المؤتمر من أمثال فرانز فانون ، وكينيث كاوندا ، وتوم مبويا ، وباتريس لومومبا - تخلى روبرتو إلى الأبد عن حلمه بإحياء مملكة الكونغو القديمة واستبدله بهدف آخر هو تحقيق دولة أنجولية مستقلة ، بل إن روبرتو حتى عندما كان أمام مؤتمر شعوب كل أفريقيا الذى افتتح فى الخامس من شهر ديسمبر ، حول اسم يوبنا إلى UPA (يوبا) أى اتحاد شعب أنجولا كما قام روبرتو بتوزيع وثيقة تفتح ذلك التنظيم أمام جميع الأفارقة الذين هم أصلا من أنجولا ، وبدون تمييز بالنسبة للجنس ، أو العمر أو الأصل الاثنى أو المحلى [٣٠] .

وبسرعة بدأ اتحاد شعب أنجولا (يوبا) ينتشر فى المنطقة الريفية فى جنوب أنجولا حول لشبونه الجديدة ومدينة لوبيتو بين شعوب الاوفمبيندو وشعوب «آلناهنيكا - هومبى » ، وقد حدث ذلك برغم أن العقيدة التى كانت لدى البرتغاليين كانت تقضى باعتبار مدينة سادابانديرا مدينة برتغالية إلى حد كبير ، إذ إنها كانت مركز للاستيطان البرتغالى منذ زمن طويل إلى الحد الذى يمكن معه للحياه الاجتماعية والاقتصادية فى تلك المدينة أن تفرض نفسها تماما على الطلاب الأفارقة الذين كان يتم إرسالهم إليها لتلقى تعليمهم الثانوى هناك ، وكان من بين هؤلاء الطلاب جوناز

سافمبى الذى أصبح بعد ذلك سكرتير الشئون الخارجية لاتحاد شعب أنجولا (يوبا) والذى قام بعد ذلك بزعامة المجموعة التى نجحت فى الانسلاخ عن اتحاد شعب أنجولا وكونت ما يسمى باسم الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا UNITA (يونيتا) .

وفى العام ١٩٤٨ كان البرتغاليون يواجهون انتفاضة خطيرة فى إقليم شعب هومبى ، بقيادة كاسيلا Kassela زعيم تلك القبائل ، أما إدوارد وفيتور يوبيريرا ، وهو أحد الخلاسيين ، فقد قام مع بعض من أصدقائه بتأسيس الاتحاد الطبيعى لأنجولا UNATA (يوناتا). الذى عقد اجتماعا سريا فى بنجويلا فى العام ١٩٥٦ ، كما قام بإرسال التماس غير موقع إلى السلطات البرتغالية فى العام ١٩٥٨ . واستطاعت شرطة السياسة والأمن السرية البرتغالية اكتشاف من كتبوا الالتماس ومن اشتركَ معهم وألقى القبض عليهم جميعا ، وفى الجنوب أيضا كان يوجد شعب الكوانهاما Cuanhama ، وهو مجموعة فرعية من الأوفامبو كانت توجد فى أقصى الإقليم الشمالى من جنوب غربى أفريقيا ، كما كان لها تاريخ طويل فى الكفاح القبلى المسلح ضد الاستعمار البرتغالى ، أما ظهور القومية فى جنوب غربى أفريقيا وبخاصة تكوين منظمة شعب أوفامبولاند (OPO) ، التى أصبحت فيما بعد المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا Swapo (سوابو) ، فقد أدى إلى دعم الحركة القومية على الجانب الأنجولى من الحدود أيضا ، وأقامت منظمة سوابو بعد ذلك علاقات تعاون مع اتحاد شعب أنجولا (يوبا) ومع الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) [٣١] أما عن الخطوط الرئيسية التى تطور الكفاح الوطنى الأنجولى على أساس منها فلا تزال هى نفس الخطوط التى تفصل بين الحركات الوطنية مثل : الأصل العرقى والأقليمى ؛ والأسباب الطبقية والتعليم الذى لقيه زعماء تلك الحركات (الذى يتراوح بين صفوة المولدين الحضرية والمتقدمة نسبيا والشخصيات القبلية المرموقة التى لها علاقات متينة مع الجماهير فى الريف) أما بالنسبة للدعاية العقائدية الأجنبية – سواء أكانت من الشرق أو الغرب أو من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أو من الصين أو الولايات المتحدة – فقد أدت فقط إلى المزيد من تجزئة تلك الحركات .

الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا)

تأسست الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) فى شهر ديسمبر من العام ١٩٥٦ كحزب سياسى وطنى سرى ، وذلك بوحى من الحزب الشيوعى الأنجولى PCA (بكا) الذى جاء بمثابة انسلاخه عن الحزب الشيوعى البرتغالى ، وكما أوضحنا فى القسم السابق كان حزب الكفاح الأفريقى الأنجولى PLUA (بلوا) ساقا لتلك الحركة . أما ذلك الكفاح فكان عبارة تجميع لبعض التجمعات الراديكالية الصغيرة من أمثال الحزب الشيوعى فى لواندا ومالانجى وكاتيتى التى لها برنامج عمل مماثل لبرنامج عمل الحزب الشيوعى الأنجولى [٣٢] ، ثم انضمت بعد ذلك ، إلى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) تجمعات أخرى عديدة صغيرة كانت تسيطر على الحزب الشيوعى الأنجولى ، وبخاصة حركة استقلال أنجولا MPIA (مبيا) .

وفى أواخر الأربعينيات كان أعضاء الحزب الشيوعى البرتغالى فى أحيان كثيرة يدعون ويروجون للحزب بين الطلاب والمثقفين الذين من أصل أوربى وبين المولدين فى لواندا ، أما مؤسس ذلك الحزب فكان أصلاً واحدا من الموظفين الأوربيين الذين كانوا أعضاء سريين فى الحزب الشيوعى البرتغالى ، ولكن تحددت لهم مناصب فى أنجولا . وبطبيعة الحال فإن الحزب كان – ولايزال – محظورا فى البرتغال والأراضى التابعة لها فيما وراء البحار ، وسيطر الماركسيون أيضا على الجمعية الثقافية الأنجولية صاحبة النفوذ التى استطاعوا من خلالها الوصول إلى التجمعات الطلابية .

وربما كانت تلك الحفنة من الشيوعيين هى التى كان لها تأثير صغير باستثناء موجة القومية الثقافية غير العادية التى كانت تكتسح الدوائر الفكرية فى أنجولا فى ذلك الوقت ، أما منطقة جمع الشمل التى كانت تسمى نفسها حركة « هيا نكتشف انجولا » فقد كانت تتمثل فى مجلة مينساجم التى أسسها فى العام ١٩٥٠ (فرياتو داكروز) الشاعر المولَّد الموهوب ، وقد ولد داكروز فى ٢٥ من مارس من العام ١٩٢٨ ، بمدينة كيكوفو وتلقى تعليمه فى لوندا ، وقد نشر داكروز قصائد وقصصا ومقالات يحتج فيها على المظاهر الوحشية للحكم الاستعمارى ، زد على ذلك أن داكروز يحتج أيضا فى تلك القصائد والمقالات على حركة التأورب البرتغالية ، كما يؤكد أيضا على القيم الحضارية الأفريقية غير المتجانسة وكرامة الرجل الأسود ، وليس من المدهش ألا يتحمل الحاكم

العام لأنجولا سوى اثنين من تلك الأشعار والمقالات التى تدخل فى إطار ذلك النشر التخريبى ، وفى العام ١٩٥٧ أسس بعض الذين ساهموا فى هذا النشاط التخريبى مجلة « الثقافة » التى لم تعش إلا فترة قصيرة .

ويرغم إن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) كانت مستوحاة من الشيوعيين البرتغاليين فقليل من الأفارقة المندمجين انضموا إليها ، إلا أن الحركة فى أساسها كانت عبارة عن تنظيم أنشأه ذووى الدماء المخلطة ، وجاء نشاط تلك الحركة مقصورا على لواندا أو المركز الحضرية الأخرى ، وكما توقعنا فإن التوجيه فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) جاء توجيها فكريا إلى حد بعيد ، أما أول رئيس لتلك الحركة فكان إليديو تومى الفيس ماشادو ، الذى ولد فى العام ١٩١٥ فى لواندا ، كان ما شادو رجل أفكار أكثر منه رجل يحظى بقبول الجماهير (٣٣) وكان فرياتودا كروز أول أمين عام للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، أضف إلى ذلك أنه كان يعمل محررا من قبل فى مجلة مينساجم ، ونظرا لأن داكروز تخرج من مدرسة ليسيو فى لواندا فقد عمل لحساب إدارة التربية والتعليم إلى أن طرد فى العام ١٩٥٢ بسبب نشاطة السياسى ، ثم التحق بعد ذلك بوظيفة أمين مكتبة فى شركة خاصة إلى أن هرب منها إلى البرتغال وأخيرا إلى فرنسا خوفًا من القبض عليه ، وفى فرنسا ، أصبح داكروز واحداً من أوائل المؤسسين للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) فى المنفى ، وبقى داكروز أمينا عاما للتنظيم إلى العام ١٩٦٢ ، عندما تطورت الخلافات الخطيرة وازدادت بين زعماء حركة مبلا .

ومع أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا كانت على علم بمراقبة شرطة الأمن والسياسة السرية لأتباعها ، فضلا عن تخوفها من تسرب العملاء إلى صفوفها ، إلا أن إلقاء القبض على الجماهير فى أنجولا فى العام ١٩٥٩ جاء على نطاق أكبر مما كانت تتوقعه تلك الحركة ، ووصل إلى علم داكروز بعد ذلك أن إلقاء القبض على أتباع الحركة بدءً من شهر مارس من العام ١٩٥٩ جعل من المستحيل على الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (أى البرولتاريا فى لواندا والمدن الأخرى فى انجولا) أن تتولى قيادة الحركة الفلاحية المسلحة وتقودها قيادة فعالة (٣٤) ، ونظرا لأن داكروز كان واحدا من الأتباع المتعصبين للماركسية اللينينية فقد كان يضع فى اعتباره دائما أن الصراع الدائر فى

أنجولا هو نتيجة المتناقضات الاجتماعية العتيقة التى نتجت عن تأسيس الرأسمالية فى تلك البلاد (٣٥) .

ووقع المئات من الأشخاص فى فخ الصيد الذى نصبته لهم شرطة السياسة والأمن ، وكان (اليديو ماشادو) من بين هؤلاء الأشخاص : فقد ألقى القبض عليه أثناء زيارته مدينة لشبونة وأعيد إلى السجن فى لواندا ، وفى اليوم الثامن من شهر يونية من العام ١٩٦٠ ألقى القبض على (أوجستينو نيتو) أحد الأعضاء البارزين فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، كان نيتو الذى ولد فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٢٢ من أب قس بواحدة من الكنائس الميثودية ، وبعد أن تلقى نيتو تعليمه الثانوى فى لواندا حصل على منحة عن طريق الكنيسة الميثودية لدراسة الطب فى البرتغال أولا فى جامعة لشبونة ثم بعد ذلك فى كويمبرا ، ويوم أن كان نيتو طالبا كان أيضا زعيمًا لحركة شبابية معادية للفاشية هى حركة الوحدة الديمقراطية للشباب (MUDj) ، زد على ذلك أن نيتو كان شاعرا أيضا ، وقد جنى من وراء نشاطه السياسى وقصائد الاحتجاج إلقاء القبض عليه فى العام ١٩٥٢ ؛ وعقب إلقاء القبض عليه أكره على الإقامة فى الريف فى الفترة من فبراير من العام ١٩٥٥ إلى يونيو من العام ١٩٥٧ ، ومع ذلك استطاع نيتو أن يكمل تدريبه الطبى بنجاح فى العام ١٩٥٨ ، وعاد الطبيب نيتو إلى أنجولا فى العام ١٩٥٩ ليعمل ممارسا عاما كما اصبح أيضا رئيسا للجنة القيادية للتنظيم السرى للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) .

وبعد إلقاء القبض عليه قام القرويون فى المنطقة التى تمتد من بنجو إلى كاثينى بمظاهرة لعلهم يتسنى لهم : إطلاق سراحه ، وفتحت القوات البرتغالية النار عليهم وقتلت منهم ثلاثين شخصا وجرحت أكثر من ٢٠٠ آخرين، وبعد ذلك بيوم واحد قامت القوات البرتغالية بتدمير قرية بنجو تدميرا كاملا ، كما دمرت أيضا قرية إيكولو وقتلت وألقت القبض على كل من كانوا فى القريتين (٣٦) .

ومع أن هذا العنف ، الذى يقوم على الإبادة الجماعية ، لم يتكرر مرة ثانية فى أى مكان آخر إلا أن إلقاء القبض على الجماهير فى المدن كان يستهلك الجزء الأعظم من كوادر الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) تلك الكوادر التى كانت تركز جهودها فى حركة للطبقة العاملة بين البروليتاريا التى كانت تتكون من السود والمولدين الذين

كانوا يعيشون فى ظروف من البؤس المتزايد نتيجة للزيادة السريعة فى عدد المستوطنين الأوربيين . (فى عام ١٩٥٥ كان عدد الأوربيين قد تضاعف عشر مرة عنه فى عام ١٩٠٠) ، وهنا وجد الأفارقة الذين اعتادوا حياة الحضر منذ فترة طويلة ، وهاجروا إلى المدن أنهم يعانون أيضا سوء المصير نفسه ، وبكلمات داكروز نفسه : « البطالة المقنعة ، والبطالة وانعدام الأمن والأمان » ويضيف :

« إن التنافس بين العمال الأفارقة وبين العمال الأوربيين ، الذى كانت تحرض عليه الشركات الرأسمالية فى أنجولا ، ساعد أيضا على زيادة كل أنواع التمييز والصراع العنصرى ، ويرجع السبب فى ذلك إلى الحقيقة التى مفادها أن الغالبية العظمى من المستوطنين البرتغاليين كانت تنتمى إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا شجع تلك الغالبية - فى معظم الأحيان - على أن تفيد من صفتها العرقية [٣٧] .

ومع ذلك لم تكن الاتصالات بين المثقفين المتقدمين نسبيا وبين الجماهير الأمية أمرا سهلا أو ميسورا - واستطاعت شرطة السياسة والأمن السرية أن تضرب ضربتها قبل أن يصبح أى تنظيم جماهيرى هناك أمرا واقعا ، ومع ذلك - وفى نوبة يائسة - اتخذت الكوادر المتبقية من كوادر الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) قرارا خاطرت الحركة بمقتضاه فى ٤ من فبراير من العام ١٩٦١ بكل ما لديها خلال تحرك كبير فى لواندا وبخاصة أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا قد شدت من عزمها عن طريق الإشاعات التى ترددت عن انتفاضات قام بها الفلاحون فى الشمال ولم يكن هناك اتصال مباشر بين الثوار الفلاحين وبين المثقفين الماركسين الذين كانوا يخشون الثورة القبلية ويخافونها خشيتهم وخوفهم من سلطات الاستعمار ، وفى كاسنجى تمرد فى أوائل شهر يناير ، أتباع عبادة ماريا المهدوية التى كانت تسمى باسم زعيمهم أنطونيو ماريانو ، وراح أتباع تلك العبادة فى ذلك التمرد ينشدون التراتيل تمجيدا لباتريس لومومبا وجوزى إدواردو بنوك الزعيم البروتستانتى للباكو نجو وتمجيدا أيضا لماريا نفسه [٣٨] .

وفى الحال قامت الطائرات والقوات البرتغالية بسحق تلك الحملة شبه الصليبية التى كانت تنادى بالاستقلال وتم فى شهر مارس أسر ماريا والتمثيل به : فقد أودع أحد سجون البرتغال ، حيث قيل إنه مات ولم تظهر فى الصحف الأنجولية أو البرتغالية

أية تقارير صحفية عن « حرب ماريا » ، وحظر على القادمين من الخارج الدخول إلى الإقليم إلى ما بعد انتهاء القوات البرتغالية تماما من عمليات التطهير بفترة طويلة ، وعلى كل حال فقد أبلغت الآلاف من اللاجئين الذين هربوا إلى الكونغو عن نشوب القتال بعد ذلك (٣٩) .

وفى ٢٢ من يناير من العام ١٩٦١ قام الكابتن هنريك جلفاو زعيم المعارضة فى البرتغال ، مع مجموعة من أتباعه باختطاف الباخرة سانتا ماريا ، ووصلوا بعد ذلك بأحد عشر يوما إلى البرازيل ، غير أن الكثيرين كانوا يعتقدون أن جلفاو ربما يتجه مباشرة إلى أنجولا على أمل تولى الأمور هناك ، ونتيجة لذلك امتلأت لواندا بالصحفيين الأجانب المتحمسين فى أوائل شهر فبراير ، وثمة عامل آخر من العوامل المشجعة لهجوم مفاجىء فى لواندا كان يتمثل فى دراسة الأمم المتحدة المنتظرة للالتماس الذى تقدمت به الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى شهر سبتمبر السابق من أجل تقصى بعض حقائق الوضع السائد فى أنجولا .

وأصدرت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا قرارا بإطلاق سراح الأعضاء المحتجزين فى السجون ومراكز الشرطة فى العاصمة الاستعمارية ، وفى يوم ٤ من فبراير وقبل الفجر : قامت عدة مئات من المقاتلين بمهاجمة أحد مراكز الشرطة وقلعة ساوباولو التى كان يجرى استعمالها كسجن من السجون ، وورد فى أحد التقارير أن سبعة من رجال الشرطة البرتغالية قتلوا على حين مات حوالى أربعون أفريقيا فى ذلك الهجوم الفاشل . وفى يوم ٥ فبراير بعد تشييع جنازة رجال الشرطة السبعة قام المستوطنون البيض المسلحون بهجوم مسعور فى لواندا ، وراحوا فيه يقتلون السود دون تمييز . وفى يوم ١٠ من فبراير انتهى بالفشل هجوم آخر وقع على أحد السجون ، ونتج عن ذلك الهجوم وفاة سبعة أشخاص كما جرح سبعة عشر آخرين ، وأعقب ذلك مذبحة على نطاق واسع للأفارقة والمولدين قامت بها الشرطة والحرس المدنى ، ويحتمل أن تكون الخسائر الدقيقة فى الأرواح غير معروفة ، ولكن من المؤكد أن مئات عديدة قتلت ، وبذلك – ورغم كل شىء – غرقت فى الدم أسطورة الوئام العنصرى فى المستعمرات البرتغالية .

وعند هذا الحد أصبحت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا مجرد تنظيم فى المنفى ، أما فرياتو داكروز نفسه فكان بالفعل فى فرنسا ، وانضم إليه هناك خلاسيون آخرون

كان من بينهم الشاعر ماريو أندرادى ولوشيو لارا ، الذى كان سليل إحدى الأسر التى كانت تمتلك واحدة من المزارع ، وفى العام ١٩٥٩ شارك داكروز وأندرادى فى المؤتمر الدولى الثانى للكتاب الزنوج والفنانين الذى عقد فى مدينة روما وكانا قد شاركا من قبل فى مؤتمر الكتاب الأفرو آسيويين فى أكتوبر ١٩٥٨ فى طشقند غير أنهما لم يحضرا مؤتمر شعوب كل أفريقيا الذى عقد فى أكرا فى شهر ديسمبر من العام ١٩٥٨ ، والذى تخلى فيه هولدن روبرتو عن سياسته القبلية ، زد على ذلك ، أن هولدن روبرتو أعلن تخليه عن سياسته القبلية فى اجتماع عقد فى تونس ، كما رفض أيضا الانضمام إلى الجبهة الثورية الأفريقية للاستقلال الوطنى **FRAIN** (فرين) .

وقد ولد أندرادى فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أغسطس من العام ١٩٢٨ فى مدينة جولنجو آلتو فى إقليم دمبوس **Dembos** فى أنجولا وبعد أن أنهى أندرادى تعليمه الثانوى فى لواندا ، سافر للدراسة فى أوربا ، أولا فى جامعة لشبونة ، التى أمضى فيها ست سنوات ، ثم بعد ذلك فى جامعة السربون التى كان يتردد فيها على الدوائر اليسارية ، وفى العام ١٩٥٧ وبالاشتراك مع بعض المنفيين الآخرين من المستعمرات البرتغالية - ساعد أندرادى على تأسيس حركة مشتركة أسماها الحركة المعادية للاستعمار **MAC** (ماك) . وفى شهر يناير من العام ١٩٦٠ ، وأثناء انعقاد المؤتمر الثانى لشعوب كل أفريقيا ، فى تونس تحولت الحركة المعادية للاستعمار إلى ما يسمى الجبهة الثورية الأفريقية للاستقلال الوطنى (فرين) ، وقد حضر هولدن روبرتو أيضا اجتماع تونس ورفض فيه الانضمام إلى تلك الجبهة .

وأثار استقلال الكونغو فى شهر يونية من العام ١٩٦٠ خيالات فى المنفى حول وضع نهاية سريعة للحكم الاستعمارى فى أنجولا والمستعمرات البرتغالية الأخرى . وفى شهر نوفمبر ، أقرت اللجنة الرابعة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة أن « أقاليم » البرتغال ، فيما وراء البحار ، تعد فى الحقيقة مستعمرات وطلبت اللجنة - طبقا لنصوص ميثاق الأمم المتحدة - إلى لشبونة أن توافيها بمعلومات عن عدد تلك المستعمرات ، وكان أندرادى لا يزال يعرب عن آمال الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى الوصول إلى « حل سلمى للمشكلة الاستعمارية » على حين كان يتحدث زميله داكروز صراحة عن عمل مباشر سوف يجرى لتحقيق وكسب الاستقلال ، وادعت زعامة الجبهة

الشعبية لتحرير أنجولا بعد ذلك أن تلك التصريحات المتناقضة فى باريس إنما كانت فى الحقيقة إشارة للقوات التابعة لحركة مبلا فى لواندا كى تقوم بهجومها فى يوم ٤ فبراير (٤٠) .

غير أن الهجوم الذى شنه عدد يقل عن مائة مقاتل باء بالفشل ، ولم يطلق سراح أى من الأسرى ، وتم التخلص تماما من الكوادر الحضرية التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) إما بالقضاء على تلك الكوادر أو بنجاحها هى نفسها فى الهرب ومهما يكن من أمر ، فقد قامت فى الريف انتفاضة ثورية حقيقية ، فى ١٥ من مارس ، بقيادة اتحاد شعب أنجولا ، وقد عمت تلك الانتفاضه كل أنحاء المناطق الشمالية من أنجولا ، وبرغم رضى زعماء الحركة الشعبية لتحرير أنجولا عن تلك الضربة الشاملة ضد الاستعمار فقد روعتهم تلك الوحشية البدائية المزعومة التى تعامل بها شعب الباكونجو مع المستوطنين البيض ، ومع المولدين بل وحتى السود من القبائل الأخرى . وقد استغلت تلك الحكايات عن الغطرسة والوحشية – التى بالغت فيها الدعاية البرتغالية بصورة واضحة – منذ ذلك التاريخ كدليل على الطابع القبلى « المتخلف » لاتحاد شعب أنجولا (يوبا) الذى يتزعمه هولدن روبرتو – وقد أقنعت تلك « المبالغات العنصرية » المزعومة التى ارتكبها الفلاحون المقاتلون زعامة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) بأنها هى الطريق الوحيد « المهذب » إلى التقدم وتوجيه الفلاحين الجهلة إلى السير فى طريق الخلاص (٤١) .

وجاء القمع الشرطى الذى بدأ فى العام ١٩٥٩ ، ثم بعد ذلك الفشل الذى منيت به انتفاضة ٤ من فبراير من العام ١٩٦١ فى لواندا وأخيرا نجاح اتحاد شعب أنجولا فى ثورته الجماهيرية فى الشمال بمثابة الضربات الموجعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، وراحت المنظمة تحارب فى يأس من أجل البقاء وشنت هجوما دبلوماسيا من أجل التأييد الدولى ، وفى الوقت الذى كان روبرتو يتطلع فيه إلى المصادر الغربية – وبخاصة الجماعات التبشيرية الأمريكية – طلبا للمساعدة والعون ، كانت الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا تجد المتعاطفين الطبيعيين معها بين الشيوعيين الأوربيين واليساريين الآخرين – كما أصابت الجبهة أيضا بعض المكاسب على الجبهة الأفرو – آسيوية بأن حلت محل اتحاد شعب أنجولا الذى تغيب عن حضور اللجنة القيادية

لمؤتمر شعوب كل أفريقيا الثالث الذى انعقد فى القاهرة فى شهر مارس من العام ١٩٦١ ، كما شاركت الجبهة أيضا بدورها فى الجلسة الثالثة لمجلس منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا الذى إنعقد فى باندونج فى شهر أبريل .

ثم اجتمعت أيضا الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وحلفائها من الجبهة الثورية الأفريقية للاستقلال الوطنى (فرين) فى الدار البيضاء فى شهر أبريل لتكوين منظمة إقليمية هى مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية CONcP (كونسيب) . وبرغم الدعوة التى وجهت إلى اتحاد شعب أنجولا لا أنه لم يحضر الاجتماع الذى تقرر فيه إنشاء سكرتارية دائمة للمنظمة فى الرباط تحت رعاية مارسيلينيودوس سانتوس الأمين العام الموزمبيقى لمؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية ، كما جرى فى الاجتماع نفسه اختيار اندرادى رئيسا لمنظمة الكونسيب . أما الآن وبعد أن أصبح أندرادى قائما بأعمال الرئيس - منذ إلقاء القبض على نيتو - ، فقد بدأ يدير الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى المنفى من كوناكرى وفى شهر أكتوبر من العام ١٩٦١ ، نقل أندرادى مركز رياسته إلى ليوبولدفيل حيث ظل اتحاد شعب أنجولا (يوبا) يعمل فترة طويلة دون تحدٍ من أحد .

وكان الشاب الذى يدعى فيراز بومبوكو من بين المجموعة الصغيرة من المقاتلين التابعين للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، التى بقيت على قيد الحياة بعد أن هربت من لواندا إلى الريف بعد الانقلاب الذى جرى إحباطه فى شهر فبراير ، وعندما وجد فيراز نفسه فى إحدى المناطق التى يسيطر عليها اتحاد شعب أنجولا (يوبا) فى إقليم دمبوس أعمل فيراز قدرته الجذابة على التنظيم وبدا يتلقى الأوامر من مركز ورئاسة منظمة (يوبا) فى ليوبولدفيل ، وبعد أن عرف بعد ذلك باسم القائد بومبوكو قام بقيادة إحدى مجموعات العصابات التى استولت على مدينة نامبو إنجونجو التى حاول مرارا تحويلها إلى جمهورية «نامبو انجوجو» (٤٢) . الاشتراكية الشعبية ، وفى يوم ٩ من أغسطس من العام ١٩٦١ استولت القوات البرتغالية من جديد على المدينة وانسحبت العصابات إلى الغابة وإلى الجبال حتى يتسنى لها خلق جيوب للمقاومة هناك .

وأرسل بومبوكو بعثة تضم خمسة رجال إلى ليوبوفيل كى يتسنى لممثلى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إرسال المساعدات ، وفى النهاية حاول القائد توماس فيريرا -

وهو أحد مقاتلى اتحاد شعب أنجولا السابقين والذى تحوَّل إلى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) – قيادة جماعة تضم عشرين رجلا من الكونغو على أمل الوصول بهم إلى جمهورية البومبوكو (٤٣) ، ومات الرجال وهم يحاولون عبور المنطقة التى يسيطر عليها اتحاد شعب أنجولا ، وأكد هولدن روبرتو بعد ذلك أن الأوامر كانت قد صدرت للقوات التابعة لاتحاد شعب أنجولا بإبادة أى طابور من الطوابير التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا يحاول الدخول إلى أنجولا ، ومن الواضح أن اتحاد شعب أنجولا لم يكن ينوى تخريب سيطرته على الجزء الشمالى من أنجولا ، أما احتمال التهريب فقد كان يظهر بصورة واضحة لا فى الشمال حيث يوجد الباكنجو بل فى مناطق الحدود حيث تلتقى مجموعتان عرقيتان بل وتصطدمان أحيانا ؛ كما هو الحال فى منطقة مامبوا نجونجو بين الباكو نجو والاوفمبوندو (٤٤) ، وإذا ما أضيفت الصراعات السياسية إلى الثورات العرقية والشكوك التى تراود السود كل يوم عن المولدين – الذين كانوا يسيطرون على زعامة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا – لتوصلنا إلى نتائج محزنة فى معظم الأحيان (٤٥) .

ومع ذلك فشلت (مبلا) فى تعبئة تجمعات قبلية كبيرة مثلما فعل الاتحاد ، وإضافة إلى التهديد بهجمات أشد ضراوة لقتل الأشقاء الذين يحاولون الاعتداء على المناطق التى يسيطر عليها اتحاد شعب أنجولا نجد أن كل تلك الأسباب حدت بالحركة الشعبية لتحرير أنجولا أن تعجل وتسرع فى جهودها التى كانت تبذلها من أجل تخريب الوحدات التابعة لاتحاد شعب أنجولا أو إنشاء قوات العصابات الخاصة بها داخل أنجولا ، زد على ذلك : إن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا كانت على وشك أن تبدأ تدريب كوادرها العسكرية فى الجزائر التى كانت قد استقلت حديثا بزعامة أحمد بن بللا ، وبنفس الأسلوب الذى كان يتصرف به هولدن روبرتو لم تستطع الحركة أن تحذو حذوه فى الكونغو ، ذلك أن روبرتو يتمتع بصداقة شخصية كانت تربطه بكثير من الزعماء الكونغوليين ، ابتداء من سيرل آدولا ، رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، إلى الجنرال جوزيف موبوتو قائد الجيش ، الذى تولى فى النهاية رياسة الجمهورية ، وكان اتحاد شعب أنجولا (يوبا) يحظى أيضا بمساندة من جماهير المهاجرين الأنجوليين فى الكونغو الذين تم من بينهم تجنيد الكوادر اللازمة لتشكيل الجيش الوطنى لتحرير أنجولا ELNA (النا) بقيادة كل من (جاو بايتستا) العريف (٤٦) الجوانهامى (٤٧) فى

الجيش البرتغالى سابقا ، وماركوس اكسافير كاسنجا وهو صف ضابط « جانجويلى » وجرى تعيين روبرتو قائدا عاما ، أما هذين الاثنين الجنوبين فقد تم تعيين أحدهما قائدا ميدانيا داخل أنجولا ، أما الثانى فقد عين رئيسا للأركان فى ليوبولدفيل ، وحاول الإثنان السيطرة على الانتفاضة الجماهيرية الفوضوية فى الشمال ، فى الوقت الذى كانا ينتظران فيه تدريب أول مجموعة من الجزائر للعمل كضباط مدربين ، عينوا للعمل فى إحدى معسكرات كينكوزو التى تقع إلى الشمال من (ثايزفيل) ، ذلك المعسكر الذى أصبح مركزا لرياسة الجيش الوطنى لتحرير أنجولا فى الكونغو ، ولم يحدث قط أن كان للحركة الشعبية لتحرير أنجولا مثل هذه التسهيلات ، واضطر زعماء مبلا إلى التقدم بالكثير من المقترحات والعروض حتى يتسنى لهم تحقيق الوحدة مع اتحاد شعب أنجولا على أمل أن يفيدوا من المزايا المادية الواضحة ثم – فى النهاية – يستبدلون الرجعيين ، من أمثال روبرتو بزعماء مبلا حتى يمكن لهم فى النهاية تحقيق « الثورة الديمقراطية الوطنية » فى أنجولا .

وفى شهر يوليو من العام ١٩٦٢ انضم أوجستينو نيتو من جديد إلى زعامة مبلا ، وقد عجلت الحملة الدولية التى قامت تأييدا له بنقل البرتغاليين له من السجن إلى الاحتجاز فى أحد المنازل فى البرتغال ، ولم يضيع الدكتور نيتو وقته ، وهرب إلى المغرب . ومن الرباط سافر بعد فترة قصيرة إلى كوناكرى ثم منها إلى ليوبولدفيل ؛ حيث أكد من جديد زعامته للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وفى حقيقة الأمر أصبح نيتو الرئيس الشرفى والمسئول التنفيذى الأول ، بل إنه حل محل ماريو دى أندرادى . وبدأ نيتو يعادى بصورة خاصة فرياتو داكروز – الأمين العام – الذى كان من بين من دارت برأسهم الشكوك حول هرب نيتو فى أن ذلك الهرب ربما كان مدبرا من قبل شرطة السياسة والأمن ليكون جزءً من مؤامرة برتغالية تهدف إلى تغيير وجهة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وفى ليوبولدفيل حاول نيتو – ولكن دون جدوى – توحيد مبلا مع اتحاد شعب أنجولا غير أن يوبا كان قد دخل بالفعل فى تحالف مع حزب أصغر منه هو الحزب الديمقراطى الأنجولى PDA الذى كان يقوم فى الأساس على قبيلة (زومبو) وهى من قبائل الباكونجو ، وكون اتحاد شعب أنجولا والحزب الديمقراطى الأنجولى ، الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا FNLA (فنلا) ، وقد تأسست تلك الجبهة فى شهر مارس ، وقامت هذه الجبهة ذاتها فى شهر أبريل بتكوين « الحكومة الثورية

لأنجـولا فى المنفى GRAE » (جـراى) ، برئاسـة روبرتو كـرئيس للوزراء وإيمانويل كونزيكا زعيم الحزب الديمقراطى الأنجولى نائبا أول لرئيس الوزراء .

كـانت الحـركـة الشـعـبـيـة لتـحـرير أنجـولا تأمل أن يتـمكن نيـتـو - بفـعل نفـوذه الشـخصى - من فرض الوحدة بشروط الحركة أو على عكس ماتريده الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى فى أضعف الأحوال ، غير أن الحكومة الكونغولية اعترفت بالحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى فى شهر يونية من العام ١٩٦٣ ومهدت لها الطريق من أجل الحصول على اعتراف أفريقى أكبر بها ، وفى مواجهة الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا التـابعـة لاتحـاد شـعب أنجـولا أسـست (مـبـلا) الجبـة التـابعـة لهـا ، وهـى الجـبـهـة الديمقراطية لتحرير أنجولا FdLA (فدلا) ، التى أسستها فى شهر يوليو من العام ١٩٦٣ ، وانضمت إلى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا أربع مجموعات غريبة المنشأ هى حركة الدفاع عن مصالح أنجولا MDIA (مديا) ومجموعة (أنجويزانى أكـونجو) وحـركة (نتو باكو) ثم الاتحاد الوطنى للطربلها دوريس UNTA (يونتا) ، وبرغم أن هذه المجموعات كانت تفضل الاستقلال فى النهاية لأنجولا فإن ثلاثة منها - هى مديا ، وأنجويزاكو ، ونتوباكو - كانت تعارض الثورة الحالية ، ونقلا عن جورج هرسر رئيس اللجنة الأمريكية الخاصة بأفريقيا [٤٨] ، إن تلك التجمعات كان لها « شكل من أشكال التعاون ، بصورة أو بأخرى ، مع السلطات البرتغالية » ، أما (اليونتا) ، وهو اتحاد عمال يدور فى فلك الشيوعية ، فقد كان دوما على مقربة من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إلى الحد الذى لا نستغرب معه ولا نندهش عنده بقيام اتحاد بينهما ، وعلى الجانب الآخر فإن مديا التى انسلخت عن اتحاد شعب أنجولا فى العام ١٩٦١ كانت تلتزم بعدم العنف ، كما كانت تعارض استراتيجية اتحاد شعب أنجولا الخاصة بالحرب الثورية ، أما حزب (الأنجويزاكو) فكان حزبا ملكيا من الباكونجو يقوم على عدم العنف ويساند الملك الكاثوليكى الذى نصبه البرتغاليون ملكا على عرش الكونغو العام ١٩٥٥ ، أما المجموعة الثالثة ، وهى مجموعة (نتوباكو) فكانت على تحالف وثيق مع حزب (أباكو) الذى كان يرأسه الرئيس الكونغولى جوزيف كزافوبو ، كما كانت هذه المجموعة نفسها تقاسم الحزب أحلامه فى دولة كنغولية تمتد من أنجولا إلى الكونغو، زد على ذلك، إن نتوباكو كانت ترغب فى العمل مع البرتغاليين فى الماضى .

وبرغم أن هذه المجموعات كانت تشكل مفاجأة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا إلا أن الطبيب نيتو - الذى كان قد تم انتخابه رئيسا للحركة فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٢ - كان بحاجة ماسة إلى قوات كى يتمكن من التعامل مع الانقسام الذى حدث فى صفوف مبلا بين مؤيديه وبين الثوار المؤسسين الذين كانوا يشايعون فرياتو داكروز ، وفى شهر مايو من العام ١٩٦٣ اجتمعت اللجنة التوجيهية فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وأبعدت داكروز عن منصب الأمين العام ، الذى كان يشغله منذ تأسيس الحركة فى العام ١٩٥٦ ، وعلاوة على العداء الشخصى الذى كان يضمره نيتو لداكروز نجد الأزمة الأخيرة التى وقعت فى الحركة الشيوعية الدولية والتى نشأت على أثر الانقسام الصينى - السوفييتى هى التى عجلت بقرار إبعاد داكروز ، وكان نيتو ورفاقه « المراجعين » ينظرون إلى داكروز على أنه مفرط فى عسكريته ، ومفرط ومتعصب أيضا فى ماركسيته - اللينينية ، وفى يناير من العام ١٩٦٢ ، كان أندرادى قد سافر إلى الولايات المتحدة ليترافع طلبا للمساعدة والدعم وأقسم على أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا لم تكن شيوعية ولا حتى موالية للشيوعية ، وللحقيقة فإن نيتو استطاع أن يكسب الصراع الذى دار داخل الحزب عندما استطاع أن يتحاشى تماما داكروز ومجموعته فى المؤتمر الوطنى الأول الذى عقدته الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) فى ليوبولدفيل فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٢ ، وأنشأت فيه الحركة - أيضا - لجنة تنفيذية جديدة تضم عشرة أعضاء [٤٩] .

وثأر داكروز لنفسه بأن أبلغ لجنة تحرير أفريقيا - التى تكونت مؤخرا فى منظمة الوحدة الأفريقية ، أثناء زيارتها التى قامت بها إلى مدينة ليوبولدفيل فى شهر يوليو من العام ١٩٦٣ - أن مزاعم الحركة الشعبية لتحرير أنجولا بأن لها قوة مقاتلة فعالة داخل أنجولا إنما هى مزاعم زائفة وغير حقيقية ، وأعلن أن الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ، فقط هى التى كانت فى قتال مع البرتغاليين ، وبعد ذلك بفترة قصيرة طلب داكروز السماح له بالانضمام ، غير أنه لم يلعب قط دورا إيجابيا فى زعامة الجبهة . وجرى فى ١٢ من نوفمبر من العام ١٩٦٥ إلقاء القبض على اثنين من أصدقاء داكروز المقربين فى مطار برازافيل ، هما ماتياس ميجويس وجوزى ميجول وهما فى طريقهما إلى كينشاسا عائدين من أندونيسيا عن طريق باريس والجزائر ، وكان الاثنان قد

هجرا الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وأعيدا ثانية إلى رفاقهم السابقين فى مبلا ، الذين قتلوهم فيما بعد (٥٠) ، وزعمت مبلا بعد ذلك أن الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى قتلت أو سجنت بعض أعضائها فى زائير (الكونغو كينشاسا سابقا) (٥١) .

ولم تعترف حكومة زائير (الكونغو كينشاسا سابقا) فحسب بالحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى التى يرأسها هولدن روبرتو ، وإنما أغلقت أيضا مكاتب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) فى ليوبولدفيل ، وعثر على أحد المقرات التابعة لها عبر النهر فى الكونغو برار . افيل وبخاصة بعد وصول (الفونس ماسمبا - دبيات) إلى السلطة ، واستنكرت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا من راديو برازافيل ، وجود الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى كما استنكرت الحركة أيضا تدريب الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى رجالها على أيدى مدربين سوفييت وجزائريين وكوبيين ، استعدادا للهجوم فقط على الجزء الوحيد من أنجولا الذى كان مقصورا عليها عندئذ : أى منطقة كابيندا التى تحيط بها أراض أجنبية من كل جانب .

فى ذلك الوقت كانت كابيندا ، المنطقة الوحيدة التى يمكن للحركة الشعبية لتحرير أنجولا فيها أن تستغل الفرصة لتأكيد ذاتها كحركة مقاتلة من مستوى حركة اتحاد شعب أنجولا نفسها ، وبعد ذلك ادعت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، بعد انهيارها إلى الحضيض ، ادعاء شديدا مفاده أنها كانت الحركة الأنجولية الحقيقية الوحيدة ، وأنها الحركة الوحيدة التى كانت تقاتل ضد البرتغاليين ، ومع ذلك جاءت عملية كابيندا عملية فاشلة بالضرورة .

وبعد سقوط حكومة فولبرت يولو فى الكونغو برازافيل صدقت حكومة ماسمبا - دبيات ورخصت للحركة الشعبية لتحرير أنجولا بتحرير المنطقة الصغيرة المحاطة بأرض أجنبية وتحرير سكانها أيضا الذين يبلغ عددهم ٦٠٠٠٠ نسمة من الحكم البرتغالى ، ومهما يكن من أمر اكتشفت مبلا ان الكابنديين أنفسهم كان لهم حزب وطنى خاص بهم هو جبهة تحرير منطقة كابيندا FLEC (فليك) ، وقد أنشئ ذلك الحزب فى برازافيل قبل وصول الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إليها ، وكان ذلك الحزب

يطالب بتحرير منطقة كابيندا والاستقلال الكامل لهما ليس فحسب عن البرتغال بل وعن أنجولا أيضا .

ولم ينتج عن تسلل الحركة الشعبية لتحرير أنجولا أية معارك ذى بال ، نظرا لأن ذلك الحزب كان يهدف أصلا إلى السيطرة على السكان المحليين وتجنيد أصحاب اللياقة البدنية ضمن قوات العصابات ، وظل الخشب يشكل المورد الطبيعى الأساسى لكابيندا إلى أن جرى اكتشاف البترول على الشاطىء فى كابيندا : أما الغابات البكر الكثيفة فكانت تشكل منطقة ممتازة للعصابات ، وفى العام ١٩٦٦ أبلغ مسئول كبير .. فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا المؤلف فى دار السلام أن الغابات كانت تشكل الحليف المخلص للعصابات .

أن كل ما يحاول البرتغاليون عمله هو الاستيلاء على الطرق والسيطرة عليها ، كما أن القوات الجوية لايمكن أن تصيبنا بأذى نظرا للغطاء الكثيف الذى توفره لنا الغابة ، والواقع أن الحرب ليست حربا كلاسيكية من حروب العصابات نظرا لأن البرتغاليين لا يحاولون الاستيلاء على الطرق فقط أو الأرض ، وعلى طول هذه الطرق كانت تدور حرب الكمائن ، وكان من عادة البرتغاليين أن يقوموا بدوريات فى قوافل من سيارات الجيب ، ولكنها كانت تقع فى كمائن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وتضرب منها وبخاصة القوافل المدرعة التى كانت تواصل القيام بدور الهجوم (٥٢) .

وكرر المسئول نفسه زعم الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى ذلك الوقت ، الذى مفاده أن الحركة كانت تسيطر على ربع مساحة كابيندا ، ومع ذلك لم يجد المراقبون الموثوق بهم دليلا واحدا على صحة ذلك الزعم (٥٣) ، وقد تحاشى أوجستينو نيتو عندما كان يكتب فى نشرة أوسبال (تريكونتننتال) تقديم أى ادعاء ، ولكنه بدلا من ذلك قدم تعليقا مفاده أنه كان هناك تركيز كثيف للجنود البرتغاليين فى المنطقة ، يقول نيتو : لقد كانت كابيندا المدرسة التى تدربت فيها العناصر الأساسية اللازمة لتطوير وتنمية الكفاح فى الأقاليم الأخرى (٥٤) ، ويستطرد نيتو فى الإشارة إلى عملية كابيندا فى الماضى فى كل اجزاء ذلك المقال فيقول : والحقيقة هى إن الحملة انهارت انهيارا حقيقيا فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، ويرجع سبب ذلك الانهيار إلى تحدى مصالح البرتغال فى كابيندا بعد اكتشاف البترول بها ، والتغيير فى المواقف الذى طرأ من

جانب سلطات الكنغو برازافيل ، وبصورة خاصة بعد سقوط حكومة ما سامبا - ديبات في العام ١٩٦٨ ، وكان ضباط الجيش فى برازافيل ينظرون بارتياب كبيرإلى وجود القوات التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، التى قيل عنها فى موقع من المواقع إنها كانت أربعة أضعاف القوات التابعة للقوات الكنغولية فى المنطقة نفسها ، زد على ذلك ، إن الضباط الكنغوليين كانوا يرتابون فى وجود المستشارين الكوبيين والجزائريين والروس فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، أما عن المائتى كوبى فإنهم كانوا يشكلون مشكلة خاصة نظرا لانهم كانوا يعماون أيضا حرسا إمبراطوريا للرئيس .

ومما ساعد أيضا على فشل الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى العام ١٩٦٦ هروب اليكسندر تاتى إلى صفوف البرتغاليين ، هذا الهروب الذى كان هولدن روبرتو قد استنكره من قبل ووصف اليكسندر تاتى أيضا بأنه عميل للبرتغال ، وفى يونيه من العام ١٩٦٥ قام كل من تاتى الذى كان عندئذ وزيرا للدفاع فى الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ومعه أندرى كاسيندا زعيم حزب مجلس الشعب الأنجولى المعادى روبرتو بالاستيلاء على مكتب الحكومة الأنجولية فى المنفى والموجود فى ليوبولدفيل وظل تاتى وكاسيندا يسيطران على مكتب الحكومة الأنجولية فى المنفى فى مدينة ليوبولدفيل إلى أن أخرجتهما القوات الكنغولية منه ، ثم انضم تاتى بعد ذلك إلى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى برازافيل ، وعقب انحيازه إلى جانب البرتغاليين ظهر تاتى من جديد فى كابيندا كضابط برتغالى يعمل ضد مبلا ، ونجح تاتى فى تشجيع الكثيرين من اللاجئين الكابنديين على العودة من الكونغو برازافيل ، وفى الوقت نفسه كانت البيانات الصادرة عن مبلا تواصل افتخارها وتباهيها بالانتصارات وآلاف الجنود الذين يعملون تحت قيادتها ومئات الكوادر السياسية التى كانت تقود الجماهير فى كل أنحاء أنجولا ، زد على ذلك ، أن الفرنسيين الذين كانوا يتعاطفون ، مع حركة مبلا من أمثال جيرار شاليان ، كانوا يشتكون أيضا من المزاعم التى كانت تلك الحركة نفسها تسوقها : بل إنهم يقولون : إن تلك الأرقام لم تنف فى النهاية وحسب وإنما كانت تدخل أيضا ويمنتهى الصراحة فى إطار الخيال (٥٥) ، وفى كل الأحوال ، نجد أن عملية كابيندا صنعت من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا أكثر من مجرد منافس وبخاصة بعد سلسلة الانقسامات الخطيرة التى وقعت داخل الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ،

وبتخصيص أكثر وبعد انسلاخ (جوناز سافمبى) جرى فى النهاية تكوين الإتحاد الوطنى لاستقلال كل انجولا (يونيتا) ، ولم يكن الاتحاد فى ذلك الوقت ، مصدرا لتهديد حركة مبلا ، أما حكومة مويس تشومبى فى الكونغو فقد زادت هى الأخرى من مشكلات هولدن روبرتو ، واتهمت حركة مبلا الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) أنها كانت تعمل مع تشومبى الرجعى ، على حين كان تشومبى يزعج الحكومة الثورية إلى أبعد حد ممكن وأنه لم يتوقف عن ذلك إلا قبل فترة قصيرة من إعلان حظر حركة مبلا وتحريمها تماما فى الكونغو – ليوبولدفيل .

وعلى أى حال ، انخفض المد ، واعترفت لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية اعترافا مفاده أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إنما كانت تشترك بالفعل فى القتال ، وقدمت اللجنة لحركة مبلا نصف الإعانات التى كانت مخصصة للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ، وسرعان ما بدأت مبلا تتلقى إعانات أكثر مما كانت تتلقاه (جراى) [٥٦] ، أما عن الأموال التى قدمتها منظمة الوحدة الأفريقية فكانت تعد تتمة للمساعدات السوفيتية ، ولم تنس موسكو الأصول الشيوعية لحركة مبلا ، كما أن الصينيين بصفة خاصة كانوا يكشفون بالفعل عن اهتمامهم بالحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) .

وأمكن لحركة مبلا عن طريق الرجال الذين كان لهم شىء من الخبرة فى القتال فى كابيندا ، أن تقيم قاعدة لها فى زامبيا فى العام ١٩٦٣ ، وبعد ذلك بفترة قصيرة افتتحت مبلا جبهة جديدة فى شرقى أنجولا ، واستطاعت حركة مبلا توسيع قاعدتها فى الشرق بعد أن طردت حكومة زامبيا من البلاد الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) فى العام ١٩٦٦ بسبب الهجوم العشوائى غير المسئول الذى قام به الاتحاد على خط سكك حديد بنجويلا الذى يستخدم فى نقل نحاس زامبيا إلى المحيط الأطلنطى ، واستطاع حزب (يونيتا) أن يبقى على قيد الحياة ، ولكن بدون إمدادات له من الخارج ، أما وإنه لم يحظ بتأييد شعبى قوى فى جنوب شرقى أنجولا ، فهذا مرده إلى أن كوادره هناك جرى اصطيادها بالبنادق من قبل القوات التابعة لحركة مبلا التى أحسن تسليحها وتزويدها بالمعدات ، وكما كان الحال فى الماضى ، لم تلق الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) بالا للالتماسات التى تقدمت بها الحركة الشعبية

لتحرير أنجولا (مبلا) عن الوحدة ، أما بالنسبة للالتماسات التى تقدم بها الاتحاد الوطنى لاستقلال كل انجولا (يونيتا) عن الوحدة أيضا فقد لقيت نفس المصير : إذ إن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا قد أصمت آذانها عن تلك الالتماسات ، ومن ناحية الشمال فى أنجولا كان يبدو أن الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) لاتزال تسد الطريق الذى كانت تخترقه وتتسلل منه العصابات التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وفى أقصى الجنوب فى مدن « باى » ومكسيكو ، ومالانجى استطاع التنظيمان المتعاديان أن يحتفظا بجيوب متفرقة للمقاومة ؛ تلك الجيوب التى كانت فى حقيقة أمرها عبارة عن جمهوريات من العصابات اللهم إلا من اتصالات قليلة مع البرتغاليين أو السكان المحليين ، أما التهديد الأساسى فكان يتمثل فى الطيران البرتغالى ، وفى أقصى الجنوب من أنجولا استطاع الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) عن طريق إحكام قبضته القوية على السكان المحليين هناك أن يمنع أى تمركز خطير للقوات التابعة لحركة مبلا ، فى تلك المنطقة ، وراحت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا تنتقد بشدة ومرارة المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا (سوابو) لتعاونها مع حزب (يونيتا) ، وبعد أن طردت حكومة زامبيا القواعد التابعة لحركة مبلا من البلاد راحت تلك الحركة تتهم منظمة (سوابو) بتقديم المساعدات السرية للاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا ، وفى العام ١٩٧٠ أصبح من الواضح تماما أن حركة مبلا كانت قد عادت تماما إلى وضعها السابق ، فقد بدأت الحركة تتلقى مساعدات أكثر - من لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية - عن المساعدات التى كانت تقدم للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى., كما نجحت حركة مبلا تماما فى العام ١٩٦٩ ، فى سحب الاعتراف بالحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ، كما اخفقت الجهود التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة لجمع شمل الجماعات المتنافسة فى العام ١٩٦٦ ؛ بل إن تلك الجهود لم تظهر مرة أخرى ، وقدم الاتحاد السوفيتى والأحزاب الأخرى التى تسير فى فلك موسكو وأيضا بعض التقدميين فى الغرب التأييد والمساندة الكاملة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، الأمر الذى كان يؤدى بصورة واضحة ومستمرة إلى تدفق الأموال والسلاح على الحركة ، زد على ذلك ، أنهم دعموا تلك الحركة أيضا بالمدربين ، وأخفقت حركة مبلا فى طرد البرتغاليين من منطقة كابيندا الصغيرة جدا التى تحيط بها الأراضى الأجنبية من كل جانب ، وكلما كانت تثار تلك

القضية المحرجة كانت حركة مبلا تلقى بلائمة اخفاقها على كل من المجموعات الانفصالية فى كابيندا ذاتها وعلى جبهة تحرير منطقة كابيندا (فليك) ؛ وأيضا على اللجنة الثورية لكابيندا CRC ، يضاف إلى ذلك ، أن حركة مبلا كانت تتهم كل تلك الحركات والتنظيمات بأنها كانت واقعة تحت تأثير الاستعمار البرتغالى وأنها تشترك فى لعبة إمبريالية مثل لعبة البلقان (٥٧) ، والحق أن علاقات حركة مبلا مع حكومة الكونغو – برازافيل لم تعد تدب فيها الحياة كما كانت ذات يوم من قبل ، ومع نمو الجبهة الشرقية نقل مركز رئاسة حركة (مبلا) من برازافيل إلى لوساكا وجرى تأسيس قاعدة من القواعد الأساسية للحركة على الحدود فى المنطقة بين زامبيا وأنجولا وتمتد من برازافيل إلى لوساكا ، أما من الناحية الرسمية فإن مركز رياسة حركة مبلا كان فى مكان ما داخل أنجولا ؛ بل إن مركز الرئاسة نفسه كان يزعم أنه بالقرب من مدينة تيكسيرا داصوصا ؛ غير أن ذلك الزعم جاء بمثابة رواية سياسية تهدف أساسا إلى عدم إحراج حكومة زامبيا .

ويقدر المراقبون الثقات العدد الإجمالى لقوات العصابات فى منتصف العام ١٩٦٩ بحوالى ١٥٠٠٠ رجل (٥٨) .

وفى بعض الأحيان كان يبدو أن جهود قوات مبلا التى أحسن تزويدها بالمعدات ، إنما كانت توجه على أكبر نطاق ضد العصابات التابعة للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وضد عصابات حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) أكثر من توجيهها ضد البرتغاليين أنفسهم ، وورد فى أحد التقارير فى العام ١٩٦٨ أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ذبحت الكثيرين من الرجال التابعين لحركة يونيتا ، وذلك فى محاولة منها للاتجاه صوب الجنوب ، غير أنه فى نهاية العام تمكنت حركة يونيتا من هزيمة وصد قوات مبلا ، وأبلغ المراقبون أن حركة مبلا إنما كانت تسعى للسيطرة على منطقة محددة تماما عن طريق الإجراءات العسكرية التقليدية بدلا من الالتزام بالمفاهيم والعقائد الكلاسيكية لحرب العصابات ، ويبدو أن النظرية السوفيتية كان لها تأثير أكبر على التكتيكات التى كانت تتبعها حركة مبلا ، أكبر من تأثير تعاليم الرئيس ماو ، سواء أكان ذلك من الناحية العسكرية أم من الناحية السياسية ، وزيادة على ذلك ، كان الزعماء الخلاسيون لا يزالون يواجهون صعوبة كبيرة فى الحصول على تأييد رجال

القبائل لهم فى منطقة الأدغال المخلخلة السكان وتقع فى شرقى أنجولا ، وكان من الطبيعى - فى بعض الأحيان - أن تؤدى تلك الجهود الحقيقية التى بذلت فى سبيل تقويض البنيان الاجتماعى وتكسيره من ناحية ، وفرض علاقات جديدة على الإنتاج من ناحية أخرى ، من الطبيعى أن تؤدى تلك الجهود إلى إثارة الاستياء الشديد وتلقى معارضة شديدة (٥٩) ، ومع ذلك يسوق نيتو ادعاءً مفاده أن تنظيمى (كوادو كويانجو) و (مكسيكو) أقاما فى العام ١٩٦٩ قاعدة متينة لتدريب العصابات تدريبا عسكريا وسياسيا : فالناس فى تلك القاعدة يحيون حياة قريبة من الحياة الطبيعية ويقدمون المقاتلين ويدعمونهم بمساعدات كبيرة (٦٠) ،ولكن من المؤكد أن كل ذلك لم يكن من الحقيقة فى شىء ، وبانتهاء العام ١٩٧٠ ، وبرغم الدوريات التى كانت تتجول فى مساحات كبيرة من أنجولا ، وتسيطر سيطرة فعالة على مناطق عديدة بالقرب من قاعدة زامبيا ، فإن مركز رياسة مبلا كان فى لوساكا ، وليس فى داخل أنجولا .

وقام كل من ماريو دو أندرادى الذى كان يدير مركز رئاسة مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسيب) فى الجزائر هو و« نيتو » الذى كان قد تشاجر معه ، قاما بمحاولات لكسب تأييد الغرب لهما ، ولم تصب تلك المحاولات سوى نجاح قليل جدا فى الدول الأوربية باستثناء السويد التى أصابت فيها كل من حركة مبلا وحليفتاها : جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) والحزب الافريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر PAIGC (بيجك) شيئا من النجاح ، ومن جديد راح بازك ديفيدسون وهو من كبار المتعاطفين البريطانيين ، يدافع فى شهر أكتوبر من العام ١٩٧٠ عن قضية الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، واستهل ديفيدسون حملته بهجوم وحشى على كل من واشنطون وبكين على حين أكد أنه بالنسبة لخط موسكو فإن حركة مبلا كانت تعد حركة ثورية من طراز لم يسبق له مثيل من قبل (٦١) ، وقد شن بازل حملته التى قام بها ليحث الغرب على مساعدة حركة مبلا - فى مواجهة الدعاية النشطة التى كانت تأتى إلى حد ما من الجماعات الماوية - وكان ديفيدسون يطمع أيضا فى حث الغرب على مساعدة كل من حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) والحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) ، التى لم يكن بوسعها عندئذ ، ولم يكن واضحا أنها كانت ترغب حتى فى تحرير نفسها من النزعة الانفصالية العرقية

ومع أن ديفيدسون وجه انتقادات قاسية إلى نيتو إلا أن الأخير كان يرى مغزى كبيرا فى المخاطرة بغضب الاتحاد السوفيتى واستيائه ، من الزيارة التى قام بها نيتو إلى بكين فى شهر يولية من العام ١٩٧١ ، وأكد زعيم حركة مبلا تأكيدا قاطعا لمضيفه فى المأدبة التى أقامها تكريما له اتحاد صداقة الشعوب الأفريقية والشعب الصينى ، « إن المقاتلين فى العصابات الأنجولية وزعامتهم يستلهمون فى قتالهم الوحى من صوت الشعب الصينى ، الذى يصغون إليه بانتباه واهتمام [٦٢] » أما حركة مبلا فلم تكشف فى تكتيكاتها التى كانت تتبعها داخل أنجولا أو فى علاقاتها مع حركات التحرير الأخرى ، عن أى دليل على تغييرها لعقيدتها ، وتبقى بعد ذلك الحقيقة القاسية التى مفادها : إن حركة مبلا برغم أنها أحرزت تقدما حقيقيا يتمثل فى أنها تطورت من تجمع فكرى « مولد » يقوم على أساس حضرى ، إلى قوة عسكرية سياسية فعالة إلا أن تلك الحركة لم تكسب إلى جانبها كفاح الأشقاء داخل أنجولا ، ولم تستطع الحركة أيضا القضاء على منافسيها ، أو حتى تعديل الحقيقة العرقية للبلاد التى كانت تسمح – إلى جانب الأيدولوجيه – بافتعال أساس موضوعى للتفكك القائم بين القوات التى كانت تقاتل ضد الاستعمار .

الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى - الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (جراى - فنلا)

بدأ اتحاد شعب أنجولا (يوبا) كفاحه المسلح فى الريف الأنجولى فى ١٥ من مارس من العام ١٩٦١ ، واستطاع اتحاد شعب أنجولا - الذى غير اسمه بعد ذلك إلى الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا - أن يسيطر فى النهاية على الحكومة الثورية الأنجولية فى المنفى (جراى) ، التى كان قد أنشأها فى زائير (الكونغو كينشاسا سابقا) فى ٣ من إبريل من العام ١٩٦٢ ، ورغم أن الحكومة الثورية الأنجولية فى المنفى كان معترفا بها من حكومة الكونغو كما يسمح لها أيضا بالانضمام إلى الدول الأفريقية إلا أنها ، - مثل والدتها الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) - كانت تمثل فى الأساس حزبين أنجوليْين شماليين .-وعلى كل حال ، كان هذان الحزبان يرتبطان ارتباطا وثيقا بالجماعة العرقية الأساسية التى كانت تتمثل فى شعوب الباكونجو فى شمالى أنجولا ، يضاف إلى ذلك ، أن الحزبيْن كان لهما أعضاء وأنصار فى كل أقاليم البلاد .

أما اتحاد شعب أنجولا [٦٣] (يوبا) فقد أنشئ فى يوليو من العام ١٩٥٧ تحت اسم اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) ، وقد أسست ذلك الاتحاد المجموعات الأنجولية التى كانت فى المنفى فى الكونغو ، تلك المجموعات التى تورطت منذ العام ١٩٥٤ ، فى الكفاح لاستعادة عرش مملكة الكونغو القديمة ، إذ إن تلك المجموعات كانت بحاجة إلى ملك قوى يستطيع أن يعيد استقلال المملكة القديمة ، بل ويفصلها أيضا عن بقية أنجولا وعن البرتغال أيضا . وأحبط البرتغاليون ذلك الجهد وقووا من قبضتهم على البلاط الملكى فى ساو سلفادور . وهرب المعارضون الملكيون إلى الكونغو التى استقر المقام ببعضهم فيها فى النهاية . ونظرا لإهتمام تلك المجموعات ، بالاستيلاء على العرش فقد انضمت أعداد كبيرة منها إلى تنظيم « الحلف الأساس للقومية الباكونجية » .

وقبل تأسيس اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) بفترة قصيرة طلب زعماؤه ، فى التماس تقدموا به إلى الأمم المتحدة ، أن تقوم بتحقيق ميدانى عن الجوانب

الوحشية للإستعمار البرتغالى . كان الالتماس الذى قدم إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يحمل اسم مملكة الكونغو ، والأهم من كل ذلك أن الرسالة لم تكن مقدمة من بلد يدعى أنجولا (٦٤) على الاطلاق .

وفى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٧ قرر زعماء اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) المضى قدما بتلك المبادأة بأن أوفدوا ممثلا لهم إلى الخارج كى يتكلم نيابة عنهم فى كل من أفريقيا المستقلة ، والولايات المتحدة وفى الأمم المتحدة أيضا ، واختاروا لتلك المهمة هولدن روبرتو ، الذى كان ابنا لشقيق مانويل باروس نيكاكا ، رئيس اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) ، وغادر هولدن روبرتو ليوبولدفيل سرا فى العام ١٩٥٨ إلى أكرا لحضور « مؤتمر شعوب كل أفريقيا » الذى كان ينظمه كل من كوامى نيكروما رئيس غانا وجورج بادمور ، وفى غانا حيث التقى روبرتو كبار زعماء حركة الوحدة الأفريقية فى أفريقيا وأمريكا تخلى روبرتو عن مفهوم القومية الباكونجية وتبنى مفهوم الحركة الوطنية الأنجولية ، وبسرعة غير روبرتو اسم اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) إلى اسم اتحاد شعب أنجولا (يوبا) ، غير أن الحزب الوطنى الجديد فى الكونغو ، بل وبصورة أكبر داخل أنجولا نفسها، كان مقصورا تماما على الباكونجو ، زد على ذلك ، أن الحزب كان يتأثر إلى حد كبير بالبروتستانت الذين شاركوا منذ زمن طويل فى الحرب ضد السيطرة الكاثوليكية البرتغالية على الملكية الكونغولية .

وفى سبتمبر من العام ١٩٥٩ زار هولدن روبرتو الولايات المتحدة ليسعى بين أروقتها أثناء انعقاد الجلسة الرابعة عشر للجمعية العامة ، وقد سافر هولدن روبرتو بجواز سفر غينى وراح يعمل فى تعاون وثيق مع البعثة الغينية فى الأمم المتحدة ، كما زاد أيضا من اتصالاته الأمريكية – وبخاصة من خلال « اللجنة الأمريكية الخاصة بأفريقيا » – التى كان يرأسها القس جورج هوسر ، ولقى روبرتو تشجيعا ومساعدة كبيرين وبخاصة من الجماعات البروتستنتية الأمريكية ومن الجمعيات التبشيريه التى كانت على علم منذ زمن طويل بالصراع الدائر بين الكاثوليك والبروتستانت بشأن الكفاح ضد البرتغاليين استهدافا لاستعادة العرش الملكى الكونغولى .

وعندما حضر روبرتو المؤتمر الثانى الذى عقده مؤتمر « شعوب كل أفريقيا » فى تونس فى شهر يناير من العام ١٩٦٠ راح يقاوم الضغوط القوية التى كانت تهدف

إلى تحقيق الوحدة بين كل من حزب (يوبا) والحركة الشعبية لتحرير أنجولا التى يتزعمها الخلاسيون ؛ وفى نفس الوقت ، أقام روبرتو علاقات وثيقة مع الحكومة التونسية التى كان يرأسها الحبيب بورقيبه ؛ ثم تلقى بعد ذلك مساعدات كبيرة من تونس ، وعاد روبرتو من تونس إلى أكرا ليجد نفسه يواجه ضغوطا من حكومة غانا طلبا لتحقيق الاتحاد مع الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وبارك فرانز فانون إصرار روبرتو وإمعانه فى رفض تلك الوحدة ، وفانون هذا هو طبيب فرنسى من أطباء العلاج الطبيعى ، جاء من غربى الهند وانضم إلى جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، وكان فانون فى ذلك الوقت يعمل سفيرا لدى غانا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، أضف إلى ذلك ، أن فانون كان قد كتب بالفعل وبطريقة قاسية جدا عن عدم ولاء ونفاق الزعماء المولدين ، كما كتب أيضا عن سطحية الولاء والإخلاص (٦٥) .

وطوال تلك الفترة كان الأنجوليون فى المنفى تحت رقابة لصيقة من قبل سلطات الإستعمار البلجيكى ، وبعد الإضرابات السياسية التى وقعت فى ليوبولدفيل فى شهر يناير من العام ١٩٥٩ ، وألقى البلجيكيون القبض على كثير من الأنجوليين وطردوهم ، ظنا منهم أنهم هم الذين أشعلوا شرارة المظاهرات الوطنية ، وجرى استجواب وتهديد كل من (مانويل باروس نيكاكا) و (جوزى إداردونيبوك) بترحيلهما إلى أنجولا ؛ مع أن كلاهما كان من مؤسسى اتحاد شعب شمال أنجولا (يوبنا) ؛ يضاف إلى ذلك إنهما كانا أيضا عمين من أعمام هولدن روبرتو ، غنى عن القول إن ترحيلهما إلى أنجولا كان يعنى السجن بل وربما الموت على أيدى البرتغاليين ، وفى كل الأحوال كان الحكم البلجيكى بيضى إلى نهايته بأسرع مما كان يتوقعه له أى إنسان فى ذلك الوقت وفى شهر يوليه من العام ١٩٦٠ ، وفى ظل دولة كونغولية مستقلة برياسة باتريس لومومبا الذى كان صديقا قديما لروبرتو ، بدأت الحياة تدب من جديد فى حركة اتحاد شعب أنجولا(يوبا) ، وراحت الحركة تبنى نفسها وروبرتو على رأسها ، وسمح لومومبا لاتحاد شعب انجولا (يوبا) أن يذيع باسمه من راديو الكونغو وأن يجاهر بتجنيد المهاجرين الأنجوليين .

وجاء سقوط لومومبا فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٠ بمثابة ضربة خطيرة وبخاصة الرئيس جوزيف كازافوبو الذى كان يضمر عداء مريرا لاتحاد شعب أنجولا

(يوبا) ، وقد حدث كل ذلك برغم تخلى الرئيس جوزيف كازافوبو عن آماله السابقة التى كان يعقدها على حزب (آباكو)إلى آمال أخرى كانت تراوده حول دولة للباكونجو تمتد إلى الكونغو ، وكان على روبرتو أن يختفى حتى لايلقى كازافوبو القبض عليه زعما بأنه كان يخطط لإقامة الشيوعية فى أنجولا المجاورة (٦٦) ، وهرب روبوتو فى النهاية إلى غانا التى فاجاته فيها سكرتارية مؤتمر شعوب كل أفريقيا بأنه لن يحصل على أية مساعدات لأنه كان فى خدمة أمريكا (٦٧) .

وطوال أسفاره وبرغم المشكلات المختلفة التى واجهته فى الكونغو وأماكن أخرى كان روبرتو يطلب إلى زملائه أن يبذلوا قصارى جهودهم داخل تنظيم شمالى أنجولا ، نظرا لأن المستعمرة كانت تعانى كسادا اقتصاديا من ناحية وأعمالا سيئة كان الاستعمار البرتغالى يقوم بها من ناحيه أخرى ، ويسوق جون .أ. ماركو تعليقا مفاده : " إن أنجولا فى مطلع العام ١٩٦١ كانت بمثابة برميل بارود أسود له فتيل جاهز للاشتعال " ، زد على ذلك ، إن اتحاد شعب أنجولا – إلى ذلك الوقت – لم يكن قد كشف عن أى شكل من أشكال العنف ، وبرغم الالتماسات المختلفة والسعى فى أروقة الأمم المتحدة وفى واشنطون كان من الواضح أن البرتغاليين لم يكونوا على استعداد للتفاوض بشأن إنهاء الاستعمار .

وفى ١٥ من مارس ،وعندما كان مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يستعد لمناقشة الموقف فى أنجولا ، وصلت إلى نيويورك التقارير الأولى عن انتفاضة واسعة فى كل أنحاء الجزء الشمالى من أنجولا ، وأكد هولدن روبرتو الذى كان فى نيويورك لإدارة الحوار أن تلك الانتفاضة إنما تعد المرحلة الأولى من حرب التحرير الثورية ، ومع أن روبرتو أعرب عن حزنه وأسفه على وحشية الهجمات – التى ذكرها فى تقريره – على المستوطنين والمسئولين البرتغاليين إلا أنه أكد أن ذلك إنما كان نتيجة حتمية لخمسمائة عام من الإرهاب البرتغالى ضد الأفارقة ، وفى الحال رد البرتغاليون بإرهاب وفظاعة أثبتا أن الجنود (٦٨) ، والاستعماريين البرتغاليين لم يكونوا أقل من أعدائهم الأفارقة فى العودة إلى عمل الأسلاف ، ومع أننا لايمكن أن نعرف بدقة مطلقا الثمن الدقيق لتلك المجزرة إلا أن عددالبرتغاليين الذين قتلوا فى الشهور الثلاثة الأولى من القتال كان يقدر بحوالى ٧٥٠ فردا ، على حين قتلت القوات البرتغالية ٢٠٠٠٠ أفريقى فى الحملة

التى قامت بها ، ومن بين الأفارقة الذين بقوا على قيد الحياة بعد تلك المجزرة استطاع ۱٥٠٠٠٠ أفريقى أن يهربوا إلى الكونغو فى نهاية العام ١٩٦١ (٦٩) ، وارتفعت نسبة الخسائر بين الأفارقة نتيجة للنقص فى السلاح وجهل الأفارقة المطبق بأبسط المبادئ الأولية لحرب العصابات ، ولم يكن شباب اتحاد شعب أنجولا (يوبا) المنظم ، ندا للقوات والمليشيا البرتغالية فى الأراضى المكشوفة ، زد على ذلك ،أن هؤلاء الشبان هم الذين قاموا أيضا بتنفيذ أوامر روبرتو بشأن إطلاق العنان للتدريب العسكرى الناشئ والمفتقد الذى استطاع بالكاد السيطرة على العصابات الأفريقية الضالة .

وكان اتحاد شعب انجولا (يوبا) على علم تام بعيوبه العسكرية ، فقد تولى إفريقيان هاربان من الجيش البرتغالى قيادة جيش التحرير الوطنى الأنجولى (إلنا) . وهذان الأفريقيان هما : العريف (٧٠) جاوباتستا وماركوس اكسافيركاسنجا ، وهو صف ضباط ايضا .وكلاهما كان من الجنوب برغم أن اتحاد شعب أنجولا يقوم فى الأصل على قبائل الشمال .وعيِّن كاسنجا رئيسا للأركان فى الكونغو ، أما باتستا فقد تولى القيادة الميدانية داخل انجولا ، وفى الوقت نفسه – وبعد أن حصلت الجزائر على إستقلالها فى العام ١٩٦٢ – قام هولدن روبرتو القائد العام بإرسال أربع وعشرين آخرين لتلقى تدريبهم هناك .

ويعلق فانون فى العام ١٩٦١ موافقا ومباركا ذلك العمل فيقول : ربما يعرف البعض منا إنه فى ١٥ من مارس من العام ١٩٦١ ألقت مجموعة من الفلاحين الأنجوليين تقدر بحوالى ألفين أو ثلاث آلاف بنفسها فى مواجهة مواقع البرتغاليين . إنهم رجال ونساء وأطفال ، منهم المسلحين والعزل من السلاح ، امتلأوا شجاعة وحماسا فالقوا بأنفسهم على شكل موجات متتالية من الكتل المحكمة المتراصة ، على المناطق التى ترنَّح فيها المستوطنون والجنود والعلم البرتغالى ، وجرى تطويق القرى والمطارات التى أخضعوها لهجمات متكررة بيد أننا لابد أن نضيف أن آلافا من الأنجوليين حصدتهم مدافع ماكينة الحرب الاستعمارية ، ولم يمض وقت طويل حتى فهم زعماء الانتفاضة الأنجولية وأدركوا أن الأمر يتطلب منهم أن يبحثوا عن وسائل جديدة ويبتكروا أساليب أخرى ، إذا كانوا يريدون تحرير بلادهم بحق ، وعلى ذلك ، قام الزعيم الأنجولى ، هولدن روبرتو خلال الشهور القليلة الماضية بإعادة تنظيم

الجيش الوطنى الأنجولى ، مستفيدا فى ذلك من الخبرات التى تحققت فى حروب التحرير الأخرى ، ومستخدما أيضا أساليب حرب العصابات (٧١)

وفى الكونغو تحسن مركز اتحاد شعب أنجولا (يوبا)تحسنا كبيرا بعد أن أصبح سيريل آدولا – وهو صديق آخر من أصدقاء روبرتو – رئيسا للوزراء فى شهر أغسطس من العام ١٩٦١ ، وصادق آدولا على إنشاء قاعدة كبيرة لجيش التحرير الوطنى الأنجولى (إلنا) فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من مدينة تيزفيل) فى إقليم كينكوزو .

وبعد الانفجار المبدئى ، وبرغم رد الفعل البرتغالى الشامل ، بالرغم أيضا من شحن التدعيمات على وجه السرعة من لشبونة بقى كل شمالى أنجولا تقريبا تحت (٧٢) سيطرة اتحاد شعب أنجولا (يوبا) ؛ وفى النهاية ادعى أعداء اتحاد شعب أنجولا (يوبا) أن روبرتو أصدر لابن عمه جوزى كياسونجا مانويل بيترسون تعليماته بتصفية كل الأفارقة الذين يجرى العثور عليهم بين صفوف العصابات أو فى أى مكان آخر من شمالى أنجولا ولايكونون من شعب الباكونجو ، ويقال إن القوات التابعة لاتحاد شعب انجولا هى التى تعاملت على وجه السرعة مع أولئك الذين بقوا على قيد الحياة بعد ان هربوا إلى الشمال على أثر الهجوم الذى شنته الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى مدينة لواندا فى اليوم الرابع من شهر فبراير ، أما جورج الليسيرسيز – الأنجولى الذى كان طالبا آنئذ فى البرتغال ، والذى راح يؤيد – بعد ذلك – ذلك الانسلاخ ، الذى نتج عنه تأسيس حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) فيسوق ادعاء الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) الذى مفاده : أن حالات القتل التى ارتكبها رجال روبرتو فى الشمال كانت دائما تشكل أكبر وأخطر عقبة أمام تطور الكفاح الوطنى فى العام ١٩٦٦ ، وهو العام الذى تأسس فيه الحزب الوطنى الجديد ، أى حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل انجولا (يونيتا) (٧٣) ، وقد رأينا بالفعل أن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، إتهمت أيضا اتحاد شعب أنجولا (يوبا) بأنه أباد وحداتها التى حاولت عبور المناطق التى كان يسيطر عليها اتحاد شعب أنجولا كما أكد روبرتو نفسه : أنه لن يسمح لأية قوة من القوات التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) بالعمل فى المناطق التابعة له ، هذا بالإضافة إلى أنه رفض رفضا قاطعا جميع العروض التى تقدمت بها (مبلا) من أجل الوحدة .

وفى كل الأحوال ، وصلت الضغوط التى استهدفت إيجاد شكل من أشكال الوحدة إلى مرحلة دخل اتحاد شعب أنجولا (يوبا)عندها ،فى شهر مارس من العام ١٩٦٢ ، فى تحالف مع حزب أصغر منه هو الحزب الديمقراطى الأنجولى (بدا) ، الذى تأسس أصلا من قبيلة زومبو التى هى واحدة من قبائل شعوب الباكونجو ، وفى ٢٨ من مارس من العام ١٩٦٢ أسس الحزبان الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا فى المنفى (فنلا) ، وبعدها بشهر شكل الحزبان الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى)التى أصبح روبرتو رئيسا لها ، أما إيمانويل كونزيكا رئيس الحزب الديمقراطى الأنجولى (بدا) وما نويل منديس نيفس الذى كان نائبا أسقفيًا عاما لأنجولا فقد أصبحا نائبين للرئيس ، واختير جوناز سافمبى -الذى كان من الأوفمبوندو - وزيرا للخارجية .

أما نيفس الذى كان يبلغ من العمر ٧١ عاما فكان مطرانا خلاسيا أدخله البرتغاليون السجن زعما أنه كان واحد من الوطنيين فى لواندا فى شهر أبريل من العام ١٩٦١ ، واستمرت الدعاية البرتغالية والدعاية الصادرة عن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) تستنكران قيام الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) بدعوى أن الحكومة كانت تقوم بإبادة الخلاسيين إبادة جماعية .

وقبل ذلك الانتصار السياسى بفترة قصيرة كان الاتحاد الشعبى الأنجولى قد هرب لتوه من الانقسام عندما اتهم هولدن روبرتو كل من ماركوس كاسنجا ، رئيس أركان جيش التحرير الوطنى الأنجولى (إلنا) واندرى كاسيندا - النقابى التجارى فى الكونغو الذى كان أمينا عاما للرابطة العامة للترويلها دوربس فى أنجولا LGTA (ليجتا) بأنه كان يشن حربا لإبادة الأشقاء كما ادعى الاثنان أن روبرتو أصدر أمرا بقتل جاو باتستا القائد الميدانى لجيش التحرير الوطنى الأنجولى (إلنا) فى أنجولا ؛ علما بان التقارير التى وردت بعد ذلك أثبتت أن باتستا قُتِلَ أثناء المعارك فى ٦ من فبراير من العام ١٩٦٢ ، عندما كان يقوم بالهجوم على إحدى القلاع البرتغالية فى بمبى ، كما قيل أيضا إنه لم يكن هناك أى خلاف بين باتستا وروبرتو يوم أن مات باتستا ، وساق كاسنجا (٧٤) اتهاما آخرا مفاده أن العناصر القبلية فى اتحاد شعب أنجولا (يوبا) (٧٥) ذبحت ٨٠٠٠ أنجولى ذبحا وحشيا .

ومع ان قيادة الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى)كانت متعددة الأعراق إلا ان أتباعها كانوا أصلا من الباكونجو ، زد على ذلك ، أن قوات قيادة الحكومة الثورية كانت تتركز أيضا فى شمالى أنجولا ، غير أن الآمال فى وضع حد لذلك التناقض كبرت عندما بدأت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) تعانى معاناة خطيرة من الانقسام الذى حدث فى العام ١٩٦٢ وبخاصة عندما كذّب فرياتو -داكروز - الذى كان أمينا عاما لحركة (مبلا)فى يوم من الأيام -على الملأ مزاعم (مبلا)التى كانت تقول إن الحركة كان لها أكثر من ألف رجل يقاتلون داخل أنجولا ، وأعلن داكروز أن الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا/ الحكومة الثورية فى المنفى (فنلا/جراى)إنما هى الجبهة الأنجولية الوحيدة فى ميدان القتال ، وقد أذاع داكروز ذلك الإعلان أثناء مواجهته لدعوى "الحل السياسى " الذى كانت تنادى به الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) فى ظل نفوذ " الاتجاه المراجع (٧٦) الذى كان يتزعمه أو جستينونيتو وراح داكروز يوبخ ويلوم الجبهة الديمو قراطية لتحرير أنجولا التى وصفها بالتسرع وعدم التجانس تلك الجبهة التى لم تدم إلا فترة قصيرة ، زد على ذلك إن نيتو وضع تلك الجبهة وجها لوجه مع الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا وجعلها تقف منها موقف معارضة غير أن داكروز الذى كان ما يزال مشدودا إلى إثارة بعض المسائل الحرجة بشان مستقبل الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى /الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) يقول فى هذا الصدد :

هل ستنجح (فنلا) فى توحيد كل القوات الثورية فى أنجولا ؟ هل ستحول نفسها إلى منظمة واسعة ، متينة من الناحية السياسية والأيدولوجية والتنظيمية ، وتعمل على نحو جيد ،كما تستعمل قاعدة فعّالة فى الكفاح المسلح ؟هل ستنجح فى تحويل الفلاحين إليها وهل ستنجح أيضا فى رفع مستوى وعيهم الثورى ، وهل سينجح دور الكفاح المسلح القبلى فى تحديد المشكلات الحيوية الأساسية للفلاحين الذين يشكلون المصدر الرئيسى للمقاتلين ؟ وهل يمكن لها أن تنشر الكفاح المسلح فى كل أنحاء مناطق أنجولا ؟ هل ستكون لديها الشجاعة التى تمكنها من جعل شعب أنجولا يستفيد من المساعدات والدعم اللذان تلقاهما الحركة الدولية الثورية المخلصة (٧٧) .

وبرغم السماح لداكروز بالانضمام إلى الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) إلا أنه هو وأتباعه الذين جاءوا من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) لم يحصلوا على الردود او الإجابات الأكيدة التى كانوا يتطلعون إليها ، زد على ذلك ؛ أنهم لم يلعبوا قط دورا قياديا فى (فنلا /جراى)؛ والأدهى من ذلك ، أن داكروز نفسه سافر ليقيم فى الصين بعد أن منعته حكومة تشومبى من العودة إلى الكونغو ، وفى مايو من العام ١٩٦٣ أصدر الزعماء الأفارقة الذين كانوا يحضرون أول اجتماع عقدته منظمة الوحدة الأفريقية فى أديس أبابا أصدروا قرارا بأغلبية ساحقة يقضى بتقديم المساعدات المادية لحركات الكفاح المسلح ضد الحكومة الاستعمارية ، وحكم الأقلية البيضاء وعهد الزعماء إلى لجنة تحرير أفريقيا بمهمة تنسيق تلك المعونات والتأكد من استعمالها بطريقة فعالة ومؤثرة . أضف إلى ذلك ، أن التنافس على قتل الأشقاء من بين أتباع الحركة الشعبية لتحرير أنجولا والحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى كان يشكل عقبة أمام الكفاح من أجل التحرر فى أنجولا ، كما تم ايفاد بعثة أيضا من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا إلى ليوبولدفيل فى شهر يولية من عام ١٩٦٣ لتعرب عن حسن نوايا الجبهة ، وكانت تلك البعثة تضم ممثلين عن ست دول هى : الجزائر ، والكونغو ليوبولدفيل ، وغينيا ، و نيجيريا ، والسنغال ، و أوغندا .

وفى يوم ٢٩ من يونية –الموافق الذكرى السنوية الثالثة لاستقلال الكونغو – وبرغم المعارضة المتكررة من كل من الرئيس كازافوبو وسفير الولايات المتحدة وصفت حكومة ادولا الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى التى كان يرأسها هولدن روبرتو بأنها كانت الحكومة الشرعية الأنجولية (٧٨) فى المنفى .

ولم تستطع بعثة النوايا الحسنة التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية إجراء مصالحة بين الطرفين ، كما أوحت تلك البعثة بدلا من ذلك بالاعتراف اعترافا كاملا بالحكومة الثورية الأنجولية فى المنفى ومساندتها ؛غير أن المساعدات المادية التى جاءت من منظمة الوحدة الأفريقية كانت بطيئة ، زد على ذلك ،أن جيش التحرير الوطنى الأنجولى لم يستطع إحراز أية انتصارات حاسمة على الأعداد المتزايدة للقوات البرتغالية التى سرعان ما وصل تعدادها ٥٠٠٠٠ مقاتل كانت تساندهم أيضا قوات الميليشيا والاحتياط ، وكان الأوربيون يشكلون ٧٥ ٪ من إجمالى تلك القوات (٧٩) وامتنعت

البرتغال عن الاعتماد على المساعدين الأفارقة فى خوض حروبها الاستعمارية ، وأُجبِرَتْ الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) على إغلاق مكاتبها فى ليوبولدفيل والانتقال إلى الكونغو برازافيل التى بدأت تتلقى منها معونة سوفيتية كبيرة ؛ كما بدأت الحركة أيضا الإعداد لهجومها على منطقة كابيندا ، وبرغم فشل ذلك الهجوم من الناحية العسكرية إلا أنه استطاع أن يعيد لمبلا وضعها السياسى ، وفى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٤ أعلنت لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية أنها منذ ذلك التاريخ فصاعدا سوف تقدم المساعدات المادية للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) .

أما الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى)فكانت تواجه فى ذلك الوقت صعوبات خطيرة وجاءت أولى تلك المصاعب نتيجة للصراع الداخلى الذى نشب بين هولدن روبرتو ووزير خارجيته جونازسافمبى ؛ إذ اتهم سافمبى وأنصاره كلا من روبرتو ودوائر الهجرة الأنجولية من حوله بالنزعة القبلية والفساد ؛ كما زعموا أنهم أقاموا " إمبراطورية تجارية فى الكونغو التى تحول فيها بعض أعضاء الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى إلى مجرد عمال يكسبون عيشهم ويستفيدون منها بأن أثروا لأنفسهم على حساب النقود الواردة من الدوائر المالية فى نيويورك والمنظمات الدولية الأخرى [٨٠] ، كما اعترض سافمبى أيضا على انضمام داكروز وانصاره إلى الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) ؛ غير أن تلك الهجمات التى وجهت إلى ذلك الشاعر الماركسى – اللينينى توقفت فى الحال بعد أن استقر مقام داكروز فى بكين ، وكان روبرتو آخر الذين زاروا العاصمة الصينية قبل سافمبى ، أما الأخير (سافمبى) [٨١] فقد أعلن فى القاهرة فى شهر يوليه من العام ١٩٦٤ استقالته من الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى .وخلف سافمبى الدكتور جوزيف ليهوسا فى رئاسة منظمة مساعدة اللاجئين الأنجوليين الاسمية التى كانت تعمل بصورة وثيقة مع الحكومة الثورية لانجولا فى المنفى (جراى).

وعند ذلك الحد أصبحت الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى هدفا لعداء الرئيس مويس تشومبى فى الكونغو ليوبولدفيل ، ولولا الخوف من رد الفعل المعاكس من منظمة الوحدة الأفريقية لأعلن تشومبى عدم قانونية الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وحظر

نشاطها تماما فى الكونغو ، وتشومبى هذا هو الذى سانده البرتغاليون وأيدوه من قبل فى كاتانجا فى جهوده الخائبة التى كان يبذلها من أجل خلق دولة مستقلة ، ولجأ تشومبى - الذى لم يكن يجرؤ على التحرك المباشر - إلى التحرك المباشر فى هذه المرة فراح يشجع ويؤيد محاولة الاستيلاء على السلطة التى قام بها كل من اليكسندر تاتى وزير الدفاع المتمرد فى الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وأندرى كاسندا- النقابى - الذى كان من أعداء روبرتو وحزبه الذى كان يسمى نفسه مجلس الشعب الأنجولى CPA (سبا) ، وعندما استولى تاتى وكاسيندا على الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) فى ليوبولدفيل كانت الظروف تحتم على الجنود الكنغوليين أن يقوموا بطردهما ؛ غير أن تشومبى استغل تلك الحادثة واتخذ منها حافزا له على فرض المزيد من القيود على نشاطات الحكومة الثورية لأنجولا فى الكونغو ، ثم انضم - ولكن بعد فترة قصيرة - إلى حركة (مبلا) ، ولكنه فى النهاية غير وجهته وتحول إلى كولونيل (٨٢) فى القوات البرتغالية فى كابيندا ، ومع بداية شهر فبراير من العام ١٩٦٥ حاولت حكومة تشومبى منع روبرتو من زيارة زامبيا وتانزانيا رغم أن ذلك كان بناء على طلب من هاتين الحكومتين .

وفى النهاية قام الجنرال (٨٣) جوزيف موبوتو - الذى كان واحدا من أصدقاء روبرتو الكنغوليين القدامى - بالإطاحة بتشومبى فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٥ ، وفى الحال جرى رفع القيود عن نشاطات الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) وتعهد موبوتوبتقديم المساعدات الكاملة للثورة الأنجولية ، وفى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٦ قام موبوتو بقطع علاقاته رسميا مع البرتغال ، وفى داخل أنجولا بدأت قوات جيش التحرير الوطنى الأنجولى عملياتها العسكرية فى منطقة كاسانجا فى أقليم المالانجى ، كما جرى شن بعض الغارات من قواعد جيش التحرير الوطنى الأنجولى فى الكونغو - عبر الحدود - داخل أنجولا ، وعندئذ كان المقاتلون التابعون للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى يضربون ضربتهم -لأول مرة - فى شرقى أنجولامن قواعدهم فى كاتانجا وجرى دعم وتموين عدد من المناطق المحررة التى تقع على بعد مئات الأميال داخل البلاد ، .غير أنه فى ذلك الوقت كان سافمبى قد أنشأ " حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) ، أضف إلى ذلك : أن سافمبى كان

يصيب نجاحا فى الاحتفاظ بالعصابات فى جنوبى وشرقى أنجولا ، وبذلك تكون الحركة الشعبية لتحرير أنجولا قد بدأت برجالها الذين تم تدريبهم فى العملية غير الناجحة التى جرت فى كابيندا والتى كانت تشكل الجبهة الشرقية للحركة عبر حدود زامبيا ، وعلى العموم نستطيع أن نتبين أن مبلا - التى كانت أفضل تسليحا وتدريبا عن منافسيها الأفارقة - قد بدات مواجهة دامية لقتل الأشقاء مع كل من الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وحزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) . وبانتهاء العام ١٩٦٧ ادعت حركة مبلا أن قواتها وصلت إلى مدينتى مكسيكو وكواندوكو بانجو .

وهنا جاء دور مبلا لتسوق ادعاء مفاده أن قواتها كانت تعد القوات الوحيدة التى كانت تقاتل داخل أنجولا ، وبرغم ترديد أصدقاء مبلا فى موسكو وفى أماكن أخرى لهذا البيان فإنه لم يكن صحيحا تماما ، وبعد الجهود التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة لإحداث نوع من المصالحة بين حركتى مبلا والحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى فى العام ١٩٦٦ ، لم يدر أى حوار بعد ذلك عن الوحدة ، كما أن حركة مبلا رفضت أيضا المقترحات التى تقدم بها حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) حول إيجاد نوع من الوحدة التكتيكية فى العمل ضد البرتغاليين ،.بل إن مبلا كانت لفترة تقتل من بين مناضلى يونيتا ، أعدادا أكثر من الأعداد التى كان يقتلها البرتغاليون .

وفشلت الجهود المتكررة من أجل توحيد حركتى يونيتا وجراى وعلى كل حال فإن سافمبى الذى كان يشعر باليأس إزاء الوحدة ، كان يريد العودة مع حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا إلى العضوية الكاملة داخل الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) ، ورفض روبرتو قبول ذلك الاقتراح ، وطالب بدلا من ذلك بأن يأخذ سافمبى وزملاءه فقط أماكنهم بين الأحزاب القائمة التى تتكون منها الجبهة ؛ ولكن سافمبى بدوره لم يكن على استعداد لحل حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) ، وقام المتعاطفون مع الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) بتوصيل نسخة من رسالة كتيب بتاريخ ٣٠ من مايو من العام ١٩٦٩- برغم إنها من سافمبى - إلى جوستين بومبوكو الذى كان وزيرا للخارجية فى الكونغو فى ذلك الوقت ، ويعرب سافمبى فى تلك الرسالة عن رغبته الصادقة فى تحقيق نوع من الاتحاد مع قوات

روبرتو ، ويقول بومبوكو عن تلك الرسالة : إن سافمبى قد كتب بالفعل للرئيس الكونغولى موبوتو ، وإنه يأمل أن يستعمل موبوتو وبومبوكو نفوذهما مع روبرتو لإيجاد وتحقيق تلك المصالحة ، ولم ينكر ممثلو حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) وجود مثل هذه الرسالة ، غير أنهم ألحوا بشدة أن نص تلك النسخة ربما يكون قد عولج بصورة أو بأخرى سعيا لوضع سافمبى فى موقف حرج ، و أيا كان الأمر فإن المصالحة التى طال انتظارها لم تحدث حتى نهاية العام ١٩٧١ برغم الالتماسات المتكررة والمتجدده التى تقدمت بها حركة (يونيتا) لكل من حركتى جراى و (مبلا).

كان عدد القوات التابعة للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى فى ذلك الوقت يتردد بشئ من التحفظ بين ٥٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ رجل[٨٤] ، وبرغم اتهام حركة جراى من قبل نقادها بالتبعية وأنها كانت تجعل من مناطق الأمن الكونغولية ملاذا لها فقد اعترف الناطقون البرتغاليون بأن الحكومة الثورية لتحرير أنجولا فى المنفى – مثلها فى ذلك مثل الحزبين الوطنيين الآخرين – قد بدأت تزيد من عملياتها العسكرية إعتبارا من العام ١٩٧٠ ، ومع ذلك بدأت تموت أسطورة المساعدات الأمريكية الكبيرة لحركة (جراى) وبخاصة أن جيش التحرير الوطنى الأنجولى لم يكن يبارى حركة مبلا فى المعدات السوفيتية الحديثة التى كانت توجد بوفرة لدى المقاتلين التابعين للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، ويقول جورج ثاير [٨٥] وهو مراسل صحفى أمريكى ثقة إن كلا من حركة (جراى) برياسة روبرتو وحركة (فريليمو)برئاسة الراحل إدوارد وموندلين كانتا تتلقيان مساعدات مالية صغيرة من المصادر الأمريكية ، ويرى بعض الطلاب فى حركات التحرر الأفريقية الأخرى أن المساعدات الصينية كانت تذهب أيضا إلى حركة الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) [٨٦] ، وفى الوقت الذى كان الشيوعيون الصينيون ينادون فيه بنظرية الاعتماد على النفس كأساس للسياسة الثورية ، نجد إن السياسة الأمريكية الرسمية التى صرح بها وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى تنص على : إنه فى الوقت الذى تؤكد الولايات المتحدة فيه دعمها لشعوب المستعمرات البرتغالية ومساندتها لها فى مطالبتها بحق تقرير المصير ، فإنها تعلن أيضا تشجيعها للتحرك السلمى صوب ذلك الهدف ، وأضاف روجرز يقول :إن الحكومة الأمريكية ترى أن اللجوء إلى العنف ليس فى مصلحة أحد [٨٧] .

وخلال الفترة من العام ١٩٧٠ تزايدت العمليات التى كان جيش التحرير الأنجولى (إلنا) يقوم بها فى شمال أنجولا بسبب رضوخ هولدن روبرتو ، وفى أحيان كثيرة ، لضغوط المقاتلين الشبان الذين كانوا يصرون على شن حملة إرهاب فى الحضر ضد البرتغاليين ،كى يكتمل عمل العصابات فى الريف ، وتردد زعم مفاده أن الثوار كانوا يخشون أن يرد البرتغاليون بقصف المدنيين بالقنابل وبدون تمييز فى المناطق التى يسيطر عليها الثوار فى البلاد ، وزيادة على ذلك ، ورد فى أحد التقارير أن روبرتو أعرب أثناء زيارته للمغرب وتونس فى شهر يولية عن قلق مفاده أن الولايات المتحدة التى كان يعتقد أنها تضغط على البرتغال من أجل إجراء مفاوضات مع الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ، أصبحت الآن تميل إلى استمرار الحكم الاستعمارى وبقائه ، ولم تلح فى الأفق نهاية لحرب التحرير إذ كانت الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى لاتزال لها قوة سياسية وعسكرية يتحتم التعامل معها بصورة أو بأخرى قبل أن يتمكن أى طرف آخر من حكم أنجولا .

حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا)

مع أن حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) يعد أصغر الأحزاب الأنجولية الوطنية الثلاثة إلا أنه بدأ يصيب نجاحا مفاجئا ومثيرا منذ تأسيسه فى شهر مارس من العام ١٩٦٦ داخل أنجولا بالقرب من مدينة لوسو ، أما جوناز سافمبى ، الرئيس المنتظر للحزب فقد طالب بعقد المؤتمر الافتتاحى للحزب فى مناطق الماكى [٨٨] داخل أنجولا ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الناطقون بلسان حزب (يونيتا) يرددون مرارا أن حركتهم تعد أول حركة فى تاريخ النضال الأفريقى من أجل الاستقلال ، وأن تلك الحركة كانت أول حركة تولدت عن العمل الذى كان يجرى داخل البلاد بدلا من بعثها فى المعسكرات العسكرية فى مناطق الهجرة المحيطة بالدول المجاورة ، وخلال فترة قصيرة من تأسيس حزب (يونيتا) نجح الحزب فى تأكيد وجوده داخل أنجولا كمنظمة سياسية عسكرية متينة البناء ، وقادرة على القتال ضد الأعداء الأشقاء ، وبخاصة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) .

ونقلا عن المطبوعات الصادرة باللغة الإنجليزية عن اللجنة المركزية لحزب (يونيتا) تحت عنوان أنجولا : العام السابع ، نجد أن المبادىء التى يسير عليها الحزب هى :

١ – التعبئة المنظمة وتنظيم الفلاحين داخل البلاد ليكونوا قوة أساسية فى الكفاح .

٢ – التكامل والوحدة بين المثقفين والكوادر العسكرية فى الكفاح داخل وخارج أنجولا ، وأن يكونوا جميعا جنبا إلى جنب مع الجماهير العريضة .

٣ – رفض الاعتماد على المعسكرات العسكرية التى جرى إنشاؤها فى الدول المجاورة فى الدعاية الخارجية .

٤ – المشاركة الفعالة من الشعب بكامله سواء أكان فى الريف أم الحضر فى المكافحة العامة للسيطرة الأجنبية .

٥ – رفض الانصياع لقيادة الدول الأجنبية الكبرى ؛ إذ إن الدول الكبرى تحاول الآن أكثر من أى وقت مضى خلق يالتا Yalta ولكن عن طريق التنافس السلمى فى هذه المرة .

٦ - الإيمان بوحدة وتعاون جميع الأنجوليين فى تلك المرحلة من مراحل التحرر الوطنى(٨٩) .

وبرغم المناداة بالوحدة والمطالبة بها نجد أن حزب يونيتا ولد نتيجة للانقسام الذى وقع فى الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) ، تلك الحكومة التى كان سافمبى فيها وزيرا للخارجية عند تأسيسها فى شهر أبريل من العام ١٩٦٢ ، زد على ذلك ، أن سافمبى منذ العام ١٩٦١ كان أمينا عاما لاتحاد شعب أنجولا ، كما كان أيضا شخصية رئيسه من الشخصيات التى كانت من غير الباكونجو وتتعاون مع هولدن روبرتو ، وهذا بدوره كان يؤكد على أقل تقدير أن الزعامة كانت ذات تعدد عرقى برغم أن الحزب فى أنجولا كان لا يزال يقوم أصلا على أساس من شعوب الباكونجو .

أما جوناز مالهيرو سافمبى فقد كان ابنا لأسرة بارزة من أسر الأفمبوندو وكانت تلك الأسرة تعيش فى إقليم شليسو فى مقاطعة باى ، وعلى كل حال فقد ولد سافمبى فى ٣ من أغسطس من العام ١٩٣٤ فى بلدة مونهانجو بإقليم موكسيكو ، حيث كان يعمل والده لوت سافمبى موظفا فى خطوط السكك الحديدية فى بنجويلا ، أما الأب الذى تحول إلى البروتستنتية فقد لعب دورا نشطا فى إنشاء الكنائس والمدارس البروتستنتية فى الأماكن التى كان ينقل إليها من قبل سلطات الخط الحديدى ، كان كل ذلك يجرى رغم معارضة الكاثوليك ، وتلقى جوناز سافمبى تعليمه الابتدائى فى مدرسة بروتستنتية فى شيلسو مستهلا بذلك مستقبلا باهرا أوصله فى النهاية إلى جامعة لشبونة فى منحة دراسية مقدمة من كنيسة المسيح المتحدة ، ومع أن سافمى لم يكن له سوى اتصال قليل - بل إنه لم يكن له أى اتصال على الإطلاق - بالطلاب المولدين الأنجوليين الذين أصبحوا فيما بعد زعماء فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) وأيضا فى حزب مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) إلا أن شرطة الأمن البرتغالية كانت تضايق سافمبى وتزعجه ، زد على ذلك أن سافمبى رفض أن يكون مرشدا للشرطة أثناء العطلة الدراسية الجامعية فى العام ١٩٦٠ ، وترتب على ذلك أن ترك البرتغال قاصدا سويسرا ، وسمح له رعاته البروتستنتيين بالدراسة فترة قصيرة فى جامعة فريبورج ثم بعد ذلك فى جامعة لوزان حيث حصل فى النهاية على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية والقانونية .

وانضم سافمبى إلى اتحاد شعب أنجولا (يوبا) لا بأصله غير الباكونجى فحسب بل أيضا بذكائه الفكرى ومنجزاته الأكاديمية ، وكان من المعروف أن قبائل الكونغو التى أنشأت اتحاد شعب أنجولا (يوبا) لم تكن سوى طائفة من المثقفين ، ونجد عند بعض المراقبين انطباعا مفاده أن هولدن روبرتو ، الذى كانت آفاقه الفكرية أوسع وأرحب من آفاق تلك الطائفة من المثقفين كان برغم كل ذلك معاد لهم ، ومع ذلك فإن صداقة روبرتو الشخصية والوثيقة مع فرانز فانون تكذب كل ذلك ، مع أن هناك احتمال كبير بأنهما كان يداخلهما الشك والارتياب إزاء ادماج المثقفين فى الموقف الاستعمارى ومن ناحية سافمبى نجد أنه قد وافق مرارا على الانضمام إلى اتحاد شعب أنجولا وذلك بناء على النصيحة التى أسداها إليه توم إمبويا الكينى الذى التقى به فى إحدى المؤتمرات الطلابية ، وقد أثر قرار سافمبى على كثير من الطلاب الأنجوليين الذين – كما علق أحدهم بعد ذلك فى مرارة – «صدقوا سذاجة أن اتحاد شعب أنجولا (يوبا) كان تنظيما وطنيا يدافع عن المصالح العامة للجماهير العريضة (٩٠) ، ومهما يكن الأمر – وكما أوضح جون ماركو – فإن قرار سافمبى ساعد على انضمام الحزب الديمقراطى الأنجولى (بدا) إلى الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) ومع اتحاد شعب أنجولا (يوبا) ، كما مهد الطريق أيضا لتكوين حكومة روبرتو فى المنفى (٩١) .

وخلال فترة قصيرة نسبيا وجد سافمبى وزملاؤه أنفسهم على خلاف خطير مع المهاجرين فى المناطق المجاورة فى ليوبولدفيل ، كما أساءت الفوضى الدائمة التى سادت مكاتب الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) إلى المشاعر البيروقراطية لدى كل من سافمبى وزملائه ، زد على ذلك أنهم استاءوا بصورة أكبر لاقتصار الزعامة على عائلة واحدة هى عائلة روبرتو كما أعربوا أيضا عن عدم رضاهم عن الكفاية والأمور التافهة التى كان يمكن اغتفارها والتى كانوا يصدرون عليها حكمهم القاسى بأنها الفساد بعينه ، وكان سافمبى وأصدقاؤه – الذين هم أنفسهم كانوا متأثرين بالماركسية – اللينينية – على علم بالدعاية الواسعة التى كانت حركة (مبلا) تقوم بها (وبخاصة أن الحركة كانت تخفى وجودها فى ذلك الوقت كمنظمة تقوم على حرب العصابات) ، يضاف إلى ذلك أن أصدقاء سافمبى كانوا يطالبون بمراجعة وتنقيح حذرين لأسلوب العمل السياسى فى حزب اتحاد شعب أنجولا (يوبا) واتخاذ موقف أيدولوجى عقائدى تقدمى متناسق وواضح ومحدد ، هذا علاوة على أنهم كانوا يريدون

فى النهاية مزيدا من التركيز على توسيع الكفاح المسلح وامتداده إلى كل أنحاء الريف فى أنجولا ، وأيضا زيادة الاهتمام بالتلقين السياسى لجماهير الفلاحين ، كما كانوا يطالبون أيضا بمزيد من التركيز على تعاليم الثوار الكبار من أمثال ماوتسى تونج وهو شى منه والبروتستنتيين الذين لايتمسكون تمسكا شديدا بالإنجيل .

وأكد سافمبى بعد ذلك أن وظيفته كأمين عام لاتحاد شعب أنجولا (يوبا) إنما كانت مجرد وظيفة اسمية ، وأنه كانت تنقصه السلطة التى يمكن أن تساعده على تحقيق كل تلك الاصلاحات المطلوبة والغريب حقا أن التمرد والشقاق داخل الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى لم يظهر إلا بعد أن حدث الانقسام فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، وأيضا بعد أن تقدم فرياتو داكروز بطلبه للحصول على عضوية الحكومة الثورية لأنجولا فى شهر يوليه من العام ١٩٦٣ ، ومع أن داكروز كان يعد بصورة عامة ماركسيا - لينينيا مخلصا تربطه علاقات أخوية ممتازة مع الشيوعيين الصينيين ومع أن سافمبى قد روع ولوث بالفعل بعض المحافظين بإدارته اليسارية ، إلا أن الأخير (سافمبى) (٩٢) حاول بصورة مكشوفة سد الطريق فى وجه التصريح بقبول داكروز ، ومن رأى بييرباسكال ، الصحفى السويسرى أن سافمبى «ربما كان معادٍ للشيوعيين» أو إنه كان يسعى إلى الوصول إلى ترتيب مستقل يحصل بمقتضاه على المساعدة العينية دون أن يلعب داكروز دور الوسيط ، ونقلا عن روس أيضا ، فإن سافمبى الذى اتخذ قرارا بتأسيس تنظيم حزبى خاص به يضم الجنوبيين فى الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى - ربما كان يخشى أيضا التأثير القوى لشخصية داكروز على المجموعة (٩٣) الناشئة ، ومع أنه لم يحدث أى تقارب بعد ذلك بين سافمبى وداكروز فإنه لا سافمبى نفسه ولا حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا نفسه كشفا عن أى رأى من الآراء المعادية للشيوعية ، بل إن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) والنقاد الآخرين الذين يسيرون على خط موسكو راحوا يصفون حزب (يونيتا) بطريقة متباينة بأنه أداة الإمبريالية الأمريكية وأنه إلى حد ما يعمل لحساب بكين (٩٤) .

وأعلن سافمبى استقالته من الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) فى ١٦ من يوليه من العام ١٩٦٤ فى مدينة القاهرة التى كان قد سافر إليها لحضور مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الأفريقية ، ويشكو سافمبى فى البيان الذى صدر بشأن استقالته ، من النقائص التى كانت تعانى منها الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى وبخاصة فشل

الحكومة الثورية المزعومة فى تعبئة الجماهير الشعبية داخل أنجولا ، وعقب رحيل سافمبى بأيام تقدم كل من جوسى وجورج فالنتيم وجوسى نديلى وآخرين معهم باستقالتهم من الحكومة ، وغادر سافمبى القاهرة إلى لوزان (٩٥) وبصحبته كارلوس مور الكوبى الأسود المعادى لكاسترو والذى كان من أصل جاميكى وخلق به هناك فلورنتينو دوارتى الذى كان يعمل فى ذلك الوقت فى القاهرة ممثلا للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى ، وبعد أن رفض دوارتى دعوة للانضمام إلى مجموعة سافمبى أعلن على الملأ شجبه لسافمبى الذى كان صديقا ورفيقا له من قبل ، ومع ذلك قضى سافمبى عاما يدرس من جديد فى جامعة لوزان ، وخلال ذلك العام قام سافمبى بزيارة برازافيل لإجراء اتصالات ؛ غير أن سافمبى وجد أن الزمرة التى كانت تحيط بأوجستينو نيتو كانت أكثر استرسالا فى الإثم والعناد والشر من المجموعة التى كانت تحيط بـ هولدن روبرتو ، وعلاوة على ذلك فإن أيديولوجية المراجعة الماركسية التى كان ينتهجها زعماء الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) كانت غير مناسبة تماما للحرب الشعبية التى كان يريد سافمبى نشوبها داخل أنجولا ، غير أن نيتو فى أحيان كثيرة كان يرى فى سافمبى شخصية غير مستقرة ، بل إن الأسوأ من ذلك أنه كان يرى فيه شخصية اليسارى المتطرف الغر مع أن سافمبى كان يعد أفضلهم من ناحية الفكر والإنجاز التعليمى والتربوى ، والأصل الطبقى كما إنه نفسه لم يكن من الخلاسيين ، وفى النهاية شعر الجميع أن الأمر لايحتاج إلى استبدال داكروز المشاغب المثير للمتاعب بنسخة أخرى أكثر سوادا لها نفس الاتجاهات وتتمثل فى سافمبى نفسه .

وفى مارس من العام ١٩٦٦ أسس سافمبى وزملاؤه رسميا حزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) ، وأقر الحزب فى أول مؤتمر له عقده داخل أنجولا برنامجا محكما تماما من تسع نقاط يعد استثناء أو مختلفا بالضرورة عن برامج الحركات القائمة بالفعل ، وتعهد حزب يونيتا لنفسه - مثلما فعلت تلك الحركات - بتحقيق الاستقلال الكامل ، والتضامن المعادى للإمبريالية والاقتصاد القائم على التخطيط علاوة على برنامج خاص للتصنيع ، ثم التزم بميثاق الأمم المتحدة ومبادئ منظمة الوحدة الأفريقية ، ووعد حزب يونيتا أيضا بمواصلة الكفاح من أجل تكوين جبهة موحدة حقيقية تضم جميع قوات التحرير الأنجولية بدون أى تمييز من أى نوع كان (٩٦) ، بل والأهم من ذلك أن زعماء حزب يونيتا - حتى فى أثناء اقتتال الأشقاء الذى دار مع القوات التابعة للحركة الشعبية لتحرير أنجولا - كرروا ذلك النداء من أجل تكوين جبهة موحدة ضد البرتغاليين .

وجرى تنظيم الحزب ليعمل فى ظل قيادة جماعية وعلى أساس من النظرية اللينينية فى الحركة المركزية للديموقراطية التى ترعاها جمعية عمومية ولجنة مركزية على المستوى القومى للخلية التى تعد الوحدة الأساسية فى تنظيم الحزب ، وقضى التنظيم أيضا أن تكون بين الجمعية العمومية واللجنة المركزية لجنة إقليمية ولجنة محلية ولجنة للحى ، وحرصا من احتمال أن يطول الكفاح الوطنى وتزداد مرارته أنشأ حزب يونيتا جناحه العسكرى والذى أطلق عليه اسم قوات التحرير المسلحة FALA (فالا) .

وراحت كوادر التحرير المسلحة (فالا) ، وضباطها السياسيون واخصائيوها الطبيون والاجتماعيون يعملون على أساس من المستوى السياسى والاجتماعى وأيضا المستوى العسكرى البحت فى خمس جبهات تقع على طول الحدود مع زامبيا ووسط وجنوب أنجولا ، وبخاصة فى لواندا ، ومالانجى ، وموكسيكو ، و(باى) ، وكواندو كوبانجو ، وعند هذا الحد بدأت جبهة هويلا فى شهر مايو من العام ١٩٦٩ ، وعلى العكس من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وسياستها التى تقوم على العداء المكشوف للتركيبات القبلية القائمة ، حاول حزب يونيتا إحداث تغييرات هامة فى تنظيم حياة الريف فى أنجولا دون أن تفيض على المجتمع الطائفى الذى كان قائما والذى كان يتصل فى بعض الأحوال اتصالا هامشيا مع الاقتصاد النقدى البرتغالى ، وكان حزب يونيتا يحاول عن طريق تحسين الأساليب الحرفية للزراعة خلق اقتصاد مستقل كلما أمكن له ذلك ، وكان الحزب يقوم بافتتاح المدارس والعيادات الطبية فى الأماكن التى يسمح فيها الأمن بذلك كى يتسنى توفير الخدمات الطبية والاجتماعية ، أضف إلى ذلك أن المناطق المحررة كانت تعانى من نقص فى السكان وجرى من حيث المبدأ تقسيم المناطق المحررة إلى اثنتى عشرة منطقة (تضم كل منها خمسة وعشرين عصابة) وخمسة وعشرين منطقة فرعية .

وبرغم نقص المعونة الخارجية الكبيرة (باستثناء الإمدادات الطبية الصينية) استطاع حزب يونيتا أن يصيب نجاحا مثيرا ، بل إن النكسات التى حلت بالحزب تكشف عن نمو التنظيم نموا سريعا كما حدث فى ٣١ ديسمبر من العام ١٩٦٧ عندما كتب مراسل جريدة النيويورك تايمز فى لشبونة عن المواجهات الأساسية التى وقعت بين القوات البرتغالية وحزب يونيتا داخل أنجولا بالقرب من مدينة لوسو ، وقد نقل عن البرتغاليين فى تلك المدينة أنهم أسروا مائة عضو من أعضاء حزب يونيتا ، واستمر الكفاح ونشرت جريدة تايمز زامبيا (التى تصدر فى لوساكا) فى شهر سبتمبر

من العام ١٩٦٩ سلسلة من المقالات كتبها المراسل ستيف فالنتين الذى قضى أربعة أسابيع قطع خلالها ٥٠٠ ميل داخل أنجولا مع العصابات التابعة لحزب يونيتا ، ويدعى فالنتين فى تلك المقالات أن المصدر الرئيسى الذى كان حزب يونيتا يحصل منه على السلاح كان الجيش البرتغالى نفسه ، فقد كان يجرى الاستيلاء على أسلحة حلف الأطلنطى من الجيش البرتغالى عن طريق الإغارات التى كان يشنها حزب يونيتا ، وبرغم إنكار المسئولين - فى حلف شمال الأطلنطى - مرارا لتلك الحقيقة إلا أن الأرقام المسلسلة والعلامات المميزة لتلك الأسلحة تؤكد أن الجيش البرتغالى كان فى الواقع يستخدم تلك الأسلحة فى الحرب الاستعمارية فى أفريقيا ، ويخلص فالنتين من سلسلة مقالاته إلى أن : «فشل سافمبى الوحيد إنما كان يتمثل فى اقناع العالم بوجود التنظيم» .

ومع أن سلطات زامبيا كانت تعرف بوجود حزب يونيتا إلا أن تلك السلطات ذاتها لم توافق ظاهريا على الحزب ، وفى أغسطس من العام ١٩٦٧ أرغم سافمبى على مغادرة زامبيا على أثر الاتهامات التى ساقها البرتغاليون عن قيام العصابات التابعة لحزب يونيتا بنسف قطاع من خط سكك حديد بنجويلا الذى يعد خط الإمداد الرئيسى بين زامبيا والمحيط الأطلسى ، ونقلا عن جريدة زامبيا نيوز فى ١٣ من أغسطس من العام ١٩٦٧ هدد البرتغاليون بقطع الخط الحديدى تماما مالم تتخذ زامبيا إجراء ضد حركة يونيتا التى كان لها مكتبا فى لوساكا فى ذلك الوقت ، ومضت الصحيفة إلى القول : ومع أن حكومة زامبيا لم تعترف رسميا بالحزب ، وفى الوقت الذى كانت حركة يونيتا تحرز فيه مزيدا من النجاحات المؤكدة فى أنجولا أكثر من التنظيمين الآخرين إلا أن الحكومة - وهى تضع أنجولا نصب عينيها - ظلت بعيدة تماما عن قطع أى التزام على نفسها تجاه مستقبل ذلك الحزب ؛ وفى النهاية أنهت زامبيا إقامة سافمبى المؤقتة وأجبرته على السفر إلى القاهرة .

ولم يمكث سافمبى كثيرا فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، واستطاع بصورة أو بأخرى أن يصل إلى المناطق التى كانت تسيطر عليها العصابات داخل أنجولا ، ومن تلك المناطق التمس سافمبى فى رسالة أرسلها إلى كنيث كاوندا - رئيس زامبيا - أن يسمح له بإعادة فتح مكتب يونيتا فى لوساكا ، يقول سافمبى إن إغلاق المكتب يخلق قدرا كبيرا من المصاعب» ، فقد منع إغلاق المكتب وصول الأسلحة إلى بلاده ، ويعترف سافمبى فى رسالته بأنه أخل بالشروط التى وضعتها حكومة زامبيا لتنظيم حرية حركة المقاتلين فى زامبيا .

وكان ذلك للتأكيد على أن سكك حديد بنجويلا لايجب أن يمسها ضر ، وأن المهاجرين الأنجوليين فى زامبيا لايجب أن يجندوا ، ومع ذلك فقد تعهد بالالتزام بهذه القواعد فى المستقبل ، غير أن السلطات الزامبية لم تلغ الأمر ضده ، وأنه فى بداية عام ١٩٧٢ لم يكن لحركة (يونيتا) شرعية فى زامبيا .

وأدى طرد موظفى حركة يونيتا من زامبيا إلى تعريض المتعاطفين مع حركة يونيتا بل وأعضاء ذلك التنظيم للانتقام ، وبخاصة الأعضاء الذين كانوا من جالية المهاجرين الأنجوليين التى بدأت تتزايد داخل أنجولا ، وترتب على ذلك أن أصبح الكثيرون من هؤلاء الأعضاء فى موقف حرج ، أضف إلى ذلك أنهم اضطروا - نتيجة اليأس - أن يقسموا على ولائهم للحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) أو - فى أحسن الظروف - على الولاء للحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) ، تلك الحكومة التى قام رئيسها هولدن روبرتو نفسه قبل ذلك بزيارة إلى لوساكا لمناقشة مصير المهاجرين ، علما بأن روبرتو نفسه قام قبل ذلك بزيارة إلى لوساكا فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٦ ليناقش مع سافمبى إمكانية توحيد الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) وحزب الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) فى حركة واحدة ، ونظرا لأن روبرتو كان يعلم ويدرك الصعوبات التى تواجه الجماعة المنشقة فقد جاءت شروطه التى حددها لإعادة الوحدة شروطا قاسية على النحو التالى :

١ - حل حزب يونيتا داخل وخارج البلاد وادماج وتكامل المقاتلين التابعين لحزب يونيتا والمناصرين له فى إطار عضوية اتحاد شعب أنجولا (يوبا) (جراى) .

٢ - إلزام جوناز سافمبى بكتابة رسالة اعتذار عن إعلانه استقالته من حزب الاتحاد الأنجولى فى ١٩٦٤ أو أنه يتحتم عليه أيضا أن يلتمس إمكانية إعادة السماح له بالانضمام فى نفس منصبه السابق أمينا عاما لاتحاد شعب أنجولا (يوبا) .

٣ - يلتزم سافمبى بأن يصدر بيانا يدين فيه إعلانه الذى أصدره فى القاهرة فى العام ١٩٦٤ والذى أعلن فيه استقالته من منصبه كأمين عام لحزب اتحاد شعب أنجولا ومن عمله وزيرا للخارجية فى الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى [٩٧] .

ورفضت منظمة يونيتا تلك الشروط ، غير أنها استمرت تحث على اجتماع لزعماء حركات التحرر الأنجولية الثلاثة تحت رعاية منظمة الوحدة الأفريقية حتى يتسنى لهؤلاء الزعماء التفاوض بشأن التعاون السياسى والعسكرى .

وكانت منظمة يونيتا تواجه أيضا بعض الصعوبات فى داخل أنجولا ، كما وردت أيضا تقارير عن وقوع خلافات بين المسئولين الإقليميين الذين جاءوا من بين الفلاحين (الذين كانوا أيضا رؤساء للميليشيات الشعبية التابعة لمنظمة يونيتا) والمسئولين السياسيين والقادة العسكريين فى قوات التحرير المسلحة FALA (فالا) والذين كانوا فى أغلب الأحيان من أصل برجوازى متحضر (٩٨) ، يضاف إلى ذلك أن درجات التربية السياسية ، والمناقشات التى كانت تجرى مع الزعامة السياسية ، النقد الذاتى لم تحل تماما دون اتساع هوة الخلافات إلى الحد الذى حدث معه الشقاق والانقسام داخل المنظمة .

أما التهديد الخطير فقد جاء نتيجة الحملة الجديدة التى قامت بها الحركة الشعبية لتحرير أنجولا فى شرقى أنجولا من قواعدها فى زامبيا ، وأدرك مسئولو حركة يونيتا أن وصول الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) إلى أنجولا إنما جاء إلى حد ما نتيجة للقرار الذى اتخذته زامبيا ويقضى بتحريم حركة (يونيتا) داخل أراضى زامبيا ، وخسرت حركة يونيتا الكثير من رجالها فى عشرات الصدامات التى وقعت بينها وبين الوحدات العدوانية التابعة لحركة مبلا ، كما أجبرت حركة يونيتا على التخلى عن منطقة كبيرة ، وأن تتراجع إلى الوراء إلى جانب ووسط البلاد ، وفى الجنوب احتفظت حركة يونيتا لنفسها بعلاقات تعاون أخوى مع المنظمة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا (سوابو) التى كانت عصاباتها تمر عبر الجزء الجنوبى من أنجولا وهى فى طريقها إلى «أوفامبو لاند» حيث كانت تحاول خلق بؤرة لها فى جنوب غربى أفريقيا (٩٩) .

وفى النهاية اتهمت الحركة الشعبية لجنوب غربى أفريقيا (سوابو) بأنها ساومت وقايضت على كثير من الإمدادات اللازمة لمساعدة حركة يونيتا فى ذلك الإقليم من البلاد ، ومع ذلك فإنها لم تحصل على تلك المساعدة قط .

أما القوات العسكرية التابعة لحركة يونيتا فى ذلك الوقت فكانت قوات متواضعة ، وقد ادعى موسيس كايومبو – وهو أحد القادة العسكريين فى قوات التحرير المسلحة (فالا) – أن ٣٠٠٠ مقاتل كانوا يعملون تحت قيادته فى العام ١٩٦٩ ، غير أنه لم يكن لديه سلاح يكفى سوى لألف وستمائة مقاتل من هؤلاء المقاتلين (١٠٠) ، وبينما كانت تلك القوات تدرك استحالة قيامها بهجوم شامل نجد أنها كانت قادرة تماما على حماية البنية السياسية الاجتماعية التحتية التى كانت حركة يونيتا تحاول توسيعها فى كل أنحاء ذلك الجزء الذى يقع إلى الجنوب من وسط أنجولا .

وفى مكان ما بين تلك المنطقة الشاسعة عقدت حركة يونيتا مؤتمرها الثانى فى جلسة عادية استمرت من ٢٤ إلى ٣٠ من أغسطس من العام ١٩٦٩ ، وأكد المؤتمر من جديد أن الخط العام للحركة هو الاستمرار فى مواصلة الحرب الشعبية الطويلة من أجل التحرير الوطنى وتطوير حرب العصابات داخل أنجولا عن طريق الاعتماد على الجهود الذاتية (١٠١) ، زد على ذلك أن التحية التى وجهتها حركة يونيتا إلى الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية - التى أنشأتها جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية - إنما تكشف عن تحول جبهة يونيتا تحولا أصيلا إلى أعداء الامبريالية ، ناهيك أيضا عن التحية التى وجهتها الحركة أيضا بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى وأيضا تحيتها بمناسبة إعادة انتخاب الرئيس ماوتسى تونج ، ومع عبارات التحية تلك كانت هناك إدانات لاستمرار العدوان الأمريكى على شعب فيتنام الجنوبية البطل الذى يقاتل من أجل استقلاله الوطنى ، والعدوان السافر على جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، الذى أعقبه عدوان آخر على جمهورية الصين الشعبية من الاتحاد السوفيتى (١٠٢) .

وبعد المؤتمر بفترة قصيرة - أى خلال العام ١٩٧٠ - بدأت قوات التحرير المسلحة عملياتها ضد البرتغاليين ، ورفضت رفضا قاطعا أن تنصب مذبحة لأشقائها المنافسين لها فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) ، واستطاع جوناز سافمبى هو ورفاقه تدعيم ذلك النجاح فى المعركة التى شنوها ضد البرتغاليين ، وفضل سافمبى أن يظل صامتا بشأن تلك المعركة التى فرض عليهم القيام ضد إخوانهم ، ولم يدع إلى المؤتمر لنصرة وتأييد كفاح شعوب المستعمرات البرتغالية نظمه الحزب الشيوعى الإيطالى فى شهر يونيه من العام ١٩٧٠ سوى الأحزاب الأعضاء فى حزب مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) ، أو بمعنى آخر الأحزاب التى تساندها موسكو ، أضف إلى ذلك ، أن حزب كونسب - أى حزب مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية - هو الجناح السوفيتى لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ومجلس السلام العالمى ، وفى معرض تعليق جورج سانجومبا وزير الخارجية فى حركة يونيتا على الوجود الوحيد للحركة الشعبية لتحرير أنجولا يقول : إن المنظمات الراعية أثبتت أنها الناطقة بلسان الجهود الديبلوماسية التى يبذلها اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية للتأثير على مجرى الأحداث فى حركات التحرير فى جنوب أفريقيا ، وعلى كل حال فقد أثبت التاريخ أن أى بلد أجنبى سواء أكان صغيرا أم كبيرا ،

لم ينجح فى فرض أية حلول على دول وشعوب أخرى دون موافقة كاملة وواعية من تلك الشعوب ، وأن الشعب الأنجولى فقط هو سيد مصيره وكفاحه ، ومن ثم فإن التحديد بصورة مسبقة بأن الحركة الشعبية لتحرير أنجولا هى الممثل الوحيد للشعب الأنجولى لايعدو أن يكون مجرد تفكير قائم على الرغبة ، ومجرد ممارسة ذهنية لا تزيد أو تنقص على ذلك ، أضف إلى ذلك أن هذا لايعكس الظروف الموضوعية (١٠٣) داخل أنجولا .

ومع ذلك بقى موضوع البحث عن الوحدة بمثابة واحدة من العلاقات الأساسية فى برنامج حركة يونيتا ، وأعلن جوناز سافمبى أنه لايزال على استعداد بل إنه يرغب فى إجراء مفاوضات من أجل اتفاق على وحدة العمل مع الزعماء الوطنيين الآخرين ، ويصر سافمبى على أنه بدون الوحدة - وبصرف النظر عن النجاحات التى يمكن أن تتحقق محليا - فإن النجاح فى الكفاح من أجل التحرير واستقلال أنجولا الذى يمكن أن يترتب على هذا النجاح سوف يظل أمرا مستحيلا .

٢ - غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر

- الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (بيجك)

- جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية (فلينج)

الخلفية التاريخية

اكتشف البرتغاليون فى العام ١٤٤٦ غينيا البرتغالية أو غينيا بيساو التى أطلقوا عليها ذلك الاسم تمييزا لها عن جمهورية غينيا المستقلة المجاورة التى عاصمتها كوناكرى ، وغينيا قطعة خفيضة من أرض رطبة ، يصل عرضها إلى حوالى ١٥٠ ميلا فقط ، وكان البرتغاليون يجلبون العبيد السود من قلاع شيدوها على ساحل هذه المنطقة ، كما كانوا يحصلون على العاج والذهب الذى كانت تحتاجه البضائع التى يجرى تصنيعها فى أوربا من تلك القلاع نفسها ، وتمكنت مملكتا مالى وولوف الإسلاميتان من سد الطريق سدا محكما فى وجه اختراق البرتغال للساحل الغينى أملا فى الوصول إلى المناطق الداخلية من هذه البلاد ، ومع ذلك استمرت تجارة الرقيق فى الانتعاش والازدهار بفضل استمرار الحروب القبلية ، وكان يجرى أيضا شحن الأسرى التعساء إما إلى البرازيل أو إلى جزر الرأس الأخضر ، التى هى عبارة عن مجموعة جزر على شكل هلال واقع فى المحيط الأطلسى على مسافة حوالى ٣٠٠ ميل إلى الغرب من السنغال ، هذه الجزر غير المأهولة ذات الأصل البركانى جرى اكتشافها فى منتصف القرن الخامس عشر وينحدر سكان هذه الجزر الحاليين من حفنة من المغامرين البرتغاليين والآلاف المؤلفة من العبيد الأفارقة الذين جرى جلبهم من غينيا ، ونظرا لأن البرتغاليين كانوا أكثر أمنا واطمئنانا فى تلك الجزر فقد أنشأوا فيها اقتصادا زراعيا ، وأداروا منها قلاعا مختلفة ومراكز تجارية متنوعة تقع على طول خليج غينيا ، ولم تنفصل مستعمرة غينيا إداريا عن جزر الرأس الأخضر إلا فى العام ١٨٧٩ فقط ، بل إن إقليم المستنقعات ذات الغابات الكثيفة فى الداخل لم يكن بكامله تحت السيطرة البرتغالية ، وفى القرن العشرين استوطن المولدون القادمون من الرأس الأخضر غينيا بيساو وطوروا فيها زراعة الأرز ، الذى يعد المحصول والغذاء الرئيسى للبلاد ، وقبل أن تجتاح حرب التحرير البلاد ، كانت غينيا بيساو تنتج حوالى ١٠٠٠٠٠ طن من الأرز سنويا ، كما كان يجرى أيضا إنتاج نوى زيت النخيل والفول السودانى للتصدير ، وفى معظم الأحيان كانت المزارع مملوكة ملكية خاصة للأفارقة ، أما التجارة وأرباحها فكانت حكرا على الشركة المتحدة للصناعة (CUF) كوف والشركات المساهمة معها ، وتبلغ حصة شركة (كوف) فى غينيا بيساو حدا يطلق معه المتشككون فى لشبونة على تلك الحرب اسم حرب الشركة (١٠٤) .

وأرض غينيا بيساو التى تقع بين جمهورية السنغال وجمهورية غينيا مستوية نسبيا ، وتقع أعلى نقطة فى تلك المنطقة على ارتفاع ٩٥٠ قدما فوق مستوى سطح البحر ، والسهل الساحلى الذى يتميز بالأغوار والانبعاجات نتيجة وجود الكثير من مصبات الأنهار تحيط به مناطق مستوية من أشجار المنجروف ، كما تنتشر به أيضا المستنقعات ، وهناك أيضا مجموعات من الجزر التى تقع بعيدا عن الشاطئ ، أما الأنهار المتعرجة الراكدة التى تسمح بإبحار السفن ذات الغاطس الصغير لمسافة سبعين أو ثمانين ميلا فى اتجاه أعالى تلك الأنهار بمثابة شرايين النقل الرئيسية إلى معظم أنحاء البلاد التى تبلغ مساحتها ١٣٫٩٤٨ ميلا مربعا ، أى أنها تساوى حوالى خمس مساحة البرتغال أو تساوى مساحة سويسرا تقريبا ، وتعيش على ضفاف هذه الأنهار أغلبية السكان الذى يبلغ عددهم ٨٠٠٠٠٠ نسمة ، كما تقع على ضفاف تلك الأنهار أيضا معظم المراكز الحضرية بما فى ذلك العاصمة وميناء بيساو الذى يضم حوالى ٢٥٠٠٠ نسمة ، وهناك مدن رئيسة أخرى مثل بولاما (التى تضم ١٥٠٠٠ نسمة) وكاشيو التى تضم ١٠٠٠٠ نسمة (١٠٥) وهى من الموانى أيضا .

ولا تقل فترة الرطوبة فى العام عن خمسة أشهر ، وتتميز غينيا بيساو بمناخ موسمى وعواصف استوائية عنيفة وتصل نسبة الرطوبة خلال ذلك الفصل إلى درجة التشبع ، أما بقية العام فجافة ، غير أن نسبة الرطوبة تظل مرتفعة ، وفى جميع الأوقات يعد الجزء الداخلى من البلاد أكثر جفافا من السهل الساحلى نظرا لأنه يتمتع بمناخ السافانا ، وعلى حين يتميز الساحل بالأغوار والتعاريج وغابات المستنقعات العذبة وغابات الكازامانس نجد أن الأعشاب تغطى التلال الداخلية (١٠٦) .

فى غينيا بيساو يصل متوسط عدد السكان فى الميل المربع الواحد منها إلى ٤٠ نسمة ، من هنا فهى واحدة من بلاد أفريقيا شديدة الكثافة السكانية ، ويتشكل هؤلاء السكان من حوالى ٣٠ قبيلة يعيش الجزء الأكبر منها فى الريف برغم الجهود الشاقة التى يبذلها البرتغاليون سعيا إلى إعادة تجميع تلك القبائل فى بعض المراكز تحت سيطرة عسكرية ، غير أن البرتغاليين يرون فى ذلك شكلا من أشكال التكتيك المضاد للعصيان ، أما المجموعات العرقية الرئيسية فهى على النحو التالى :

البلانتى	٢٥٠٠٠٠
المنجاكو	١٤٠٠٠٠

الفولا	١٠٠٠٠٠
المالينكى	٨٠٠٠٠
البيبل	٥٠٠٠٠
المانكاجى أو البرام	٣٥٠٠٠
الفليوب	١٥٠٠٠
البياجوس	١٥٠٠٠

مجموعات عرقية أخرى مثل (بيفادا ، بيروتى ، كاسانجا بانهون ، وساراكولى ، وبالانتا مانى ، والباجادينكا ... إلخ) ١١٥٠٠٠ (١٠٧) .

والمسلمون الذين هم أصلا من الفولا والمالينكى يشكلون ٣٠٪ من إجمالى السكان وهم يعيشون فى مجتمعات من النوع الإقطاعى بقيادة رؤسائهم التقليديين ، أما أتباع مذهب الأرواحية الذين يشكلون الـ ٧٠٪ المتبقية من السكان – وذلك باستثناء المانجاكو – فهم يعيشون فى مجتمعات بلا رؤساء تقليديين لهم ، ويعيش هؤلاء السكان فى فئات عمرية تمثل الطابع الغالب على التنظيم الاجتماعى ، وتحكم تلك المجموعة مجالس مكونة من رؤساء العائلات ومعظم هؤلاء السكان المتنوعين من الفلاحين الذين يعيشون إما فى أراضى مملوكة ملكية خاصة لهم أو ملكية جماعية ، كما توجد هناك أيضا مجموعة قليلة من المسيحيين ، وتصل نسبة الأميين بين الأفارقة إلى أكثر من ٩٠٪ ، ولغة التعامل بين هؤلاء السكان هى لغة الكريول التى جاءت من جزر الرأس الأخضر ، وهذه اللغة خليط من اللغة البرتغالية واللغات الافريقية ، الموظفون الخلاسيون هم الذين جاءوا بذلك الخليط اللغوى من الجزر إلى الأرض الأم والسبب فى ذلك أنهم كانوا يقومون على أمر إدارة هذه المستعمرة .

ونقلا عن إحصاء أجرى فى العام ١٩٥٠ نجد أن البرتغاليين صنفوا نسبة تقل عن ٢٪ تحت اسم «متحضرين» ، وفى أفضل الأحوال لم يشجع المناخ الرطب والملاريا والحمى الصفراء الأوربيين على استيطان هذه المنطقة ، وباستثناء أعداد القوات البرتغالية الآخذة فى الازدياد ، لايوجد فى هذه المنطقة سوى ٣٠٠٠ من السكان البيض و ٣٥٠٠ من السكان المولدين الذين جاءوا من جزر الرأس الأخضر

فى العام ١٩٧٠ كى يعيشوا فى غينيا بيساو ، ومنذ اندلاع كفاح التحرير فى العام ١٩٦٢ أرسلت البرتغال مايزيد على ٣٠٠٠٠ من قواتها على أمل أن يساعدوا فى سحق الثوار السود ، ولكن هذه القوات لم تصب سوى القليل من النجاح الملحوظ فى مواجهة عدو ذكى مراوغ ومحير يجيد العمل فى المستنقعات المتعرجة والغابات الممطرة .

وبرغم ورود بعض التقارير عن اكتشاف بعض البوكسيت والفوسفات إلا أنه لايجرى استغلال أية معادن أخرى ، وتأتى الثروة الرئيسة فى البلاد من إنتاج المزارع المملوكة للأفارقة ، وبرغم أن شركة كوف (البرتغالية) تترعرع وترفل فى ذلك منذ زمن طويل إلا أن المستعمرة فى ضوء الحقائق الاستعمارية العادية تشكل عبئا ثقيلا على البرتغال ، ولم يحدث مطلقا أن كانت غينيا بيساو مكانا يسهل حكمه فقد قتل تريستا «البرتغالى» الذى اكتشف غينيا بيساو عندما كان يحاول النزول على أرض الجزر البعيدة عن الشاطئ ، ومع أن المراكز التجارية التى أنشئت بعد ذلك على الساحل كانت تقوم بتصدير العبيد والذهب إلى البرتغال إلا أن التكاليف الباهظة للحملات اللازمة لإنشاء هذه المراكز وحمايتها ؛ هى التى جعلت من تلك المراكز عملية غير مربحة فى نظر الأمير هنرى الملاح الذى مات مدينا ، وفى العام ١٩٧١ كانت هذه المنطقة لاتساوى شيئا عند البرتغال ، ومع أن أجزاء كبيرة من تلك المنطقة كانت فى أيدى العصابات إلا أن المستعمرين البرتغاليين كانوا يتمسكون بالمراكز الحضرية ، بل إنهم أعلنوا أيضا عن اصرارهم على مقاومة التحرير الأفريقى فى تلك المنطقة كما هو الحال فى جنوبى أفريقيا .

وعندما زار الرئيس البرتغالى أمريكو توماس غينيا فى شهر فبراير من العام ١٩٦٨ أعلن :

إن غينيا بيساو لا تقف نفس موقف ذلك الجزء الذى يطلق عليه اسم جنوب أفريقيا ، كما أن هذا لايعنى أننا نعلق عليها نفس الأهمية التى نعلقها على الأجزاء المقدسة الأخرى من الأراضى الوطنية ، إننا فى حدود مبادئنا السلمية التى هى بمثابة الخطوط التى نسير على هديها فى حياتنا الجماعية ، لايمكن أن نحيد عن القرار الذى اتخذناه بالدفاع عن غينيا بيساو ضد الهجوم الأجنبى ، إنها جزء من نفس الجسم الذى يتحتم علينا صيانته دون مساس (١٠٨) إذا أردنا له أن يعمل بصورة كاملة .

وبمعنى آخر ، إن التخلى عن غينيا ربما أدى إلى الهزيمة فى كل من أنجولا وموزمبيق أيضا .

أما عن العلاقة بين كل من سكان جزر الرأس الأخضر الأربع عشرة وبين سكان غينيا والسكان البرتغاليين فى الأراضى الافريقية الأساسية عند البرتغاليين فهى علاقة وثيقة وغير مستقرة فى آن واحد : وسكان هذه الجزر ينحدرون - إلى حد كبير - من أصل أفريقى ، ويصل عددهم إلى أكثر من ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، وهم يعيشون فى مجتمع زراعى تسيطر عليه مجموعة صغيرة من ملاك الأرض البيض» ، وينقسم ذلك المجتمع بشكل غامض وغير واضح إلى فئات حسب ظلال اللون كما هو الحال فى جزر الهند الغربية التى يصبح السواد فيها مرادفا للفقر ، ونقلا عن فانون فى ملاحظته التى أبداها عن جزر الهند الغربية الفرنسية ، نجد أن الطبقة الحاكمة تضم الكثيرين من الخلاسيين والشخصيات الأخرى من المخلطين الذين تصل نسبة الأفارقة بينهم إلى أكثر من ٩٥٪ ولكنهم مع ذلك يعدون أنفسهم من البيض ، بل ويربطون أنفسهم ربطا محكما بالدولة المتحضرة ، رافضين بذلك أى ارتباط لهم بأفريقيا ؛ وعلى سبيل المثال يورد الفريدو مارجاريبو(١٠٩) تقارير مفادها أن بعضا من أشكال المقاومة العنيفة للتمرد الأفريقى فى شمالى أنجولا فى العام ١٩٦١ قد وقع فى المناطق التى كان يديرها موظفون من جزر الرأس الأخضر .

وعلى العكس من ذلك ، نجد أن المثقفين من جزر الرأس الأخضر قد لعبوا دورا أساسيا فى تنظيم حركة التحرير فى غينيا ، وعلى العموم فإن مبادأتهم السياسية جاءت أيام أن كانوا طلابا فى الجامعات البرتغالية التى اتصلوا فيها بالطلاب السود الخلاسيين وطلاب من مناطق أخرى كجزء من عملية إعادة أفرقة هؤلاء الطلاب ، ثم قام هؤلاء الثوار البرجوازيون بعد ذلك بعمل دراسات عميقة عن المجتمع الغينى محدثين بذلك ثورة فى البحث الأنثروبولوجى كى يتسنى لهم التغلب على جهلهم المطبق بالحياة الأفريقية ، ولعلهم يتمكنوا أيضا من التوصل إلى وسيلة لتعبئة المجتمعات الأفريقية التقليدية فى حرب شعبية ، وقبل أن يصبح أميلكار كابرال أمينا عاما للحزب ألافريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (بيجك) PAIGC - وهو الحزب الوطنى القائد - قضى سنوات عدة يتجول فى أنحاء غينيا لدراسة الشعوب والمجتمعات المختلفة أيام أن كان مهندسا زراعيا فى خدمة الإدارة الاستعمارية ، أما الإحصاء

الزراعى الذى قام به كابرال فى الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ فهو يعد بمثابة الأساس الذى بنى عليه حزب (بيجك) إستراتيجيته الثورية (١١٠) .

وعلى كل حال ، كان مثقفو جزر الرأس الأخضر بما فيهم الماركسيين اللينينيين المزعومين مايزالون بعيدين عن أن يتفقوا ويجمعوا أمرهم على حكمة انتمائهم الكامل إلى غينيا : والسبب فى ذلك أنهم يفضلون على ذلك أن يحذوا حذو ليتاو دا جراسا زعيم الاتحاد الشعبى لجزر الرأس الأخضر (يوبسف) UPICV ، الذى ينادى بشخصية فريدة ومميزة لشعب جزر الرأس الأخضر ويحث أيضا على المحافظة على تلك الشخصية الفريدة ، وينتقد جراسا أولئك الزعماء الذين قصروا كل جهودهم وطاقاتهم على غينيا عندما كانوا ينادون بتحرير كل من غينيا والرأس الأخضر وثمة زعيم آخر هو ميللو إى كاسترو - الذى كان يقيم فى داكار - راح أيضا ينادى بالكفاح الذاتى المسلح ضد الحكم البرتغالى فى تلك الجزر (١١١) ، والحق أنه لا حركة تحرير جزر الرأس الأخضر (ميلسيف) MLICV أو الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (بيجك) أصابا نجاحا كبيرا فى ظل الظروف الصعبة لتلك الجزر ، بل إن الاستعمار البرتغالى حتى بعد ضياع غينيا منه فى النهاية لم يستطع الاحتفاظ بملكية تلك الجزر الأفريقية .

المقاومـــــة

لم يكن اهتمام البرتغال أصلا بالمنطقة التى أطلقوا عليها اسم «أوس رايوس» دو كابو فيرد – أى الرأس الأخضر – قائما على الاستيطان ؛ وإنما كان مجرد اهتمام فقط بتجارة العبيد والذهب ؛ إذ استطاع البرتغاليون من خلال الأمن الذى كان يتوفر لجزر الرأس الأخضر ، أن يبسطوا سيطرتهم بسرعة على الخليج بكامله وبنوا القلاع فى المناطق الاستراتيجية الرئيسة من البلاد بصورة خاصة وعلى الساحل بصفة عامة ، ولم يكن ينازع السيطرة البرتغالية هناك سوى الممالك الإسلامية فى الداخل ، وذلك حتى بداية القرن السابع عشر عندما قام الهولنديون بالاستيلاء على أرجيوم فى غينيا العليا وساو جورج ودامينا فى ساحل الذهب ، ولكن جرى طرد الهولنديين من كل من مدينة كاشيو فى غينيا ومن الجزر أيضا .

وبعد قمع تجارة العبيد فى القرن التاسع عشر قل اهتمام البرتغاليين بغينيا وكان الفرنسيون قد استولوا على تلك المنطقة بكاملها من غينيا التى تقدموا إليها من السنغال المجاورة لها ، وعلى كل حال ، ادعى البريطانيون أيضا ملكيتهم للأراضى ، وجاء التحكيم الذى قام به رئيس الولايات المتحدة أولسيزسى جرانت فى العام ١٨٧٠ بين البريطانيين والبرتغاليين لصالح البرتغاليين ، أما النزاع بين الفرنسيين والبرتغاليين فقد تمت تسويته عن طريق اتفاقية فرنسية عقدت فى لوسو فى العام ١٨٨٦ ، وتمكنت البرتغال أن تحصل على تضامن واعتراف دوليين بمستعمراتها فى غينيا عن طريق تخليها عن ميناء رينجو وينكور الذى يقع على الضفة الجنوبية لنهر الكازامانس مقابل مقاطعة كاسين التى كان الفرنسيون يسيطرون عليها من قبل .

وفصلت غينيا عن جزر الرأس الأخضر منذ العام ١٨٧٩ ، وأنشئت العاصمة بصورة مبدئية فى مدينة (بولاما) التى بقيت عاصمة للبلاد إلى العام ١٩٤١ عندما نقلت الإدارة إلى بيساو ، ومع أن سيادة البرتغال كانت ظاهرية فى تلك المنطقة إلا أنها كانت تتضمن السيطرة الفعلية على البلاد ، وبقيت الغالبية العظمى من الشعوب الأفريقية معادية للحكم البرتغالى ، فكانت أية محاولة لتوسيع ذلك الحكم تلقى مقاومة مسلحة ، ومن هنا كان لابد من فترة مهادنة قبل أن يصبح فى وسع البرتغال الاستفادة من تبعية تلك الأرض .

وراحت القوات البرتغالية – الواحدة بعد الأخرى – تهاجم القبائل المختلفة فى البلاد ، وهاجمت القوات البرتغالية أيضا فى الفترة من العام ١٨٧٨ إلى ١٨٨٠ شعوب

«الفيلوب» والمانجاكو ، كما قامت تلك القوات أيضا بضرب شعبى الفولا والبيفادا فى الفترة من العام ١٨٨٠ إلى ١٨٨٢ ، وجاء الدور على شعب البلانتى فى الفترة من العام ١٨٨٣ إلى ١٨٨٥ ، وتلت ذلك سلسلة من الحملات فى التسعينيات غير أنها لم تصب نجاحا ملحوظا ، وكانت خسائر البرتغال تتزايد من حين لآخر ، وفى الأعوام ١٩٠١ و ١٩٠٣ و ١٩٠٤ وأيضا فى العام ١٩٠٧ سير المزيد من الحملات على القبائل الأفريقية التى كانت تقوم بدور المقاومة ، وفى النهاية استطاع البرتغاليون فى الفترة من ١٩١٣ و ١٩١٥ فقط توسيع وزيادة شكل آخر من أشكال السيطرة ليشمل البلاد كلها وذلك بفضل الشجاعة والمهارة العسكرية لكل من الكابتن جاو وتكسيرا بنتو والمغامر السنغالى آبدول إبخاى ، ونقل تكسيرا بنتو إلى شرقى أفريقيا حيث توفى فى القتال ضد الألمان ، ثم عين آبدول إبخاى رئيسا لقبيلة أويو ، وبعد ذلك بسنوات قلائل تشاجر آبدول مع البرتغاليين وتم إبعاده ونفيه إلى الرأس الأخضر .

ونقلا عن أحد التقارير البرازيلية نجد أن المستوطنين والتجار البرتغاليين اضطروا - برغم المهادنة فى بيساو فى العام ١٩١٥ - أن يعيشوا وراء استحكاماتهم الدفاعية الخاصة ، ولم يستطع أى منهم أن ينتقل داخل البلاد فى جو من الحرية والأمان ، وبذلك تحولت بيساو إلى معسكر حقيقى ، وكانت استحكامات بيساو على شكل مثلث يتخذ من البحر قاعدة له ، وكان سكان ذلك المثلث يعيشون داخل تلك الأسوار ، ولكنهم خارج تلك الأسوار كانوا يخشون الثأر ويخافونه من قبل شعب «البيبل» الذى كان يمتلكه الخوف والفزع ، حدث كل ذلك فى وقت تحتم فيه على أولئك الذين استطاعوا المضى قدما بأعمالهم التجارية أن يدفعوا مبالغ من المال نظير الحصول على تصريح بذلك من رئيس شعب «البيبل» (١١٢) .

وفى العام ١٩١٥ كان يجرى تسيير المزيد من الحملات على الأفارقة شديدى البأس والمقاومة ابتداء بشعب البيبل ، وتجدد وقوع القتال مرة أخرى فى أعوام ١٩١٧ و ١٩٢٥ وأيضا فى العام ١٩٣٦ ، وعند هذا الحد ادعى البرتغاليون - مثلما كانوا يفعلون فى الماضى - أن غينيا تم فيها فرض الهدوء «بصورة قاطعة ونهائية» وأنها أصبحت لهم إلى الأبد .

وفى مواجهة الاحتواء الأوربى فى الريف استمرت تقاليد المقاومة النضالية بصورتها هذه تقف فى مقدمة الوعى الشعبى ، ويؤكد باسل ديفيدسون أن الاحتلال

البرتغالى أصبح فى النهاية حقيقة لايرقى إليها الشك ، ولولا طبيعة الاحتلال البرتغالى لأمكن قبوله بطريقة سلمية كأسلوب من أساليب الحكم الاستعمارى ، كما هو الحال فى غالبية الأماكن الأخرى (١١٣) ، وقد عملت دولة سالازار الجديدة على التعجيل بالقضاء على الإجراءات والأساليب القديمة التى كان يتبعها الاستعمار البرتغالى ، وفى ظل الظروف الفاشية التى فرضتها الحكومة على المستعمرات - بل وأيضا فى داخل الوطن - كان لدى حكومة الأقلية ترخيص بالتدمير والتخريب على نطاق واسع فى مناطق ماوراء البحار وإخضاع شعوبها لدرجة العبودية والاستعباد ، وفى غينيا التى يشعر البرتغاليون فيها بحاجة أو ميل إلى تنمية البنية التحتية كان الأفارقة فيها على أقل تقدير يعانون من الطلبيات الإجبارية للأيدى العاملة ، غير أن معاناتهم كانت بدرجة أقل مما كان يعانيه الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية الأخرى .

كانت التوترات الناتجة عن الحكم البرتغالى أشد سوءً وحدة بين الكادحين من أجل لقمة العيش فى المدن ، وفى رأى جيرارد شالياند أن هؤلاء الكادحين لم يكونوا من بين البروليتاريا الصناعية الكلاسيكية (١١٤) ، ومع ذلك كانت أغلبية هؤلاء العمال الذين جاءوا مؤخرا من الريف ويتردد عددهم بين ٢٥٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ عامل كانت تلك الأغلبية ماتزال تحتفظ بعقلية وتفكير الفلاح الريفى وكانت الأعمال التى يمارسها هؤلاء الكادحون فى معظم الأحيان عبارة عن أعمال حرفية ، أو أعمال غير ماهرة مثل العمال الذين يمارسون الأعمال الميكانيكية فى الجراجات ، أو صبية لأولئك العمال أو بائعين جائلين ، أو خدم فى المنازل ، أما العمال الذين كانوا على درجة عالية من التنظيم فكانوا عمالا فى الموانئ وفى النقل ، ثم تجئ بعد هذا النوع من العمال كتلة البروليتاريا فى الحضر أو الطبقات الدنيا كما يفضل أن يسميها أميلكار كابرال ، وقد وفد الجزء الأكبر من البروليتاريا إلى المدينة فى فترة متأخرة ، ولما كانت تلك الطبقة غير قادرة على العمالة الدائمة ولاترغب فيها فقد بدأت تعيش عن طريق ممارسة الأعمال الغريبة التى تدخل ضمن الجرائم الحقيرة التى من قبيل الدعارة والتسول ، من هنا كانت تلك الطبقة على اتصال دائم بالشرطة ومراكزها بحكم ارتكاب تلك الطبقة لمثل هذه الجرائم . يضاف إلى ذلك ، أن خبرات التحرر وتجاربه كشف عن أمر مفاده أن الكثيرين من أفراد تلك الطبقة كانت لديهم الرغبة والاستعداد للعمل مرشدين للشرطة مقابل مكافأة زهيدة ، أو مقابل أن تغض السلطات بصرها عن تلك الأعمال الإجرامية التى يرتكبها أفراد تلك الطبقة ، ومع ذلك جرى فى النهاية تحفيز بعض من شبان هذه الطبقة للعمل فى مكافحة الحكم البرتغالى .

وفى نوفمبر من العام ١٩٥٠ أنشأ البرتغاليون النقابة العمالية Trade Union الأفريقية الرسمية الوحيدة ، أو مايسمى بالنقابة الوطنية للعاملين فى التجارة والصناعة وجاءت تلك النقابة بمثابة هيئة مشتركة خاضعة للسيطرة الكاملة ؛ إذ كان يحظر على أعضائها إعلان الإضراب أو القيام بالمظاهرات ، وبطبيعة الحال لم تستطع تلك المنظمة غير الحقيقية أن تشفى العمال من المساوئ والظلم اللذان نزلا بهم ، كما تأسست أيضا وبطرق غير قانونية رابطات محلية عديدة راحت تمارس عملها سرا ، ومع ذلك كانت تلك الرابطات معرضة للتعسف والقمع الشرطى ، وسمح أيضا للأفارقة بالقيد والاشتراك فى النوادى الرياضية ، من هنا تحولت تلك النوادى إلى أماكن للاجتماعات الشعبية ، التى كانت تعقد تعبيرا عن الاحتجاج والتمرد ، وفى العام ١٩٥٤ ، وعندما تم السماح لكل الأفارقة - سواء أكانوا من أولئك الذين جرى احتواؤهم أم من غيرهم - بالانضمام إلى النوادى الرياضية والحصول على عضويتها ، فرضت السلطات الاستعمارية حظرا على اتحاد الرياضة والترفيه وأوقفت نشاطه .

وجاء دور خريجى الجامعات البرتغالية من الغينيين ومن أبناء جزر الرأس الأخضر بمثابة الفتيل الذى أدى إلى تفجير القلاقل التى بدأت تنمو وتتزايد منذ الحرب العالمية الثانية ، وكان من بين أولئك الخريجين اثنان هما : أمليكار كابرال ، وهنرى لابرى ، وهما اثنان من مؤسسى أولى التنظيمات الوطنية فى غينيا ، أما حركة الاستقلال الوطنى لغينيا البرتغالية MING (مينج) ، التى تعد أولى تلك التنظيمات فقد تأسست بشكل سرى فى بيساو فى العام ١٩٥٤ ، وساهم فى تأسيسها عمال التجارة والموظفون فى كل من جزر الرأس الأخضر وغينيا ولكنها فشلت فى أن تصيب قوة لنفسها .

وكانت البنية الاجتماعية المعقدة هى وعملية التكامل والاحتواء العرقيين وكذلك الوعى الزائف بالانتماء إلى المجتمع البرتغالى حضاريا ووطنيا ، كل هذه الأمور مجتمعة هى التى عطلت وأضعفت الالتزام بالكفاح سبيلا من سبل التحرر الوطنى ، ومع ذلك كان طلاب جزر الرأس الأخضر ومثقفوها قد تجرعوا أو استوعبوا جرعات كبيرة من الماركسية - اللينينية والقومية ، وفى البداية جاءت اجتماعات الصفوة المختارة فى جزر الرأس الأخضر والتى كانت تتجمع - فى بداية الأمر - من حول الرفى (١١٥) فى مدينة كلاريدادى بمثابة احتجاجات إقليمية صرفة ليس لها طابع سياسى ، كانت تلك الاحتجاجات تطالب باستغلال أفضل للموارد المحدودة لجزر الرأس

الأخضر ، كما كانت تطالب فوق كل ذلك باعتراف حكام البرتغال بالطابع المميز لحضارة وتاريخ تلك الجزر ، والأهم من ذلك أن تلك الصفوة المختارة كانت تطالب بإزالة جميع العوائق والحواجز التى تعترض توظيف وتقدم المثقفين فى الجزر داخل السلم الوظيفى ، فى دولة البرتغال ، وكما رأينا بالفعل احتج بعضهم من جزر الرأس الأخضر أيضا على استمرار ربط جزرهم بغينيا ، أضف إلى ذلك أن الأمر لايقدم ولايؤخر فيما يتعلق بالحقيقة التى مفادها أن حزب الاستقلال الوطنى فى غينيا البرتغالية (مينج) ، وهو أول حزب وطنى سرى جرى تأسيسه فى غينيا ، لم يشر إلى جزر الرأس الأخضر من قريب أو من بعيد ، سواء فى اسمه أو حتى فى برنامجه (١١٦) .

الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر PAIGC (بيجك)

إذا ما تركنا جانبا حزب الاستقلال الوطنى لغينيا البرتغالية (مينج) ، الذى كان فى طور السبات ، نجد أن نفس هذه المجموعة تقريبا من المثقفين الأفارقة هى التى أسست بالاشتراك مع بعض الحرفيين والعمال اليدويين (١١٧) فى منتصف الخمسينات تنظيما سريا فى بيساو يدعى الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (بيجك) ، الذى أصبح بعد ذلك الحزب الوطنى الرئيسى فى غينيا البرتغالية ، ومع ذلك لم يكن فى ذلك الحزب سوى ستة فقط من الأعضاء المؤسسين ، وحدد الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر (بيجك) لنفسه الأهداف الآتية :

– إنزال الهزيمة العاجلة بالاستقلال الوطنى فى كل من غينيا وجزر الرأس الأخضر .

– نشر الديمقراطية وتحرير سكان تلك البلاد من الاستغلال البرتغالى ، ذلك الاستغلال الذى دام عدة قرون .

– تحقيق التقدم الاقتصادى السريع ، والتقدم الاجتماعى ، والحضارى لشعوب غينيا وجزر الرأس الأخضر (١١٨) .

وبرغم إلمام أميلكار كابرال إلماما تاما بجوانب الحياة الريفية ، بحكم أنه كان أمينا عاما للحزب (بل مؤسسا للحزب مع رافائيل باربوسا الذى تولى مركز الرئاسة فى الحزب) ، نجد أن حزب بيجك استهل نشاطه بإنشاء منظمة سرية فى الحضر .

درس كابرال العلوم الزراعية فى لشبونة والتحق بعد تخرجه مباشرة فى العام ١٩٥٠ بالعمل فى الخدمة الزراعية الاستعمارية ، ولكن أحسن أعمال كابرال حدثت فى الفترة من العام ١٩٥٢ إلى العام ١٩٥٤ ، وهذه هى الفترة التى قام كابرال خلالها بالتجوال فى كل أنحاء غينيا بإحصاء زراعى ، استطاع من خلاله تحصيل معرفة وافية عن تقاليد الحياة وأعرافها فى تلك البلاد ، وقد بدأ كابرال الذى ولد فى العام ١٩٢٠ من والدين كانا قد هاجرا من الرأس الأخضر إلى بافاتا بتلقى تعليمه السياسى الحقيقى فى لشبونة فى رابطة الطلاب التى التقى فيها من بين كل من التقى بهم ، بكل

من أوجستينو نيتو وماريو دو اندرادى اللذان جاءا من أنجولا ، وهذان الاثنان لم يشجعاه فحسب على استرداد صفته الأفريقية بل إنهما أيضا حثاه وشجعاه على المضى فى دراسته السرية لأمهات الكتب الماركسية – اللينينية ، غير أن الظروف بعد انتهاء الدراسة هى التى حتمت استمرار الصداقة بين الرجال الثلاثة ، وواقع الأمر أن كابرال كان يعمل لحساب مزرعة خاصة من مزارع قصب السكر فى أنجولا التى عاد إليها بعد فترة قصيرة من تأسيس حزب بيجك ، وفى ديسمبر من العام ١٩٥٦ أصبح كابرال – إضافة إلى نيتو – واحدا من الأعضاء المؤسسين فى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا) .

وكانت لدى حركة مبلا وحزب بيجك أفكار ووجهات نظر تقليدية متماثلة عن أولوية العمل السياسى فى المراكز الحضرية . زد على ذلك أن إنشاء وبناء قاعدة من الطبقة العاملة لتلك الأحزاب داخل البلاد كان يحتم بذل المزيد من الجهود ، أهم من ذلك أن المثقفين من البرجوازيين كانوا هم الذين يتزعمون الحزبين ، يضاف إلى ذلك أن استمالة العمال الحقيقيين إلى صفوف هذين الحزبين كانت تشكل لهما عقبة كبيرة . ومع ذلك ، استطاع حزب بيجك أن ينجح فى النهاية فى تجنيد أتباع له من بين عمال النقل والموانى فى غينيا . ثم تأسست بعد ذلك فى غينيا نقابة مهنية أطلقت على نفسها اسم «الاتحاد الوطنى للعمال الغينيين» (يونتج) وأسفرت تلك المرحلة من تطور حزب بيجك عن موجة من الإضرابات التى استمرت طوال العام ١٩٥٨ وتوجت فى النهاية بإضراب عمال الموانئ فى (بدجيتى وبيساو فى اليوم الثالث من شهر أغسطس من العام ١٩٥٩) .

وبعد أن رفضت القوات الأفريقية تصفية ذلك الإضراب ، قام الضباط والموظفون البرتغاليون بسحق ذلك الإضراب ومحقه بأن فتحوا النار على العمال المضربين وقتلوا خمسين منهم ؛ وألقوا القبض على الكثيرين من المضربين ووجهت إلى واحد وعشرين منهم بعد ذلك تهم التخريب ؛ وصدرت ضدهم أحكام بالسجن ترددت بين سنة وخمس سنوات .

وقد عجلت مذبحة بدجيتى بمراجعة خطة عمل حزب بيجك ، وعاد كابرال – الذى كان لايزال فى أنجولا فى ذلك الوقت – إلى غينيا ليتولى بنفسه قيادة الحزب ، ودعا كابرال زملاءه فى ١٩ من سبتمبر إلى اجتماع عقد خارج حدود بيساو ، وبدأ حزب

بيجك يواجه بشجاعة إفلاس أسلوبه التكتيكى فى الحضر بأن أكد من جديد التزامه بتحرير غينيا من الحكم البرتغالى وبجميع الوسائل الممكنة بما فى ذلك الحرب ، ويقول أحد التقارير الوثيقة للحزب إن زعماء الحزب بعد ثلاثة سنوات من العمل السياسى ، وعملا بمبدأ توقع الأفضل مع الاستعداد للأسوأ قد أقروا خطة العمل الجديدة التالية :

١ - عدم التوانى فى تعبئة وتنظيم جماهير الفلاحين الذين سيكونون - على ضوء ما أثبتته الخبرة والتجربة - القوة الأساسية فى الكفاح من أجل التحرر الوطنى .

٢ - تقوية التنظيم فى المدن مع الحفاظ على سريته وتحاشى جميع الإضرابات والمظاهرات .

٣ - تنمية وتدعيم الوحدة من حول الحزب بالنسبة لجميع الأفارقة من جميع المجموعات العرقية ، والأصول والطبقات الاجتماعية .

٤ - تجهيز أكبر قدر من الكوادر - سواء داخل أو خارج البلاد - لتولى الزعامة السياسية وتنمية كفاحنا تنمية ناجحة .

٥ - تعبئة المهاجرين فى المناطق المجاورة حتى يتسنى جرهم إلى الكفاح من أجل التحرير ومستقبل شعبنا .

٦ - العمل من أجل توفير والحصول على الوسائل التى يتطلبها ذلك النجاح(١١٩).

وفى النهاية وحفاظا وضمانا لتوفير الأمن للزعامة قرر حزب بيجك نقل مركز رياسة الحزب إلى خارج غينيا .

وبعد ذلك بفترة قصيرة غادر كابرال غينيا بيساو إلى جمهورية غينيا التى كانت قد حصلت على استقلالها من فرنسا فى العام ١٩٥٨ ، وأنشئت الأمانة العامة لحزب بيجك فى كوناكرى ، ومع ذلك لم يكن الانتقال من الحضر إلى الريف فى الأجزاء الداخلية من البلاد أمرا سهلا ، والأهم من ذلك أن حزب بيجك فى ذلك الوقت لم يكن يضم سوى خمسين عضوا فقط ، زد على ذلك أن نصف هؤلاء الأعضاء كانوا فى بيساو ، ومع ذلك ، وبرغم اقتناع كابرال أن الكفاح الذى يتخذ من الريف مجرد قاعدة فقط إنما هو الوسيلة الوحيدة لإنزال الهزيمة بالبرتغاليين - الذين كانوا يقتصرون تماما على المدن - راح كابرال نفسه ينتقد بصورة قاسية وحادة نظرية فانون التى تقول : إن الفلاحين إنما يشكلون الطبقة الثورية الممتازة فى أفريقيا ، وفى التحليل الذى تقدم به كابرال إلى مركز فرانز فانون فى ميلانو عن البنية الاجتماعية لغينيا نجد أن كابرال يعلن :

إن ثمة مشكلة أساسية لها أهمية هائلة بالنسبة لنا ، نظرا لأننا بلد من الفلاحين ألا وهي المشكلة التي تدور حول السؤال الذي يقول : هل يمثل الفلاحون أولا يمثلون القوة الثورية الأساس ؟ سوف أقصر نفسي على بلدي غينيا التي أجدني مضطر إلى القول عنها وفي الحال : إن الفلاحين ليسوا قوة ثورية ، قد يبدو هذا الأمر غريبا وبخاصة أننا في كل كفاحنا المسلح من أجل التحرير نتخذ من الفلاحين قاعدة لنا . ولكن لابد أن نميز بين القوة الطبيعية المادية والقوة الثورية : فمن الناحية المادية نجد أن الفلاحين يشكلون قوة كبيرة في غينيا ، إنها قوة كل السكان ، القوة التي تتحكم في ثروة الأمة . إن الفلاحين هم الذين ينتجون ، غير أننا نعرف نتيجة الخبرة والتجربة مدى المشقة والتعب اللذان لقيناهما في اقناع الفلاحين بالكفاح ، إن الظروف في الصين كانت مختلفة تماما ، نظرا لأن الفلاحين لهم تاريخ ثوري ، غير أن الأمر لم يكن كذلك في غينيا ، ومن هنا لم يكن بإمكان المقاتلين في حزبنا والعاملين في مجال الدعاية أن يجدوا أو يلقوا نفس الترحيب الذي أصابته الفكرة ذاتها في الصين ، وعلى حد سواء فقد لقينا منذ البداية تماما ترحيبا حارا جدا في أجزاء معروفة من البلاد وبين جماعات محدودة أيضا ، وكان علينا أن نكسب (١٢٠) كل ذلك بين الجماعات والمناطق الأخرى .

وإذا كان ذلك لا يقلل من شأن المقاومة البدائية القبلية التقليدية ضد الحكم البرتغالي ، إلا أن المثقفين المولدين من غينيا ومن الرأس الأخضر في زعامة حزب بيجك كانوا يسارعون بالذهاب إلى مدى أبعد من أصدقائهم في أنجولا في الاعتراف والتسليم بالدور الرئيسي الذي لعبه الفلاحون السود في الكفاح من أجل التحرر .

وراح حزب بيجك يواصل تنظيمه السري للكوادر في مختلف البلاد ولكنه كان يتحاشى تماما الأعمال والتصرفات العلنية والصريحة التي يمكن أن تثير المزيد من القمع البرتغالي في ظل الظروف التي تعد مواتية للشرطة والجيش ، وكان رفائيل باربوسا الذي كان رئيسا لحزب بيجك هو الذي يترأس التنظيم السري ، ونقلا عن المعلومات التي أدلى بها أحد المرشدين لم يجر إلقاء القبض على باربوسا إلا في شهر مارس فقط من العام ١٩٦٢ ، أي بعد ثمانية عشر شهرا من بداية ممارسته للنشاط السري الذي كان يقوم على حملة منظمة للتخريب استمرت إلى ما بعد إلقاء القبض عليه .

وفي ٢٥ من سبتمبر من العام ١٩٦٠ تقدم حزب بيجك بالتماس إلى البرتغاليين حتى يتسنى بدء المفاوضات من أجل إقامة نظام برلماني يضمن الحكم الذاتي

الديمقراطى للمناطق التى كانت تحت سيطرة الأجهزة الخاصة بالحزب ، وتكرر الشئ نفسه فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٠ ؛ إذ تقدم كابرال بالتماس آخر فى ١٣ من أكتوبر من العام ١٩٦١ إلى الحكومة البرتغالية يحث فيه حكومة سالازار على أن تحذو حذو الدول الاستعمارية الأخرى فى سياستها للتخلى عن المستعمرات فى أفريقيا ، وأصدر كابرال تحذيرا مفاده أن البرتغاليين إذا ما أصروا على رفض التفاوض بشأن الاستقلال فإن شيئا لايستطيع أن يوقف حزبنا عن تحقيق مهمته التاريخية : مهمة تطوير وتنمية كفاحنا من أجل الاستقلال الوطنى ، ومهمتنا فى الرد على العنف بالعنف الذى لجأت إليه القوات الاستعمارية البرتغالية (١٢١) .

وفى الوقت الذى كان حزب بيجك يوجه فيه النداءات التى لاطائل من ورائها إلى الحكومة البرتغالية ، كان يقوم أيضا ببناء قواته فى الريف علاوة على بناء قاعدة آمنة له فى غينيا الصديقة المجاورة التى يقف فيها الرئيس أحمد سيكوتورى وبلاده مساندين ومؤيدين للحزب تأييدا كاملا ، وأنشأ أميلكار كابرال تنظيما فى المنفى فى كوناكرى أسماه حركة تحرير غينيا و الرأس الأخضر MLGCV (ملجسيف) ، وداخل تلك الهيئة التابعة لحزب بيجك ، استطاع أميلكار كابرال أن يجمع بين المنفيين من غينيا فى كوناكرى وداكار ، وقد أبلغ كابرال لجنة الأمم المتحدة الخاصة بالمناطق التى تحت الإدارة البرتغالية والتى زارت كوناكرى فى شهر يونيه من العام ١٩٦٢ أن ٥٠٠٠٠ من المهاجرين تركوا غينيا خلال الأربعين عاما الماضية ، واستوطنوا البلاد المجاورة ، وأضاف كابرال – أيضا – إن تأييد هؤلاء المهاجرين ومساندتهم لحزب بيجك يعد أمرا حيويا بالنسبة للحزب وبخاصة أنه يقترب من المواجهة المسلحة مع البرتغاليين ، وكان من بين الذين انضموا إلى حركة (ملجسف) هنرى لابرى الذى أنشأ جبهة تحرير غينيا البرتغالية و الرأس الأخضر فلجك (FLGC) ، التى كانت تضم حوالى ٣٠٠٠٠ من المهاجرين من الرأس الأخضر ومن الغينيين فى المنفى وثمة مجموعة منافسة أخرى هى مايسمى حركة تحرير غينيا MLG (ملج) التى أسسها فرانسوا ميندى كانكويلا ، وهو واحد من المنجاكو قضى الجزء الأكبر من حياته فى السنغال ، وفى يوليه من العام ١٩٦١ استطاع كابرال أن يجر لابرى وبعض الزعماء الآخرين فى المنفى إلى الجبهة المتحدة لتحرير غينيا و الرأس الأخضر FUL (فول) ، وعلى كل حال فقد بقيت حركة ملج خارج الجبهة التى شكلت حديثا ، وبذلك فشلت حركة ملج على أثر ذلك أن تحفظ على نفسها حياتها ، كما أخفقت أيضا الجهود التى بذلها كابرال فى سبيل إقامة قاعدة له فى السنغال ، ولكن كابرال عاد بعد انهيار (١٢٢) الجبهة المتحدة لتحرير غينيا والرأس الأخضر (فول) إلى جمهورية غينيا طلبا للأمن .

وفى داخل غينيا ، لم تغضب سوى السلطات الاستعمارية للحملة التخريبية التى شنها حزب بيجك ، وكانت تهدف إلى استعراض وإظهار قوة الحزب أمام البرتغاليين وإقناعهم بالجلوس إلى مائدة المفاوضات ، ومع بداية وصول التدعيمات العسكرية - بدأت هيئة (بيدى) - أى الشرطة السرية البرتغالية - تمارس سلطاتها داخل غينيا وألقت الشرطة القبض على المقاتلين التابعين لحزب بيجك الذين كانت تحوم حولهم الشبهات فى مارس من العام ١٩٦٢ ، وكان رافائيل باربوسا [١٢٣] رئيس اللجنة المركزية فى حزب بيجك - الذى كان يعيش فى تكتم وسرية - واحدا من بين الذين ألقت الشرطة القبض عليهم ، وبرغم إلقاء القبض على هؤلاء المقاتلين زادت حدة حملة التخريب مما أسفر عن عزل الجزء الجنوبى من غينيا بكامله فى ليلة ٣٠ من يونيه وصباح الأول من يوليه من العام ١٩٦٢ ، وجرى أيضا إحراق الجسور والقوارب وقطع الطرق وخطوط الهاتف والتلغراف ، بيد أنه لم تسفر عمليات التخريب هذه عن أى نوع من أنواع الهجوم ، أضف إلى ذلك أن المقاتلين التابعين لحزب بيجك كانوا يعملون فى الريف طول الوقت على أمل أن يوفقوا فى كسب الفلاحين إلى جانب قضية التحرر الوطنى ، ونحن نعرف بالفعل - وذلك نقلا عن لسان كابرال نفسه - أن ذلك لم يكن بالأمر الهين ، أما الذى بدأ فى الشهور الأخيرة من العام ١٩٦٢ فقد سبقه عامان من التخطيط والتلقين السياسى والاستعداد التام .

وعند هذه المرحلة كان حزب بيجك قد أمن لنفسه مساندة وتأييداً دوليين من دول أفريقيا السوداء ، بل والأهم من ذلك الدول الاشتراكية ذاتها فى شرقى أوربا والاتحاد السوفيتى والصين ، وتوفرت لحزب بيجك أرصدة وأسلحة ودعاية عالمية واسعة ، وعلى العموم فإن كابرال التزم الجانب السوفيتى فى الانقسام [١٢٤] الصينى - السوفيتى المتزايد تطلعا إلى حرية العمل إلى أبعد حد ممكن فى غينيا والحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدات المالية .

وعندما بدأ السوفيت يضغطون على حزب بيجك من خلال الحزب الرئيسى الذى كان يدور فى فلك موسكو فى أفريقيا ، أو بمعنى آخر الحزب الشيوعى فى جنوبى افريقيا الذى كان يسيطر عليه - إلى حد كبير - حزب المؤتمر الوطنى فى جنوبى أفريقيا ؛ كان الأسلوب التكتيكى الذى ينتهجه كابرال يهدف إلى كيل المديح للخط شبه الاستقلالى لفيدل كاسترو الذى كان قائما فى ذلك الوقت والذى يطرى ويتمادى فى الثناء على التجربة الكوبية ، على حين أن نفس الأسلوب كان يتحاشى التورط مع الشوعيين الصينيين المخربين ، ويؤكد الخطاب الذى أرسله كابرال إلى مؤتمر القارات الثلاث - الذى عقد فى هافانا فى شهر يناير من العام ١٩٦٦ - على التركيز على دعم

هذا الخط إلى أبعد مدى ، كما يؤكد كابرال من جديد فى ذلك الخطاب نفسه على حقيقة بديهية جديدة فيقول :

ومهما يكن من أمر التشابه الكبير بين قضايانا المتباينة ، ومهما يكن أيضا من أمر التشابه والتماثل بين أعدائنا ، فإن التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية ليستا سلعا للتصدير ، إنما يعدان - وبصورة متزايدة يوما بعد آخر - نتاجا للوعى الوطنى (المحلى) الذى يتأثر بشكل تقريبى بعوامل خارجية (سواء أكانت تلك العوامل مواتية أم غير مواتية) ، بيد أن ذلك التحرير الوطنى والثورة الاجتماعية تتحدان وتتشكلان بالحقيقة التاريخية لكل شعب من الشعوب ، كما أنهما تصيبان نجاحا إما بالتغلب على أو بالحل الصحيح للمتناقضات الداخلية بين الفئات المختلفة التى لها مثل هذا الطابع (١٢٥) .

ومن حسن حظ حزب بيجك أن السوفيت لم يصلوا إلى مدى أبعد من ذلك ، ولكن الصينيين هم الذين راحوا فى النهاية يكشفون عن دلائل استيائهم من جديد من السياسة الانتهازية التى ينتهجها حزب بيجك .

وبدأ الكفاح المسلح بتسلل جماعات صغيرة من الرجال إلى غينيا بيساو من جمهورية غينيا ، وقامت تلك الجماعات بحملة إقناع - وفى حالات الضرورة القصوى - حملة إرهاب ، كى يتسنى لتلك الجماعات كسب رجال القبائل إلى جانب الكفاح ضد البرتغاليين ، وفى الوقت الذى أصابت فيه تلك الحملة نجاحا بين شعب البالانتى ، نجد أن شعب الفولا بقى على ولائه للبرتغاليين ، بل إن الفولا طالبوا وحصلوا بالفعل على السلاح حتى يمكن لهم تكوين مليشيا أفريقية للقتال ضد العصابات ، ومع ذلك لم يستطع البرتغاليون أخذ المبادأة من الثوار أو حتى استعادة جزيرة كومو ، التى كانت تقع ناحية الجنوب من غينيا بيساو ، تلك الجزيرة التى أصبحت نقطة قوية من نقاط الثوار ، كما خابت مرارا أيضا الجهود التى بذلها البرتغاليون من أجل إغلاق الحدود مع غينيا والسنغال نظرا لأن العصابات استطاعت أن تثبت وتؤكد قدرتها على المناورة بالإضافة إلى التأييد الشعبى الذى كانت تلقاه العصابات على امتداد الريف ، وإبان حكم أرنالدو شولتز قام البرتغاليون بانتهاج أسلوب تكتيكى منظم خاص يقضى بتحصين القرى على أمل عزل القرويين عن الثوار ، وفى البداية كان ذلك الأسلوب يبدو كدفاعات استطاعت القوات البرتغالية بها إبعاد العصابات عن القرى ، غير أن قوة نيران المحاربين من أجل الحرية جعلت تلك الهجمات باهظة التكاليف فى الأرواح

بالنسبة للبرتغاليين وبخاصة بعد أن بدأ حزب بيجك يستعمل ، وعلى نطاق واسع المدافع عديمة الارتداد سوفييتية الصنع .

أما عن التنظيم العسكرى لحزب بيجك فكان يضم ثلاث فئات : فهناك قوة ميليشيا طوارئ من الفلاحين المحليين : وتتركز مهمتها أصلا فى الدفاع والقيام بالعمليات الصغيرة التى تقوم فيها بمعاونة القوات النظامية للحزب : أى القوات الشعبية المسلحة (فارب) ، أما قوات العصابات التقليدية التى كانت تضم جنودا من الفلاحين لبعض الوقت فكانت تقوم إما بمعاونة القوات المسلحة النظامية أو قوات الميليشيا .

وفى مواجهة القرى المحصنة التى كان يسكنها البرتغاليون اتخذ حزب بيجك إجراء مضادا بأن بدأ الحزب فى توسيع نطاق التسهيلات الطبية والتعليمية ، وكان الهدف من تلك الخدمات الاجتماعية يرمى إلى خلق روح شعبية ووعى وطنى واحد للتغلب على الانقسامات العرقية المختلفة والمتباينة فى المجتمع الغينى ، وبنهاية العام ١٩٦٧ كان المحافظ البرتغالى شولتز أوصى بالتخلى عن الأراضى ، ولكنه استبدل بمحافظ جديد ومزيد من القوات البرتغالية ، وأدى وصول سرب مكون من اثنتى عشرة طائرة نفاثة قاذفة مقاتلة من طراز فيات إلى خلق بعض المشكلات المؤقتة بالنسبة للعصابات ، وعلى كل حال بدأت المدافع السوفيتية والمدافع التشيكية المضادة للطائرات تظهر فى مناطق العصابات المتزايدة ، وقد أدى وجود تلك المدافع إلى إجبار الطائرات على البقاء على ارتفاعات عالية مما أدى إلى عدم دقة القصف إلى حد بعيد وإن ظل ذلك القصف فى بعض الأحيان مهلكا ومميتا ، وفى البر لم يقو البرتغاليون على التحرك إلى أبعد من المدن بل وثبت لهم أيضا فشل سياسة القرى المحصنة ، وبدأت الطائرات تقصف وتهاجم المدنيين الأفارقة بالقنابل والنابالم نظرا لأن العدو أصبح يتمثل فى الشعب الغينى كله ، وبطبيعة الحال أدت سياسة القتل إلى تقوية قبضة حزب بيجك السياسية على السكان ، كما زادت أيضا من صلابة التصميم على المقاومة ثم الانتصار فى النهاية .

أما السر فى قوة حزب بيجك فيكمن فى علاقات الحزب الوثيقة مع جماهير الريف ، تلك الجماهير التى كان الحزب ينخرط معها – من الناحية الجدلية – فى البحث عن أسلوب للتغيير الاقتصادى والاجتماعى ، أضف إلى ذلك أن قضية التحرر الوطنى بالنسبة لحزب بيجك الذى يسير فى فلك الماركسية اللينينية ، تحتم القيام بثورة اجتماعية ، ولايمكن لتلك القضية أن تقتصر فقط على مجرد الحصول على السيادة

الرسمية نظرا لأن الحزب له ممثلين فى كل أنحاء البلاد بل وفى كل قرية أيضا يعملون مندوبين للتعبئة الثورية ، ويحثون على القيام بنشاطات والاستفادة من خبرات وتجارب لجان التابانكا (١٣٦) ، أما عن نظام جمع وتوصيل المعلومات فى حزب بيجك فإن عمله لايقتصر فحسب على اللجنة المركزية التى تعد قمة التنظيم وإنما يعتمد أيضا على وجود كبار المسئولين فى الحزب فى المواقع المختلفة فى كل إقليم من الأقاليم الرئيسة . أما فى بعض حركات التحرير الأفريقية الأخرى فإن الزعامة كانت توجد فقط فى مراكز الرئاسة فى المنفى فى دار السلام أو فى لوساكا ، أما لجان القرى فهى التى تقوم بحراسة الإنتاج الزراعى الحيوى وتأييد ودعم المليشيا ووحدات العصابات المحلية ، كما كان يتم إلى أبعد حد ممكن تسويق الإنتاج الزراعى من خلال منافذ الحزب فى الدول المجاورة وليس من خلال الاحتكارات البرتغالية ، وفى الحقيقة أن حزب بيجك كان يقوم بحملة منظمة لتدمير مخازن الشركة المتحدة للصناعة (كوف) فى الأماكن التى كانت تتاح للحزب فيها هذه الفرصة نظرا لأن المحاصيل هى التى تعود على الحزب بالنقد الأجنبى كما أنها هى التى تجعل المناطق المحررة مكتفية اكتفاء ذاتيا من ناحية الطعام .

وبنية حزب بيجك الرسمية بنية لينينية تعد فيها الديمقراطية المركزية المبدأ الأساسى للتنظيم ، غير أنه مع استمرار الكفاح كان يتم التركيز بصورة أكبر على المسئولية المحلية على جميع المستويات ، أى أنه كان يجرى تقسيم المناطق إلى أقاليم وذلك فى المؤتمر الذى عقده حزب بيجك فى الغابات فى الجزء الجنوبى من غينيا فى الفترة من ١٣ إلى ١٧ من فبراير من العام ١٩٦٤ ، وقد أكد ذلك الاجتماع من جديد على مركز أميلكار كابرال فى منصب السكرتير العام للحزب ، أما عن السلم الوظيفى فى حزب بيجك فهو يتكون من مكتب سياسى يضم عشرين عضوا منهم خمسة عشر عضوا يحملون العضوية الكاملة والخمسة الآخرين أعضاء مرشحين ، ويقوم المكتب السياسى باختيار لجنة تنفيذية تتكون من سبعة أعضاء ، وينتمى جميع الأعضاء إلى اللجنة المركزية التى تضم خمسة وستين عضوا ، لا يرشح من بينهم سوى عشرين عضو فقط (١٢٧) .

وفى العام ١٩٦٤ قسمت اللجنة المركزية إلى سبعة إدارات ، أما فى العام ١٩٦٧ فقد خفضت تلك الإدارات إلى خمس لجان هى :

١ – لجنة انضباط .

٢ – لجنة أمن .

٣ - لجنة للعلاقات الخارجية .

٤ - لجنة للتعمير الوطنى .

٥ - لجنة لتنظيم وإدارة العلاقات الداخلية فى الحزب (١٢٨) .

ونظرا للتشابه فى الاتجاه العقائدى والعلاقات الشخصية الوثيقة فى الماضى بين كابرال والمثقفين المولدين الذين يترأسون بعض حركات التحرير فى المستعمرات البرتغالية الأخرى ، كان حزب بيجك يحتفظ لنفسه بدور قيادى فى مؤتمر منظمات المستعمرات البرتغالية (كونسب) ، الذى تأسس فى العام ١٩٦١ ليحل محله الجبهة الثورية الأفريقية لاستقلال المستعمرات البرتغالية FRAIN (فرين) ، تلك الجبهة التى ساعد كابرال على إنشائها قبل ذلك بعام فى اجتماع عقد فى تونس ، وباستثناء حركة فريليمو - فى بعض الأحيان - كانت مجموعة (كونسب) تسير فى حذر فى خط موال لموسكو على الصعيد الدولى ، وفى مقابل ذلك كانت مجموعة كونسب فقط هى التى تحظى بتأييد الأحزاب الشيوعية التى تدور فى فلك موسكو فى دول أوروبا الغربية ، ودول أوروبا الشرقية ، وكذلك الأحزاب الكوبية أيضاً ، وراح زعماء مجموعة (كونسب) يزورون الولايات المتحدة أيضا ، كما ألقوا خطابات أمام الأمم المتحدة ، وراحوا أيضا يبحثون عن كل مساعدة ممكنة فى الغرب ، وجاء النجاح الذى أصابه حزب بيجك بمثابة عمل ثمين وتغطية للانتكاسات التى أصابت الأحزاب الأخرى داخل مجموعة كونسب ، تلك المجموعة التى لم تحقق الكثير فى كفاحها المستقل ، برغم الدعاية الكبيرة التى كان يقوم - بها نيابة عن هذه الأحزاب - المشايعون : من أمثال باسل ديفيدسون الذى لم يكن يعرف كللا أو مللا فى بريطانيا ، وأيضاً من الدعاية الكبيرة التى كان يقوم بها روبرت ديفيزيس فى فرنسا ، هذان الاثنان اللذان أكدا لقرائهما أن جميع الهيئات المنافسة الأخرى إنما تعد أوهاما من صنع المخابرات المركزية الأمريكية أو جهاز الدعاية فى بكين (١٢٩) ، وفى مطلع العام ١٩٧١ كان حزب بيجك وحركة يونيتا فى أنجولا هما الحركتان الوحيدتان فى أنجولا اللتان كانتا تقومان بشن الهجمات برغم أنه لا الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى أو اللجنة الثورية لموزمبيق أو مجموعة كونسب كانت تفعل شيئا ، مثلما كانت تدعى تلك الأطراف .

وفى يونيو من العام ١٩٧٠ قام كابرال بتمثيل حرب بيجك فى المؤتمر الذى عقد روما لتأييد ودعم شعوب المستعمرات البرتغالية ، هذا المؤتمر الذى نظمه الحزب الشيوعى الإيطالى نيابة عن المجلس العالمى للسلام ومنظمة تضامن شعوب آسيا

وأفريقيا ، واستقبل البابا بول السادس كل من كابرال ومارسلينودوس سانتوس ، وأوجستينو نيتو في آن واحد يوم أول يوليو ، ومع أن فكرة وجود الثوار الشوعيين الثلاثة راكعين على أقدامهم أمام أعلى ممثل ديني – تبدو لمن يأخذون أيدولوجيتهم مأخذ الجد – فكرة خارقة للعادة إلا أن كابرال يعلن بصدق : «إن ذلك كان انتصارا عظيما لنا (١٣٠)» ، وأضاف زعيم حزب بيجك أيضا يقول أن البابا باستقباله لنا إنما أشار إشارة سياسية محددة وخلق موقفا يتوفر فيه للكاثوليك من البرتغاليين – الذين يعارضون الحرب الاستعمارية – حججا وبراهين يواجهون بها دعاية الحكومة التى مؤداها أن الحكومة تحارب فى أفريقيا لتأمين العقيدة المسيحية .

ومن المحتمل ألا يزيد إجمالى عدد القوات التابعة لحزب بيجك التى تنقسم إلى ثلاث جبهات شمال وجنوب وشرق على ١٠٠٠٠ رجلاً كانوا تحت السلاح كما تعاون القوات الشعبية المسلحة (فارب) التى تضم حوالى ٥٠٠٠ رجلاً ، مجموعة أخرى من العصابات يتردد عددها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ رجلاً بالإضافة إلى حوالى ٢٠٠٠ من رجال المليشيا المحلية (١٣١) ، وإذا ما أضفنا إلى حزب بيجك قاعدته الشعبية نجد أن الحزب ربما يستطيع زيادة تلك الأرقام فى فترة وجيزة تماما ، وبرغم الصعوبات الهائلة ، كان حزب بيجك مسيطرا سيطرة محكمة على مالا يقل عن ٥٠٪ من البلاد كما كان يسيطر أيضا وبصفة أساسية من الناحية العسكرية على نسبة أخرى تصل إلى ١٠ أو ٢٠٪ من إجمالى مساحة البلاد ، وفى يأس أعلن الجنرال البرتغالى أنطونيو اسبينولا – الذى كان واحدا من المحاربين القدماء ضد العصابات فى أنجولا – أن انتصار البرتغال عسكريا فى غينيا (١٣٢) قد يعد من ضروب المعجزات . وعلى الجانب الآخر وبرغم نجاح العصابات فى طرد البرتغاليين من أجزاء كبيرة من البلاد إلا أن مسألة تحقيق انتصار عسكرى حاسم يمكن أن يؤدى فى النهاية إلى طرد القوات الاستعمارية من غينيا ، هذه المسألة يمكن أن تعد ضربا من ضروب المعجزات أيضا ، وعلى ذلك كان من المتوقع للحرب أن تحدث فى البرتغال ذاتها تغييرا سياسيا تنتج عنه حكومة تستطيع مواجهة الواقع الأفريقى .

جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية (فلنج)

مع أن حزب بيجك كان أول ، بل وبالتأكيد ، أنجح الأحزاب إلا أنه لم يكن الحزب الوطنى الوحيد فى غينيا ، إذ نشأت فى السنغال بعض الجماعات الصغيرة التى احتفظت لنفسها بوجود هناك ، بل إن ذلك الوجود لم يزد عن كونه مجرد مكتب صغير فى داكار ، وفى العام ١٩٦٣ تجمعت معظم تلك الجماعات لتؤسس فيما بينها جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية ، وعند هذا الحد كان من الطبيعى أن تمتد وعلى وجه السرعة مخاوف حكومة الرئيس ليوبولد سنغور من النظام النضالى الثورى الذى كانت حكومة الرئيس سيكوتورى تسير عليه فى جمهورية غينيا المجاورة ، كان من الطبيعى أن تمتد تلك المخاوف إلى حزب بيجك اليسارى الذى كانت تسانده كوناكرى ، ومن هنا كانت الحكومة السنغالية أشد رغبة فى مساندة ودعم – بل إنها كانت ترعى وتغذى – أعداء حزب بيجك ومنافسيه ، زد على ذلك أن هناك أكثر من ٦٥٠٠٠ مهاجر غينى يعيشون فى السنغال ويمثلون جماعات عرقية كثيرة ، ولم يعر حزب بيجك تلك الطائفة أى اهتمام فى المنفى ، هؤلاء المهاجرين الذين يعانون العوز والفاقة يعيشون على الكفاف الذى يأتى من قبل منظمات الإغاثة الدولية ، هنا فى السنغال بين الكتلة البشرية – وليس داخل غينيا – أسست جبهة (فلنج) قاعدتها الشعبية الأساسية .

أما حركة تحرير غينيا MLG بقيادة فرانسو ميندى كانكويلا – والتى ظلت فترة طويلة بمثابة المجموعات الأساسية فى جبهة فلنج – فكانت أول حركة تقوم بشن الكفاح المسلح داخل غينيا ، وفى يوليه من العام ١٩٦١ وعندما كان أميلكار كابرال يحاول إحياء الجبهة المتحدة لتحرير غينيا والرأس الأخضر (فول) قامت حركة تحرير غينيا بشن هجوم من السنغال عبر الحدود على موقع سوزانا البرتغالى ، وعلى منتجع فى فاريلا ، وشارك فى تلك الإغارة التى كانت من طراز الكر والفر حوالى خمسة وسبعين رجلا ، تشكلوا فى ثلاث وحدات ، وأسفر انتقام البرتغال السريع من السنغال عن قطع العلاقات الدبلوماسية ، وبذلك يصبح السنغال أول بلد أفريقى يقطع علاقاته الدبلوماسية مع البرتغال ، ومع ذلك فإن الحكومة السنغالية لم تكن تنوى شن الحرب ضد البرتغال عن طريق غينيا ، كما أن حركة تحرير غينيا لم يكن بوسعها أن تتبع تلك الإغارة المبدئية بإنشاء مناطق محررة داخل غينيا ، ومع ذلك ومازال حركة فلنج أهم الجماعات العسكرية فى التحالف المفكك الذى تتكون منه جبهة فلنج [١٣٣] .

كانت الأحزاب الأخرى داخل جبهة فلنج تشتمل على الاتحاد الشعبى الغينى UPG (يوبج) ، الذى كان يتزعمه هنرى لابرى بعد أن أسسه على أثر انفصاله عن كابرال ، وقد أدى تأسيس ذلك الاتحاد إلى توجيه ضربة إلى كل من التجمع الديموقراطى الأفريقى الغينى الذى كان يقوم على شعب الماليكى ، وإلى الاتحاد الطبيعى لغينيا البرتغالية UNGP (ينجب) ، زد على ذلك أن تلك الضربة امتدت أيضا إلى الاتحاد الشعبى لتحرير غينيا UPLG (يوبلج) ، وباستثناء حزب ملج كانت غالبية تلك الجماعات هى التى تتبنى أكثر الآراء اعتدالا عن التقدم الدستورى على طريق الحكم الذاتى ، وربما الاستقلال فى غينيا ، وراح حزب ينجب الذى لم ينضم إلى جبهة فلنج حتى أواخر العام ١٩٦٣ ، راح يواصل سعيه - إلى مابعد ذلك - إلى الحصول على الاستقلال بوسائل أخرى غير العنف ، زد على ذلك أن بنيامين نيتو بول رئيس حزب ينجب ، الذى كان يعمل من قبل مدرسا بالمدرسة العليا فى داكار ، هو الذى أصبح رئيسا لجبهة فلنج فى العام ١٩٦٦ .

وثمة خاصية تميزت بها كل المجموعات التى كونت فيما بينها جبهة فلنج هى أنها حذفت من بياناتها أية إشارة إلى جزر الرأس الأخضر ، واقتصرت أهداف كل تلك الجماعات على غينيا وحدها ، يضاف إلى ذلك أن الكثيرين من زعماء وأتباع تلك الجماعات كانوا يعارضون وجود سكان جزر الرأس الأخضر كشعب قائم بذاته ، كما كانوا يرفضون أيضا هيمنة سكان الجزر ويستاءون منها ، بل إنهم رفضوا سمو سكان جزر الرأس الأخضر التعليمى واستنكروا أيضا مرتبة أولئك السكان على سلم النظام الاستعمارى الذى تحدده البرتغال ، ولم ينس قط الكثيرون من زعماء تلك الجماعات ، بل إنهم لم يفصحوا مطلقا عن الحقيقة التى مفادها أن أهل الرأس الأخضر إنما يشكلون أفراد الإدارة المباشرة للحكم البرتغالى فى غينيا .

وبرغم أن نشاط جبهة (فلنج) كان يبدو متوقفا بصورة مؤقتة فى العام ١٩٦٣ ، إلا أنها واصلت ضغطها وسعيها إلى الاعتراف بها كحركة من حركات التحرير التى تقف على قدم المساواة مع حزب بيجك ، وابتداء من العام ١٩٦٣ وحتى العام ١٩٦٧ حاولت منظمة الوحدة الأفريقية مرارا تشجيع إيجاد وحدة بين الجماعتين المتنافسين ، يضاف إلى ذلك أن الرئيس سينجور - رئيس السنغال - كان يشجع على قيام مثل هذه الوحدة ، بيد أن تفوق حزب بيجك وسيادته الواضحة على أرضه ،

وكذلك عدم اتفاق الآراء السياسية فى الجماعتين هو الذى حتم تكريس الجهود فى اتجاه تحقيق هذه الوحدة ، ومن رأى باسل ديفيدسون : أن الحكومة السنغالية فى أواخر العام ١٩٦٧ كانت مترددة فى قبول سيادة حزب بيجك ، والتسليم بها ، وهنا يردف باسل قائلا : يبدو أنه كان قد تم فى أواخر العام ١٩٦٧ توقيع اتفاقات تنظم تماما وضع حزب بيجك على أرض السنغال ، يضاف إلى ذلك أن تلك الاتفاقات هى التى تعطى حزب بيجك الوضع الطبيعى والرسمى الذى كان يحظى به الحزب بالفعل فى غينيا (١٣٤) ، وبعد ذلك بثلاث سنوات ، وبالتحديد فى العام ١٩٧٠ ، تحدث الناطقون بلسان حزب بيجك لصحافى فرنسى عن العداء الذى كان يواجهه حزبهم فى السنغال ، كما ورد أيضا فى أحد التقارير أن سلطات السنغال أمرت بإغلاق مستشفى حزب بيجك فى مدينة زنجونكور وأبلغت أولى الأمر بإخلاء الأشخاص ذوى الجراح الخطيرة إلى مستشفى آخر فى مدينة بوكى فى جمهورية غينيا (١٣٥) علما بأن أولئك الجرحى كانوا ينقلون فى أغلب الأحيان على ظهور الحمالين ، ومع ذلك يسوق متخصص آخر ادعاء مفاده : أن حزب بيجك سمحت له السنغال بإقامة معسكر له فى مدينة كولدا ، علاوة على المعسكر الأساسى الذى أقامه الحزب أيضا فى مدينة كينديا بالقرب من كوناكرى لحزب بيجك ، وبرغم بقاء مركز الرئاسة الخاص بكابرال فى مدينة كوناكرى (١٣٦) .

وعن جبهة فلنج يورد هويتيكر فى تقاريره ادعاءات مفادها أن الجبهة كان لديها مائة جندى قام الجيش السنغالى بتدريبهم ، غير أن تلك القوة لم يسمع بها أو يرى نشاطها أحد من المراقبين الخارجيين (١٣٧) . ويستشعر المتعاطفون شيئا من الصدق فى الشائعات القوية التى ترددت عن المساندة والدعم اللذان كانت جبهة فلنج تلقاهما من قبل كل من شرطة السياسة والأمن البرتغالية ومن المخابرات المركزية الأمريكية ، ظنا منها أن جبهة فلنج هى قوة معتدلة يمكن أن تشترك فى المفاوضات النهائية مع حزب بيجك ، وفى العام ١٩٦٣ طار بنيامين بنتوبول إلى لشبونة كى يناشد سالازار شخصيا إحداث شئ من الإصلاح ، زد على ذلك أن أحد أشقائه وهو جيمى بنتوبول عمل فترة قصيرة سكرتيرا عاما برتغاليا لغينيا ، وممثلا للمستعمرة فى الجمعية الوطنية البرتغالية ، أما شقيقه الآخر الذى قيل إنه كان طبيبا فقد قيل أيضا إنه كان يعيش فى لشبونة ، التى كانت تتردد عليها زوجة بنيامين بنتوبول من حين لآخر للزيارة أثناء وجود بنيامين فى داكار (١٣٨) ، وفى العام ١٩٧٠ كان بنتوبول نفسه يظهر بين الحين والآخر فى داكار ، برغم أن الناس كانوا يعتقدون أنه يعيش خارج أفريقيا .

وقد ورد فى أحد التقارير أن أربعة من أعضاء اللجنة المركزية فى جبهة فلنج وقعوا فى أيدى حزب بيجك خلال العام ١٩٧٠ ، ونقلا عن المصادر الأفريقية الوثيقة قام أولئك الزعماء الأربعة بالاتصال بكابرال ، وادعوا أنهم كانوا مهتمين بتحقيق الوحدة بين جبهة فلنج وحزب بيجك ، ويبدو أن كابرال كان يشجع تلك المبادرة ، غير أنه عندما كرر الأربعة طلبهم القيام بجولة فى قواعد حزب بيجك والمناطق المحررة داخل غينيا حتى يتسنى لهم أن يروا رأى العين مايحققه حزب بيجك للوحدة المقترحة ، اتخذ كابرال ترتيبات القاء القبض على الأربعة فور عبورهم الحدود إلى غينيا ، وتصر تلك المصادر - التى يتضح ولاؤها ومحاباتها لحزب بيجك - أن جبهة فلنج توقفت عن أن تكون منظمة ذات وجود مؤثر وفعال ، وبانتهاء العام ١٩٧١ كان من الصعب إثبات بطلان ذلك التصريح ، غير أن البحث فى السياسة الأفريقية أمر متوقع ومنتظر .

٣ – موزمبيـــــق

- جبهة تحرير موزمبيـق (فريليمو)
- اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو)

الخلفية التاريخية

نزل فاسكو دا جاما المكتشف البرتغالى ، على أرض موزمبيق فى شهر مارس من العام ١٤٩٨ ، وكان أحد جوانب رحلته الاستكشافية يتمثل فى البحث عن المملكة الأسطورية للملك بريسترجون ، تلك المملكة التى كان العرش البرتغالى يتطلع إلى التحالف معها فى مواجهة المسلمين ؛ غير أن داجاما وجد الساحل الشرقى بكامله فى أيدى العرب والشعوب الأفريقية التى اعتنقت الإسلام ، تلك الشعوب التى كانت تستخدم اللغة السواحيلية -التى هى خليط من اللغة العربية ولغات البانتو – فى تعاملها مع بعضها البعض ، أما الأمر الذى كان يهم الأوربيين وبخاصة ما يتعلق بنشر المسيحية فكان يتمثل فى السيطرة على مركب التجارة الكبير فى شرقى أفريقيا ، وإضافة إلى الحصول على الذهب والعاج من المناطق الداخلية فى أفريقيا نجد أن الموانى وبخاصة الموانى الداخلية فى شرقى أفريقيا لها أهمية كبيرة فى التجارة مع كل من الهند ، وجنوب شرق آسيا ، واندونيسيا والصين : إذ كان يتم نقل التوابل والذهب والعاج والحرير من الشرق فى مراكب الدهو (١٣٩) العربية عبر البحر الأحمر والخليج الفارسى ثم بعد ذلك بالبر إلى موانى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، حيث كان يتم نقلها منها بالسفن من البندقية أو من جنوه إلى أوربا ، وجاءت زيارة داجاما إلى شرقى أفريقيا قصيرة ، ثم واصل مسيره إلى الهند التى وصلها بعد ثمانية أسابيع ، وفى العام ١٤٩٩ زار داجاما منطقة المالندى وهو فى طريق عودته إلى الوطن قبل أن يبحر بطول الساحل إلى أوربا ، وهو يحمل معه معلومات جديدة عن الدور الرئيسى الذى تلعبه المدن الساحلية فى شرقى أفريقيا فى التجارة عبر المحيط الهندى .

وفى العام ١٥٠٠ ، قام بدرو الفاريز كابرال المغامر البرتغالى بمحاولة غير ناجحة للاستيلاء على ميناء سوفالا وفى كل الأحوال ،ترجع بداية الحكم البرتغالى إلى العام ١٥٠٢ عندما أبحر فاسكو داجاما عائدا إلى المحيط الهندى ومعه تسع عشرة سفينة ليستولى على مدينة كلوا التى كان يعدها أهم مدينة فى تجارة الذهب فى المناطق الداخلية . ثم وضع داجاما السلطان إبراهيم فى السجن ولكنه عاد وأطلق سراحه بعد أن اعترف بسيادة البرتغال ، وبعد أن وافق أيضا على أن يدفع للبرتغال جزية سنوية ،

وفى العـــام ١٥٠٩ كـان الساحل الأفريقـى الشـرقى بكامـله تحت حـــكم البـرتغـال ، ومن المهم أن نلاحظ أن البـرتغـاليين فى تلك الفتـرة كـانوا يسـعـون فـقط إلى إنشـاء إمبراطوريـــة تجـارية وليسـت إمبراطوريـة اسـتعمارية ؛ وهـــذا ما يوضـحـه كل مـن ويـر Were وزميله ويلسون عندما يقولان : وهذا يعنى أن البرتغاليين لم يكونوا يريدون تولى الحكم فى مناطق أجنبيـة كثيرة ؛إنما يريدون فى بساطة أن تكون لهم سيطرة كافـية على الموانئ والممرات المائية حـتى يتسنى لهم تحقـيق أكبـر نصيب من تجارة الشـــرق (١٤٠) ، وعلى ذلك قدر للبرتغاليين أن تكون لهم سيطرة ووجود يتـهدد هما الخطر على الساحل الشرقى لأفريقيا طوال المائتى عام التى تلت ذلك ؛ غير أن التجارة ركدت طوال تلك الفتـرة وكانت آثار الحكم البـرتغـالى سلبيـة تمامـا على شـعـوب تلك المنطقة طوال هذين القرنين .

أما التـأثير البرتـغالى الفعال فقد حدث فى ذلك الجزء من الساحل الذى يقع بين كويلمانى وسوفالا ، فمن هذه المنطقة قام البرتغاليون بضربتهم فى الداخل سعيا إلى مصادر الذهب الذى كان يتقاطر عليهم من زيمبابوى (١٤١) وفشلت الخطة الاستعمارية على نهر الزمبيزى نتيجة تفشى المرض ونشـاط المقاومة الأفريقية ، وطوال تلك الفترة كان مركز السلطة البرتغالية يتمركز فى جوا Goa النائيـة التى كـانت تصـدر منهـا الأوامر ، وترسل منها التدعيمات – من حين لآخر – إلى المغامرين البيض على ساحل إفريقـيا الشـرقي ، وعلى العـمـوم فـإن المؤرخين يعـزون التـدمـيـر الذى أصـاب منطقـة الزمـبيزى إلى نظام (البرازو) البـرتغـالى ، ذلك النظام الذى دام فى مـوزمـبيق " حـتى الثـمـانينات من القرن التـاسع عشـر وأثر بصـورة مبـاشـرة وغير مبـاشـرة فـى تكوين شركات الأراضى الثلاث فى موزمـبيق (١٤٢) ، أما نظام البرازو داكروا فـهو عبارة عن تاج مُنح للبرتغـاليين ، الذين تميزوا بطابع خـاص فى الخدمـة الاسـتـعـمـارية ، وطبـقـا للقواعد والنظم –التى نادرا ما كانت تتبع – فإن البرازيرو لم يكن يحصل على اكثر من ثلاثة فراسخ مربعة من الأرض الأفريقية ،كما أنه كان يتحتم عليه أن يقيم على تلك الأرض أو على أقل تقـدير داخل المقـاطعـة ، وأن يتـزوج أوربيـه وأن يزرع ويسـتـعـمـر الأرض ، وعلى وجه التقريب ، كان أفراد البرازيرو يفعلون ما يحلولهم حتى يتسنى لهم توسيع سيطرتهم ومدها إلى مساحات واسعة ، الأمر الذى يترتب عليه قصر السكان الأفـارقـة على السـخـرة أو الاسـتـعـبـاد الكامل إذا لم يسـتطيـعوا دفـع الضرائب التى يفرضـها البرتغاليون على القبائل .

وفى الوقت الذى كان نظام البراز يرو ينص فيه على شرط الزواج من أوربيات ، لم تكن هناك فى الواقع سوى نسوة قليلات من البيض فى المستعمرة ، ومن هنا تحول البرازيرو تماما خلال أجيال قليلة إلى مولّدين مع إضافة الدم الهندى والجوئى إلى العرق المولّد من الأوربى والأفريقى ، اما تجارة الرقيق فكانت موجودة فى شرقى أفريقيا قبل وصول البرتغاليين إليها ، ومع ذلك ، فإن الصعوبات التى كانت تترتب على نقل السود عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى أمريكا وكذلك استغلال العبيد على نطاق واسع فى مناطق البرازيرو ، أديا إلى الاحتفاظ بتلك التجارة عند أقل حد ممكن لها ؛ إلى أن زادت تلك التجارة من جديد فى القرن التاسع عشر عندما لم يعد بوسع غينيا البرتغالية أو أنجولا تلبية الطلب على العبيد ، ومع ذلك لم تصل حركة الرق مطلقا فى موزمبيق إلى تلك النسب المدمرة التى وصلتها فى أنجولا أو فى غينيا .

وطوال فترة الوجود البرتغالى التى استمرت ٢٠٠ عاما ، كان هم البرتغاليين الأول هو احتكار تجارة الذهب الذى كان ينساب من مملكة مونوموتابا وهى المنطقة التى تعرف اليوم باسم زامبيا وروديسيا ، وفى النهاية سقطت المملكة والسيطرة المباشرة على مناجم الذهب فى أيدى البرتغاليين ، غير أنه فى الوقت الذى رفض فيه البرتغاليون أن يتعاونوا مع العرب ساد الكساد الأقتصادى ، وفى نهاية القرن السابع عشر استطاع العرب العمانيون طرد البرتغاليين من كثير من المدن والقلاع فى الجزء الشمالى من الساحل الأفريقى الشرقى ، وبعد حصار طويل سقطت فى أيدى العمانيين فى العام ١٦٩٨ " قلعة يسوع فى ممبسا " ، ومع بداية القرن الثامن عشر أنسحب البرتغاليون جنوبا إلى كابوديلجادو التى تعد اليوم واحدة من مناطق الشمال فى موزمبيق على الحدود مع تانزانيا .

وموزمبيق التى تبلغ مساحتها الإجمالية ٢٩٧٨٤٦ ميلاً مربعاً ،هى ثانى المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا من حيث الحجم ، إذ تصل مساحتها إلى حوالى ثمانية أضعاف ونصف الضعف من مساحة البرتغال الحالية ، أما أكبر المدن فهى لورنسو ماركيز العاصمة ، التى يصل عدد سكانها إلى حوالى ١٨٠٠٠٠ نسمة . لورنسو ماركيز ميناء نشط يتعامل مع الحمولات والشحنات المرسلة إلى كل من الترنسفال فى جمهورية جنوب أفريقيا المجاورة ورديسيا التى تقع إلى الداخل ، أما بيرا فهى المدينة الثانية ، ويصل عدد سكانها إلى حوالى ٨٥٠٠٠ نسمة ، وهى أيضا

ميناء أساسي يستقبل الحمولات والشحنات القادمة إلى كل من روديسيا وملاوى ، أما المراكز الحضارية الأساسية الأخرى فهى كويلمانى (٢٠٠٠٠ نسمة) ، ونامبولا (١٥٠٠٠ نسمة) وتاتى (١٢٠٠٠ نسمة) ، والبلاد ينخفض سطحها ، بصورة عامة ، عن مستوى الساحل وبطوله ، أما فى الأجزاء الوسطى من ناحية الغرب والأجزاء الشمالية الغربية فترتفع الهضبة الأفريقية من ٣٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم ، مع وجود عدد من النقاط الأكثر ارتفاعا ، ويصل طول الساحل إلى حوالى ١٧٥٠ ميل ، كما أن هناك عددا من الخلجان الواسعة التى تكون موانى ممتازة ، أما المناطق الساحلية الأخرى فهى تميل إلى الانخفاض مع كثرة الرمال بها ووجود مناطق المياه الضحلة التى تمتد حتى مسافة بعيدة من الشاطئ .

ويقع الجزء الأكبر من البلاد فى الحزام المدارى ؛ وينقسم العام إلى فصلين : فصل مطير حار يمتد من نوفمبر إلى مارس ؛ وفصل بارد جاف يستمر بقية العام ، أما أكثر الشهور حرارة فى العام فهما شهرى يناير وفبراير ،حيث يتراوح متوسط درجات الحرارة بين ٨٠ درجة و ٨٥ درجة فهرنهيتية ، ويزيد متوسط درجة الحرارة فى الهضبة الداخلية عن العادى بأكثر من عشر درجات ، أما الرطوبة النسبية فتصل إلى حوالى ٨٠ فى المائة فى جميع المناطق ، ونظرا لدرجات الحرارة التى تبعث الدفئ فى الشتاء يتوافد الكثيرون من البيض فى جنوب أفريقيا إلى البلاجات حول مدينة لورنسو ماركيز فى شهرى يونيه ويوليه .

ونقلا عن إحصاء العام ١٩٦٠ يصل إجمالى عدد السكان فى موزمبيق إلى حوالى ٦٥٧٨٦٠٠ نسمة منهم ٩٧٣٠٠ نسمة من الأوربيين وحوالى ٣١٥٠٠ نسمة من المولدين وحوالى ١٩٣٠٠ من الآسيويين ومع مطلع العام ١٩٧٠ كان سكان موزمبيق يقدرون بأكثر من ٧ ملايين ، منهم أكثر من ٦ ملايين من الأفارقة ، اما السكان الأوربيين فكانوا يقدرون بحوالى ١٣٠٠٠٠ نسمة ، وتوجد أعلى نسب الكثافة السكانية على الساحل بطوله وبخاصة فى اقاليم زامبيزيا وموزمبيق ، ونياسا التى تكون جزءً من الحدود مع تانزانيا والتى تقع إلى الداخل من ناحية الشمال ، هى أقل الأقاليم من حيث الكثافة السكانية ، وكما هو الحال فى كل المناطق الأخرى من أفريقيا يعد التأثير الحضارى البرتغالى فى موزمبيق أثرا بعد عين للفشل الذى أصابه ، ويسجل إحصاء العام ١٩٦٠ أن ما يزيد قليلا على ٢ فى المائة من إجمالى عدد السكان هم من المتحضرين بالمقاييس والمعايير البرتغالية ، وهذا يعنى أننا إذا ما استبعدنا الأوربيين والآسيويين فلن يتبقى سوى ٥٠٠٠ أفريقى فقط .

وسكان موزمبيق الأفارقة ينتمون إلى جماعات قبلية متباينة ناطقة بلغة البانتو . أما أكبر مجموعة من السكان الأفارقة وهى مجموعة شعب الماكو – لوموى التى تشكل حوالى ٤٠ فى المائة من السكان الأفارقة فهى توجد فى الشمال ، وحسب إحصاء العام ١٩٥٠ ، انقسمت تلك المجموعة التى تعيش على الزراعة وتضم حوالى ٢٢٩٣٠٠٠ نسمة إلى وحدات قبلية صغيرة ليس لها تركيب سياسى مركزى قوى ، أما المجموعة الكبيرة الثانية – مجموعة الثونجا – فهى توجد إلى الجنوب من الزمبيزى ، ويصل عدد أفرادها إلى حوالى ١٤٦٠٠٠٠ نسمة ، ويعمل معظم أفراد تلك المجموعة كعمال مهاجرين فى مناجم جنوب أفريقيا ، أما مجموعة الشونا ، التى تعيش إلى الشمال من مجموعة الثونجا فيصل عددها إلى حوالى ١١٥٥٠٠ نسمة ، على حين يعيش عدد أكبر من ذلك العدد فى روديسيا ، أما القبائل الأساسية الأخرى فهى :

الشوبى (تونجا)	٢٤٠٤٠٠ نسمة
النيانجا والشيوا	١٦٦٠٠٠ نسمة
الماكوندى	١٣٦٢٠٠ نسمة
الياو (أجوا)	١١٩٩٠٠ نسمة
البارورى	٤٤ ٤٠٠ نسمة
أنجونى (نجور)	١٤٣ ٠ نسمة

أما الياو ، وهى القبائل التى تعيش فى الشمال ، فهى قبائل مسلمة ولكن الماكوندى ، جيرانهم قاوموا الدخول فى الإسلام ، وفى الماضى كانت قبائل الماكوندى تتميز بمقاومتها الناجحة لتجار الرقيق الذين كانوا يتخذون من القبائل الأخرى فرائس لهم ، وتعد الماكوندى ثانى أكبر القبائل فى الشمال كما أن ٣٠٠٠٠٠ من أقاربهم يعيشون عبر الحدود فى تانزانيا ، ومنذ أن بدأت حرب العصابات فى موزمبيق ، هرب حوالى ١٠٠٠٠ من اللاجئين من الماكوندى إلى تانزانيا عبر الحدود حيث انضم الكثيرون منهم إلى صفوف جبهة تحرير موزمبيق فريليمو ، ولا تنفرد جماعة عرقية واحدة بالسيطرة فى كل أنحاء البلاد ، كما أن معظم تلك الجماعات تحتفظ بأديانها الأرواحية التقليدية ، نظرا لعدم انتشار الإسلام أو المسيحية بين أكثر من ٤٠ فى المائة من السكان الأفارقة .

وموزمبيق فى الأصل بلد زراعى ويعد القطن هناك أول محصول من محاصيل التصدير يليه السكر ثم الكاشيو ثم الشاى والتبغ ، وعلى كل حال لا تعد الزراعة المصدر الطبيعى الوحيد ؛ ذلك أنه تم اكتشاف موارد للحديد والبترول كما يجرى تطويرها وتنميتها ، وأكتشفت أيضا شركة بترول خليج موزمبيق حقلين للغاز الطبيعى . وعلاوة على ذلك فإن مجموعة أخرى من الشركات الأمريكية وشركات جنوب أفريقيا بالإضافة إلى شركات فرنسية وكذلك شركات ألمانية غربية تقوم بالبحث عن البترول والغاز هناك ، أما مناجم الحديد الخام فتقوم شركات يابانية ومن جنوب أفريقيا ، وأيضا شركات برتغالية باستخراج الحديد منها ، وبالقرب من الحدود مع سوازيلند ،منحت إحدى شركات جنوب أفريقيا امتياز لاستغلال موارد الماس والمنجنيز والأسبستوس ، وعلى كل حال ، فقد حدث أكبر توسع فى الصناعة ، وبخاصة صناعة المنسوجات .

وفى المستقبل سوف يعتمد التوسع الاقتصادى الاستعمارى وتكامله بصورة أكبر مع اقتصاد جنوب أفريقيا /روديسيا ، على إنشاء سد كابورا بوسا الضخم على نهر الزمبيزى فى أقليم تيتى ، وإذا ما تم ذلك السد فإنه يمكن أن يكون أكبر سد فى أفريقيا ، حيث سيتم فى المرحلة الأولى منه - التى تحدد لها عام ١٩٧٤ - توليد طاقة كهربائية تصل إلى حوالى ١٢٠٠ ميجا واط تصل فى النهاية إلى ٤٠٠٠ ميجا واط . وسوف تغرق مياه السد مساحة ١١٠٠ ميل مربع ؛ الأمر الذى يحتم نقل ٢٤٠٠٠ أفريقى إلى قرى أفريقية لايتهددها خطر المياه فى الأراضى الأفريقية غير المطلوبة ، على حين سيتم توطين الأراضى الخصبة الجديدة التى ستفيد من الرى بحوالى مليون من المهاجرين الأوربيين .

وقد أعطت الحكومة البرتغالية الأولوية للمشروع ، وراحت تسعى لربط جميع المصالح الأوربية الأساسية بإنشاء المشروع ، غير أن جنوب أفريقيا اضطلع بأكبر نصيب فى الصفقة التى تصل إلى ١٤٥ مليون جنيه استرلينى نظراً لتزايد الضغوط الأفريقية حول موضوع المستثمرين الكبار فيما وراء البحار ، ومنعت السويد الشركات السويدية من الأشتراك فى المشروع ؛ وحذت تركيا حذو السويد بعد أن طلب ذلك منها بصورة مباشرة ، الرئيس كاوندا رئيس زامبيا ؛ ولكن إيطاليا وصفت المشروع بأنه جريمة ضد الإنسانية (١٤٣) ، ومن ناحية أخرى ، أعلنت جريدة جوهانسبرج ستار

أن السد يعد «بداية لتكوين مجموعة اقتصادية من جنوب أفريقيا» بحيث تتكون من حكومات الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا ويتم توجيهها من بريتوريا .

وبطبيعة الحال ، أقسمت كل من جبهة تحرير موزمبيق فريمليمو هى واللجنة الثورية لموزمبيق كوريمو على إحباط ذلك المشروع ، وقامتا بشن هجمات فى إقليم تيتى ، ولكن دون أن تصيبا أى نجاح نظراً لأن الجيش البرتغالى قام بتدعيم دفاعاته فى المنطقة ؛ كما تلقى تأكيدات وضمانات كافية من جنوب أفريقيا مفادها أن قوات جنوب أفريقيا ستكون جاهزة على استعداد للقيام بمساعدة القوات البرتغالية إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

وفى موزمبيق يؤثر جنوب أفريقيا الأبيض على المستوطنين البرتغاليين أكثر من أقاربهم البرتغاليين فى أنجولا ، كما أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الثانية فى المستعمرة ، وبخاصة بعد نمو السياحة والاستثمارات القادمة من جنوب إفريقيا ، وإذا ما تداعى تراث سالازار فى لشبونه وخسرت البرتغال مستعمراتها فى النهاية ؛ ومع احتمال حدوث تغيير ايضا وتحول فى إصرار البرتغال على التعلق بممتلكاتها الإستعمارية ، فإن ذلك قد يدفع المستوطنين البرتغاليين إلى تنفيذ نوع من الانفصال على النمط الروديسيى ، وذلك على أمل السعى فى النهاية إلى تكوين اتحاد فيدرالى مع جنوب افريقيا ، وبرغم الهجرة المتزايدة من البرتغال فإن العدد الصغير من البيض فى موزمبيق لايمكن أن يتطلع إلى السيطرة على السواد الأعظم من السود بدون تحالف مع كل من بريتوريا وسالسبيرى [١٤٤] فى سبيل تحقيق ذلك الهدف .

المقاومـــــة

برغم الخلافات الحادة والتباعد التام فى المصالح لم يكن استقبال العرب والأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام على الساحل الأفريقى الشرقى ، للمغامرين البرتغاليين ، فى القرن الخامس عشر ، استقبالا كريما أو طبيعيا ، إذ وصلت الخلافات بين حكام الموانى العربية إلى الحد الذى جعل بعضهم لايدركون أن لهم مصالح مشتركة مع المتطفلين البرتغاليين ، فى التجارة فى المحيط الهندى ، من هنا ، جاءت أغرب وأعنف مقاومة للتعجرف البرتغالى من مملكة مونوموتابا بدلا من أن تجيئ من القبائل الأفريقية فى الداخل ، ومع أنه تم التغلب على تلك المقاومة إلا أن الحال بقى على ذلك المنوال فى المستعمرات البرتغالية كلها ، فى أفريقيا : إذ غابت الإدارة تماما عن مناطق شاسعة ، بل إنها كانت تتسم بالقصور والفساد فى الأماكن التى كانت توجد فيها .

وراحت القبائل منفردة ، مثل قبيلة الماكوندى ، تحارب وتصيب شيئا من النجاح ضد الباحثين عن العبيد الذين كانوا يستولون على معدل يصل إلى ١٠٠٠٠ عبد سنويا ، فى الفترة ما بين ١٧٨٠ و ١٨٠٠ ، ومع حدوث نقص فعلى فى السكان فى أماكن أخرى بدأ الطلب يتزايد على السود وجاءت الحروب القبلية المستمرة أيضا فى صالح النشاط المتزايد للباحثين عن العبيد خصوصا وأن المنتصرين فى تلك الحروب كانوا فى بعض الأحيان ينقلبون إلى خاسرين فى صراع آخر مع جيران آخرين وهكذا يلحقون بضحاياهم فى إسار الرق والاستعباد ، ويكتب جيمس دوفى تقريرا مفاده أن عدد العبيد الذين جرى تصديرهم من موزمبيق ارتفع بصورة حادة إلى ١٥٠٠٠ عبد سنويا ووصل إلى ٢٥٠٠٠ سنويا لمدة عشر سنوات ؛ ثم إنخفض بعد العام ١٨٥٠ . وقد حدث ذلك بعد فترة طويلة من صدور مرسوم العام ١٨٣٦ الذى كان ينص من حيث المبدأ على إلغاء الرق فى المستعمرات البرتغالية (١٤٥) ، وعلى كل حال ، لم تنته تلك التجارة الرذيلة تماما إلا فى العام ١٨٦٥ ، بل إنها حتى فى ذلك العام كانت توجد فى ثوب آخر هو : نقل ما يسمى بالعمال المتطوعين إلى جزيرة كومورو وجزيرة ريونيون لمدة خمس سنوات من حيث المبدأ أما الأفارقة الذين جرى نقلهم بالسفن إلى الجزر التى يسيطر عليها الفرنسيون فقد استولى عليهم تجار العبيد أنفسهم بنفس الطريقة التى كانت تتبع فى الماضى ، ثم ساروا بهم إلى الساحل حيث تم شحنهم على ظهور سفن فرنسية على أنهم مهاجرين من البلاد ، وكان الفارق الوحيد يتمثل فى أن

الأفارقة كانوا يخضعون لاحتفال هزلي آخر يجرى استجوابهم فيه حول ما إذا كانوا يرغبون في التطوع للعمل في الجزر ؛ وتباً للمهاجر الأسود الذي يفشل في الرد على السؤال بالإثبات ، ولم يلغ ذلك الشكل الجديد أشكال الاستعباد إلا في العام ١٨٦٤ ؛ ومع ذلك فقد استمرت تلك التجارة السرية في العبيد في موزمبيق مدة خمس عشرة سنة أخرى على الأقل بعد ذلك .

أما الأفارقة الذين لم يجر شحنهم إلى الخارج على ظهور المراكب فكانوا يذوقون سوء العذاب من نظام البرازو ، ولم يميز البراز يرو بين عبد وفرد في المستعمرة ، طالما يقع الساكن الأسود ضمن امتيازات الأراضي الخاصة بهم ، هذا الساكن الأسود الذي كان يعمل بلا اجر أو لحساب البرازيرو ورغما عن الزعم بأنه رجل حر ، ورغما عن هذه الحرية الاسمية كان الكثيرون من الأفارقة يباعون من قبل مالكيهم البرازيرو في استرقاق كامل ، وبطبيعة الحال كان ذلك النظام الجائر المستغل يأخذ المقاومة -بل وحتى الثورة -بعين اعتباره وبخاصة أن البرتغاليين البرازيرو من المولّدين كانوا يعدون أنفسهم أعرق خلقا من الآخرين ، هؤلاء الناس كانوا يأخذون بعين الاعتبار أي تحرك يهدف إلى عرقلة استغلالهم لرفاقهم من البشر .زد على ذلك أن الملاك من طراز البرازيرو كانوا يحتفظون بجيوش خاصة بهم تشبه في معظم الأحيان عصابات كو-كلوكس -كلان في جنوبي الولايات المتحدة ، أكثر منها وحدات عسكرية نظامية . أما الهدف من تنظيم تلك العصابات فهو إرهاب الرعايا المتمردين وسحق أية محاولة يحاول الأفارقة القيام بها .

ولم تكن غطرسة وتعالي البرازيرو تعرف حدودا ، كما كانت توجه في معظم الأحيان إلى البرتغال ذاتها . وفي منتصف القرن التاسع عشر حاول جوكويم جوسي دي لاكروز (نيودي) - الذي هو واحد من المولّدين - فرض الضرائب على حركة المرور في نهر الزمبيزي ابتداء من مركز الرئاسة في ماسانجانو . ولم يفشل الحاكم البرتغالي فحسب في سحق مطامح كروز الإقطاعية بل إنه فشل أيضا ولم يستطع منع أنطونيو فيسنتي (بونجا) - ابن كروز نفسه - من تدمير مدينة تيتي ، واستطاع بونجا أن ينزل الهزيمة بالحملة التي أرسلتها البرتغال في العام ١٨٦٩ ، كما استولى على منطقة شاسعة دامت معه حتى وفاته في العام ١٨٨٥ ، ولم يستطع البرتغاليون استعادة سيطرتهم على المنطقة من نجل بونجا مدة ثلاث سنوات أخرى .

الأهم من ذلك هو إمبراطورية جازا التى أنشأتها قبائل " إنجونى " فى الإقليم الجنوبى باسم القبائل ذاتها ، وفى الفترة ما بين العقد الثانى من القرن التاسع عشر وبين العام ١٨٥٩ قامت «أنجونى» - أو الجازاس وهو الاسم الذى أصبحت تسمى به تلك القبائل- بذبح حامية لورنسو ماركيز ،كما قامت هذه القبائل نفسها أيضا بالهجوم على مدن (إنها مبانى) وسوفالا واستولت على ضياع البرازو التى تقع إلى الجنوب من نهر زمبيزى وواصلت إغاراتها وهجماتها فى اتجاه الشمال ، ومات سوشا نجانى مؤسس الإمبراطورية فى العام ١٨٥٩ تاركا من خلفه ولديه اللذين تحاربا فيما بينهما من أجل السيطرة على الملكة ، أما ماهيوفا الذى كان واليا شرعياً ، فقد انهزم من اخيه أمزلا- أوميوزيلا - الذى أبرم مع البرتغاليين صفقة مقابل الحصول على تأييدهم، ومع ذلك استمر أمزيلا يعامل البرتغاليين بشئ من الاحترام كما كان يطالبهم بفدية أيضا . ومات أمزيلا فى أغسطس من العام ١٨٨٤ ، أما ابنه جونجنهانا فقد سعى إلى طلب الحماية البريطانية فى مواجهة أعدائه البرتغاليين ، والواضح أن البريطانيين كانوا على أقل تقدير يشجعون جونجنهانا على مواصلة كفاحه ، الذى لم ينته حتى شهر ديسمبر من العام ١٨٩٥ ، وهو نفس العام الذى تم فيه أسر جونجنهانا والاستيلاء على عاصمته من قبل البرتغاليين ، ومع ذلك لم تسقط إمبراطورية " جازا " تماما فى أيدى البرتغاليين ، إلى أن مات فى شهر أغسطس من العام ١٨٩٧ الجنرال ماجو جوانا قائد قوات جونجنهانا العسكرية ، وفى ذلك التاريخ فقط أعلن البرتغاليون أن المنطقة أصبحت منطقة يسودها الهدوء وخالية من القلاقل (١٤٦) .

ولكن البرتغال فى تلك المرة، قامت بالسيطرة على نظام البرازو الفاسد الفوضوى ، وبدلاً من إيجاد المزيد من البرازيرو ومزارعهم الشاسعة ، كونت البرتغال ثلاث شركات بحيث تكون الأراضى فى حوزتها هى : شركة موزمبيق ، وشركة " نياسا " ثم شركة زامبيزا والحق فإن شركتى موزمبيق ونياسا كانتا تحتكران التجارة واستغلال الموارد الطبيعية ، بل إن هاتين الشركتين كانتا تقومان بجمع الضرائب من السكان ، أما شركة موزمبيق فكانت تدير وتتحكم فى ما يزيد على ٦٢٠٠٠ ميل مربع فى إقليمى (مانيكا) و (سوفالا) ، أما شركة نياسا فكانت تسيطر على قطاع هائل مماثل لذلك القطاع على نهر لوريو .

أما شركة زامبيزيا فهى حُرِمت فقط من الحقوق الإدارية فى منطقتها التى كانت تقع بين كوليمانى وتيتى ، وعلى أى حال ، فإن الشركات فى الحالات الثلاثة فقدت

بل وفشلت فى تحويل الأرباح الكبيرة -المنتظرة من ذلك النقل الهائل لملكية الأراضى الإفريقية -إلى واقع مادى ، وفى العام ١٩٠١ تم إعلان ملكية الحكومة لجميع الأراضى التى لم يتم تملكها ملكية خاصة من الأوربيين ، وترتيبا على ذلك أصبحت مطالب القبائل الأفريقية فى الأراضى أمراً لايساوى شيئا كما أصبحت جميع الأراضى التى يملكها الأفارقة تحت تصرف الحكومة ، ولم يتم الحفاظ على الملكية الأفريقية للأراضى إلا من الناحية النظرية فقط ، أما من الناحية العملية فإن النظام كان يعنى طرد السود بسرعة من الأراضى التى يرغب فيها الأفراد الأوربيين أو الشركات الأوربية (١٤٧) .

وراح ملاك الأراضى من طراز البرازيرو يقاومون جماهير لشبونة علهم يخضعونهم للنظم الاستعمارية الإدارية ، وأرسلت بعض القوات للوقوف ضد الأوربيين - المولَّدين (١٤٨) (ذوى الدماء المخلطة بلغة القوم) (١٤٩) بل حتى فى وجه بعض أفراد البرازيرو القلائل من الأفارقة فى الأقاليم المختلفة ، ولم يتم تحطيم قوة ملاك البرازيرو حتى العام ١٩٠٤ ، وكان لابد من زيادة الحملات العسكرية فى نفس الوقت فى مواجهة مختلف القبائل الأفريقية التى تثير القلاقل فى أقاليم كثيرة ، كما لم يتم أيضا إخضاع إقليم موزمبيق حتى العام ١٩١٨ ، أما الأقاليم الأخرى فقد تم إخضاعها فى تواريخ سابقة نسبيا : مثل الماكوا الذين تم اخضاعهم فى العام ١٩٠٩ والماكوندى الذين تم إخضاعهم فى العام ١٩١٠ ثم الآجواز الذين تم إخضاعهم فى العام ١٩١٢

وكما هو الحال فى اجزاء أفريقيا الأخرى ، أعقب تلك التهدئة العسكرية توقف المقاومة الأفريقية بصورة مؤقتة ، ثم بدأت بعد ذلك موجه سلبية من المساوئ الاستعمارية غير القبلية . وحدثت فى المستعمرات البرتغالية مضاعفات كثيرة نتيجة لتكوين الرابطة الأفريقية فى لشبونه فى العام ١٩٢٠ ، هذه الرابطة لم تكن تضم سوى عشرين فقط من المثقفين الأفارقة والخلاسين ، اما فى موزمبيق فقد بدأ تنظيم "الجريميو أفريكانو ، الذى تأسس فى العشرينيات ، كى يعرب عن مطالب الأفارقة فى العدالة ، وفى الوقت المناسب تحول ذلك التنظيم إلى الإتحاد الأفريقى ، الذى كان إلى حد ما تحت سيطرة الحكومة ، ثم قامت العناصر الوطنية الخالصة فى الإتحاد بتكوين المؤسسة الزنجية ، التى اجبرتها الحكومة بعد ذلك إلى تغيير أسمها إلى الاتحاد المركزى لزنوج موزمبيق ، وأنشا الأوربيون الذين ولدوا فى موزمبيق تنظيما لحماية

مصالحهم الخاصة هو الإتحاد الطبيعى الموزمبيقى ، أما فى الخمسينيات فقد فتح ذلك التجمع أبوابه فى النهاية لغير البيض للانضمام إلى صفوفه ، وبدأ ذلك التنظيم فى الكفاح من أجل خلق مجتمع غير عنصرى .

وكما كان الحال فى أنجولا ، راح المثقفون والشعراء الخلاسيون ، من أمثال كرافيرنها ونيوميا دى سوسا ومارسلينودوس سانتوس ، يستكشفون آفاق الماضى الأفريقى ويعيدون تقييم الحضارة الأفريقية . فى الوقت المناسب بدأت تظهر وبشكل واضح فى أعمالهم نغمة النقد ، والبؤس والوحشية الناتجان عن الاستعمار ، وفى النهاية ، أصبح دوس سانتوس – الذى اكتشف الشيوعية أيام أن كان طالبا فى أوربا ثم بعد ذلك فى المنفى – واحدا من مؤسسى جبهة تحرير موزمبيق ، وبقيت مجلة "أوبرادو أفريكانو " التى تأسست فى العشرينيات ؛ وكانت أول المطبوعات الأفريقية بمثابة الحلبه الرئيسة للمفكرين الثوار من السود والملونين ،إلى أن تم إسكات تلك المجلة عن طريق القوانين الصحفية الفاشية التى أصدرتها حكومة سالازار ، وعلى كل حال ،فإن أعنف الاحتجاجات بل وأشدها قسوة ضد الحكم والاستغلال الاستعماريين كان يأتى من العمال ومن الفلاحين ، أما فى الثلاثينات فقد أضرب عمال الموانى فى لورنسو ماركيز فى مناسبات عدة ، كما أضرب عمال الموانى والعمال الزراعيين مرة أخرى فى العام ١٩٤٧ ، وأعقب ذلك انتفاضة فاشلة حدثت فى العام ١٩٤٧ : إذ قام البرتغاليون بسحق تلك الإنتفاضة ونفوا زعماءها والكثيرين ممن اشتركوا فيها إلى خارج البلاد ، أما فى العام ١٩٥٦ فقد ضحى تسع واربعون من عمال الموانى بأرواحهم بعد أن أضربوا للمرة الثانية ، وفى النهاية فشل إضراب آخر قام به عمال الموانى فى العام ١٩٦٣ ، فى لورنسو ماركيز وانتشر حتى وصل إلى كل من بييرا وناكالا .

وكان الريف أبعد ما يكون عن الهدوء ، ونقلا عن شيلكوتى جرى فى ابريل من العام ١٩٦٠ ، إلقاء القبض على كبرتى ديوانى وأعضاء آخرين من قبيلة ماكوندى ، ونفى الجميع خارج البلاد عندما كانوا يسعون إلى ايجاد نوع من الاتحاد ، غير أن ذلك الإتحاد لم يحدث إلا بعد أن قتلت القوات البرتغالية [١٥٠] ٦٠٠ فردا من اتباعهم رميا بالرصاص ، وسارع البرتغاليون إلى الاستفادة من أسلحتهم فى مواجهة الأفارقة الذين لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم فى أحيان كثيرة كما بدأوا يمارسون إجراءات إلقاء القبض بالجملة فى أماكن الاضطراب .

وطال الاستياء طلاب المدارس الثانوية ، الذين كان يقوم على قيادتهم بعض هؤلاء الذين أوفدوا إلى جنوب أفريقيا للدراسة ، الذين شكلوا بعد ذلك ، نواة إتحاد الطلاب الأفارقة فى المدارس الثانوية فى موزمبيق ، وهذا الاتحاد يعد انسلاخه عن الاتحاد المركزى لزنوج موزمبيق ، وكان إدوارد موندلانى من بين الشبان النشطين فى نواة اتحاد الطلاب الأفارقة فى المدارس الثانوية (نيسام) ، ثم أصبح موندلانى بعد ذلك أول رئيس لجبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) ، ومهما يكن من أمر ،فإن اتحاد الطلاب الأفارقة فى المدارس الثانوية (نيسام)- كما يعترف موندلانى نفسه بذلك- كان يضم " عضوية صغيرة (١٥١) ، كما كان تأثير ذلك الإتحاد مقصوراً أيضا على قلة قليلة من الشباب الأفريقى الذين كان لهم الحق فى التعليم ، غير أن ذلك الاتحاد بدأ يصيب نجاحاً قليلا فى مواجهته مع الأفكار التى كانت تروج بين هؤلاء الطلاب عن التفوق الحضارى البرتغالى على كل ما هو أفريقى ، وكشف ذلك الاتحاد حيلة وخدعة " الإدماج " الجوفاء وعرّاها تماما ، وفى النهاية كان على عدد آخر من أعضاء (نيسام) أن يلعبوا – مثل موندلانى – إدوار قيادية فى حركة تحرير موزمبيق .

أما أول تنظيم وطنى حقيقى فكان الاتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى **UDENAMO** (يودينامو) ، الذى تأسس فى ٢ من اكتوبر من العام ١٩٦٠ بين الموزمبيقيين فى المنفى فى كل من روديسيا ونياسالاند (ملاوى الآن) بزعامة أدلينوجوامبى ، وفى أبريل من العام ١٩٦١ نقل (يودينامو) مركز رئاسته إلى دار السلام ، وثمة تنظيم آخر هو الاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى **MANU** (مانو) الذى تأسس خلال شهر فبراير من العام ١٩٦١ فى مدينة ممبسا بكينيا ، وكان أعضاء ذلك التنظيم من الموزمبيقيين فى المنفى فى كل من كينيا وتنجانيقا ، وأوغنده ، هؤلاء الأعضاء الذين كانوا يستوحون النجاحات التى كان يصيبها الاتحاد الوطنى الأفريقى الكينى **KANU** (كانو) والاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانو) من أمثال ماتيو إممولى ،رئيس الإتحاد و "ماليانجا " ، فقد عملا وتأثرا إلى حد كبير بهذه الأحزاب الوطنية فى شرقى إفريقيا ، وفى الوقت المناسب نقل الاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانو) مركز رئاسته إلى دار السلام ، وأسس الموزمبيقيون فى المنفى فى إقليم (تيتى) تنظيما ثالثا هو الاتحاد الأفريقى لاستقلال موزمبيق **UNAMI** (يونامى) الذى انتقل أيضا إلى دار السلام فى العام ١٩٦١

وبدأ الرئيس جوليوس نيريرى رئيس تنجانيقا (تنزانيا حاليا) يمارس بعض الضغوط القوية من أجل إيجاد نوع من الوحدة ، وزيادة على ذلك ، فإن مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) - الذى تأسس حديثا ، والذى حضر جوامبى مؤتمره الثالث الذى انعقد فى شهر ابريل من العام ١٩٦١ فى الرباط باسم المجموعات الثلاثة فى موزمبيق كان تواقا لرؤية حركة تحرير موزمبيقية موحدة . وفى شهر يونيه من العام ١٩٦٢ أعلنت حركة (يودينامو) و (مانو) و (يونامى) الوحدة فيما بينها لتكون «جبهة تحرير موزمبيق» ، غير أن الوحدة الجديدة لم تعش سوى فترة قصيرة جداً .

جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو)

مع أن جبهة تحرير موزمبيق جاءت نتيجة للوحدة التى أعلنت فى شهر يونيه من العام ١٩٦٢ بين الحركات الوطنية الثلاثة ، بناء على المطالبة الأفريقية بوحدة الكفاح ضد الاستعمار البرتغالى فى موزمبيق ،إلا أن الجبهة كانت تتهددها من جميع الجوانب ، الخصومات الطائفية والنزعات العقائدية ، والعرقية والمنافسات الشخصية ، والاغتيالات والهرب ، ويرجع الفضل كل الفضل ،فى استمرار هذه الوحدة بالشكل التى هى عليه إلى اهتمام الرئيس التانزانى ، جوليوس نيريرى الذى اهتم اهتماما بالغا بجبهة فريليمو ، التى منحها فى بلاده قواعد أساسية تستطيع منها شن كفاحها ، كما كان يرجع الفضل أيضا إلى ضرورة تبرير المساعدات المادية التى كانت تتلقاها جبهة فريليمو من لجنة التحرير الأفريقية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية .

أما منصب الأمين العام فى جبهة فريليمو التى جرى تأسيسها فقد تولاه ديفيد .ج. م . مابوندا الذى جاء من الاتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى (يودينامو) ؛ يضاف إلى ذلك أن باولوجوسى جومانى، نائب الأمين العام جاء أيضا من اليودينامو ، على حين جاء ماثيواممولى أمين الصندوق ، من حركة الإتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانو) ، ولكن القس يوريا سيمانجو القس البروتستنتى راعى الأبرشية الذى جاء من إقليم بيرا ، فقد كان زعيما للإتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى ، أما الشاعر مارسلينو دوس سانتوس فقد أسند إليه منصب سكرتير الشئون الخارجية نظرا لاتصالاته السابقة وخبراته الطويلة فى المنفى فى كل من البرتغال وفرنسا ، ومارسلينو هذا شاعر خلاسى يسارى اشتهر بارتباطه الوثيق بمفكرى المولَّدين الذين يدورون فى فلك الشيوعية ؛ هؤلاء المفكرين الذين أسسوا ، مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) ، واختار الرئيس جوليوس نيريرى لرئاسة ذلك التجمع المتجانس الذى اطلق عليه اسم الفريليمو ، الدكتور ادواردو شيفامبو موندلانى الذى كان أستاذا جامعيا من قبل ، ويعمل موظفاً دوليا تابعاً للأمم المتحدة ، وفى الوقت الذى تم فيه تكوين جبهة تحرير موزمبيق كان موندلانى يُدرس علم الانثروبولوجيا بجامعة سيراكيوز فى الولايات المتحدة ، وقد ولد عام ١٩٢٠ فى مقاطعة جازا فى جنوب موزمبيق ، كان موندلانى ابنا لرئيس إحدى القبائل الصغيرة واستطاع عن طريق مساعدة المبشرين البروتستنتيين أن يلتحق بالمدرسة الثانوية فى لورنسو ماركيز وحصل منها على شهادة الدراسة الابتدائية فى العام ١٩٦٣ وهذا

الأمر في حد ذاته كان يعد بمثابة أعلى إنجاز علمي يسمح به لأفريقى فى موزمبيق .
وفى العام ١٩٤٤ التحق موندلانى بالمدرسة الثانوية فى جنوب إفريقيا وفى النهاية التحق بجامعة ويتوترزراند ، ومع ذلك فقد طردته حكومة (الأفريكانز) الوطنية الجديدة من جنوب افريقيا ، وعند عودته من موزمبيق ألقت السلطات البرتغالية القبض عليه بزعم تهمة " التخريب " ، وبعد أن أطلقت السلطات سراحه مباشرة ، أعلنت نفس السلطات أيضا أنه مطلوب للإلتحاق بإحدى الجامعات البرتغالية ، واستطاع موندلانى أن يلتحق فى العام ١٩٥٠ بجامعة لشبونة عن طريق منحة دراسية أمريكية وليست برتغالية ، وفى الجامعة التقى موندلانى بمارسلينو دوس سانتوس ، وأوجستينو نيتو وأميلكار كابرال ، وماريودى اندرادى ، وزعماء المستقبل الآخرين فى حركات التحرر الوطنية فى المستعمرات البرتغالية ، ومع ذلك لم يكن موندلانى يشعر بالسعادة نظرا لمراقبته مراقبة لصيقة من شرطة الأمن والسياسة فى لشبونة ؛ ثم نقل موندلانى بعد ذلك إلى كلية أوبرلين فى الولايات المتحدة ، وحصل منها على درجة البكالوريوس فى الآداب فى العام ١٩٥٣ ؛ ثم حصل بعد ذلك على درجة الماجستير ثم درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع من جامعة (نورث ويسترن) ، وفى مايو العام ١٩٥٧ ، أى بعد عام من قيامه بإجراء أبحاث متقدمة فى جامعة هافارد استخدمته الأمم المتحدة ليعمل مسئولا عن الأبحاث فى مناطق الوصاية وهنا وبهذه الصفة التقى موندلانى بجوليوس نيريرى ، ثم قبل موندلانى بعد ذلك وظيفة يقوم فيها بالتدريس فى جامعة سيراكيوز ، ونظرا لعدم تورط موندلانى فى النزاعات بين التنظيمات الوطنية الثلاثة فى موزمبيق فقد ظن نيريرى أنه ربما استطاع فى سهولة تحقيق الوحدة بين هذه التنظيمات وتأسست جبهة تحرير موزمبيق فى شهر يونية وانتخبت موندلانى رئيسا لها فى أول اجتماع حزبى عقد فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢ (١٥٢) بدار السلام .

ولم ترد فى البرنامج الذى أقره الحزب، أية إشارة لحرب العصابات التى كانت تدور ضد البرتغاليين فى موزمبيق ؛ غير أن الخوف من التنويه عن تلك الحرب جاء متعمداً ، زد على ذلك ، أن الإشارة إلى توفير " جميع وسائل الدفاع عن النفس " ، وإعداد الشعب وتجهيزه لأى طارىء من الطوارىء كانت توضح تماما الاتجاه الفكرى الذى كانت تسير فيه .

وبعد المؤتمر الحزبى عاد موندلانى إلى الولايات المتحدة ليفى بالتزاماته فى التدريس بجامعة سيراكيوز .وفى مركز الرئاسة العامة لجبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) فى تنجانيقا ، ترك موندلانى لميلاسى سكرتير الإعلام فى الجبهة ، ليكون ممثلا شخصيا له ، وفى خلال شهرين استطاع ميلاس طرد جومانى ومابوندا من جبهة تحرير موزمبيق ، وغادر الاثنان دار السلام إلى القاهرة حيث أسسا جماعة منافسة وفى اغسطس من العام ١٩٦٤ طرد ميلاس نفسه من جبهة فريليمو بعد أن اتهمته اللجنة المركزية بأنه كان محتالا - أفرو - أمريكيا .وفى الحقيقة أن (ليوكلينتون الدردج) ولد فى بيتسبرج بولاية تكساس فى الولايات المتحدة ، وليس فى موزمبيق .وبدأ ميلاس - الذى عين فى ذلك الوقت سكرتيرا للدفاع والأمن فى جبهة فريليمو -يواجه بعض المزاعم التى مفادها أن موندلانى كان يعمل فى ترابط وثيق مع المخابرات المركزية الأمريكية ؛ وأنه كان يتقاضى مبلغ ٢٠٠ جنيه استرلينى كل شهر من السفارة الإسرائيلية فى دار السلام (١٥٣) ، كما طرد ماثيو إممولى - الذى كان أمينا أول الصندوق - من حزب فريليمو فى العام ١٩٦٣ ، أما عملية الإلقاء باللائمة فى كل حالات الطرد هذه على ميلاس فأمر غير واضح ولكن من الواضح تماما أن الوطنيين فى موزمبيق كانوا اكثر انقساما عما كانوا عندما عاد موندلانى فى النهاية إلى دار السلام فى العام ١٩٦٣ ليتولى مسئولياته كرئيس لجبهة فريليمو .

وكان بصحبة موندلانى أثناء عودته كل من زوجته الأمريكية البيضاء جانيت جونسون بالإضافة إلى أطفالهم الثلاثة الصغار ، وعلى الفور بدأت السيدة حرم موندلانى تهتم اهتماما كبيرا بجبهة تحرير موزمبيق بأن بدأت بإدارة معهد موزمبيق الذى كان أصلا عبارة عن مدرسة للاجئين الموزمبيقيين تقوم الولايات المتحدة بتمويلها فى دار السلام .وكان ذلك المعهد يهدف إلى إعداد شباب مؤهلين لإيفادهم فى منح دراسية إلى الجامعات فى الخارج .وقد أصاب المعهد نجاحا كبيرا فى هذا الصدد وذلك على الرغم من الاحتكاك الداخلى الكبير بين الطلاب وهيئة التدريس . وفى أحيان كثيرة كانت توجه إلى حرم موندلانى اتهامات المشايعة داخل وخارج جبهة فريليمو عن مزاعم بأن لها ارتباطات بالمخابرات المركزية الأمريكية (١٥٤) . وربما يرجع السبب فى ذلك بدرجة كبيرة ، إلى أنها كانت إمراة أمريكية بيضاء تشارك مشاركة نشطه وفعاله

فى شئون الجبهة ، كما رحبت العناصر المتحضرة فى جبهة فريليمو من أمثال دوس سانتوس وموندلانى بوجود البيض فى الجبهة ومن بينهم المعارضين البرتغاليين ، ومع ذلك كان البيض مستائين تماما من العناصر القبلية والعناصر الوطنية الأفريقية المتشددة ، وبعد ذلك أثارت العناصر ذاتها معارضة شديدة حول موضوع زواج مارسلينو دوس سانتوس فى العام ١٩٦٨ من إمرأة بيضاء من جنوب إفريقيا هى باميلابيرا ، ومع ذلك كانت حرم دوس سانتوس يوم أن أغتيل موندلانى ، تعمل سكرتيرة خاصة له .ومع أن زواج دوس سانتوس ، يعد عملا عظيما من أعمال الشجاعة الشخصية ، إلا أنه لم يكن أمرا مناسبا أو لائقا من الناحية السياسية ؛ فضلا عن أنه يسهم إسهاما فاعلا فى وحدة جبهة فريليمو أكثر من اسهام موندلانى .

ومن حيث المبدأ بدأت بنية جبهة فريليمو بعد العام ١٩٦٨ تتشابه إلى حد كبير مع تنظيم الجماعات الأخرى الأعضاء فى مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) ، وكانت أعلى سلطات الحزب تتمثل فى الكونجرس الذى كان يتشكل من جميع الأعضاء وينعقد مرة كل أربع سنوات ، كما أن الكونجرس هو الذى يختار اللجنة المركزية التى تتناول الأمور الجارية وتجتمع كل ستة أشهر واللجنة التنفيذية التى تعينها اللجنة المركزية تجتمع كل شهرين أو فى خلال أسبوعين من طلب انعقادها ولكن اللجنة السياسية العسكرية التى تعينها اللجنة التنفيذية هى التى تقوم بإعداد التقارير اليومية ، وإذا كان المؤتمر (الكونجرس) هو الذى يختار أعضاء اللجنة المركزية ، فإن أجهزة المقاطعات عبارة عن مجالس المقاطعات تجتمع كل ثلاث سنوات لاختيار لجنة إقليمية تقوم على أمر الشئون الجارية ؛ وهناك أيضا مجلس الحى الذى يجتمع كل عامين لاختيار لجنة الحى لتقوم على أمر الشئون العامة الجارية ، ثم هناك فى النهاية المجلس المحلى الذى يجتمع كل عام لتشكيل لجنة محلية تقوم على أمر الشئون اليومية . ومن سلطة الرئاسة أيضا تعيين أعضاء المجالس المحلية ، ومع أن الأعضاء يتم إنتخابهم أيضا تعيين أعضاء المجالس المحلية ، ومع أن الأعضاء يتم انتخابهم أيضا إلا أن السلطة النهائية عند هذا المستوى تكون لرئاسة ذلك المستوى . وبذلك تعد بنية جبهة فريليمو بنية مثالية فى ضوء ظروف العزلة التى كانت تفرضها ظروف حرب العصابات وبخاصة فى الوقت الذى تزايدات فيه السلطات الفردية

الحقيقية المطلقة للعصابات فى المناطق التى كانت تقع تحت سيطرة جبهة فريليمو فى موزمبيق ، زد على ذلك ، أن هـــذا الأمر كان أيضـا عاملاً من عوامـــل التمرد فى المستقبل .

وكان موندلانى يتطلع إلى جعل فريليمو حزباً وطنياً خالصاً ، وذلك بالقضاء على جميع الحواجز القبلية فى موزمبيق ، بل إنه كان فى الحقيقة يسعى إلى تحقيق زعامة تشتمل على تمثيل واسع لجميع الجماعات العرقية ، ومع ذلك ، وفى ضوء تزايد عدد الأعضاء التابعين للحزب فى تنجانيقا ، أصبحت أعلى نسبة مئوية من مجندى الحزب الجدد تتمثل فى أفراد شعب الماكوندى ، الذين عبروا نهر روفوما إلى تنزانيا . وسرعان ما أصبح الجزء الأكبر من القوات التابعة لجبهة فريليمو ، يتكون من أفراد الماكوندى وقبيلة نيانجا ، وهى قبيلة من القبائل التى تعيش على الحدود الشمالية ، غير أن هذا جاء أيضا عاملا من عوامل التفكك ، نظرا لأن القبائل الأخرى مثل الماكوا – الأعداء التقليديين للماكوندى – رفضوا الإنضمام إليهم .

ولم تبدأ جبهة فريليمو شن أى هجوم مسلح داخل موزمبيق حتى يوم الخامس والعشرين من سبتمبر من العام ١٩٦٤ – أى إلى ما بعد عامين من تأسيسها – عندما بدأت قوات العصابات التابعة للجبهة – والتى تم تدريبها فى الجزائر وفى الجمهورية العربية المتحدة – تمارس عملها لأول مرة ، وكان بوسع تلك القوات أن تبدأ ذلك الهجوم فى تاريخ سابق قبل التاريخ المحدد له ، وبخاصة بعد أن أغارت فى موزمبيق ، مجموعة صغيرة منافسة برئاسة رغيم سابق من زعماء حركة الاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانو)، وقتلت فيها قسا هولنديا وبعض الأفارقة الذين خرجوا معه للصيد ، ولكن القوات [١٥٥] البرتغالية التى طاردت تلك العصابة استطاعت قتل الكثيرين من أفرادها ومن بينهم زعيمها .

وفى البداية كانت الاستراتيجية العسكرية لجبهة فريليمو تنادى بالقيام بهجمات على البرتغاليين فى إقليم كابو ديلجادو و (نياسا) فى الشمال الذى يقع على الحدود مع تنزانيا ، كما طالبت الاستراتيجية أيضا بفتح جبهة ثانية فى إقليم تيتى فى الشمال الغربى على الحدود مع كل من ملاوى وزامبيا وروديسيا ؛ غير أن عدم وجود الإمدادات والمؤن فى تلك المنطقة أجبرت حركة فريليمو على سحب قواتها والتركيز فقط على كابو ديلجادو . وهنا شنت العصابات هجمات من طراز " الكرُّ والفرُّ " فى ظل حماية هضبة

الماكوندى البعيدة ، ولكن عداء الماكوا للماكوندى منع توسيع تلك العمليات كما منع أيضا زيادة مداها على أكثر من ١٠٠ ميل ناحية الجنوب من (كابوديلجادو) ، وفى العام ١٩٦٥ اتسع مدى الكفاح إلى أن وصل إلى إقليم نياسا الذى كانت فيه القوات التابعة لحركة فريليمو تتكون أصلاً من أفراد قبيلة نيانجا ، كما امتدا القتال أيضا إلى المنطقة الموجودة حول بحيرة نياسا ، وفى الحالين كان البرتغاليون يسعون إلى إعادة تجميع السكان فى " كفور" استراتيجية أو فى قرى محصنة ، ونظرا لأن النيانجيين كانوا موجودين فى كل مكان من موزمبيق وملاوى ، وبرغم تردد حكومة الرئيس هستنجز باندا ، إلا أن القوات التابعة لحركة فريليمو ظلت تعمل فترة من الزمن من قواعد فى ملاوى وأيضا من معسكرات داخل موزمبيق ، وفى النهاية استطاعت حركة فريليمو ، فى العام ١٩٦٨ أن تعيد فتح جبهتها فى إقليم تيتى على أمل - وذلك باعتراف رئيسها وقائدها العسكرى الجديد ساموروا موسيس ماشيل - أن تحول دون إنشاء سد كابورا باسا الكبير ، يقول ساموروا : " إنهم إذا حققوا هدفهم ، فسوف يحققون انتصاراً سياسيا له مغزى دولى ، لأن ذلك سوف يعنى أن البرتغاليين لايزالون يسيطرون على موزمبيق ، وأن الكفاح المسلح غير موجود ، كما أن العصابات لا تعدو أن تكون مجرد دعاية (١٥٦) .

ومن سوء الطالع أن حركة فريليمو كان لها سجل سيئ من مزاعم الحرب المبالغ فيها ، ولاترجع تلك المزاعم المبالغ فيها فحسب إلى نقص أمانة العاملين فى النظام العسكرى البرتغالى ، فهى ترجع أيضا إلى تقديرات الجبهة عن المناطق التى كانوا يعدونها محررة أو من المناطق " شبه المحررة " ، وفى شهر اكتوبر من العام ١٩٦٧ استطاعت جريدة " أوكومباتنتى " (١٥٧) الناطقة بلسان اللجنة الثورية الموزمبيقية ، أن تعبر عن سخريتها من المزاعم التى ساقتها جبهة فريليمو تصفيتها ٥٠٠٠٠ جندى برتغالى ، وتدميرها لأكثر من ٣٠٠ مركبه عسكرية واسقاطها ٢٢ طائرة وتدميرها أيضا العديد من المواقع العسكرية المختلفة ، علاوة على نسف عدد من الطرق والجسور ، وذلك خلال فترة الكفاح التى استمرت ثلاثة سنوات ، ولقيت البيانات الحربية الطنانة التى أصدرها مركز الرئاسة العامة لجبهة فريليمو فى دار السلام ، تشكيكا واستخفافا لاذعين ، وورد فى أحد التقارير أن المدربين الكوبيين والصينيين وكذلك المدربين الذين جاءوا من شرقى أوربا لتدريب القوات التابعة لجبهة فريليمو

فى تانزانيا كانوا من بين أولئك الذين أصابهم الحرج جراء مثل هذه الحماقات . أما من أصابهم الحرج بصورة خاصة فكانوا الصينيين والكوبيين ، وفى الخطاب الذى ألقاه الدكتور موندلانى أمام أعضاء المعهد الملكى للعلاقات الدولية ومعهد العلاقات العرقية فى شهر مارس من العام ١٩٦٨ ، ساق موندلانى إدعاء مفاده أن فريليمو كانت تسيطر بالفعل على " خمس المساحة الكلية لموزمبيق " وهى منطقة تضم حوالى مليون نسمة من بين السكان البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة ، ومن المحتمل أن تتساوى مساحة هذه المنطقة مع مساحة البرتغال ذاتها ، كما يصل عدد سكانها إلى حوالى عدد سكان ليسوتو تقريبا ، وفى نفس الوقت ، لم يكن بوسع جبهة فريليمو أن تفتح هذه المنطقة للتفتيش من قبل لجنة التحرير الأفريقية ، أو حتى أن تعيد إليها من تانزانيا ٣٥٠٠٠ لاجئًا موزمبيقياً كانت تقوم على رعايتهم اللجنة العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة .

وفى الوقت الذى كان موندلانى يفرط فيه الإطراء أمام مستمعيه من البريطانيين والأمريكيين ، على وحدة الكفاح المتزايد ضد البرتغاليين كانت الأحداث فى دار السلام تؤكد أن هذا الإطراء إنما كان يجانب الحقيقية ، كما اضطر موندلانى إلى قطع إقامته حتى يتسنى له العودة إلى تانزانيا التى تولى فيها القس الأفريقى ماتيوس بنهو جوينجرى قيادة الطلاب الأنفعاليين فى معهد موزمبيق ، فى مظاهرة ضد حرم موندلانى التى كانت تسيطر على المدرسة ، وقام هؤلاء المتمردون بالهجوم على مكتب فريليمو فى شهر مايو من العام ١٩٦٨ وقتلوا فى تلك المشاجرة واحدا من أعضاء المكتب لأنه قاومهم ، ثم أغلق معهد موزمبيق ، وأمكن بمساعدة الشرطة التانزانية قمع هؤلاء المتمردين ؛ ولكن الشرطة عجزت عن إعادة الوحدة إلى صفوف فريليمو .

وعقد مؤتمر ثان للحزب داخل موزمبيق فى إقليم نياسا الذى لايبعد كثيرا عن حدود تانزانيا ، وذلك فى الفترة من ٢٠ إلى ٢٥ يوليه من العام ١٩٦٨ ، ونقلا عن مصادر فريليمو ، حضر ذلك الاجتماع ١٧٠ فردا بين مندوب ومراقب ، كما حضره أيضا مندوبون من الهيئات الشقيقة مثل حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى جنوب أفريقيا ، واتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى فى روديسيا (زابو) وهو الجناح الموالى لموسكو فى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، كما تمت أيضا دعوة الكاتب باسل ديفيدسون لعبور الحدود إلى موزمبيق المحررة ، وكان ديفيدسون الصحفى الثانى فقط الذى دخل البلاد مع العصابات ، وبرغم أن الناطقين بلسان جبهة فريليمو كانوا

يتباهون بالمناطق الشاسعة من البلاد التى كانت تحت سيطرتهم إلا أنهم كانوا لايستطيعون فتح هذه المناطق للتفتيش من قبل منظمة الوحدة الأفريقية والصحفيين . أضف إلى ذلك أن موندلانى نفسه حتى أوائل العام ١٩٦٨ لم يكن قد شاهد المنطقة التى كان يقال إنها كانت تحت سيطرة فريليمو. وكان يرافق وفد الرئيس أندروس جوهانسون - وهو مراسل صحفى سويدى متعاطف بجريدة " داجنز نهتر " فى استوكهلم ، وعند هذا الحد وصل إنعدام الثقة بالبيانات الصادرة عن جبهة فريليمو إلى الحد الذى لم يكن الكثيرون فيه يصدقون أى شيئ ما لم يشترك فيه أحد من الصحفيين الذين يشهد لهم بالسمعة الطيبة (١٥٨) .

وقد برزت فى المؤتمر التوترات المتزايدة فى جبهة فريليمو ، برغم أن تلك التوترات ذاتها لم يرد ذكرها فى التقرير الذى أعده المراقب البريطانى ، وأجريت التغييرات السياسية فى تنظيم باسم الحزب باسم الحركة الديمقراطية المركزية ، وعند هذا الحد كان مفروضا أن تتشكل اللجنة المركزية من أعضاء يجرى إختيارهم من الهيئات الإقليمية ، وممثلين عن المؤسسات الجماهيرية ، والأمناء العامون الإقليميون ، وأعضاء يقوم المؤتمر باختيارهم ، باعتبار أن المؤتمر هو أعلى جهاز فى الحزب ، وزاد عدد أعضاء اللجنة من عشرين عضواً غريبا إلى أربعين عضوا ، وبذلك تحولت وظيفة اللجنة المركزية عند هذا الحد إلى وظيفة تشريعية خالصة ، أما اللجنة التنفيذية التى تشكلت من حول كل من موندلانى ويوريا سيمانجو الذى كان نائبا للرئيس فكانت تتكون أصلاً من سكرتيرى الإدارات فى جبهة فريليمو ؛ كما كانت تعمل أيضا بمثابة مجلس وزراء بالنسبة للحكومة ، وكما رأينا جرى بالفعل تشكيل لجنة عسكرية سياسية أيضا لتصريف وتولى الأمور الجارية .

ومع أننا لايمكن أن نقطع بنجاح تلك الجهود التى بذلت فى سبيل تمثيل أوسع لحزب فريليمو فى زعامة الجبهة بمستواها المحدد ،إلا أننا نجد أن تلك الجهود أصابت نجاحا كبيرا بين الصف والجنود فى بث الوحدة بين صفوف الحزب ، واغتيل الدكتور موندلانى فى دار السلام يوم ٣ من فبراير من العام ١٩٦٩ ، قبل أن تمضى فترة طويلة على سريان تلك الإصلاحات ، ومات موندلانى فى الحال ، وبالتحديد فى حوالى الساعة الحادية عشر وعشرين دقيقة صباحاً على إثر انفجار قنبلة كانت مخبأة فى كتاب ، وقد انفجرت تلك القنبلة على إثر فتح الطرد الذى كان بداخله الكتاب . ومات موندلانى نسفا وهو يجلس إلى مكتب فى إحدى الكبائن التى تمتلكها بيتى كينج

الثرية الأمريكية على شاطئ البحر ، وتلك الثرية الأمريكية تدير شركة للمجوهرات فى تنزانيا ، كما أنها كانت من قبل تعمل مساعداً بلا أجر لموندلانى ، وعندما توفى موندلانى كانت زوجته بعيدة عنه فى رحلة إلى السويد لجمع المال ، أضف إلى ذلك أن موندلانى كان يفضل أن يمارس أعماله من كابينة السيدة كينج بدلا من ممارستها من مكاتب فريليمو الخالية من المتعة والحياة والتى كانت تقع أيضا فى شارع نيكروما فى دار السلام ، وفى تلك الكابينة استطاع موندلانى أن يتماشى ويتجنب الأطراف المتصارعة والمتشاحنة داخل المركز الرئيسى للرئاسة العامة للتنظيم ، وأن يركز جهوده من أجل إيجاد حل للمشكلات التى كانت تواجهه ومن بينها مشكلات السلاح ، وبإبعاد موندلانى عن مسرح الأحداث تضاءلت فرصة التوصل إلى حل ناجح.

ولم تستطع الشرطة التانزانية قط تحديد هوية القتلة أو الكشف عنهم ، أما الكتاب الذى كان يحتوى على القنبلة فقد جاء من إحدى دول غرب أوربا ، ونظرا لان جبهة فريليمو كانت تعد بالنسبة للبرتغال " العدو رقم واحد فقد كان من الطبيعى أن تتجه الظنون إلى الشرطة السياسية والأمن البرتغالى ومسئوليته عن الحادث ، برغم إنكار البرتغاليين لذلك الاتهام ، وقدم الناطقون البرتغاليون إدعاء مفاده أن موندلانى قتله المتمردون " الماويون " فى حزب فريليمو نظرا لأنه لم يكن يخفى على أحد أن موندلانى الموالى للغرب بشكل عام وكذلك مارسلينو دوس سانتوس سكرتير الشئون السياسية فى ذلك الوقت والذى كان مواليا للسوفيت ، كان يزعجهما بصورة خطيرة النفوذ الثورى الصينى المتزايد للصف والجنود فى الحزب ، ومع ذلك أنجز موندلانى مالم يسبق إنجازه فيما يتعلق بالحصول على المساعدات المالية والمادية من كل من السوفيت والصينيين ، وأيضا على المال من الغرب والأسلحة من الشرق (١٥٩) ، وفى أضعف الأحوال يبدو أن ذلك الادعاء كان صحيحا .

وجاءت وفاة موندلانى بمثابة البداية من الأزمة الحادة التى نشأت داخل جبهة تحرير موزمبيق ، ومع أن يوريا سيمانجو – نائب رئيس جبهة تحرير موزمبيق – كان يلقى تشجيعا من زعماء حركات التحرر الأفريقية الأخرى ومن الكثيرين من الصف والجنود فى جبهة فريليمو ذاتها ،إلا أنه كان يشعر بالتردد إزاء إعلان نفسه خلفا لموندلانى بطريقة آليه ، وبتشجيع من السوفيت ومن الزعماء الآخرين فى شرقى أوربا والكوبيين دخل دوس سانتوس فى مزايدة على منصب الرئاسة ، غير أن ذلك الشاعر

صاحب الدم المخلّط والرحالة العالمى كانت تعوزه السلطة والنفوذ داخل الحزب واضطر دوس سانتوس إلى التوصل إلى اتفاق مع سامورا مويسس ماشيل القائد العسكرى فى جبهة تحرير موزمبيق - الذى تلقى تدريبه فى الجزائر والذى بدأ يحيط أرملة موندلانى برعايته الشخصية - مؤكدا لها أنها يمكن أن تستمر فى لعب دور رئيسى فى زعامة حزب زوجها الراحل ، وعلى ذلك اكتشف سيمانجو فى الاجتماع الذى عقدته اللجنة المركزية لجبهة فريليمو فى ٢١ من أبريل من العام ١٩٦٩ لملء الفراغ الذى نشأ عن وفاة موندلانى ، أن دوس سانتوس ماشيل هو وأرملة موندلانى كانوا يشكلون تحالفاً ضده ، بل جاء ذلك الاجتماع عاصفاً ونظرا لتصالح الأطراف المتعارضة - ويلغة البيان الذى صدر بعد ذلك - (دار بينهم جدل عميق) حول الخطوط المتباعدة التى نمت وتطورت داخل زعامة الحزب حول مفهوم عملية الكفاح الشعبى المسلح (١٦٠) وعندما أخفقت اللجنة المركزية فى اختيار شخص واحد لمنصب الرئاسة قررت استبدال ذلك المنصب بجهاز جماعى يتكون من ثلاثة أعضاء يتم إختيارهم بواسطة اللجنة المركزية ويطلق على ذلك الجهاز اسم مجلس الرياسة ، وبطبيعة الحال ، رشحت أسماء كل من يوريا سيمانجو ومارسلينو دوس سانتوس وساموا ماشيل لذلك الجهاز الثلاثى ، وعند هذا الحد كان سيمانجو يعد أقوى شخصية بين الثلاثة ، والسبب فى ذلك أنه عين أيضا منسقا لمجلس الرئاسة حتى يتسنى له القيام بدور همزة الوصل بين مجلس الرئاسة والإدارات التابعة للجنة المركزية .

وفى يوم ٣ من أبريل من العام ١٩٦٩ ، وقبل فترة قصيرة من الاجتماع الحرج الذى عقدته اللجنة المركزية أعلنت السلطات البرتغالية فى موزمبيق أن لافارو كفاندامى وهو أحد رجال القبائل الأقوياء والذى كان سكرتيرا إقليميا لجبهة فريليمو فى كابو ديلجادو - هرب وراح يتعاون مع القوات البرتغالية ضد حركة التحرر الوطنية برغم ادعاء الناطقين بلسان جبهة فريليمو أن زعيمها ، الذى انحدر من قبائل الماكوندى ، كان يبلغ من العمر خمسة وستين عاماً ، وعديم القيمة عند البرتغاليين ، أعربوا عن اهتمامهم البالغ بأمن وسلامة القاعدة القبلية لجبهة فريليمو فى منطقة كابو ديلجادو ، بصفة خاصة ، ووجهت إلى كفاندامى اتهامات الفساد والاغتيال ، كما تردد زعم يقـول : إنه هرب خوفا من محاكمته لاغتيال " باولو كانكوميا " - أحد الزعماء العسكريين لجبهة فريليمو - فى ٢٢ من ديسمبر عام ١٩٦٨، ولم يكن كانكوميا ، أول زعيم عسكرى فى الجبهة يموت فى ظروف غامضة ، إذ سبق أن قتل فيليبى ماجيا

أثناء قيامه بزيارة لإحدى القواعد التابعة له ، وكان فيليبى ماجيا هو الذى سبق سامورا ماشيل فى منصب القائد العسكرى لجبهة فريليمو فى العام ١٩٦٦ ، وكان أول واجبات ماشيل كقائد عسكرى عام يتمثل فى إعادة تأسيس النظام بين القوات المضطربة المتنافرة وبين قادتها .

ورحبت الأطراف القلقة فى جبهة فريليمو بالآلية التى حلت محل موندلانى ، ترحيبا يعبر عن ارتياحها ، بل إن باسل ديفيدسون كان قد كتب يقول متفائلا قبل وفاة موندلانى : إن موندلانى ، وسيمانجو ، ومارسلينو دوس سانتوس ، وسامورا ماشيل وآخرين إنما يشكلون اليوم فريقا صلبًا متحداً ؛ وعلى حد فهمى لم يعد بينهم أى خلاف أساسى [١٦١] ، والواقع أن الخلافات بينهم كانت كثيرة إلى الحدالذى دخلت فيه جبهة فريليمو فى أزمة كاملة من جديد فى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٩ ، ونشر يوريا سيمانجو –منسق الهيئة الثلاثية العليا –وثيقة تضم ثلاثة عشر صفحة يتهم فيها رفيقه بالتآمر لاغتياله ، كما ساق إتهاماً مفاده أن جبهة فريليمو أصابتها عدوى " شعور قوى بالطائفية " ، والإقليمية والقبلية ، كما اشتكى يوريا سيمانجو أيضا من سلسلة من الاغتيالات وقعت فى الماضى ، واغتيل فيها كل من : فلييبى ماجيا ، وماتيوس موتمبا ، وباولو كانكومبا وسليفريو رافائيل نونجو ، كما كتب سيمانجو يقول : إن القتل المتكرر مع الترصد وسبق الإصرار داخل جيشنا يعد من الأمور التى دارت بشأنها مناقشات حامية داخل وخارج جبهة فريليمو ، وأورد قصة اغتيال نونجو المشاغب فى القاعدة العسكرية فى كابو ديلجادو ، الذى زعموا إنه مات جوعاً بسبب الإضراب عن الطعام : فقد رفض نونجو " تناول الطعام مدة ثمانية أيام ، بعد استجوابه حول إنشائه تجمعا معاديا للمنظمة وأنه كان يريد الهرب بتسليم نفسه للسلطات البرتغالية ؛ الأمر الذى يعد مسخرة كبيرة ، وفى رأى سيمانجوون نونجو وقع فى شرك نصب له أثناء انتقاله من تانزانيا إلى كابوديلجارو ؛ حيث جرى اغتياله بطريقة وحشية فى ١٨ من يوليه من العام ١٩٦٩ ؛ وفاء لخطة جرى رسمها وتنفيذا لقرار تم اتخاذه فى دار جانيت فى أويستربای من قبل عصابة من المجرمين ، واتباعا وطاعة من هؤلاء المجرمين لخطة استعمارية تهدف إلى اغتيال منافسهم على الزعامة .

وطالب سيمانجو بطرد أرملة موندلانى وإعادتها إلى الولايات المتحدة ، نظرا لأنها كانت مصدر الفساد الكامل فى جبهة فريليمو ؛ كما طلب أيضا باستقالة كل من ماشيل ودوس سانتوس ومحاكمتهما عن الجرائم المنسوبة إليهما ، زد على ذلك أن سيمانجو أعلن أيضا أن مذابح المتحاربين يتحتم إنهاؤها ووضع حد لها ، وإن إعادة الوحدة أمر حتمى يمكن أن يتحقق من خلال نمو الديموقراطية الداخلية داخل المنظمة وفى النهاية هدد سيمانجو باستقالته مالم تتم الاستجابة لمطالبه فى الحال ، وبطبيعة الحال لم يتم الإمتثال لتلك المطالب ، ومع أن سيمانجو ناقش تلك الأزمة مع الرئيس نيريرى الذى كان يشعر بالقلق البالغ إزاء تلك الازمة أيضا إلا أن سيمانجو نفسه لم تكن لديه الرغبة فى إصلاح وعلاج الأمور بالقوة برغم إنه كان له أتباع كثيرون فى صفوف جبهة فريليمو ، ومن بين الأعضاء التسعة فى اللجنة التنفيذية عقد سبعة منهم اجتماعا عاجلا فى شهر نوفمبر أعلنوا فيه أعفاء سيمانجو من منصبه زعما منهم بأنه خرج على القوانين واللوائح فى جبهة فريليمو ؛ علاوة على أنه ارتكب خطأ فادحا بالخروج على حدود النظام ، وذلك عندما نشر وثيقته التى تضم ثلاث عشرة صفحة والتى يشجب فيها زملاءه ، ولم يتدخل الرئيس نيريرى بأكثر من إعطاء سيمانجو حرسا من الشرطة ، وفى النهاية أصبح من المتعذر على سيمانجو أن يدافع عن مركزه فى دار السلام فغادرها إلى القاهرة .

وفى نهاية العام ١٩٧٠ أعلنت السلطات البرتغالية عن وقوع انقلاب آخر فى موزمبيق : هروب الدكتور موجيل موروبا ، سكرتير الشئون الخارجية السابق الذى اختاره المرحوم الدكتور موندلانى بعد أن حصل موروبا على درجته العلمية فى الاقتصاد من جامعة هوارد فى واشنطون ، وقضى موروبا الذى ولد فى العام ١٩٣٨ أكثر من عام وهو يعمل فى خدمة جبهة فريليمو قبل أن يترك الحزب فى شهر مايو من العام ١٩٦٩ ، وعلى كل حال فقد بقى موروبا فى تانزانيا حيث ألقى القبض عليه بعد ذلك وأعيد إلى جبهة فريليمو مرة أخرى ، وفى المقابلة التى أجريت مع أحد الصحفيين فى نامبولا بموزمبيق فى شهر ديسمبر من العام ١٩٧٠ ، كشف موروبا إنه فى مهمة ، ويعمل لحساب إدارة الحرب النفسية فى الجيش البرتغالى ، وقال موروبا إن جبهة فريليمو أخذته أسيرا إلى موزمبيق وأجبروه أن يعمل عبداً فى خدمة زعماء العصابات فى الشمال ، وفى النهاية استطاع موروبا أن يهرب فى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٩ واستسلم للقوات البرتغالية [١٦٢] ، والواضح أن الاختيار المتاح له كان قليلا وضيقا .

وورد فى منتصف العام ١٩٧٠ تقرير عن تجمع آخر متناثر أطلق على نفسه اسم جبهة تحرير موزمبيق MOLIMO (موليمو) ، ووجهت موليمو برئاسة هنريك نيانكالى - أمينها العام -اتهاما لجبهة فريليمو بأنها أصبحت "تنظيما صنيعا " منذ اغتيال موندلانى ، واستلهاما للرئيس ماو وفيدل كاسترو شجبت جبهة موليمو من خلفوا الدكتور موندلانى فى الزعامة بأنهم " ثوار مضادين " يضيعون وقتهم فى دار السلام وهم " يتصارعون مع زجاجات البيرة ويقددون الخبز باسم أولئك الذين قتلوهم " وقطع نيانكالى وعداً بأنه إذا ما حصلت جبهة موليمو على المساعدة المادية فإن بوسعها أن تعطى مزيداً من القتال بدلا من الكلام (١٦٣) ، وسواء أكان هذا التجمع يحصل على أية مساعدات فإن هذا التنظيم المنسلخ لم تصدر عنــه أيـة علامــة من علامات الحياة منذ إنشائه .

وفى شهر يونية من العام ١٩٧١ حدث انقسام آخر فى صفوف جبهة فريليمو عندما اجتمعت فى نيروبى مجموعة أخرى من المتمردين لتكوين ما يسمى جبهة موزمبيق المتحدة FUMO فيومو ، وتدعى المصادر الوثيقة والمطلقة أن فيومو حصلت على تأييد كبير بين طلاب موزمبيق فى الولايات المتحدة و أوروبا ، كما كانت تحصل أيضا على نفس التـأييد بين الصف والجنود فى أفـريقيـا ، ومـع ذلك فـإن التنظيم برئاسة مارسلينو أمبولى الذى كان قائما بعمل الرئيس لم يكشف عن أية علامة من علامات نشاطه بعد أن أعرب عن شجبه لجبهة فريليمو " كتنظيم لاحول له ولاقوة " فى قيادة كفاح التحرر ؛ وذلك نتيجة لتسلل شرطة السياسة والأمن السرية البرتغالية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى ذلك التنظيم (١٦٤) .

وتشجّع الجيش البرتغالى بتلك السلسلة من الهياج والكراهية التى لم يسبق لهما مثيل بين صفوف العصابات فقام بشن هجوم شامل كبير على مناطق عديدة فى موزمبيق فى نهاية العام ١٩٧٠ ، وللحق بدأت حدة الهجوم البرتغالى تتزايد اعتبارا من شهر يونية ، ومع بداية أعياد رأس السنة كان الجنرال كولزادى ارياجا ، قائد القوات البرتغالية وزوجته يتباهيان بأنهما أمضيا عطلتهما فى تارتيبو ، التى كانت واحدة من قواعـد العصابات التى جـرى الاستيلاء عليها بالقـرب من الحدود التانزانيه . وادعى الجنرال - الواثق بنفسه - أن قواته التى بلغ عددها ٦٠٠٠٠ رجل -التى كانت تواجه ٨٠٠٠ رجل من رجال العصابات - كانت تتحرك «صوب تحقيق انتصار حاسم»

على جبهة فريليمو (١٦٥) ونظرا لأن البرتغاليين أثبتوا أنهم لم يكونوا أكثر صدقا فى ادعاءاتهم عن أعدائهم فى جبهة فريليمو فإن أصالة ذلك الإدعاء أمر ترقى إليه الشكوك . أضف إلى ذلك ، إنه كان من الواضح تماما أن جبهة فريليمو قد بدأت تعانى سلسلة من النكسات الموجعة منذ وفاة موندلانى ، وذلك بسبب المتناقضات الداخلية والميل المفرط إلى تسوية الخلافات الداخلية فى الحزب عن طريق إهدار الدماء أكثر من الشجاعة والحنكة من جانب الجيش البرتغالى .

اللجنة الثورية الموزمبيقية COREMO (كوريمو)

حصلت اللجنة الثورية الموزمبيقية بعد عامين تقريبا من بداية كفاحها المسلح ضد البرتغاليين فى موزمبيق ، على اعتراف واقعى بها من لجنة التحرير الأفريقية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية وذلك فى جلستها العاشرة التى عقدتها فى كينشاسا فى نهاية شهر يناير من العام ١٩٦٧، وقدم ممثلو كوريمو إلى لجنة التحرير الأفريقية دليلاً قاطعا بالوثائق عن تنظيمهم وكفاحه ضد البرتغاليين ، ولكن ذلك التنظيم الصغير – على العكس من فريليمو– لم يحصل ولم تعط له أية مساعدات مالية أو مادية من منظمة الوحدة الأفريقية ، بل إن ذلك التنظيم لم يسمح له حتى بفتح مكتب له فى دار السلام التى كانت مركزا للرئاسة العامة للجنة التحرير الأفريقية .

أما مؤسسو كوريمو فهم نفس المحاربين الوطنيين الأفارقة الذين سعوا فى العام ١٩٦٢ إلى خلق جبهة فريليمو وإعطائها سمات الحركة المتحدة فى موزمبيق ، ومع أن كلا من باولو جوزى جومانى (نائب الأمين العام) وديفيد إمبوندا (الأمين العام للحركة) قد عملا بجد وإخلاص من أجل الهيئة الجديدة – إذ إن كلاهما كان من قبل من بين زعماء الإتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى (يودينامو) – فقد طردهما ليوميلاس من مناصبهما فى جبهة فريليمو خلال شهور قليلة، وغادر الاثنان دار السلام إلى القاهرة ؛ حيث أعادا تأسيس (يودينامو) من جديد فى شهر مايو من العام ١٩٦٣

وفى ذلك الوقت كان هناك فى أوغندا تجمع آخر برئاسة أدلينو هلوميلو لوشينوفو جوامبى الذى كان أحد الزعماء الكبار فى الاتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى (يودينامو) قبل إنشاء جبهة فريليمو ، وفى كل الأحوال ، لم توجه الدعوة إلى جوامبى للانضمام إلى عضوية التنظيم الجديد نظرا لاتهامه بالعمالة للبرتغاليين ، وأنشأ فى النهاية نسخة أخرى من (يوديناموا) تحت اسم الاتحاد الديمقراطى الوطنى لمونوموتابا (الذى اطلق عليه اسم يوديناموا مونوموتابا) ؛ على حين كان تجمع جومانى ومابوندا يعرف باسم يوديناموا موزمبيق ، أما ماثيو ممولى الذى كان امينا للصندوق من قبل فقد اعاد – بعد طرده من جبهة فريليمو – تأسيس تنظيمه السابق الذى كان يحمل اسم الاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانو) ؛ كما انضم أيضا إلى كل من جوامبى وسيباستين سيكوكى اللذين كانا مندوبين مؤقتين لحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى فى موزمبيق MANCO (مانكو) ، وأسس الثلاثة فى ٢٠ من مايو من العام ١٩٦٣ جبهة موزمبيق الأفريقية الشعبية المتحدة المعادية للاستعمار FUNIPAMO

(فيونيبامو) ومع طرد المزيد من اعضاء اللجنة المركزية فى جبهة فريليمو كانت فيونيبامو تنمو وتترعرع كما غيرت اسمها إلى " مجلس موزمبيق الثورى MORECO (موريكو). ثم اتحدت حركة يودينامو وحركة موريكو فى اوئل العام ١٩٦٥

وقد أعربت إفريقيا عن أسفها وندمها على ذلك التكاثر بين التجمعات الوطنية المتصارعة فى موزمبيق : فالحكومة التانزانية التزمت بجبهة فريليمو ، كما رفض الدكتور موندلانى الاعتراف بوجود التجمعات الأخرى ؛ ولكن حكومة زامبيا أخذت المبادأة فى منتصف العام ١٩٦٥ وعقدت مؤتمرا ضم جميع التنظيمات المتنافسة فى لوساكا ، زد على ذلك ، أن الزامبيين كانوا يتطلعون إلى توحيد الحركة الوطنية فى موزمبيق ولكن موندلانى إنسحب من المحادثات بعد أن حل الآخرون تجمعاتهم وانضموا إلى جبهة فريليمو كأفراد ، أما بقية المندوبين بعد ذلك فقد وحّدوا تنظيماتهم الخمسة فى تنظيم جديد واحد يعرف باسم (اللجنة الثورية الموزمبيقية) ، وكانت التنظيمات التى تكونت منها اللجنة الثورية الموزمبيقية (موريمو) تضم كلا من : الاتحاد الديمقراطى الوطنى (مونوموتابا) ، والاتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى ، والاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى ، وحزب المؤتمر الوطنى الأفريقى الموزمبيقى (مانكو) ثم أخيراً الاتحاد الأفريقى لاستقلال موزمبيق (أونامى) [١٦٦] واختيرت لوساكا لتكون مركزا للرئاسة العامة للجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) ، كما تم أيضا انتخاب جوامبى ليكون اول رئيس لتلك اللجنة، ولكن عند هذا الحد جرى من جديد إحياء الاتهامات القومية المنسوبة إليه وطرد من الجبهة بعد عام ، وحل باولوجوسى جومانى محل جوامبى فى رئاسة الجبهة (كوريمو) وأنتخب جوزيف شيتيجى لمنصب الأمين العام الذى خلفه بعد ذلك أبسولم تى باهولى .

ويبدو أن اللجنة الثورية الموزمبيقية منذ تأسيسها كانت عبارة عن تنظيم صغير من الناحية الشكلية على أقل تقدير ، ويقال إن النقطة القوية لذلك التنظيم داخل موزمبيق كانت تتمثل فى إقليم تيتى الذى وردت عنه تقارير تفيد بأن العصابات التابعة للجنة هناك كانت تشتبك وتشارك فى القتال ضد القوات البرتغالية ، ويدعى جومانى بأن له ٥٠٠٠ من الأتباع داخل موزمبيق ، وانهم يتسلحون أصلاً بأسلحة بدائية صنعت محلياً وقيل إن جومانى قام مرات عديدة بزيارة قواته داخل موزمبيق ، كما كان واضحا أيضا أنه كان يتلقى شيئا من التأييد من حكومة زامبيا ، إن العصابات التابعة

اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) ساعدت العصابات التابعة لحزب مؤتمر الوحدة الأفريقة (باك) ، كما كانت توفر أيضا لتلك العصابات مناطق للراحة وهى فى طريقها إلى جنوب أفريقيا عن طريق القواعد التابعة لحزب الوحدة ، وفى النهاية تم القضاء على الوحدة التابعة لحزب الحركة الوطنية (باك) التى كانت على بعد مئات الأميال داخل موزمبيق بالقرب من مدينة فيلا بيرى .

وفى يوم ٢٩ من فبراير من العام ١٩٦٨ قتل (مازونز وميليون بوبو)- الذى كان سكرتيرا للشئون الخارجية فى اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) والبالغ من العمر ٢٥ عاما - فى القتال الذى دار بالنيران مع القوات البرتغالية عند معسكر شاليه نجونى فى منطقة فيلا جاميتو بالقرب من الحدود مع ملاوى ، كما قتل أيضا فى هذا الاشتباك اثنان آخران من رجال كوريمو وخمسة من الجنود البرتغاليين ، وعلى العموم فإن وحدات (كوريمو) كانت تسعى دائما إلى تحاشى الإتصال مع العدو مركزة بدلا من ذلك على بناء شبكة سرية من الكوادر داخل موزمبيق وتدريب محاربى الحرية سرا فى الغابة على القيام بعمل شامل فى تاريخ يحدد فى المستقبل ، وكانت مكاتب اللجنة الثورية الموزمبيقية فى لوساكا مكشوفة ومعرضة ، ولم يبدو مطلقا أن التنظيم كان قادراً - أو ربما حتى راغبا - فى التورط فى دعاية واسعة ، زد على ذلك أن مزاعم ذلك التنظيم عن انتصاراته فى المعارك كانت متواضعة إلى حد كبير ، وقد شرح جومانى لبعض الصحفيين البريطانيين فى العام ١٩٦٨ : " إننا لسنا بعد فى وضع يسمح لنا بقتل الآف البرتغاليين ، وعلى أية حال لو صدقت جميع المزاعم التى قالت بها الحركات الأخرى ، لما تبقى لنا فرداً واحد نقتله [١٦٧] ، وعلى العموم سارت اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) على نفس الخط الذى سار عليه حزب الحركة الوطنية (باك) ، والاتحاد الوطنى الأفريقى (زانو) ، والحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى (جراى) ، والاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) ، وأيضا الاتحاد الوطنى لجنوب غرب أفريقيا (سوانو) ، وراح أعداء اللجنة الثورية الموزمبيقية يلطخون اللجنة ، مثلما كانوا أنفسهم يلطخون أنفسهم باتهامات مفادها أن اللجنة إما كانت موالية للصين أو أنها من صنع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وعلى كل حال فإن الدلائل على وجود أى نفوذ خارجى داخل اللجنة كانت قليلة جداً ، برغم البيانات الشعبية المعادية للاستعمار بشكل واضح التى كانت تصدر عن اللجنة الثورية الموزمبيقية .

ومع كل ذلك أثارت الرحلة التى قام بها جومانى إلى الولايات المتحدة وأوربا الغربية واستمرت ثلاثة أشهر فى العام ١٩٦٨ ، الكثير من التعليقات والملاحظات المعادية داخل اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) ، بل إن الأمر وصل إلى حد كان من الصعب معه تحاشى [١٦٨] وقوع الإنقسام ، وعلى حين تأكد وجود اللجنة الثورية لموزمبيق ، لم يكن الخارجون عليها يعرفون سوى القليل عن نشاطها داخل موزمبيق ، كما أن الممثلين القلائل لتلك اللجنة فى الخارج كانوا يشكون مر الشكوى من نقص اتصالاتهم بمركز الرئاسة العامة ، ولايستطيع إنسان أن يقطع ما إذا كان بوسع تنظيم الظل هذا – ذلك التنظيم الذى يفضل السرية على الدعاية – يستطيع فى النهاية توحيد البنية التحتية السرية التى كان يتطلع إلى إعدادها وتجهيزها من أجل القيام بحروب شعبية عامة وشاملة فى كل أنحاء موزمبيق ، وتشير التقارير الواردة عن عمليات البرتغاليين فى إقليم تيتى بأنهم لم يكونوا يشعرون فحسب بالقلق ازاء اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) بل إنهم أيضا قاموا بتلك العمليات حتى يتسنى لهم قتل ذلك التجمع ، أضف إلى ذلك ، أنهم كانوا يعدون ذلك التجمع نوعاً من التهديد – إن لم يكن تهديدا مباشرا – لاستمرار الحكم البرتغالى .

وفى شهر يناير من العام ١٩٧١ أصابت اللجنة الثورية الموزمبيقية (كوريمو) نجاحا ملحوظا فى هجومها الذى شنته على مستوطنه موكا نجا دزى بالقرب من الموقع المحدد لمشروع سد كابورا باسا ، وتقول التقارير التى وردت عن ذلك الهجوم : إن العصابات قتلت خمسين من القوات البرتغالية كما أسرت ستة آخرون ، وتقول العصابات : إن واحدا من الأسرى الستة انتحر ؛ غير أن السلطات البرتغالية ادعت بأن الرجل مات رميا بالرصاص لأنه لم يكن يسير بالسرعة الكافية عندما كانت وحدة العصابات تعود إلى قاعدتها ، ثم أعلن البرتغاليون بعد ذلك عن وفاة جميع الأسرى ، على حين أن اللجنة الثورية الموزمبيقية قالت إنهم كان يجرى إطلاق سراحهم عن طريق الصليب الأحمر ، وظنا من البرتغاليين أن حكومة زامبيا تعد مسئولة عن نشاط (كوريمو) فقد قامت السلطات البرتغالية بمقاطعة غير رسمية للشحنات المتجهة إلى زامبيا عن طريق موانئ موزمبيق [١٦٩] ، وعلى كل حال ، فإن (كوريمو) بانتهاء العام ١٩٧١ ، لم يكن بوسعها تكرار ذلك النجاح ، ومن سوء الطالع ، ومع استمرار الضعف والوهن من جانب فريليمو لم يكن هناك أية تهديدات مباشرة أو مستمرة للبرتغاليين ، أكثر من التهديدات التى نشأت عن التناقضات القائمة بينهما .

٤ - ساوتومى وبرنسيب

لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب (كلستب) Clstp

جزر ساوتومى وبرنسيب : أصغر المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا ، عبارة عن مجموعة من الجزر الجبلية ، وهى تشكل أيضا جزءً من سلسلة من الجزر تمتد من جبال الكاميرون إلى خليج بيافرا فى المحيط الأطلنطى الاستوائى ، والمسافة بين ساوتومى وبرنسيب تصل إلى ٨٢ ميلا ، وتبعد الجزيرة الأولى حوالى ٢٧٥ ميلا عن ساحل الجابون الشمالى ، أما الثانية فتقع على مسافة ١٢٥ ميلا أيضا من الساحل نفسه ، زد على ذلك أن الأرخبيل يضم مجموعة من الجزيرات مثل : كابراس فى الشمال فى حين نجد أن جزر سانتانا وجزر كويزيبا وسفن استونز Seven Stones التى يصل عددها إلى أربعة عشر جزيرة ، تقع فى الناحية الشرقية ، أما جزيرة رولاس فتقع فى الناحية الجنوبية ، وفى ناحية الغرب تقع جزيرتا جابادو وكوكو ، ومساحة الجزر كلها لا تزيد على ٣٧٢ ميلا تقع على الساحل الشمالى للجزيرة التى تحمل الاسم نفسه ويعيش فيها ١٢٠٠٠ نسمة .

وظل السكر وتجار العبيد يسيطرون على نشاط تلك الجزيرة فترة طويلة من الزمن ، أما الآن فإن المحاصيل التى من قبيل الكاكاو (٨٠ فى المائة من الصادرات) والبن هما من المحاصيل الرئيسية ، ويجرى توريد العبيد عن طريق العقود وعن طريق التحريم والردانة ، ومناخ تلك الجزر الدافئ الرطب يناسب تماما زراعة قصب السكر ، والكاكاو والبن ، ودرجة الحرارة فى تلك الجزر تتردد بين ٦٦ ، ٦ ، ٨٩ فهرنهيتيه ، وشهر مارس فى تلك الجزر واحد من أشد الشهور حرارة ، والأمطار غزيرة فى تلك الجزر إذ يتراوح معدل سقوط الأمطار بين ١٥٠ و ٢٠٠ بوصة على المنحدرات الجنوبية الغربية للجبال فى جزيرة ساوتومى و ١٦٠ و ١٧٥ بوصة فى برنسيب

وعندما اكتشف البرتغاليان جواو دى سانتارم وزميله (بيرو إسكوبار) ، تلك الجزر بين عامى ١٤٧١ و ١٤٧٢ لم تكن تلك الجزر مأهولة بالسكان ، وفى العام ١٤٨٥ أعطى الملك (جاو) الثانى تلك المجموعة من الجزر إلى أحد رجال بلاطه الملكى هو جواء دى بافيا هبة له ، ووصل أوائل المستوطنين البيض إلى الجزيرة فى العام ١٤٨٦ ، وفيما يتعلق بالصغار الذين أرسلوا إلى تلك الجزر فقد بلغ عددهم حوالى ٢٠٠٠ من أطفال اليهود الذين طردوا من إسبانيا ، وصل أولئك الأطفال ليعيشوا على تلك الجزر الخالية فى العام ١٤٩٤ بعد أن أخذوا من آبائهم ، وبعد أن جرى تعميدهم ليكونوا

مسيحيين ، وفى العام ١٤٩٩ كانت الملاريا وأمراض استوائية أخرى قد انقصت ذلك العدد إلى حوالى ٦٠٠ طفل وفى العام ١٥٣٢ [١٧٠] لم يبق منهم على قيد الحياة سوى خمسين أو ستين فردا فقط .

ومع أن تلك الجزر لا تناسب الأوربيين من الناحية الصحية إلا أنها تعد رصيدا ثمينا وقيما من أرصدة الأمبراطورية البرتغالية ؛ فبالإضافة إلى أن تلك الجزر تنتج السكر فهى تتمتع أيضا بموقع ممتاز على الطريق الطويل المؤدى إلى الشرق ، يضاف إلى ذلك : أنها كانت أيضا مركزا تجاريا ممتازا مع ساحل غربى أفريقيا ، وبطبيعة الحال كانت تجارة العبيد أساسا لتلك التجارة مثلما الحال فى الأماكن الأخرى .

وجرى شحن الكثير من العبيد إلى الأمريكتين ، غير أن عشرات الآلاف من هؤلاء العبيد كانوا يبقون على تلك الجزر للعمل فى المزارع إلى أن يعتقهم الموت من عبوديتهم ، ونتيجة لاستيطان الأوربيين تلك الجزر بصفة دائمة أصبحت للعبيد أهمية بالغة فى اقتصاد تلك الجزر ، وبرغم توطين البرتغاليين والإسبان ، وكذلك المهاجرين الفرنسيين فى تلك الجزر ، إلا أن السواد الأعظم من سكانها يتمثل فى السكان الأفارقة ، ولا يزال الحال كما كان عليه إلى يومنا هذا ، وبرغم إلغاء الرق والعبودية منذ أكثر من قرن من الز مان ، إلا أن الكثيرين من أولئك الأفارقة يعملون عمالا بعقود أو محكومين فى جرائم ارتكبوها فى المستعمرات البرتغالية الأخرى ، وبخاصة موزمبيق .

ونقلا عن إحصاء العام ١٩٦٠ فقد وصل عدد السكان إلى ٦٤٢٦٣ نسمة ، أما فى العام ١٩٦٩ فإن عدد السكان كان يقدر بأكثر من ٦٢٠٠٠ نسمة من الأفارقة : يعيش منهم ٥٤٥٠٠ فى جزيرة ساوتومى وحوالى ٧٥٠٠ فى جزيرة بريسنيب ، وجرى إحضار حوالى ١٧٠٠٠ من أولئك السود إما كعمال بعقود أو بشحنهم من أوطانهم الأصلية بوصفهم عمالا ، هذا بالإضافة إلى ٥٠٠٠ آخرين من الكريول و ١٢٠٠ من الأوربيين .

وكان العبيد السود هم الذين يزرعون قصب السكر فى القرنين من السادس عشر إلى الثامن عشر ، ورغم التمرد المستمر من جانب العبيد إلا أن اقتصاد تلك الجزر شهد ازدهارا استمر إلى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وحدث أول تمرد للعبيد فى العام ١٥٣٠ بزعامة يوان جاتو ، أيام أن كان ميناء ساوتومى أهم ميناء من

موانئ العبيد فى غربى أفريقيا ، ولكن أهم ثورات العبيد وقعت فى العام ١٥٨٥ الميلادى بزعامة أمادور ، الذى حاصر العاصمة بقوة من العبيد الهاربين والأنجوليين (أى العبيد الذين انحدروا من أنجولا ، والذين تحطمت بهم السفن فى العام ١٥٤٤ ، وقاموا فى السر بإنشاء جماعة أفريقية فى منطقة الغابات على المنحدرات الشمالية فى الأجزاء الرئيسية من الجبال فى ساوتومى) ، واستطاع جيش أمادور ، الذى تشكل من العصابات – تحرير أكثر من ثلثى الجزيرة فى وقت من الأوقات وأعلن أما دور نفسه ملكا على تلك المنطقة ، وعلى كل حال استطاع البرتغاليون أن يستعيدوا المبادأة وجرى شنقه فى العام ١٥٩٦ ، وبرغم الهزيمة استطاع العبيد الهاربون أن يجدوا لهم مأوى مرة أخرى فى الغابات الكثيفة التى راحوا يشنون منها هجمات متكررة على البيض طوال القرن التالى وكان يجرى أيضا إحضار المزيد من العبيد من الأرض الأم للعمل فى المزارع .

وجاء إنهاء الرق فى المستعمرات البرتغالية بمثابة دمار كامل لاقتصاد تلك الجزر ، ونظرا لأن الكريول هم و الأوربيين كانوا يرفضون العمل فى الحقول ، وكان يجرى إحضار شحنات العبيد سرا من غربى أفريقيا وموزمبيق لتشغيلهم فى زراعة المحاصيل التى من قبيل البن والكاكاو اللذان حلا محل قصب السكر كمحصولين رئيسين فى تلك الجزر ، زد على ذلك أن قانون العمل البرتغالى لعام ١٨٩٩ كان يرخص بذلك الشكل الجديد الذى اتخذته تجارة الرقيق ؛ والسبب فى ذلك أن هذا القانون كان يؤكد أن الضحايا إنما هم عمال أحرار يعملون بعقود عمل ، ومن حيث المبدأ كانت مدة العقد خمس سنوات ؛ وبرغم ذلك فإن أحدا من هؤلاء العمال لم يعد قط إلى الأرض الأم بعد تلك الفترة القصيرة نسبيا ، زد على ذلك أن قسوة المرض ووحشية ملاحظى العمال وصلت أيضا إلى أبعاد مخيفة .

ويشجب هنرى نيفنسون – المراسل الصحفى الإنجليزى – ذلك العمل القذر فى كتاب له صدر فى العام ١٩٠٦ بعنوان " الرق الجديد AModern Slavery " ، هذا الكتاب ثار من حوله جدل كبير فى كل من بريطانيا والبرتغال ، وعندما علم بذلك إخوان (كادبيرى) – منتجو الشيكولاته الإنجليز – بدءوا يتحرون بأنفسهم مدى صدق تلك الاتهامات عن طريق مندوبيهم ، إذ قام وليام كادبيرى بإيفاد مبشر يدعى

شارلز سوآن لإجراء تحقيق فى هذا الصدد ؛ ونشر ما توصل إليه ذلك المبشر فى لندن تحت عنوان عبودية اليوم ، وقد عجل ذلك العمل بمقاطعة إخوان كادبيرى ومنتجونآخرون من الألمان والإنجليز للكاكاو القادم من ساوتومى ، وفى العام ١٩١٣ نشر جون هاريس الإنجليزى كتابا بعنوان " الرق البرتغالى معضلة بريطانيا " ، وقد ورد فى ذلك الكتاب أنه تم إرسال ما بين ٧٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ من العمال الأنجوليين إلى الجزر قبل العام ١٩٠٨ وأنه لم تتم إعادة حتى ولو عامل واحد منهم إلى وطنه ، أما هذه القضية الدولية التى ما يزال المدافعون عن الاستعمار البرتغالى ينظرون إليها على أنها حملة أوحى بها الإنجليز ليس فحسب للنيل من سمعة البرتغال وتشويهها فى أفريقيا وإنما أيضا للاستيلاء على مستعمراتها هناك ، ومع ذلك أدت تلك الحملة – فى أضعف الأحوال – إلى توقف تلك التجارة الجديدة للرقيق بصورة مؤقتة ، كما أدت أيضا إلى تحقيق بعض الإصلاحات وإعادة العمال [١٧١] الأنجوليين الباقين على قيد الحياة إلى أوطانهم .

ومساحة المزارع الكبيرة – تشغل فى أيامنا هذه – ما يزيد على ٩٣ فى المائة من مساحة الأرض الزراعية ، بينما تمثل الملكيات الصغيرة لسكان تلك الجزر ما يقرب من ٧ فى المائة فقط من مساحة الأرض الزراعية ، ويعيش على هذه الملكيات الصغيرة حوالى ٥٢٪ من سكان البلاد الأصليين [١٧٢]، ومعروف أن كلا من البنك الأهلى لما وراء البحار هو وشركة كوف CUF هما اللذان يسيطران على الاقتصاد فى تلك الجزر .

وعلى ضوء ما تكشف عنه الإحصاءات الرسمية ما تزال لعمال العقود أهمية حيوية فى اقتصاد الجزر ، ويفد إلى تلك الجزر الآن كثير من أبناء جزر الرأس الأخضر على الهجرة إليها والجماعات التى استقرت فى تلك الجزر هى التى تشجع أبناء جزر الرأس الأخضر ، زد على ذلك أن البؤس والشقاء فى جزر الرأس الأخضر يعدان دافعا آخران من دوافع الهجرة إلى تلك الجزر ، أما العمال المحكومين من موزمبيق ، والذين كانوا يقتربون من العبيد إلى أقصى حد ممكن تصوره من الناحية التقليدية ، وهم ينفذون الأحكام الصادرة ضدهم ؛ فقد كان يجرى إرسالهم أيضا إلى تلك الجزر ، وفى الماضى كان هؤلاء العمال لا يدخلون ضمن مجتمع الجزيرة اللهم باستثناء عملهم موردين للأيدى العاملة ، أما « الأهالى » فكانوا هم الكريول من

الخلاسيين والأنجولاريس الذين كانوا نادرا ما يتفقون أو يتحدون فى قضية من القضايا ، وهم مجرد جماعة تتحدث بلغة الكريول البرتغالية التى هى خليط من اللغات الأفريقية الأخرى ، ولم ينم وعى جديد بين سكان الجزر إلا بعد الحرب العالمية الثانية فقط ، إذ بدأ ذلك الوعى بين الطبقات المتعلمة ، ويبدى فوردهام ملاحظة تقول : إن ساوتومى واحدة من الأماكن التى يمكن أن تلصق بها اتهامات التوسع الاستعمارى . . . ، وأيا كانت مسئوليات الملكية الاستعمارية فإن جزيرة ساوتومى تعد صورة حقيقية من صور تلك المسئوليات الاستعمارية البرتغالية (١٧٣) .

وفى شهر فبراير من العام ١٩٥٣ وافق كارلوس جورجولهو - الذى كان محافظا للجزيرة آنئذ - على الجهود التى كانت تبذلها المزارع الكبيرة من أجل حل مشكلة ندرة القوى البشرية وذلك عن طريق ادخال نظام الرق من جديد وبصورة فعلية ، وبدلا من أن يخضع سكان الجزر للعمل الإجبارى - ضربوا ضربتهم - بل إنهم راحوا يقاومون عن طريق استعمال السلاح ، وانتقمت القوات البرتغالية والمستوطنون البيض المسلحون لذلك بأن قتلوا ١٠٣٢ من سكان الجزر فى مدة لا تقل عن أسبوع ، أما المذبحة المروعة فقد وقعت فى قرية باتيبا التى أصبح الآن اسمها رمزا لوحشية البرتغال مع شعب تلك الجزر .

لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب (كلستب)

نما أكبر وعى وطنى ورغبة فى التحرر - كما هو الحال فى المستعمرات الأفريقية الأخرى - بين طلاب الجزر الذين كانوا يدرسون فى الجامعات البرتغالية ؛ إذ شارك هؤلاء الطلاب فى الصحوة الثقافية السياسية لطلاب فيما وراء البحار ، كما اشتركوا أيضا فى الدراسات السرية التى أجريت هناك لإعادة الأفرقة ، وكذلك الدراسات التى كانت تجرى حول الماركسية - اللينينية بين شباب المولدين والسود أصحاب الامتياز ، وتكونت فى سبتمبر من العام ١٩٦٠ لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب ، وفى النهاية أقامت اللجنة مركز رئاستها العامة فى مدينة ليبرفيل فى الجابون ، وفى أبريل من العام ١٩٦١ لعبت تلك اللجنة دورا فى المؤتمر التأسيسى للمنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية الذى انعقد فى الرباط .

وبرغم مقدرة لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب (كلستب) على تأسيس تنظيم سرى على الجزر ، وبرغم قدرتها أيضا على لعب دور ذاع صيته وعمَّ كل جزر الأرخبيل فى شهر أغسطس من العام ١٩٦٣ إلا أن تلك اللجنة كانت ما تزال ضعيفة ، فقد قامت شرطة الأمن والسياسة السرية البرتغالية بإلقاء القبض على الكثيرين من كوادر تلك اللجنة ويئس آخرون وتخلوا عن الكفاح ، وقام توماس ميديروس - الذى كان أمينا عاما للجنة « كلستب » ومندوب آخر - بتمثيل الحزب فى المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية الذى انعقد فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٥ فى دار السلام ، وألقى ميديروس خطابا مختصرا تماما أمام المؤتمر ؛ وامتدح فيه كفاح الحركة الشعبية لتحرير أنجولا والحزب الأفريقى لاستقلال غينيا والرأس الأخضر وجبهة فريليمو ، كما أبرز فى ذلك الخطاب أن هناك « عامل جغرافى يجعل من الانتقال إلى الكفاح المسلح أمرا صعبا ، ولكنه غير مستحيل فى الأرخبيل » ، وما تزال لكل من ساوتومى وبرنسيب (١٧٤) أهمية كبيرة ومفيدة للاستعمار البرتغالى فى القرن العشرين ، أما احتمال قيام انتفاضة أخرى على تلك الجزر - فى مواجهة التدعيمات البرتغالية الموجودة الآن - فهو أمر يعتمد على نجاح الكفاح ونموه وتطوره فى الأرض الأفريقية الأم ، كما يعتمد أيضا على إضعاف تصميم البرتغال السياسى على التشبث بتلك السلسلة الجبلية الخصبة من الجزر .

الهوامش

(١) س . آر . بوكسر إمبراطورية البرتغاليين المحمولة بحرا فى الفترة من ١٤١٥ إلى ١٨٢٥ (لندن هتشنسون عام ١٩٦٩) .

(٢) جيمس دوفى ، أفريقيا البرتغالية (كامبريدج ، ماس ،، هارفارد (١٩٥٩) ص٤٩

(٣) انظر كتاب ديفيد إم . آبشاير ، التراث العنصرى البرتغالى فى أفريقيا البرتغالية ، هاندبوك ، من إعداد دى . إم آبشاير ، إم . إى . صامويلز نيويورك ، برايجر عام ١٩٦٩) .

(٤) رونالد سيجال ، حرب الجنس (العنصرى) (لندن الكيب عام ١٩٦٦) ص ٣٩ .

(٥) جيمس دوفى ، « البرتغال فى أفريقيا (هارموندزورث بنجوين عام ١٩٦٢) ص ١٦ .

(٦) شارل وديفيد ليفنجستون قصة رحلة إلى نهر الزمبيزى وروافده (نيويورك ، ١٨٦٦) ص ٦٣٦ ؛ مقتبسة فى دوفى Duffy ، أفريقيا البرتغالية ص ١٨٦

(٧) مقتبسه من ديفيد إم آبشاير « التراث العنصرى البرتغالى فى آبشاير وصامويل ص ١٠٢ .

(٨) بوكسر ص ٢٦١ .

(٩) المترجم

(١٠) انظر البرتغال وحلف الأطلنطى ، كتب صادر عن اللجنة الأنجولية (أمستردام) ، أكتوبر ١٩٦٩ ، وديفيد إم . أبشاير (المضامن الاستراتيجية) . فى آبشاير وصامويل ص ٤٣٤ – ٤٤٧

(١١) روجرز وزير الخارجية بيان سياسى عن أفريقيا (لندن مصلحه الاستعلامات الأمريكية ، السفارة الأمريكية ٣١ مارس ١٩٧٠) .

(١٢) بول . أم . هويتيكر Whitaker أنجولا ، وغينيا ، وموزمبيق : دراسة مقارنه العلاقات الدولية لحركات التحرير الوطنية الثورية فى أفريقيا البرتغالية ، رسالة ، ماجستير بمرتبة الشرف لم تنشر ، هارفارد كوليج (مارس ١٩٦٩) .

(١٣) جورج ثاير ، تجارة الحرب (لندن ، بلادين ١٩٦٩) ص ١٣٨ .

(١٤) مقتبسة من دوفى ، البرتغال فى أفريقيا ص ١٨٢

(١٥) حرب الرجل الأسود ، الأيكونومست (١٠ من مايو ١٨٦٩) .

(١٦) لوموا آن آفريك ، المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الأفريقية (نوفمبر ١٩٦٩) ص ٩٤ .

(١٧) الملاتو : هم المولدون من أب ابيض وأم زنجية فى أفريقيا (المترجم) .

(١٨) آبشاير وصامويل ص ٥ .

(١٩) المترجم .

(٢٠) انظر كارل هولبيك ، أنجولا : الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، إنتر – إيكونو مكس (هامبورج العدد رقم ١٩٦٩) .

(٢١) انظـر رونالد هــ . شيلكوت ، أفريقيا البرتغالية أنجلوود كليفس برينتس هول ، عام ١٩٦٧) من ص ٦١ إلى ٧٤ .

(٢٢) أبشاير آند صامويلز ص ٤٣ .

(٢٣) دوجلاس ل ويلر ، الجيش البرتغالى فى أنجولا ، جورنال أوف مودرن ستاديز (المجلد ٧ ، العدد ٣ ، ١٩٦٩) .

(٢٤) الفريد مـارجاريدو ، البرتغال : مقاطعات ما وراء البحار فى أفريقيا ، لوموا أن أفريك (ديسمبر ١٩٦٦) .

(٢٥) المترجم .

(٢٦) ماركوم ص ٢٨٠ – ٢٨٢ .

(٢٧) عن روايات مؤتمر الوحدة الأفريقية الثالث انظر مـاركو م ص ٢١ ، ٢٢ ، وانظر كولن ليجوم حركة الوحدة الأفريقية (لندن – بول مال عام ١٩٦٢) ص ٢٩ .

(٢٨) انظر ماركوم ص ٢٦ – ٣٠ .

(٢٩) ماركوم ص ٦٣ .

(٣٠) ماركوم ص ٦٧ .

(٣١) المرجع السابق ص ١١٣ – ١١٥ .

(٣٢) ماريودى أندرادى "وماذا عن مستعمرات سالازار ؟ الديمقراطية الجديدة (المجلد ١٤ ،العدد ٩ ، سبتمبر ١٩٦٠ ،صفحة ٣٥ مقتبسة فى ماركوم ص ٢٨ .

(٣٣) سيجال ،افريقيا السياسية .صفحة ١٦٤ .

(٣٤) فرياتود اكروز " ما نوع الاستقلال المطلوب لأنجولا ؟ " مجلة الثورة (المجلد الأول ، العدد ٩ شهر يناير ١٩٦٤ .صفحة ١٥ .

(٣٥) المرجع السابق .صفحة ٢٠ .

(٣٦) ماركوم .صفحة ٣٨ – ٣٩ .

(٣٧) داكروز . صفحة ١٥ .

(٣٨) المقصود " بماريا " هنا هو انطونيو ماريا زعيم هذه العبادة (المترجم).

(٣٩) انظر ماركو .صفحة ١٢٤ – ١٢٦ .

(٤٠) ماركو .صفحة ٤٣ – ,٤٦

(٤١) داكروز .صفحة ١٧-١٨

(٤٢) ماركوم .صفحة ٢١٢ .

(٤٣) القـائد جـاو جونز سـالفس بنديتـو "وخمسـة شهـور من الاستـقـلال فى أنجـولا " مـجلة افـريكان ريفوليوشن (المجلد ١، العدد ١ مايو عام ١٩٦٣).

(٤٤) لباكونجو والأوفمبوندو شعبان من الشعوب الأفريقية (المترجم).

(٤٥) انظر روبرت دفيزيس " الأنجوليين " (باريس ، اديسوندى منويت عام ١٩٦٥) حول القصة الكاملة الموالية للحركة الشعبية لتحرير أنجولا عن حادث فيريرا .

(٤٦) رتبه من رتب الجيش تمنح للصف والجنود وهى تعادل اومباشى سابقا (المترجم)

(٤٧) نسبة إلى شعب الجوانهاما (المترجم).

(٤٨) جورج .م.م هوسر ، « المنظمات القومية فى أنجولا : حالة التمرد » جون . إنى . ديفيس وجيمس ك. باكير (معدان)جنوب أفريقيا أثناء الإنتقال (نيويورك براجر ، عام ١٩٦٦ .

(٤٩) ماركوم صفحة ٢٢٠ .

(٥٠) لوموند (٦-٧ فبراير عام ١٩٦٦)

(٥١) فى هذا القسم ، تصبح الكنغو - ليوبولدفيل الكونغو كينشاسا فى (أى إشارة لها بعد يوم ٢ من مايو عام ١٩٦٦ ، وهو التاريخ الذى أعيدت فيه تسمية المدن الرئيسة فى الكونغو .

(٥٢) مقابله مع دانيل جوليوشيبندا ، ممثل الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (دار السلام ١٨ من مارس من العام ١٩٦٦) .

(٥٣) انظر جورج مارثيلى ، " الصراع فى أفريقيا البرتغالية " فى أبشاير وصامويلز صفحة ٤٠٧ - ٤٠٨

(٥٤) اوجستينونيتو " أنجولا : شعب وثورة "نشرة ترايكونتنتال (عدد ١٢ مايو - يونيه عام ١٩٦٩)

(٥٥) جيراد شالياند "مشكلات القومية الأنجولية " (لوتون مودرن أغسطس ١٩٦٥) .

(٥٦) إشتكى رويرتو ،فى العام ١٩٦٧ ،أن الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى تلقت فقط مبلغ ٧٣٠٠٠ دولار فقط من منظمة الوحدة الأفريقية .

(٥٧) لوموند (٢ من فبراير من العام ١٩٦٧).

(٥٨) هويتكر ، أنجولا ،غينيا ، موزمبيق ، يقول فى صفحة ٢٤ : ربما يصل العدد الكلى لقوات العصابات إلى حوالى ١٥٠٠٠ رجل لكن معظم التقديرات غير الرسمية تضع أرقاما لقوات التمرد ما بين ٣٥٠٠ ، ٥٠٠٠ لكل من الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى والحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وحوالى ٥٠٠ و ١٥٠٠ رجلاً للاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) مع الميل إلى التأكيد على الأعداد الأقل فى كل حالة ، وقدر المراسل الخاص للايكونوميست عدد ١٠ مايو ١٩٦٩ ، قوه جراى بثمانية آلاف رجل ، ومبالا بأربعة آلاف ولم يقدم أرقاما لليونتا .

(٥٩) انظر يونيتا ومبلا : " العصابات والكفاح من أجل التحرر الوطنى "تحليلات ووثائق (باريس ، العدد ١٨١ بتاريخ ١٨ من ديسمبر عام ١٩٦٩) .

(٦٠) نيتو " أنجولا : شعب وثورة ، ص٦٨ .

(٦١) باسل ديفيدسون ، بذرة منتصف الشتاء نيو ستسمان (٣٠ من أكتوبر عام ١٩٧٠)

(٦٢) النشرة اليومية لوكالة أبناء هسنهوا (٢٧ من يولية من العام ١٩٧١)

(٦٣) حول ذلك التاريخ ، الذى يقل ثلاث سنوات عن التاريخ الحقيقى " انظر ماركوم صفحة ٦٣

(٦٤) مقتبسة فى ابشاير وصامويلز صفحة ٩٣.

(٦٥) انظر فرانز فانون " جلد اسود واقنعة بيضاء (باريس ماسبيرو ،عام ١٩٥٢) باللغة الفرنسية جلد أسود واقنعة بيضاء(باللغة الأنجليزية) نيويورك جروف برس عام ١٩٦٧).

(٦٦) هليوفيلجاس "الحرب فى انجولا (لشبونه ليفراريا كلاسيكا ،عام ١٩٦١)صفحة ٥٧ . مقتبسة من ماركوم ص٩٦ .

(٦٧) هولدن روبرتو ، خطاب أمام منظمة الوحدة الأفريقية ، اجتماع رؤساء الدول والحكومات (القاهرة ٢١ من يوليو عام ١٩٦٤).

(٦٨) دوفى " البرتغال فى أفريقيا ص ٢١٦

(٦٩) ماركوم .ص ١٤٣ - ١٤٤

(٧٠) رتبة عسكرية تعادل أومباشى (المترجم).

(٧١) فرانز فانون " تعساء الكرة الأرضية (لندن ،ماك جيبون انذكيل ١٩٦٥) ص ١٠٧

(٧٢) بيرى اندرسون " البرتغال ونهاية الاستعمار المتطرف ، باريس » ، ماسبيرو عام ١٩٦٣ . ص ١٠٨ .

(٧٣) جورج الكسرسيز فالنتيم ، لتحرر أنجولا (بروكسل ، ميشيلى كوبنز عام ١٩٦٩) ص ١٢ .

(٧٤) انظر ماركوم ص ٢٣٦ - ٢٤٣

(٧٥) الأوبزرفر (١٨ مارس عام ١٩٦٢) .

(٧٦) إشارة إلى النفوذ السوفيتى (المترجم) .

(٧٧) داكروز .ص ٢٢ .

(٧٨) بير أ .موسيه " الثورة الأنجولية (تونس ،جمعية التحرير والصحافة عام ١٩٦٦) صفحة ٧٩ - ٨٠ وبيير باسكال روسى ، فى سبيل حرب منسية (منسية) (باريس ،جليارد عام ١٩٦٩)ص ٧٢ .

(٧٩) جورج مارتيلى ،والصراع فى أنجولا فى ابشاير صامويلز ص ٤١٠

(٨٠) فالنتيم ص ٣٢

(٨١) المترجم .

(٨٢) هى رتبة العقيد فى الجيوش العربية على سلم الترقى العسكرى (المترجم).

(٨٣) هى رتبة اللواء فى الجيوش العربية على سلم الترقى العسكرى (المترجم) .

(٨٤) الايكونومست (١٠ من مايو من العام ١٩٦٩).

(٨٥) جورج تاير ص ١٣٨ .

(٨٦) انظر بول .م . هويتيكر " المعونة الخارجية وحركات التحرير الأفريقية البرتغالية افريكان ريبورت (المجلد ١٥ العدد الخامس عام ١٩٧٠)

(٨٧) وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى (سبقت الإشارة إلى المرجع).

(٨٨) الماكى مقاتل فى حركة المقاومة الفرنسية ضد المحتلين الألمان خلال الحرب العالمية الثانية (ويقصد بها الكاتب هنا ، مناطق القتال ضد البرتغاليين . (المترجم) .

(٨٩) اللجنة المركزية لحزب يونيتا انجولا : العام السابع (ليدن انترناشيونال يونيفرستى إكستشينج فند عام ١٩٦٨

(٩٠) فالنتيم ، صفحة ١٤

(٩١) ماركوم . صفحة ٢٤٥

(٩٢) المترجم .

(٩٣) روسى : صفحة ٨٤–٨٨

(٩٤) على سبيل المثال يشجب باسل ديفيدسون ، فى الينوستيتمان (٣٠ من أكتوبر من العام ١٩٧٠) «الدعاية النشطة» التى تصدر إلى حد ما من جماعات ماوية» .

(٩٥) سافر مور بعد ذلك بفترة قصيرة إلى باريس حيث قام بحملة طويلة لدى الدوائر الأفريقية ضد العنصرية المزعومة فى كوبا الثورية . انظر كارلوس مور مكان الشعب الأسود فى الثورة الكوبية ؟ بريزانس افريكان (العدد ٥٢ ، (٤) عام ١٩٦٤) .

(٩٦) اللجنة المركزية لـ يونيتا ص ٢٥

(٩٧) اللجنة المركزية لـ يونيتا ص ٣٧

(٩٨) مجلة تحليلات ووثائق (باريس العدد ١٨١ فى ٣١ من ديسمبر من العام ١٩٦٩) .

(٩٩) وردت فى كتاب دوجلاس م . هويلر وريني بليسر انجولا ، لندن بول مال عام ١٩٧١) صفحة ٢٢٥ ، يؤكد بليسر أن الورقة الرئيسة التى كانت لدى حركة يونيتا هى قرابتها العرقية للأوفمبو ندو .

(١٠٠) المرجع السابق .

(١٠١) النمو الناجح للكفاح المسلح فى أنجولا ، ذا أفرواشيان جورنالست (بكين ، العدد ٢ ، يوليو عام ١٩٧٠ صفحة ٢٢

(١٠٢) البيان النهائى للموتمر الثانى لحركة يونيتا ، افرو إشيان جورنالست (بكين ، العدد ٢ يوليو عام ١٩٧٠ صفحة ٢٤

(١٠٣) بيان صحفى عن مؤتمر روما ، أصدره جورج سانجومبا (لندن ، ٢٢ من يونيه عام ١٩٧٠) .

(١٠٤) باسل ديفيدسون ، تحرير غينيا هارموندزثورت ، بنجوين عام ١٩٦٩) صفحة ٢٦

(١٠٥) كواين ليجوم (محرر) أفريكان هاندبوك (هارموندزثورت ، بنجوين عام ١٩٦٩) ص ٤٣٩

(١٠٦) انظر د.ج. هاريسون تسرش ، غرب افريقيا ، (لندن لونجمانز عام ١٩٦٠) صفحة ٢٧٥

(١٠٧) انظر جيرارد شالياند ، الكفاح المسلح فى أفريقيا صفحة ٢٣

(١٠٨) الجارديان (٢٨ من نوفمبر من العام ١٩٦٨) مقتبسة من أبشايرو صامويلز صفحة ٤١٩

(١٠٩) كان هناك فى العام ١٩٢٠ حوالى ٨١٨٦ مالكا من ملاك الأرض وكان هؤلاء الملاك يشكلون نسبة ٢ فى المئة من إجمالى عدد السكان البالغ عددهم ١٥٩٦٧٥ نسمة ، ولم يكن من بين هؤلاء السكان سوى مايزيد قليلا على ٣٠٠٠ نسمة من الملونين ، أما البيض فكانوا يملكون الضياع الكبيرة . انظر الفريدو مارجريدو ، المستعمرات البرتغالية فيما وراء البحار فى أفريقيا ، المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الأفريقية (عدد ١٢ ديسمبر ١٩٦٦) .

(١١٠) قام كابرال بعمل تلخيص ممتاز لذلك التحليل للبنية الاجتماعية الغينية فى حديث إلى مركز فرانتس فانون - المتعطل الآن - فى ميلانو ، وقد أعد هذا التلخيص فى شهر مايو من العام ١٩٦٤ انظر اميلكار جابرال ، الثورة فى غينيا ، لندن ، إنتاج عام ١٩٦٩ من صفحة ٤٦-٦١

(١١١) انظر الفريدو مارجاريدو ، ارخبيل الرأس الأخضر : الأفاق السياسية ، المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية ، العدد ٢٥ يناير ١٩٦٨

(١١٢) م. أرشر ، أرض الفالا البرتغالية (ساوباولو عام ١٩٦٢) مقتبسة من كتاب ديفيدسون ، تحرير غينيا صفحة ٢٣

(١١٣) ديفيدسون ، تحرير غينيا ، صفحة ٢٣

(١١٤) شالياند ، الكفاح المسلح فى افريقيا ، صفحة ٣٢

(١١٥) عمل مسرحى يتألف من مزيج من الحوار والرقص والغناء ويهدف عادة إلى السخرية من الأحداث الجارية والأزياء السائدة (المترجم) .

(١١٦) انظر مارجاريدو أرخبيل الرأس الأخضر ، الآفاق السياسية .

(١١٧) كابرال صفحة ٣٠

(١١٨) مادة ٤ من لائحة الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر ، مقتبسة فى المرجع السابق صفحة ٣٠

(١١٩) مقتبسة فى ديفيدسون ، تحرير غينيا ص ٣٢

(١٢٠) كابرال ص ٥٠

(١٢١) مقتبسة ، ديفيدسون ، تحرير غينيا ص ٩٤

(١٢٢) انظر سيلكوتى ، افريقيا البرتغالية ص ١٠٠

(١٢٣) هرب باربو سا إلى جانب البرتغاليين – بعد سبع سنوات من الاحتجاز وربما التعذيب – غير أنه منصبه كان قديم الاستحواذ عليه منذ زمن طويل .

(١٢٤) ديفيدسون ، تحرير غينيا ، بزعم ديفيدسون أنه رغم تدريب بعض قادة حزب بيجك العسكريين فى الصين فى أوائل الستينيات ، إلا أن الصينيين قللوا من مساعدتهم للحركة الغينية التى كانت تدور فى فلك المراجعين ، ومهما يكن من أمر فإن وكالة هسنهوا الصينية للأنباء لم تتوقف عن نشر تقارير عن الاشتباكات العسكرية للقوات المسلحة الغينية (بيساو) الوطنية ، أما الاشارة إلى حرب بيجك ذاته فقد ظلت نادرة تماما لعدة سنوات ، ولم تعد إلى الظهور إلا فى أواخر العام ١٩٧٠

(١٢٥) كابرال ص ٧٤ ، ٧٥

(١٢٦) التابانكا تعنى القرية بلغة الكريول (المترجم) .

(١٢٧) شاليان ، الكفاح المسلح فى أفريقيا ، صفحة ٣٧ .

(١٢٨) انظر ديفيدسون ، تحرير غينيا ، ص ٨٠

(١٢٩) باسل ديفيدسون ، مستعمرات البرتغال ، بنور منتصف الشتاء .

(١٣٠) ونقلا عن وكالة الأنباء الكوبية ، برنسا لاتينا ، أيام أن زار كابرال هافانا لحضور احتفالات ٢٦ من يوليو من العام ١٩٧٠ ، نجد أن كابرال أثنى فى المقابلة التى أجرتها الوكالة معه على الاتحاد السوفيتى كما عرض شكوى مفادها أن المساعدات الأفريقية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية كانت مساعدات غير كافية ، أما الدعم الكبير لحزب بيجك فكان يأتى من الدول الاشتراكية وبخاصة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الذى قال عنه كابرال : إنه يعطينا كل المعدات الحربيـــة والذخيرة والأســـلحة التى نستعملها فى كفاحنا .

(١٣١) انظر بول هوينيكر ، ثورات أفريقيا البرتغالية ، جورنال الدراسات الافريقية الحديثة (المجلد الثانى من العدد ١ ، أبريل عام ١٩٧٠

(١٣٢) ويينى ليفورت ، مع الوطنيين فى غينيا البرتغالية ، لوموند ٦ ، ٧ نوفمبر عام ١٩٧٠

(١٣٣) انظر شيلكوت أفريقيا البرتغالية صفحة ١٠٠ – ١٠٢

(١٣٤) ديفيدسون ، تحرير غينيا ص ٨٧

(١٣٥) لوموند (٥ سبتمبر عام ١٩٧٠) .

(١٣٦) جورج مارتينى ، الصراع فى أفريقيا البرتغالية ، وردت فى ابشاير وصامويلز ، ص ٤١٨

(١٣٧) هواتيكر – الثورات فى أفريقيا البرتغالية .

(١٣٨) نفس المرجع .

(١٣٩) الدهو : مركب شراعى مألوف فى الجزيرة العربية والساحل الشرقى لأفريقيا (المترجم) .

(١٤٠) ج . س . وير ، د . أ . ويلسون « شرق أفريقيا خلال ألف عام » (لندن ، ايفانز ، عام ١٩٦٨) .

(١٤١) انظر دوفى ، البرتغال فى أفريقيا « من صفحة ٨٣ - ٨٩ » .

(١٤٢) المرجع السابق من صفحة ٩٢ إلى ٩٥ .

(١٤٣) انظر لوموند (١٠ من سبتمبر عام ١٩٧٠ والديلى تلجراف (٢٩ من ديسمبر عام ١٩٧٠) .

(١٤٤) انظر الفريدو مارجاريدو « البرتغال » صاحبة المستعمرات فيما وراء البحار فى أفريقيا .

(١٤٥) دوفى « البرتغال فى أفريقيا صفحة ١٩٧ .

(١٤٦) انظر شيلكوت ، « أفريقيا البرتغالية » صفحة ١١٥ - ١١٦ .

(١٤٧) انظر ادواردو موندلين ، الكفاح من أجل موزمبيق (هارموندس ورث ، بنجوين عام ١٩٦٩) ص ٣٠ ، ٣١ .

(١٤٨) الخلاسيين . المترجم .

(١٤٩) المترجم .

(١٥٠) شيلكوت ، أفريقيا البرتغالية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(١٥١) موندلين . ص ١١٣ .

(١٥٢) انظر بول . م . هويتكير « للذكرى : الدكتور إدواردو شيفامبو موندلين ١٩٢٠ ، ١٩٦٩ » بان أفريكان جورنال (المجلد الثانى العدد (١) شتاء عام ١٩٦٩) .

(١٥٣) انظر المنشور الدورى لجبهة فريليمو « طرد ليو كلينتون الدردج » الذى يعرف باسم غير اسمه هو « ليوميلاس « وليو الدردج ميلاس » . فى ٢٥ من أغسطس عام ١٩٦٤ . س . ليوميلاس ، طردى من جبهة فريليمو وأسبابه القاهرة (؟) سبتمبر عام ١٩٦٤ .

(١٥٤) هويتيكر ، للذكرى : الدكتور أدواردو شيفامبو موندلين .

(١٥٥) انظر جورج مارتيلى ، « الصراع فى أفريقيا البرتغالية » فى ابشاير وصامويلز . ص ٤٢١ .

(١٥٦) سامورا مويسيس ماشيل « لماذا نكافح » ، فى تريكو نتنتال (العدد ١٨ مايو - يونيه عام ١٩٧٠) ص ١٠ .

(١٥٧) أوكومباتنتى (لوساكا) المجلد الأول ، العدد ٣ (٣١ من أكتوبر عام ١٩٦٧) .

(١٥٨) انظر اندرويس جوهانسون « فى موزمبيق مع فريليمو » جريدة موزمبيق ريفليوشن (دار السلام - العدد ٣٥ ، يونيه سبتمبر من العام ١٩٦٨) .

(١٥٩) مقتبسة من مارتيلى ، الصراع فى أفريقيا البرتغالية » ص ٤٢٣ .

(١٦٠) مجلة « ثورة موزمبيق (العدد ٣٨ ، مارس - أبريل عام ١٩٦٩) .

(١٦١) لوموند ديبلوماتيك (نوفمبر عام ١٩٦٨) ترجمة المؤلف عن النص الفرنسى .

(١٦٢) انظر التايمز (٢١ من ديسمبر عام ١٩٧٠) .

(١٦٣) انظر أفريكا ريسيرش بوليتن (١ - ٣١ من أغسطس عام ١٩٧٠) .

(١٦٤) انظر لوموند (٢٦ من يونيه عام ١٩٧١) .

(١٦٥) انظر الديلى تلجراف (٢٨ من ديسمبر عام ١٩٧٠) .

(١٦٦) انظر شيلكوت ، أفريقيا البرتغالية » ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٦٧) فريق أخبار « التايمز » ، الرجل الأسود فى بحثه عن السلطة ، (لندن نلسون ، عام ١٩٦٨) .

(١٦٨) انظر بول . م . هويتيكر « ثورات أفريقيا البرتغالية » .

(١٦٩) انظر الجارديان (١٦ مارس عام ١٩٧١) .

(١٧٠) رينيه بليسر « ساوتومى أو مركبة القرن » المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الأفريقية (العدد ٢٥ ، يناير عام ١٩٦٩) .

(١٧١) انظر دوفى ، البرتغال فى أفريقيا » صفحة ١٣٤ ، ١٣٧ .

(١٧٢) سان توماس ويرنسى : « المقاومة الشعبية للوجود البرتغالى « تريكونتنتال (العدد ٤٠ ، يوليه عام ١٩٦٩) .

(١٧٣) فوردهام . صفحة ١٥٨ .

(١٧٤) « مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية (كونسب) ، وكفاح التحرر الوطنى فى المستعمرات البرتغالية : مؤتمر دار السلام » (الجزائر كونسب عام ١٩٦٧) .

القسم السادس

القرن الأفريقى وبعض الجزر

ا - المستعمرات الفرنسية للعفر وعيسى

جبهة تحرير ساحل الصومال (فلكس) FLCS

حركة تحرير جيبوتي (ملد) MLD

بقى عدد كبير من الصوماليين خارج حدود جمهورية الصومال الجديدة بعد أن حصل الصومال الإيطالى على استقلاله من إيطاليا فى العام ١٩٦٠ ، وفى الحال بدأت تراود الصوماليين – فى إقليمى هود وأوجادين فى أثيوبيا إلى إقليم الحدود الشمالى من كينيا وأرض الصومال الفرنسى – الآمال بأنهم والمناطق التى يعيشون فيها سيصبحون جزءً من الجمهورية الجديدة ، وواقع الأمر أن المادة السادسة فى الفقرة ٤ من الدستور الصومالى تعدهم : « إن جمهورية الصومال سوف تساعد وتعمل بالطريقة القانونية والوسائل السلمية على وحدة الأراضى الصومالية وتشجيع التضامن بين شعوب العالم ، وبخاصة بين الشعوب الأفريقية والإسلامية » ، زد على ذلك أن جميع الشعوب التى تعيش فى مناطق الحدود للدول المحيطة بالجمهورية كانت جميعها تقريبا من أصل [١] صومالى ، ويفسر ذلك الدكتور عبد الرشيد رئيس الوزراء الجديد فيقول :

إن جيراننا هم إخواننا الصوماليون الذين زيفت مواطنتهم نتيجة ترتيبات غير واضحة للحدود ، إن عليهم أن يسيروا عبر حدود مصطنعة لكى يصلوا إلى مراعيهم ، إنهم يعيشون على نفس قطعة الأرض كما أن لهم أيضا نفس الاقتصاد الرعوى مثلنا ، إننا جميعا نتكلم نفس اللغة ، ولنا عقيدة واحدة ، وحضارات وتقاليد واحدة ، فكيف لنا أن نعد أشقاءنا أجانب ؟ وبطبيعة الحال لدينا جميعا رغبة قوية وطبيعية فى الوحدة [٢] .

ثم اتحدت محمية أرض الصومال البريطانية مع جمهورية الصومال بعد إعلان استقلالها بفترة قصيرة والسبب فى ذلك أن تلك المحمية كانت منطقة من مناطق وصاية الأمم المتحدة التى كانت تديرها إيطاليا ولكنها لم تكن مستعمرة إيطالية ، وعلى كل حال وبرغم صعوبة تحقيق المزيد من وحدة الشعوب الصومالية إلا أن مسألة الوحدة هذه تبدو أمرا حتميا .

وتؤكد كل من كينيا وإثيوبيا أن المناطق المتنازع عليها فى أراضيها هى مناطق غير قابلة للتصرف ، أما فيما يتعلق بالسكان الذين من أصل صومالى فهم أصلاً من البدو والرعاة ؛ كما تختلف الحكومتان حول هؤلاء الذين هاجروا مؤخرا إلى تلك المناطق ، ومهما يكن من أمر ، فقد أعرب الصوماليون فى كل من كينيا وأثيوبيا عن رغبتهم فى الانسحاب والوحدة مع جمهورية الصومال ، وفى النهاية وبعد أن فشلت

الجهود فى المفاوضات لجأ الثوار الصوماليون إلى السلاح ، وجرى فى شهر ديسمبر من العام ١٩٦٣ إعلان حالة الطوارئ فى إقليم الحدود الشمالى ، كما تم أيضا تزويد وإمداد القوات الكينية بالأسلحة البريطانية علاوة على اشتراك تلك القوات أيضا فى القتال ضد الصوماليين ، وفى الوقت نفسه ، أبرمت كل من كينيا وإثيوبيا معاهدة دفاعية ضد الصومال ، وفى شهر فبراير من العام ١٩٦٤ - وعندما كانت الحرب تبدو وشيكه الوقوع - وقعت سلسلة جديدة من المفاوضات بين القوات الإثيوبية والجيش الصومالي من جهة ، وبين قوات الثورة الصوماليين وبين القوات الإثيوبية أيضا من جهة أخرى .

ونادت منظمة الوحدة الأفريقية - فى أحيان كثيرة - بإجراء مفاوضات بين الأطراف المتحاربة ، ومع أن الغالبية العظمى من الدول الأفريقية كانت " تتورط فى الاستماع [٣] إلى آراء " المتمردين الصوماليين فى جميع المؤتمرات الأفريقية إلا إنها كانت تتعاطف تعاطفا قليلاً مع القضية الصومالية ، ولكن الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية تميل إلى تبنى وجهة نظر مفادها : أنه يوجد فى أفريقيا العديد من الجماعات الإثنية المتشابهة التى تفصل بينها الحدود الاستعمارية المصطنعة فى كل أنحاء أفريقيا ، كما تتبنى تلك الدول أيضا موقفا مؤداه : إننا إذا ما طبقنا مبدأ إعادة الدراسة وليس مبدأ التغيير والتعديل لتلك الحدود الخاصة بالصومال نجد إن ذلك سوف يهدد وحدة واستقرار أفريقيا ، وباسم الوحدة الأفريقية كان يجرى حث الزعماء الصوماليين على أن يكيفوا أنفسهم ويقبلوا الوضع الراهن .

وللحقيقة - وبرغم المطالب الشعبية القوية بإعادة توحيد الشعب الصومالى - فإن الزعماء الشعبيين أعربوا فى النصف الثانى من العام ١٩٦٧ - بعد تشكيل حكومة برئاسة محمد الحاج إبراهيم إيجال - عن استعدادهم ورغبتهم فى إعادة العلاقات إلى حالتها الطبيعية مع أثيوبيا وكينيا ؛ كما تخلوا أيضا عن استعدادهم ورغبتهم فى إعادة توحيد الأراضى الصومالية ، وبذلك أمكن إعادة السلام مرة أخرى ؛ غير أن وضع رجال القبائل الصومالية بقى بدون اتخاذ قرار بشأنه ، وفى النهاية وجد الاستياء الشعبى لنفسه متنفسا ومخرجًا عن طريق اغتيال الزعماء والقيام بانقلاب عسكرى فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٩ .

وعلى كل حال ، فإن الصوماليين بعد الاستقلال بفترة قصيرة - وقبل أن يقفوا على المشكلة التى كانت تواجه مسألة الوحدة - كانوا يسلمون بأن أرض الصومال البريطانى وأرض الصومال الفرنسى سوف ينضمان بسرعة إلى الجمهورية الجديدة ، كان الفرنسيون بالفعل قد أعطوا الصومال الفرنسى شيئا من الحكم الذاتى فى شهر يوليه من العام ١٩٥٧ عندما انشأوا جمعية إقليمية جرى انتخابها عن طريق التصويت بالحضور وأيضا عن طريق مجلس حكم برئاسة المحافظ الفرنسى ، ومع أنه تحتم بعد ذلك أن تكون رئاسة المجلس لواحد من أبناء الوطن الأصليين ، إلا أن فرنسا فى ذلك الوقت كانت تناضل من أجل الاحتفاظ بحكمها فى الجزائر ومناطقها الأخرى فى أفريقيا ، وفى الاستفتاء الذى أجرى فى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٨ ، أعطيت كل تلك المناطق - باستثناء الجزائر - الحق فى أن تختار بين استمرار ارتباطها بفرنسا أو الاستقلال ، ونقلا عن السلطات الفرنسية ، صوت ٧٥ فى المائة من الناخبين فى أرض الصومال الفرنسى لصالح البقاء تحت الحكم الفرنسى ، وأجرى ذلك الاقترا ع ، تحت تهديد مدافع القوات الفرنسية والموظفين المدنيين الفرنسيين الذين عرقلوا العملية الانتخابية بالنسبة للحزب الموالى للاستقلال ؛ وبمجرد إعلان النتيجة أعلن الوطنيون الصوماليون عن تزوير الانتخابات ، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار سلوك السلطات الفرنسية الذى لا يرقى إليه شك فى المستعمرات الأفريقية الأخرى - مثل النيجر - نجد أن الأمر لا يدعو إلى الدهشة فى غينيا ، والسبب فى ذلك أن غينيا هى البلد الوحيد الذى حقق استقلاله عن طريق هذا الاستفتاء ، زد على ذلك أن النتائج فى أرض الصومال الفرنسى كانت فى صالح استمرار الارتباط بفرنسا .

وكانت فرنسا قد انتقلت إلى القرن الأفريقى فى العام ١٨٨٥ ، بحثا عن محطة لتزويد سفنها التجارية بالفحم فى طريق ذهابها وعودتها من الشرق الأقصى عبر قناة السويس ، أما البريطانيين فكان لهم مثل هذا التسهيل فى عدن منذ زمن طويل ، كما كان لبريطانيا أيضا على الجانب الآخر من الخليج معاهدات حماية مع عشيرة العيسى Issa الصومالية ، التى كانت تسكن منطقة زيلع Zeila ، على مسافة أربعين ميلا إلى الجنوب الشرقى من جيبوتى ، فيما يُعرف الآن بالجمهورية الصومالية ، وفى ذلك

الوقت كانت جيبوتى مجرد جزيرة مرجانية تتصل بالأرض الأم فى حالة حدوث الجزر ، وكان الفرنسيون قد وقعوا معاهدات مع الدناكل Danakil - أو العفار . Afars ، كما يطلق عليهم اليوم - فى المنطقة التى تقع ناحية الشمال ، وعقدت صفقة مع رؤساء عشيرة العيسى حول جيبوتى ، وترددت بريطانيا فى الاعتراف بالوجود الفرنسى ؛ ثم جرى ترسيم الحدود بين المحميات فى العام ١٨٨٨ .

وفى العام ١٨٩٦ استطاعات جيوش الإمبراطور مينلك - إمبراطور إثيوبيا - أن تنزل الهزيمة بأحد الجيوش الاستعمارية فى معركة أدوا فى إرتيريا ، وبذلك اضطر الإيطاليون إلى أن يتركوا جانباً مظاهرهم الاستعمارية إلى أن وصل موسولينى إلى السلطة ، وهنا بدأ الإيطاليون يتفاوضون مع إثيوبيا حول حق استعمار إرتيريا والصومال ، وبدأت بريطانيا وفرنسا أيضا : تفاوضان الإمبراطور كى يتسنى لهما الحصول منه على موافقته على مطالبهما فى القرن الأفريقى ، وبذلك ثبتت وترسمت حدود جيبوتى وشمالى الصومال مع حدود إثيوبيا ، تاركين بذلك شعوب الصومال والدناكل تحت السيادة الإثيوبية ، أضف إلى ذلك أن معاهدات الحماية كانت من قبل تغطى كل تلك الشعوب ، وكان المبرر الوحيد لذلك التخلى يتمثل فى انتهاج السياسة الواقعية ، أما الخرائط القديمة وكتابات الرحالة فهى التى توضح الوضع المستقل لمناطق شعوب الدناكل والشعب الصومالى وكذلك الأراضى الداخلية فى تلك الفترة من التاريخ ، زد على ذلك ، أنه ليس هناك دليل واحد يفيد أو يقطع بأن سواحل الشعب الصومالى أو الدناكل لا تعد جزءً من إثيوبيا (٤) .

وعلاوة على محطة التزويد بالوقود التى كانت فرنسا تسعى إليها وتحتاجها ، كان خبراء الاستراتيجية الفرنسيون يدرسون مسألة إنشاء خط حديدى من جيبوتى إلى أفريقيا الفرنسية الاستوائية ، وفى النهاية بدأ العمل فى تلك الوصلة من الخط الحديدى عام ١٨٩٧ ولأسباب عديدة بينها العداوة البريطانية للمشروع ، فإن الخط الحديدى لن يصل إلى أبعد من مدينة " أويتجى - شارى " التى لا تبعد سوى ٤٨٦ ميلا عن أديس أبابا ، وثبتت أهمية الخط الحديدى الفرنسى - الإثيوبى الذى اكتمل فى العام ١٩١٧ للاقتصاد الإثيوبى ، وما يزال ذلك الخط ينقل الجزء الأكبر من الشحن سواء أكان بالسفن أم بالسكة الحديد من أديس أبابا وإليها ، وكان لإغلاق قناة

السويس فى وجه الملاحة الدولية فى العام ١٩٦٧ ، وضعف إحكام قبضة الفرنسيين على ممتلكاتهم وبخاصة بعد رحيل الرئيس شارل ديجول عن قصر الإليزيه : تأثير قليل على تصميم إثيوبيا على منع وقوع ميناء جيبوتى الحيوى فى أيدى الصوماليين وأعلن الإمبراطور هيلاسلاسى " إن جيبوتى أرضنا وبلا نقاش ، كما أن شعبها ينتمى إلى إثيوبيا (٥) " .

وحقيقة الأمر هى أن شعوب الصومال الفرنسى تنقسم انقسامًا كبيرا حول مستقبل أراضيها ، وفى العام ١٩٦٦ ، قالت السلطات الفرنسية إن عدد السكان كان يقدر بحوالى ١٢٥٠٠٠ نسمة منهم ٢٤٠٠٠ من العيسى Issas و ٣٠٥٠٠ من العفر (الدناكل) ، أما الأوربيين وأفراد دول المجموعة الفرنسية الأخرى فكانوا حوالى ٣٠٠٠ نسمة ، ولكن العرب وصل عددهم إلى ٧٠٠٠ نسمة ، أما أفراد القوميات المؤقتة غير المقيمة فكانوا يقدرون بحوالى ١٠٢٠٠ (٦) نسمة تقريبا ، وكان العدد الإجمالى للسكان الذين كانوا يعيشون فى جيبوتى ذاتها قد وصل إلى ٦٢٠٠٠ نسمة ، ومن الناحية الاقتصادية تأتى الزراعة ، وصيد الأسماك ، وتربية ورعى الماعز والأغنام والأبقار والجمال بعد العمل فى عمليات الخط الحديدى وعمليات الميناء ، والمنطقة التى تبلغ مساحتها ٨٨٨٠ ميلا مربعًا ، فيها حوالى ٨٩ فى المائة من مساحتها عبارة عن أرض صحراوية . ويصل متوسط درجة الحرارة فيما بين شهرى مايو وأكتوبر ٩٢° فهرنهيتية على الساحل " ويندر المطر فى أى وقت من الأوقات خلال العام .

ويتحدى الوطنيون الصوماليون أرقام الإحصاء الفرنسى ، ويقولون : بأن الفرنسيين يبذلون منذ العام ١٩٦٣ كل ما فى وسعهم كى يتسنى لهم تقسيم الصوماليين والدناكل (عفار) ، وحتى يتسنى لهم أيضا وضع الدناكل فى وضع يكونون فيه بمثابة حاجز أمام عدم امتثال الصوماليين ، وفى الاجتماع الذى عقده حزب التجمع العفارى الديمقراطى صوت أتباع على عارف برهان من بين الدناكل لصالح التأكيد على الوضع الراهن والحفاظ عليه ، ومع ذلك ، ومن داخل حزب الاتحاد الديمقراطى للعفار قامت مجموعة أخرى من الدناكل بقيادة محمد عيسى Essa (شيكو) بربط نفسها بتحالف مع حزب الحركة الشعبية الذى يرأسه موسى أحمد إدريس فى الصومال .

وبلغت المطالبة بالاستقلال وإيجاد نوع من الارتباط بالجمهورية الصومالية ذروتها مرة أخرى فى شهر أغسطس من العام ١٩٦٦ : عندما توقف الجنرال ديجول فى جيبوتى أثناء جولته العالمية ، وقتل فى الإضرابات التى أعقبت تلك الزيارة ما لا يقل عن خمسة أشخاص (ومن المحتمل أن يكون العدد قد وصل إلى واحد وعشرين شخصا) ، ثم نظم ديجول على وجه السرعة استفتاء آخراً بعد أن ألقى القبض على الكثيرين من الزعماء الوطنيين ، الذين كان من بينهم محمد أحمد عيسى Issa شيكو . وقام ديجول أيضا بترحيل آلاف كثيرة من الصوماليين عن البلاد ، ومرة أخرى أسفر الاستفتاء الذى أجرى فى وجود القوات الفرنسية - والذى قام به الموظفون الفرنسيون فى ١٩ من مارس من العام ١٩٦٧ - أسفر عن تصويت الغالبية العظمى لصالح استمرار الارتباط بفرنسا وذلك بأغلبية ٢٢٥٥٥ صوتا مقابل ١٤٦٦٦ صوتا ، وأصبح على عارف برهان بعد إعلان نتيجة الاستفتاء رئيسا لمجلس الحكومة ، ولا براز الانقسامات التى تساندها وتدعمها فرنسا وإثيوبيا بين تلك الشعوب جرى تغيير اسم الصومال الفرنسى إلى الأراضى الفرنسية للعفار والعيسى .

وفى مواجهة القمع المتزايد والقيود التى كانت تفرض على المشاعر الموالية للصومال ، وجد جزء من الحركة الوطنية نفسه مضطراً إلى اللجوء إلى العمل السرى ، ومع أن الكفاح المسلح لم يبدأ على الفور ، إلا أنه كان يجرى الإعداد لشن الهجوم فى الوقت المناسب ، وفى النهاية ، تكونت فى الصومال ، جبهة تحرير الأراضى الصومالية برئاسة " رابليه عوالة " ، وتحاشيًا للحرج الدبلوماسى أمام الحكومة الصومالية نقلت جبهة تحرير الأراضى الصومالية (فلكس) مركز رئاستها العامة إلى عدن التى هى الآن عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الجنوبية .

وفى يوم ٢٢ من يوليه من العام ١٩٦٨ اعترفت رسمياً لجنة تحرير أفريقيا - التى تضم أحد عشر دولة وتتبع منظمة الوحدة الأفريقية - فى اجتماعها الذى عقد فى الجزائر ، بجبهة تحرير أراضى الصومال (فلكس) كواحدة من حركات التحرير غير أن اللجنة أيضا اعترفت فى الوقت نفسه وبدافع من دوافع الحياد الأعمى ، بحركة تحرير جيبوتى ، التى كانت واحدة من المنظمات التى تقوم أصلا على شعب العفر ، وتسعى أيضا إلى إيجاد رباط أقوى ، أو الارتباط بإثيوبيا ، ونظرا للتأكيد الذى قدمته

كل من حكومة على عارف برهان الإقليمية وفرنسا لإثيوبيا وأكدا فيه أن مصالحهما الاقتصادية الحيوية فى الميناء وفى الخط الحديدى سوف يتم الحفاظ عليها ، لم تكن حركة تحرير جيبوتى بحاجة إلى اتخاذ أى إجراء من أى نوع كان فى هذا الصدد . ويبدو أن المهمة الأساسية لحركة تحرير جيبوتى (ملد) كانت تتمثل فى عملها كقوة احتياطية يمكن استدعاؤها عند اللزوم فضلا عن كونها أيضا رأس حربة فى مواجهة التدخل الإثيوبى ، إذا ما رأت فرنسا تلبية المطالب الصومالية ، يضاف إلى ذلك ، أن كفاح جبهة تحرير إريتريا الناجح هو والتوترات الثورية داخل إثيوبيا نفسها ، يمكن أن يسهلا فى النهاية عمل الوطنيين الصوماليين الذين أحبطت آمالهم فى جيبوتى ، الأمر الذى قد يجبر أية حكومة جديدة فى أديس أبابا على الاتفاق مع الصوماليين .

٢ - جـــزر الكـومـورو

حركة التحرير الوطنى فى كومورو

(موليناكو) MOLINACO

مقدمة

يعيش فى جزر الكومورو أكثر من نصف إجمالى عدد الفرنسيين فيما وراء البحار ، وقد أهملت فرنسا تلك الجزر بصورة مؤسفة من ناحية التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى ؛ غير أنها تتمسك بها نظرا لموقعها الإستراتيجى المسيطر عند الطرف الشمالى من قنال موزمبيق بين مدغشقر والساحل الأفريقى الشرقى ، ومع أن الاستعمار الجديد يشيع الآن أكثر من الحكم الاستعمارى غير المباشر ، إلا أن الخطأ التاريخى حدث لجزر الكومورو بسبب التحالف الإقطاعى التاريخى الذى نشأ فى جزر الكومورو مع قلة قليلة من كبار الشركات الفرنسية التى تسيطر على الاقتصاد فى الأرخبيل (٧) ، هذه الجزر البركانية الخصبة التى تعد ثانى منتج للفانيليا فى العالم تصدر ألياف جوز الهند ، والعطور المركزة (٧٠ فى المائة من الإنتاج الفرنسى) كما تصدر السيسل أيضا والكاكاو ، والبن والفلفل والخشب والقرنفل والتربه (التراب البركانى اللازم للإنشاءات) ، أما جزر الأرخبيل الأربع فهى : كومورو الكبرى التى تعد كبرى تلك الجزر وكان يطلق عليها اسم إنجاز يدجا ؛ وجزيرتى أنجوان ، وموهيلى ثم جزيرة مايوت (التى كان يطلق عليها من قبل اسم ماهورى) ، وتصل المساحة الإجمالية لتلك الجزر إلى حوالى ٨٣٨ ميلا مربعاً ؛ كما أن سكانها كانوا يقدرون فى مطلع العام ١٩٧١ بحوالى ٢٦٠٠٠٠ نسمه ، ونقلا عن إحصاء العام ١٩٦٦ كان حوالى ١٢٦٢٠٥ نسمه من بين هؤلاء السكان يعيشون فى كومورو الكبرى ، كما كان هناك أيضا ٨٠٠٣٢ نسمه يعيشون فى جزيرة إنجوان ، و٣١٩٣٠ فى جزيرة مايوت ، وحوالى ١٠٣٠٠ فى جزيرة موهيلى ، ومن الواضح أن تلك الجزر مزدحمة بالسكان وبخاصة فى ضوء الإنعدام الكامل للصناعة ، الأمر الذى أجبر سكان تلك الجزر على الهجرة إلى مدغشقر وزنزبار والأرض الأم فى تانزانيا أو إلى فرنسا ، وتقع موروني العاصمة ، فى جزيرة كومورو الكبرى وقد وصل عدد سكانها فى العام ١٩٦٦ إلى حوالى ١١٥١٥ نسمه .

والسكان جميعهم من المسلمين : فقد دخل الإسلام إلى تلك الجزر فى العام ٩٤٠ الميلادى على وجه التقريب خلال حكم الأمويين ، وظل العرب الذين كانوا يعيشون فى جزر الكومورو يسيطرون لقرون طويلة على طريق التجارة مع الهند ، وتشير الأبحاث الأثرية أن السكان الأوائل وصلوا إلى تلك الجزر فى حوالى القرن الرابع الميلادى ، ويحتمل أنهم كانوا من الملايو (٧) البولينيسيين - الملجاشيين - الذين مروا بجزر

الكومورو فى طريقهم إلى مدغشقر (٨) ، وأيا كانت الأصول البعيدة للسكان الأول فقد كانت لهم بنيه اجتماعية من طراز بنية البانتو ذات الطابع الخئولى (٩) ، وعلاوة على العرب الذين أعطوا تلك الجزر اسمها ، وصل إليها أيضا الشيرازيون من بلاد فارس هربًا من الاضطهاد الدينى الذى كان يصيبهم فى وطنهم حيث أصبحوا سادة للجزر فى القرن السادس عشر ، وحاول البرتغاليون فى الوقت نفسه الاستيلاء على الجزر التى يعيش فيها المسلمون ، غير أنهم وجدوا المسلمين غير مرحبين بذلك ومن الصعب حكمهم أيضا واستوطن الملجاشيون أيضا الجزر الأربع ، غير أن تجارة الرقيق جلبت إلى تلك الجزر عدة آلاف أخرى من السود من الأرض الأم ، ونتيجة لذلك فإننا نجد فى أيامنا هذه أن المواطن من جزر الكومورو لا يشبه بأى حال من الأحوال مواطنا من مدغشقر ، على حين أنه " لا يتميز بشىء عن أى أفريقى آخر من شرقى أفريقيا (١٠) ، وكانت اللغة العربية واللغة السواحلية اللغتين الرئيسيتين فى تلك الجزر قبل وصول الفرنسيين إليها ، زد على ذلك أن الغالبية الساحقة من سكان هذه الجزر فى أيامنا هذه لا يتكلمون اللغة الفرنسية .

وفى الفترة من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر ، كان السلطان " أنجوان " يحكم جزر الكومورو يعاونه العديد من السلاطين المحليين ، كما كان ذلك المجتمع الإقطاعى يعتمد على التجارة مع السفن التى كانت تمر بتلك الجزر ، مع القراصنة من حين لآخر ، زد على ذلك ، أن ذلك المجتمع كان يعد مستودعًا ممتازًا للعبيد الذين كانوا يصلون من شرقى أفريقيا ، أضف إلى ذلك ؛ أن القراصنة الأوربيين أيضا ، بعد طردهم من جزر الهند الغربية : كانوا يترددون على قنال موزمبيق طوال القرن الثامن عشر ، غير أن أخطر تهديد لسكان هذه الجزر كان يتمثل فى الغزاة القادمين من مدغشقر ، وفى العام ١٨١٦ كتب السلطان علوى أنجونان إلى الملك لويس الثامن عشر ملك فرنسا يهنئه بعودته إلى العرش ويطلب منه أيضا إرسال قوة فرنسية فى مهمة للدفاع عن الجزر ضد الغزاة ، ورفض الفرنسيون إرسال تلك القوات ، وفى كومورو الكبرى ، أصاب السلطان أحمد (تبى موجنى أمكو Tibe Mougne Mkou) نجاحًا قليلا فى التماس مماثل أرسل به إلى البرتغاليين ، أضف إلى ذلك أن الرغبة الفرنسية الوحيدة فى العام ١٨٤١ كانت تتمثل فى الحصول على قاعدة آمنة للأسطول البحرى الفرنسى فى المحيط الهندى الفرنسى ، كما أن تلك الرغبة ذاتها هى التى أدت إلى تعجيل فرنسا باحتلال جزيرة مايوت(١١) .

ثم حاول الفرنسيون تدعيم نفوذهم وتقويته في موهيلي ؛ بيد أن الجهود غير الكيسة التي كانت تبذل من أجل تحويل السكان إلى المسيحية هي التي أثارت عداء سكان الجزر وملكتهم فاتيما جومبي ، وفي الوقت نفسه كان نفوذ البريطانيين قويًا في جزيرة أنجوان ؛ إذ كان القنصل البريطاني وليام سينلي ، يستخدم ٦٠٠ من العبيد ويديرهم بنجاح في واحدة من المزارع الشاسعة ، وانفضح أمر الدكتور ليفنجستون ، وبخاصة أن الحكومة البريطانية في ذلك الوقت كانت تزعم بأنها كانت مشغولة بالقضاء على تجارة الرقيق الأفريقية ، وهنا أجبرت الحكومة سينلي على أن يختار بين وظيفته في السلك الدبلوماسي وبين حياته كواحد من ملاك العبيد ، واختار سينلي لنفسه أن يظل واحدًا من ملاك العبيد ، وجرى إبعاده عن وزارة الخارجية مع أنه ظل بصورة غير واضحة ولعدة سنوات أخرى ممثلا غير رسمي في جزر الكومورو ، ولم يبق من الجزر دون مساس بها من الفرنسيين أو البريطانيين سوى جزيرة كومورو الكبرى نظرا لعدم صلاحية موانئها ، ونظرا أيضا للوحشية التي ذاع صيتها بين سكان الجزيرة ؛ غير أنه عندما زار الجزيرة الدكتور سميث – من شركة شرق أفريقيا الألمانية – بدأ الفرنسيون يسعون وينشطون إلى العمل في تلك الجزيرة ، وبعد عهد سينلي ، ضاع حماس واهتمام البريطانيين في جزيرة أنجوان إلى الحد الذي أعلن عنده الفرنسيون فرض حمايتهم على كل من جزيرة موهيلي ، وأنجوان وكومورو الكبرى في العام ١٨٨٦ ، دون أن يلاقوا في ذلك أية معارضة من أي جانب ؛ وبذلك مكن الفرنسيون لأنفسهم تمامًا من جزيرة مايوت .

وفي البداية كان الأرخبيل يحكم بطريق غير مباشر – كما هو الحال الآن – عن طريق السلاطين المحليين ، الذين كانوا يعملون في ظل الحاكم الفرنسي العام للاتحاد ، وفي العام ١٨٩٥ استخدم الفرنسيون الجزر لتكون نقطة يثبون منها إلى غزو مدغشقر ، ولكن ذلك لم يكن في مصلحة جزر الكومورو ، في نهاية المطاف ، وبخاصة بعد العام ١٩١٢ عندما جرى إلحاق تلك الجزر بجزيرة مدغشقر وبحكمها من العاصمة تناناريف Tananarive .

واعتبارا من العام ١٩٤٦ ومع قيام الجمهورية الرابعة في فرنسا ، أعطيت جزر الكومورو مقعدا واحدا في الجمعية الوطنية الفرنسية ، شغله سعيد محمد شيخ ، وهو إقطاعي كبير من أصدقاء فرنسا ، ظل يسيطر على الحياة السياسية في الأرخبيل إلى أن توفي في شهر مارس من العام ١٩٧٠ ، وبقي سعيد محمد شيخ ، في منصب نائب

جزر الكومورو إلى العام ١٩٦٢ ، وهو العام الذى منح الأرخبيل فيه " الحكم الذاتى " ، ثم غادر سعيد شيخ قصر البوربون ليصبح رئيسا للمجلس الحكومى فى موروني .

ويؤكد محارب وطنى من الكومورو أن :

المندوب السامى الفرنسي يحتفظ بجميع السلطات تقريبا مثل :

(أ) الدفاع والأمن ، والعلاقات الخارجية .

(ب) القانون المدنى والحقوق العامة .

(ج) يعد المندوب السامى مسئولا عن حماية حقوق وحريات الشعب التى يقرها الدستور الفرنسي سواء أكانت فردية أم جماعية : مثل المال والخزانة والائتمان ، والنقد الأجنبى والتجارة ، والصحافة والإرسال الإذاعى والتليفزيون ، وحق المواطنة والشرطة ، والتعليم العالى (وهو غير موجود)، كما أن من سلطته أيضا تغيير أو تعديل قرارات الغرفة المحلية أو حلها لصالح المصالح الفرنسية ، كما أن له أيضا حق النظر القانونى فى الإجراءات التى تتخذها السلطات المحلية وهو أيضا يصدر قرارات الإلغاء ؛ ولكل هذه الأسباب ، يتم تقديم جميع القوانين الإدارية فى جزر الكومورو إليه قبل سريان تنفيذها ، أو نشرها أو العمل بها من قبل مجلس حكومة كومورو(١٢) .

ودعما للمندوب السامى ، أرسل إلى هذه الجزر أكثر من أربعة كتائب من الفيلق الأجنبى واقاموا بها ، وبتوجيه من السادة الإقطاعيين ، والمسئولين الفرنسيين صوت السكان بأغلبية ساحقة لصالح الارتباط بفرنسا وذلك فى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٨ ، وتقليلا لجاذبية الاستقلال إلى حد كبير ، صدر فى العام ١٩٦١ قانون تضمن ما يسمى " بالشخصية " المستقلة لكل جزيرة من الجزر ، وبمقتضى ذلك القانون لن تبيح مطالبة سكان جزر الكومورو ، فى أى وقت من الأوقات ، بالاستقلال ، منح الاستقلال لكل جزر الأرخبيل ، ولكنه قد يعطى الاستقلال لكل جزيرة على حدة ، ومع ذلك ، أقر فى شهر أبريل من العام ١٩٧٠ سعيد إبراهيم – الذى جاء مواليا قوياً للفرنسيين بعد المرحوم سعيد محمد شيخ – بأن الاستقلال قد يكون أمرا حتميا ، غير أنه يتحتم الإعداد له إعدادا دقيقا(١٣) .

وفى الخارج ، بدأت حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو MOLINACO ، بقيادة عبده ساكارى تقود حركة الكفاح من أجل الاستقلال ؛ التى تأسست فى دار السلام

فى العام ١٩٦٣ ، وبدأت الحركة من قاعدتها فى تانزانيا ، وبدعم من لجنة تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية ، تكذب بشدة المزاعم الفرنسية حول الإنهاء الكامل للاستعمار فى أفريقيا ، مستخدمة لذلك الدعاية المكتوبة والإذاعات المختلفة من راديو تانزانيا ، وفى الجزر ذاتها بدأ الحزب فى تنظيم الخلايا السرية ، ونشط الحزب بشكل ملحوظ بين الشباب فى المدارس الثانوية ، وفى شهر فبراير من العام ١٩٦٨ تظاهر هؤلاء الشباب ثلاثة أيام ضد الحكم الفرنسى ؛ واستمر إضراب طلاب الليسيه مدة تزيد على شهر ، وألقى القبض على حوالى ٢٠٠ طالب وبعض الكبار أيضًا ، وحوكم – بعد ذلك – الكثيرون من هؤلاء الذين ألقى القبض عليهم وصدرت ضدهم أحكام تتردد بين سنتين وخمس سنوات .

– وكان برنامج حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو (موليناكو) يشتمل على ثلاث نقاط أساسيه هى :

أ – الاعتراف بالأحزاب السياسية حتى يتسنى إعداد وتنظيم شعبنا للوصول إلى الاستقلال الكامل .

ب – إصلاح النظام الانتخابى الحالى عن طريق قانون يعترف بحق المواطن الكومورى وحقه القانونى فى الترشيح الفردى وبالتالى حقه فى جدول انتخابى .

جـ – تحديد تاريخ لاستقلال البلاد بعد انتخاب أو استفتاء عام يتم فى ظل تحكيم دولى (الأمم المتحدة أو منظمة الوحدة الأفريقية [١٤]) .

– يضاف إلى ذلك أن هذا البرنامج هو نفس برنامج الحزب الاشتراكى الكومورى PASOCO (باسوكو) الذى يحتفظ لنفسه بعلاقات وثيقة مع حزب حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو ، مع ذلك فإن الحزب الاشتراكى الكومورى وعلى العكس من مولىناكو وبرغم حظره أيضا بمقتضى القانون الفرنسى لعام ١٩٠١ والمادة ٨٠ من قانون العقوبات الفرنسى ، بالرغم من كل ذلك ؛ إلا أنه يتمتع بوجود شرعى فى الأرخبيل .

والاتحاد الديموقراطى لجزر الكومورو ، وهو الحزب الحكومى الموالى لفرنسا ويرأسه سعيد إبراهيم ، وفى شهر أغسطس من العام ١٩٦٨ – ومع صحوة مشاعر الاستقلال ، تكوّن حزب معارضة رسمية تحت إسم التجمع الديموقراطى لشعب الكومورو RDPC (ردبك) ، وأدان ذلك التجمع الديموقراطى لشعب الكومورو " الصياغة الاستقلالية " التى قدمها الحزب الاشتراكى الكومورى ، وقدم بدلا منها

ما أسماه بالبديل السياسى فى إطار " الحكم الذاتي الداخلى "، وراح حزب (ردبك) برئاسة محمد جعفر وأمينه العام موزابور عبد الله : يسعى إلى مزيد من الحريات السياسية على حين كان يؤكد على بقاء الوجود الفرنسى ، أضف إلى ذلك ، أن التردد فى منح تلك الحريات هو الذى أدى إلى تكوين الحزب الاشتراكى الكومورى برغم أن كل أعضاء ذلك الحزب تحتم عليهم أن يتحملوا كل أشكال التهديد والتخويف غير الرسمية ، فضلا عن ضياع وظائفهم ، وإلقاء القبض عليهم بلا مبرر ، ومراقبة الشرطة لهم بصورة مستمرة .

وزادت مصاعب حزب الاتحاد الديموقراطى لجزر الكومورو UDC ، وزادت أيضا مشكلاته ؛ والسبب فى ذلك أن سعيد إبراهيم عجز تماما عن التكامل مع الانشقاق داخل حزبه ، كما فشل أيضا فى مواجهة الأغلبية الساحقة ، داخل حزبه ، التى كانت تطالب بالاستقلال ، وفى شهر ديسمبر من العام ١٩٧٠ استقال خمسة أعضاء من حكومة سعيد إبراهيم ، تعبيرا عن أمل مفاده أنه قد يتوصل إلى برنامج جديد يكون بمثابة استجابة لآمال شعوب الأرخبيل (١٥) ، وفى يوم ٦ من يونية من العام ١٩٧١ ، أجريت انتخابات جديدة ، ولكن ذلك لم يقدم حلاً سريعا للازمة التى نشبت بخصوص الاستقلال ، ومع بداية الأزمة زار عبده ساكارى الولايات المتحدة للتحدث نيابة عن حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو (موليناكو) ، وبعد أن عاد الزعيم الوطنى إلى دار السلام صرح بأن هناك " ثورة هادئة " يجرى الإعداد والتحضير لها فى جزر الكومورو ، وحذر أيضا أنه ما لم يتم منح الاستقلال فى وقت قريب جداً فإن حركة موليناكو لن تتردد فى اتخاذ " الإجراءات المناسبة " ، وبذلك أعطيت فرنسا فرصة الاختيار بين أن تجعل من وعودها المغلفة بإنهاء الاحتلال حقيقة واقعة أو اللجوء إلى الكفاح المسلح فى منطقة بعيدة عن الشاطئ الأفريقى ، وظهر واضحاً أن ما يجرى فى جزر الكومورو لم يكن غائبا عن شعب الريونيون على الجانب الآخر فى جزيرة مدغشقر علماً بأن منظمة الوحدة الأفريقية لم تعترف بذلك الكفاح فى ذلك الجزء من إدارة ما وراء البحار فى فرنسا (التى كانت مستعمرة منذ ١٦٤٢) ؛ فقد ضاقت ذرعا بالانتخابات المزورة ، والاقتصاد الزراعى المدمر والتخلف القائم هناك ، وأوضح الكفاح الوطنى غير المعلن الذى كان يقوده بول فرجين ، رئيس الحزب الشيوعى الشقيق الأصغر للحزب الشيوعى الفرنسى المخيف اللامبالى – الذى ظل لفترة طويلة يسيطر ويتحكم فى الشئون الداخلية لهذا الحزب الشقيق – أو لسحق هذا المسار عن طريق البيروقراطيين أو رجال الشرطة فى الجمهورية الفرنسية الخامسة (١٦) ، وضح أن الحزب الشيوعى لن يسمح مطلقا بعد اليوم بتجاهل ذلك الكفاح أو تهميشه .

٣ - جـــزر الـكـنـارى

حركة تقرير مصير واستقلال الأرخبيل الكناري

(مبياك) MPAIAC

لم تعترف لجنة تحرير أفريقيا فى اجتماعها الذى عقد فى الجزائر فى شهر يوليه من العام ١٩٦٨ ، بحركتى التحرير المتنافستين فى أقليم عفر والعيسى ، فى المناطق الفرنسية فحسب ، بل إنها أيضا أثارت دهشة بعض الناس - ليس فى مدريد وحدها - بمنح اعترافها المؤقت لحركة تقرير مصير واستقلال الأرخبيل الكنارى (إمبياك) ، وهذه الحركة عبارة عن حزب سياسى سرى يعمل من مركز رئاسته العامة فى الجزائر ، ويطالب بالتقرير الذاتى للمصير ، ثم الاستقلال فى النهاية لجزر الكنارى، ولا يمكن للمرء نتيجة اطلاعه على الكتيبات السياحية الإرشادية التى تصدرها وزارة السياحة و الإعلام الإسبانية فى كل أنحاء شمال أوربا - وبخاصة خلال شهور الشتاء الموحشة - أن يربط بأى حال من الأحوال ، جزر الكنارى بأفريقيا أو بالكفاح السياسى ، ومع ذلك فإن منظمة الوحدة الأفريقية ، فى الجزائر أصدرت ، فى شىء من التردد ، قرارا مفاده أن جزر الكنارى لم تكن جزء أساسيا من إسبانيا ولكنها عبارة عن أرخبيل أفريقى وان النضال من أجل تحريره يتطلب مساعدة الدول الأفريقية المستقلة .

ويتكون أرخبيل الكنارى من سبعة جزر كبيرة هى : جزيرة لانزاروت ، وفويرتفنتورا ، وكنارى الكبرى ، وتناريف ، وجوميرا، و بالما ، وهايرو ؛ بالإضافة إلى ستة جزر صغيره أخرى ، وتبلغ المساحة الإجمالية لتلك الجزر حوالى ٢٨٠٧ ميل مربع ؛ كما يصل عدد سكانها إلى حوالى ٨٦٠٠٠٠ نسمه ، وتقع جزر الكنارى إلى الخلف وبعيدا عن الصحراء الإسبانية وإفنى ، ونقلا عن وصف رينى بليسير[١٧] لتلك المنطقة فإن : المنطقة الأولى عبارة عن أرض أجنبية أعيدت إلى المغرب أما الجزء الثانى فهو عبارة عن منطقة رملية واسعة ، وغير مأهولة تماما بالسكان .

وبعد أن ادعت البرتغال ملكيتها لجزر الكنارى ، استولى النورمانديون بطريقة متدرجة ومنظمة على تلك الجزر فى عهد الكونت جان دى بيتنكورت ، وذلك فى مطلع القرن الخامس عشر .

ثم استولى الأسبان بلا منازع على تلك الجزر فى الفترة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، و أدخلت زراعة قصب السكر إلى تلك الجزر ، وكانت الأساطيل الإسبانية المتجهة إلى الأمريكتين تتوقف عند تلك الجزر قبل عبورها المحيط الأطلنطى ، وفى ذات الوقت كانت تلك الجزر تحتفظ بعلاقات تجارية وثيقة - سواء أكانت شرعيه أم غير شرعية - مع المغرب ، وفى القرن السابع عشر كان نبيذ جزر الكنارى (الذى نوه عنه شكسبير) يتمتع برواج كبير فى أوربا إلى أن دمر ميناء جراشيكو على أثر

ثورة بركانية ، ثم تدنى إنتاج النبيذ إلى أنواع رديئة نتيجة التلف الشديد الذى أصاب الكروم فى العام ١٨٥٣ ، أما الحاصلات الرئيسه فى الجزر اليوم فهى الموز والطماطم والبطاطس والتبغ .

وأهل هذه الجزر - وهم السكان الوطنيون الأصليون - عرفهم الرومان من خلال القصص التى رواها لهم الملك جوبا ، ملك موريتانيا ، وكان يطلق عليهم اسم الجوانشه ، وينوه المؤرخ بلنى عن إحدى البعثات التى أرسلت إلى الأرخبيل فى العام ٤٠ ق . م ، أما اسم الكنارى الذى معناه أرض الكلاب فقد أطلق على الجزر نتيجة لذيوع صيت سكان تلك الجزر وتملكهم للعديد من الكلاب التى تستخدم فى حراسة قطعان الأغنام ، ومع أن العرب أيضا زاروا تلك الجزر فى أوائل العصور الوسطى إلا إنهم لم يستقروا بها ، زد على ذلك ، أن بحارة السفن البرتغالية التى كانت تبخر بمحاذاة الساحل الأفريقى فى اتجاه الهند ، كانوا ينزلون إلى تلك الجزر ؛ وبالرغم من ذلك وهب البابا كليمنت السادس الأرخبيل إلى " إنفانت دون لويز " الذى كان ملكا على إسبانيا فى العام ١٣٤٤ كى يتسنى له تأسيس مملكة مسيحية فى جزر الكنارى ، وبرغم إعلان إسبانيا عن تلك الجزر ضمن ممتلكاتها فى العام ١٤٩٦ إلا أن البرتغاليين وكذلك الفرنسيين والمغاربة والجزائريين وكذلك البريطانيين (١٨) لم يقروا ذلك الادعاء أو يقبلوه .

وأصل الجوانش لم يعرف بعد ، لكنهم هم السكان الأصليون لتلك الجزر ، رغم أن الرحالة الأوربيون الأول لم يقدموا سوى القليل من المعلومات عن النظام الاجتماعى فى تلك الجزر ، إلا أنهم يصفون السكان بأنهم ينقسمون إلى قسمين : أحدهما شعب الكروماجنون الذين لهم بشره بيضاء وعيون زرقاء ؛ و الثانى لهم بشره بيضاء أيضا ولكنهم خليط من النوع الأول والطابع العرقى الخواسانى (١٩) ، أما الجوانش فهم من الفلاحين و الرعاة ، ويقوم اقتصادهم أساسا على تربية الماعز ، وينقسم مجتمع الجوانش بصورة واضحة إلى طبقات يتميز الأرستقراطيون فيها بملابسهم الفاخرة ، وبرغم مقاومة الجوانش البطولية لاحتلال جزرهم إلا أن قوى أكبر منهم استطاعت إخضاعهم ، ومع مطلع القرن التاسع عشر بدأ الركود والكساد الاقتصادى والفقر المدقع يشجع من جديد على التعبير والإعراب عن آمال الاستقلال ، وبرغم استيطان بعض الإسبان تلك الجزر ، إلا أن السكان الإصليين فيها بقوا على وعى كامل بأصولهم العرقية ، وبعد ضياع الكثير من الإمبراطورية الإسبانية فى أجزاء أخرى من العالم - مثل كوبا والفلبين - نمت من جديد مشاعر الانفصال ، وترتب على ذلك

إرسال القوات الإسبانية من جديد لإخماد تلك الحركة التى استطاعت فى العام ١٩٠٩ الاستيلاء والسيطرة لمدة ثلاث سنوات على مدينه لاجونا فى تناريف .

ومن الناحيـة السياسـيـة ، قدمت مدريد بعض التنازلات بأن منحت المجالس المحلية المزيد من الاستقلال الذاتى ، و أدى ذلك إلى تهدئة الموقف ولم تحدث هناك أية تغييرات أساسية إلى أن استولى فرانكو على السلطة فى إسبانيا فى العام ١٩٣٩ ، والغى الفلانجيون الامتيازات التقليدية فى الجزر ، كما قاموا أيضا بتنفيذ سياسة قـاسيـة لا ترحـم من أجل إحـداث التكامل والادمـاج ، وبرغم قـبـول سكان الجـزر للحضارة الإسبانية ، إلا أنهم لم يسعدوا بالابعاد المحدودة التى كان ينطوى عليها التكامل الاقتصادى مع إسبانيا ، والارتفـا ع الشديد فى تكاليف المعيشة أثناء الحرب العالمية الثانية ؛ فقد هاجر خلال تلك الفترة الكثيرون من سكان الجزر إلى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وبخاصة إلى فنزويلا .

وبعد الحرب ، وبعد ازدهار الطبقات المتوسطة فى غرب أوربا بدأ " مناخ " الجزر " المثالى " يجذب إليها عددا متزايدا من السياح وبخاصة فى شهور الشتاء ، ومع أن جزر الكنارى تعانى فى بعض الأحيان من الجفاف الذى يعد كارثة للمحاصيل والماشية – الأمر الذى نتجت عنه صحارى صغيرة على بعض الجزر – إلا أن متوسط درجات الحرارة يعد أمرا مقبولا على مدار العام ، ويتردد ذلك المتوسط بين ٥٩ و ٦٨ فهرنهيتية ، فى ظل ظروف السماء الصحو الصافية .

وفيمـا يتعلق بالجوانش ، فـقـد أدى الجفاف ومنافسـة المنتجين الزراعيين فى شمالى أفريقيا لهم فى الأسواق الأوربية إلى خلق أزمة إقتصاديه مستمرة ، وبرغم قوانين العمل الصـارمـة التى فـرضـهـا فرانكو هدد عمـال الموانئ وعمـال البحـر بالإضراب فى ميناء تناريف وأجبروا السلطات على زيادة أجورهم ، وفى شهر يناير من العام ١٩٦١ انفصل حوالى ٥٠٠ من سائقى سيارات الأجرة عن الاتحاد الرسمى الذى تسيطر عليه الحكومة ليكونوا جمعية تعاونية ، وفى شهر فبراير جدد عمال البحر وعمال الموانئ كفاحهم ، ولكن السلطات انتقمت منهم فى تلك المرة بإلقاء القبض على إثنى عشر منهم حامت حولهم الشبهات بأنهم من العسكريين ، كما ألقى القبض أيضا على أنطوينو كوبيلو الذى قام بالدفا ع عنهم ، وفى شـهـر مـايو قـام ١٥٠٠ من عـمـال المخابز الذين طردوا من أعمالهم بشن مظاهرات عنيفة فى تناريف ؛ وظهرت خلال تلك المظاهرات منشورات تطالب بتقرير المصير و الاستقلال ، وبذلك أصبح الكفاح الاقتصادى للطبقة العاملة على الجزر يرتبط بآمال الاستقلال .

وقدر لتلك الحركة أن يتسع مجالها ، وأضرب عمال ميناء سانتا كروز دى تناريف فى شهر يناير من العام ١٩٦٢ ، كما كانت الشرطة أيضا تقوم فى شهر مارس بمراقبة حملة سرية تعمل لصالح الاستقلال ، وألقى القبض مرة ثانية على كوبيلو فى ٤٢ من مارس ، ولكنه أطلق سراحه بعد ذلك بفترة قصيرة ، وفى اليوم التالى توقفت مباراة كرة القدم التى كانت تقام فى لاس بالماس فى جزيرة كنارى الكبرى ؛ ثم اندلعت مظاهرة كبيرة انتشرت إلى كل أنحاء المدينة حيث راح عدد من الناس يقدر بحوالى ١٥٠٠٠ نسمه يرددون شعارات مثل يحيا الاستقلال ، و' أخرجوا الإسبان '، وانتقمت السلطات لذلك بأن ألقت القبض على الزعماء الانفصاليين ؛ كما حكم على واحد منهم وهو المحامى فرناندو سجازيتا بالسجن لمدة ثمانى سنوات ، أما كوبيلو فقد أطلق سراحه بصورة مؤقتة ، ثم هرب بعد ذلك إلى المنفى هربا من حكم السجن وعلى أمل أن يتسنى له تنظيم نفسه .

وفى النهاية أنشأ المهندس الشاب مكتبا فى الجزائر ، وكان أمامه واجب صعب يتمثل فى : أولا إقناع الزعماء الأفارقة المتشككين بأن يولوا جزر الكنارى اهتمامهم ؛ وثانيا : إنه كان يتعين على ذلك المحامى الشاب أن يكون من العفر تنظيما سريا فى الأرخبيل ، وبعد أن انعقد المؤتمر الذى نظمه المهاجرون من جزر الكنارى ، والذين كان من بينهم بعض الأمريكيين الجنوبيين ، تكونت فى الجزائر حركة تقرير مصير واستقلال الأرخبيل الكنارى (امبياك) فى العام ١٩٦٤ وأعلنت تلك الحركة الأهداف الآتية :

الكفاح بجميع الوسائل والقوى فى سبيل الحصول على الحق الطبيعى الشرعى المقدس لتقرير المصير والاستقلال ؛ وأيضا من أجل إنشاء جمهورية اشتراكية ، فى الأرخبيل الأفريقى لجزر الكنارى فى الوقت المناسب بحيث تكون جمهورية قادرة على تمثيل نفسها وإثبات وجودها أمام شعوب العالم الأخرى ، كما تعبر تلك الجمهورية أيضا عن الآمال الاشتراكية الثورية العادلة لشعوب[٢٠] جزر الكنارى .

ولم يثر ذلك الموقف الواضح البين بشأن الاستقلال الاستياء فى مدريد فحسب بل إنه أدى أيضا إلى إدانة الزعماء الجمهوريين الإسبان فى المنفى لذلك الموقف نظرا لأنهم كانوا يعدون جزر الكنارى أراض إسبانية ، وحاولت دول أفريقية كثيرة تجنب تلك المشكلة بسبب علاقاتها السياسية والاقتصادية ذات الطابع الخاص ، وفى مطلع يوليو العام ١٩٦٨ اشتكت حركة تقرير مصير و استقلال الأرخبيل (إمبياك) من

العداء الذى تواجهه قضيتها حتى بين الدول الإحدى عشر الأعضاء فى لجنه تحرير أفريقيا التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية ، غير أنه بفضل مساندة الحكومة الجزائرية استطاعت لجنه تحرير أفريقيا فى النهاية أن تحظى بقبول الكفاح التحررى لجزر الكنارى قبولا شرعيا فى ٢٢ من يوليه من العام ١٩٦٨ ، وباستثناء جريدة ' لوموند ' وبعض المطبوعات المتخصصة ، مر الحادث دون أن يرد عنه أية تقارير فى الصحافة العالمية ، بل إن " الإسبان التقدميين المزعومين قدموا احتجاجا مرا مفاده أن الجوانش " ليسوا سودا " ومن ثم فإنهم ليسوا جزءً من أفريقيا ، غير أن هذا النقد نفسه كان يمكن - بل إنه ورد بالفعل - أن يقال عن الشعوب الإفريقية شمالى الصحراء ، وبالنسبة لمن كانوا يؤكدون أن الحركة الانفصالية فى جزر الكنارى ليست سوى طيف من أطياف الخيال الجامح لرجل واحد - هو أنطوينو كوبيلو - نجد أن جميع المظاهرات غير الشرعية و الأعمال العسكرية التى وردت عنها تقارير من جزر الأرخبيل ترتبط بمطالب تقرير المصير و الاستقلال .

وعلى الأرض الأفريقية الأم نجد أن المواقع الخارجية المتبقية لإسبانيا من إمبراطوريتها تنتظر الإطاحة بهما ؛ إذ استقلت غينيا الاستوائية فى العام ١٩٦٨ ، وبرغم أن حكومة فرانكو كانت تراودها رغبة فى أن تسمح فى النهاية بضم جزيرة إلنى Ilni إليها ، إلا أن الحكومة كانت تعارض ، فى غير مرونه ، إعادة منطقتى سبتة Ceuta ومليله Melilla إلى المغرب ، وقد أدت المطالب المتصارعة لكل من المغرب و موريتانيا حول استقلال الساقية الحمراء وريو دو أورو (الصحراء الإسبانية) إلى وصول ذلك الأمر إلى طريق مسدود بشكل كبير ، وفى العام ١٩٦٧ كان يسكن ذلك الإقليم الغنى بالفوسفات و الذى تبلغ مساحته ٢٦٦٠٠٠ ميل مربع حوالى ٥٠٠٠٠ نسمة من الأفارقة ، و ٩٠٠ من المدنيين الإسبان إضافة إلى أكثر من ١٠٠٠٠ رجل من القوات الإسبانية ، وتقول التقارير التى وردت من الجزائر فى العام ١٩٧٠ أن حركة للتحرير قد تكونت فى الصحراء الإسبانية وأطلقت على نفسها اسم " النظام Nidam " ، وإن تلك الحركة تطالب بحق تقرير المصير وإنهاء الحكم الإسبانى ، ومن الواضح أن الأمر جاء مبكرا إلى الحد الذى يصعب معه التكهن بخط سير ذلك الكفاح وكذلك الخط الذى كان يسير عليه الكفاح فى جزر الكنارى ؛ إذ كان لا يزال فى أيدى

القوات الأوربية مثله فى ذلك مثل جميع أشكال الكفاح الأخرى فى جميع الجزر الأفريقية ، كما أن ذلك الكفاح يمكن أن يكون صعبا ومريرا و بخاصة فى الظروف المحددة التى يتحتم أن يدور فيها ذلك الكفاح ، غير أن كوامى نيكروما هو الذى أصر - قبل الإطاحة به إلى المنفى بوقت طويل - على أن أفريقيا نظرا لأسباب عدة لا يمكن أن تتجاهل مصير الجزر البعيدة عن شواطئها ، كما أن التحرر الأفريقى يعنى تحرير كل جزء من أفريقيا مهما يكن ذلك الجزء بعيدا .

الهوامش

(١) تيد جير وفيلكس جروس ، ' السياسة العالمية والمناطق ' (نيويورك ، نيويورك يونيفرستى برس عام ١٩٦٦ ، يقدر عدد الأشخاص فى مناطق هود و أوجادن بإثيوبيا بحوالى مليون نسمة و ٢٤٠ ألف نسمه أخرى فى كينيا و ٣٧٠٠٠ نسمة أخرى فى أرض الصومال الفرنسى وكلهم يتكلمون اللغة الصومالية .

(٢) أ، م ، لويس ، " التاريخ الحديث لأرض الصومال " (لندن ، ويدنفيلد و نيكلسون عام ١٩٦٥) صفحة ١٧٨ و ١٧٩ .

(٣) انظر ايمانويل والرشتاين : أفريقيا سياسات الوحدة (لندن ، بول مول ١٩٦٨) صفحة ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) انظر جون درسديل " مشكلة أرض الصومال الفرنسى " افريكان ريبورت (نوفمبر عام ١٩٦٦)،

(٥) مقتبسة عن المرجع السابق .

(٦) كولين ليجيم ، " أفريقيا هاندبوك " صفحه ١٣٠ .

(٧) انظر ميشيل بيجرس " جزر الكومورو : أرخبيل وجزيرة ،لوموند ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٠ ، ١٤ من يناير من العام ١٩٧١) .

(٨) انظر جين مارتين " أرخبيل الكومورو " المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الأفريقية (العدد ٤٤ أغسطس عام ١٩٦٩) .

(٩) إشارة هنا إلى القرابة من ناحية الأم التى تكتب دورا كبيرا بين هؤلاء القوم (المترجم) .

(١٠) عبده ساكارى يوينا ، " الكومورو : مواجهة الواقع فيها " تريكو نتيننتال (عدد ٤٩ إبريل عام ١٩٧٠) .

(١١) مارتن ، أرخبيل جزر الكومورو .

(١٢) عبده ساكارى يوينا ، " جزر الكومورو : مواجهة الواقع".

(١٣) لوموند (١ من يناير عام ١٩٧١) .

(١٤) مذكرة مقدمه من حركه التحرير الوطنى لجزر الكومورو (موليناكو) ، فى المؤتمر التحضيرى لدول عدم الانحياز فى دار السلام ، بلا تاريخ .

(١٥) التايمز (٢٩ من ديسمبر عام ١٩٧٠) .

(١٦) انظر الريونيون فى مواجهة الاستعمار تريكو نتنتال (كل شهرين) ، العدد ٢ ، مارس – أبريل عام ١٩٦٩) .

(١٧) رينى بليسير ، " صناديق الرمال الإسبانية فى أفريقيا " أفريكا ريبورت (فبراير عام ١٩٦٦) .

(١٨) يرجع المؤلف الفضل فيما أورده عن جزر الكنارى وإمبياك إلى ما كتبه الفريد ومارجاريدو فى جزر الكنارى بين أوربا وأفريقيا ' فى المجله الفرنسية للدراسات السياسية الأفريقية (العدد ٣٣ سبتمبر عام ١٩٦٨) ، قام مارجا ريدو بعمل رائد عندما بدأ يكتب عن الأرخبيل .

(١٩) انظر مارجاريدو ، " جزر الكنارى " .

(٢٠) مقتبسه فى مارج ريدو ، " جزر الكنارى " .

القسم السابع

خاتمة وبداية

يقول هيجل فى كتابه " محاضرات عن فلسفة التاريخ :
" إن تاريخ العالم لا يعنى سوى تقدم الوعى بالحرية "

هذا الاستعراض السطحى لهذا المسح لحركات التحرر الأفريقية مع اقتراب الربع الأخير من القرن العشرين يجعل قراءته أمرا محزنا وكئيبا ، وربما أمكن تفسير ذلك على أنه مؤشر لليأس والقنوط بالنسبة للقضية الأفريقية فى مواجهة الأقليات البيضاء " المحصنة " و المدعمة التى يساندها بشده أشقاؤها وأقاربها و أبناء جلدتها فى غربى أوربا وأمريكا الشمالية ، فى الوقت الذى حرمت فيه الجماهير الأفريقية بشكل واضح من أمور يسلم بها الجميع على أنها حقوق إنسانية أساسية ، هذا بالإضافة إلى أن تلك الجماهير تتحكم فيها بصورة متزايدة وتكبلُهاُ النظم الاقتصادية و السياسيه القائمة على الاستغلال .

ويتحتم على الحجج العنصرية الفكرية الضعيفة التى مفادها أن الرجل الأسود لا يصلح لحكم نفسه ، أو على المناشدة " بالتفهم " والصبر من جانب المراقبين الخارجيين ، وذلك نتيجة لعقده جوردون عن المركبات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، التى لم يمكن الكشف عن ألغازها إلا بعد فترة طويلة من الزمن ، إن علينا أن نكشف عن ' واقعية ' وأن نسلم أنفسنا – قبل كل شىء – الحقيقة التى مفادها أن هذا الوجود الذى نحياه ليس أفضل أشكال الوجود المتيسرة بصورها المختلفة ، إن هذا الموقف فرضته بالقوة حكومة المحافظين فى مطلع العام ١٩٧١ فى بريطانيا فى مواجهة الرأى العام العالمى عندما حاول إدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا تبرير قراره ببيع الأسلحة لحكومة الأبارتهيد فى جنوب أفريقيا ، أما السير أليك دوجلاس هيوم وزير الخارجية فلم يحاول الدفاع عن الأبارتهيد ، ولكنه أكد – بدلا من ذلك – النقاد الذين كانوا ينتقدون الحكومة أن الحكام البيض فى جنوب أفريقيا سوف يتغيرون نتيجه آثار " التَّمدُّن " القادمة من العالم الخارجى (١) ، هذه الآثار التى يمكن أن تأتى عن طريق التجارة ، والتى تشتمل بطبيعة الحال على صفقة السلاح ، وفى خطاب ألقاه وزير الخارجية فى بيوتنى فى ٣٠ من أكتوبر من العام

١٩٧٠ استهل تلك الأغنية الفاتنة بتأكيد مفاده: " إن العلاقات الطبيعية مع العالم الخارجي ، إضافة إلى التغيير الاقتصادى الحتمى فى الداخل يمكن أن تؤدى إلى تغييرات كبيرة فى الأبارتهيد فى جنوب أفريقيا على مر الزمن"(٢) .

والواقع أن التغييرات فى جنوب أفريقيا تعد أمورا حتميه غير أنه ليس هناك تطور منطقى تاريخى أو إقتصادى يتطلب أن تكون مثل هذه التغييرات فى صالح الجماهير الأفريقية المغلوبه على أمرها ، والحق ، أن تاريخ جنوب أفريقيا يؤكد ويثبت - عكس ذلك - ومنذ وصول حزب الأفريكانر الوطنى إلى السلطة فى العام ١٩٤٨ ، بدأت إجراءات القمع والتجريد ترمى بصورة مستمرة إلى تجريد الأغلبية الأفريقية من جميع حقوقها الدستورية ، كما يتم بصورة منظمة حرمان الأفارقة من جميع حقوقهم فى التعبير عن أرائهم السياسية ، وحق انخراطهم فى تنظيمات للدفاع عن مصالحهم ، بل وحرية الحركة لهم داخل وخارج البلاد ، كما يجرد الأفارقة أيضا من حقهم فى التعليم الذى يريدونه لأنفسهم ، وحقهم فى الزواج الذى يريدونه لأنفسهم ، علاوة أيضا على حقهم فى قبول العمل مع المساواة فى الأجور وظروف العمل ، أو حتى حقهم فى اختيار ممثليهم بطريقة ديموقراطية ، وبرغم أسطورة الوفاق متعدد الأجناس إلا أننا نستطيع أن نقف على الأسلوب نفسه فى روديسيا التى يحكمها المستوطنون وذلك منذ إعلان الاستقلال من جانب واحد ، كما نجد الأسلوب نفسه أيضا فى المستعمرات البرتغالية وبخاصه أن سيطرة جنوب أفريقيا على جميع الأجزاء الأخرى التابعة للحامية البيضاء تزداد قوة ، أضف إلى ذلك إهانات البوير التقليدية التى يجرى فرضها فى مناطق ما بعد حدود جمهورية جنوب أفريقيا .

إن هذا الكتاب يقدم جهدا صغيرا فى دراسة نظم الحكم البيضاء ، و الأحرى أن الاهتمام يتركز أصلاً على تنظيمات المقاومة الأفريقية لها ، كما أننى أدرك تماما أننى كنت أقوم فقط بوصف لعنصر واحد فى عملية ديالكتيكية (جدليه (٣)) بطريقة كما لو كان سيتحدد على أثرها جائزة لوصف المعارك التى خاضها واحد فقط من المقاتلين ، أما المبرر الوحيد فهو يتمثل فى تقديم أكبر قدر متيسر فى هذا الكتاب عن تاريخ وبنية نظم الحكم البيضاء وندرة المادة المقارنه الخاصة بالأشكال المختلفة لكفاح الشعوب الأفريقية ضد نظم الحكم تلك ، ومن سوء الطالع أن الكثير من المعلومات المخصصة لحركات التحرر لا تعدو أن تكون مجرد مادة للدعاية ، بالإضافة إلى أنها تتميز بطابع المديح والثناء إلى حد كبير ، كما أنها معلومات متحيزة أيضا بصورة مذرية ، زد على

ذلك أنها مررت بصورة عابرة ، على بعض المؤلفين الذين يجرحون المشاعر ، وتتمثل الجريمة الفاحشة لهؤلاء المؤلفين الذين يجرحون المشاعر فى أنهم حاولوا قصر مركب الكفاح على مجرد سذاجات الصور الذهنية ، كما كون هؤلاء المؤلفون لدى قرائهم فكرة غير صحيحة تماما مفادها أن الوطنيين الأفارقة يمكن تقسيمهم تماما عن طريق البيض أو القادمين من الخارج إلى أفارقة "خُلَّص" وأفارقة غير "خُلَّص"، كما وزعت أيضا شهادات الاعتراف – على ضوء الحفاظ والتمشى بصورة عامة مع الأهداف السياسية البعيدة للاتحاد السوفييتى فى أفريقيا – على أحزاب بعينها كانت تبدو متفقه مع تلك الأهداف ؛ برغم أنه لا توجد هناك حركة واحدة من حركات التحرير الأفريقية يمكن وصفها بأنها من صنع موسكو فقط ، وفيما يتعلق بجنوب أفريقيا ، ما تزال هناك محاولات متكررة من قبل " التقدميين " البيض لإنكار الطابع الوطنى الأفريقى للكفاح و التنويه إلى أن الوطنيين السود إنما هم "رجعيون" ، على حين يعد العمال العنصريون البيض المهرة مجرد أشقاء مضللين من طبقة واحدة ينتمى إليها السود .

وعلى الجانب الآخر نجد أن حركة الوحدة الأفريقية تعيش أزمة كاملة : فمن ناحية نجد أن منظمة الوحدة الأفريقية لم ترتفع إلى مستوى آمال مؤسسيها فى مساعدة الكفاح ودعمه لإزالة البقايا الأخيرة للحكم الاستعمارى وحكم الأقلية البيضاء من القارة الأفريقية ، وقد يكون الخطأ كامنا فى طبيعة ظروف الحلول الوسط ذاتها التى أدت إلى خلق منظمة الوحدة الأفريقية ولم تجعل منها هيئه ثورية إذ اختفى تماما حلم كل من نكروما وجورج بادمور ، منذ سنوات قلائل يعلق ناقد يسارى فرنسى تعليقا ساذجا على ذلك فيقول :

" لم تعد – فى هذه الأيام – حقيقة تمسك الأفريقى بأفريقيته أمرا له مغزى سياسى أكثر من مجرد مولده فى الدائرة الخامسة عشره من إحدى المناطق الفرنسية الكبيرة " (٤)، وكما رأينا بالفعل فإن الموقف بالنسبة للأفريقى فى المناطق الواقعة تحت الحكم الأبيض يختلف اختلافا كبيرا عن موقف ساكن شارع فوجيرارد ، إن الأفريقى الذى يعانى من المظالم والحرمان يعيش فى تناقض شديد وبالغ مع البنية السياسية والاقتصادية التى يكتشف وجود نفسه بها كنتيجة من نتائج التاريخ ، وقد حاولت ، فى الصفحات السابقه تصوير وتسجيل الأشكال النامية للكفاح من أجل التحرير تسجيلا تاريخيا فى حدود الإطار القومى لتلك الأشكال من الكفاح غير أنى

لم أستطع خلال هذا المسح الموجز المختصر أن أمس سوى تلك الأمور المعقدة التى يلزم الوقوف عليها حتى يتسنى لنا فهم ديناميكيات كل موقف من المواقف ، وطوال هذا المسح كنت أجد الأفريقى فى مواجهة الأفريقى لأسباب عدة - قبليه ، وأيدولوجيه أو شخصية - ولم أجد حالة واحدة - سوى فى بعض المناطق القليلة فقط - لحزب واحد يمكن أن نقول عنه بحق وأمانة إنه يمثل الآمال القومية لشعب أفريقى واحد فى مواجهة الحكم الأبيض ، أما التناقض الأساسى فلم يكن بين إفريقى وأفريقى ولكن بين الأفارقة والبيض الذين حاولوا أن يسلبوا الأفارقه أراضيهم وحريتهم .

وبعد نصف قرن من الجهود فى سبيل الإصلاح وآمال الأفارقة فى التحرر التدريجى لدى هذه الأغلبيات الأفريقية لا يبدو أن هناك أساس منطقى لمزيد من الإيضاحات عن التغير السلمى ، وإذا كان الأفارقة قد تعلموا درسا من تاريخهم ؛ هو أن العنف الثورى هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن يكسر أغلالهم فإن المطالبة بالحرية لا يكفى لها مجرد الرغبة فى الحرية ، وعلاوة على ذلك فإن النقاش بين الأفارقة بدأ فقط عندما بدأوا يسعون فى طلب الأسلحه النظرية والمادية والأشكال اللازمة للتنظيم ، وبرغم قنوات الاتصال القوية فى لندن ، وباريس وواشنطون وفى أماكن أخرى من أجل الحفاظ على الوضع الراهن ، إلا أن قطاعات عريضة من الرأى العام العالمى يتزايد اعترافها بجور وظلم الوضع الراهن ؛ كما أن تلك القطاعات تتردد فى الاعتراف " بأن العمل غير الدستورى هو الطريق الوحيد المفتوح " أمام السود المغلوبين على أمرهم ، و إذا ما استطردت فى كلام لجنة العمل التى عينتها إدارة الشئون الدولية التابعة للمجلس البريطانى للكنائس ، ومؤتمر الجمعيات التبشيرية البريطانية ، برئاسة فيليب ماسون نجد أنها تقول : "غير أنه يمكن أن تكون هناك ثورة عادلة وأيضا حرب عادلة ، كما أننا لا نستطيع أن نسحب تماما مساندتنا من أولئك الذين قرروا مواجهة المعاناة الحقيقية التى تنطوى عليها تلك الثورة (٥) "، ومع ذلك ، وكما اتضح خلال الستينات هناك الكثير من الأشخاص المخلصين فى موسكو ، وأيضا فى الغرب ، يخشون ويخافون الطوفان الثورى فى أفريقيا وفى أماكن أخرى من قارات العالم المتخلفة ، ويقول عبد الرحمن محمد بابو ، الوزير الثورى الزنزبارى فى الحكومة التانزانيه :

" بدأ اهتمام الاتحاد السوفييتى بالحركة الوطنية يتزايد ، وقد يكون ذلك سياسة طيبة بالنسبة للدولة الوطنية ، ولكن هل يمكن أن يتمشى ذلك مع المبادى التى

تسير عليها الدولة الاشتراكية ؟ ألم تعد ثورة التحرير الوطنى - كما كان الحال أيام لينين وستالين - جزءً من الكفاح وحلقة فى الكفاح الدولى ضد الإمبريالية والرأسمالية (٦) ".

وفى كل الأحوال ، نجد أن الأفارقة لا يقفون دون أصدقاء لهم ، برغم أن المرء ليس بحاجة إلى أن يكون من أتباع ماو حتى يؤمن بأن أحكم المجالس ربما كان ذلك الذى يدعو ويحث على الاستقلال الذاتى ، ويوضح لين بياو ذلك فيقول :

" إن الشعب لا يستطيع أن يطيح بالحكم الرجعى للإمبريالية ، وخدّامه من خلال الكفاح ، إلا بعد صحوة الشعب ، وتعبئته وتنظيمه وتسليحه ؛ ولا يمكن أن يحل محل الشعب أو يتولى العمل بدلاً منه أناس من الخارج ، وبهذا المعنى ، لا يمكن استيراد الثورة (٧) " .

وبدلا من الخاتمة يعيدنا هذا المسح لحركات التحرير الأفريقية إلى بداية الوعود المرة بكفاح طويل مرير من أجل الحرية والاستقلال الوطنيين .

الهوامــش

(١) التايمز (٢٣ من يولية عام ١٩٧٠) .

(٢) التايمز (٣١ من أكتوبر عام ١٩٧٠).

(٣)المترجم .

(٤) تحليلات ووثائق (العدد ١٠٠ فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٥) .

(٥) فيليب ماسون " العنف فى جنوب أفريقيا " تقييم مسيحى (لندن ، اس ، سى ، ام بريس عام ١٩٧٠) صفحة ٧٧ .

(٦) أ ، ر ، م ، بابو " وماهى اللينينية اليوم ؟ أزانيا نيوز (سبتمبر عام ١٩٧٠) .

(٧) لين بياو ، يحيا انتصار الحـــرب الشعبية (بكين ، صحافة اللغـــات الاجنبية عام ١٩٦٥) صفحة ٦٤ .

الجداول

جدول رقم (١)

حركات التحرير الرئيسية

South Africa : African National Congress (ANC) جنوب أفريقيا	المؤتمر الوطنى الأفريقى
Unity Movement (UMSA)	حركة الوحدة
Pan Africanist Congress (PAC)	مؤتمر الوحدة الأفريقية (باك)
South West Africa : South West Africa National Union (SWANU) جنوب غرب أفريقيا	الاتحاد الوطنى لجنوب غرب أفريقيا (سوانو)
South West Africa People's Organization (SWAPO)	المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو)
Zimbabwe : Zimbabwe African People's Union (ZAPU)	اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى (زابو)
Zimbabwe African National Union (ZANU)	الاتحاد الوطنى الزيمبابوى (زانو)

Front for the Liberation of Zimbabwe (FROLIZI)	جبهة تحرير زيمبابوى (فروليزى)
Angola : Movimento Popular de Libertacao de Angola (MPLA)	الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (مبلا)
Governo Revolucionario de Angola no Exilio / Frente Nacional de Libertacao de Angola (GRAE / FNLA)	الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى / الجبهة الوطنية لتحرير انجولا (جراى / فنلا)
Uniao Nacional Para a Independencia Total de Angola (UNITA)	الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا)
Guine and the Cape Verde Islands : Partido Africa no da Independencia da Gviné" e Cabo Verde (PAIGC)	الحزب الأفريقى لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر (بيجك)
Frente Para a Libertacao e Independencia da Guiné Portuguesa (FLING)	جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية (فلينج)
Mozambique : Frente de libentacao de Mo- cambigue (FRELIMO) موزمبيق	جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو)
Comite Revolucionario de Mocambigue (COREMO)	اللجنة الثورية لموزمبيق (كوريمو)

Sao Tomeè Principe : Comite de libertacao de Sao Tome e Principe (CLSTP) ساو تومى وبرنسيب	لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب
The French Territory of Afars and Issas : Front de Liberation de la Cote des Somalis (FLCS) المستعمرات الفرنسية فى عفر وعيسى	جبهة تحرير ساحل الصومال (فلكس)
Mouvement de Liberation de Djibouti (MLD)	حركة تحرير جيبوتى (ملد)
Les Comoros : Mouvement de Liberation Nationale des Comores	حركة التحرير الوطنى فى كومورو (موليناكو)
Les Canaries : Mouvement Pour L' Autoole-termination et L'Inde Pendance de Lrchipel Canarien (MPAIAC)	حركة تقرير مصير واستقلال الأرخبيل الكنارى (مبياك)

جدول رقم (٢)

حركات التحرير الأفريقية الرئيسية

(التنظيمات المعترف بها فى منظمة الوحدة الأفريقيه هى التنظيمات المكتوبة بالخط المائل)

جنوب أفريقيا :	- حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى (آنك) ANC - حركة الوحدة (أومسا) UMSA - مؤتمر الوحدة الأفريقية (باك) PAC
جنوب غرب أفريقيا :	- الاتحاد الوطنى لجنوب غرب أفريقيا (سوانو) SWANU - المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا (سوابو) SWAPO
زمبابوى :	- اتحاد شعب زيمبابوى الأفريقى (زابو) ZAPU - الاتحاد الوطنى الأفريقى الزيمبابوى (زانو) ZANU - جبهة تحرير زيمبابوى (فروليزى) FROLIZI .
أنجولا :	- الحركة الشعبية لتحرير أنجولا (ميلا) MPLA - الحكومة الثورية لانجولا فى المنفى (جراى) GRAE / الجبهه الوطنية لتحرير أنجولا (فنلا) FNLA - الاتحاد الوطنى لاستقلال كل أنجولا (يونيتا) UNITA

غينيا وجزر الرأس الأخضر	- جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية (فلنج FLING) والحزب الأفريقى لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر (بيجك) PAIGC
موزمبيق :	- جبهه تحرير موزمبيق (فريليمو) FHELIMO - اللجنة الثورية لموزمبيق (كوريمو) COREMO
ساو تومى وبرنسيب :	- لجنة تحرير ساو تومى وبرنسيب (كلستب) CLSTP
الأراضى الفرنسيه فى عفر وعيسى :	- جبهه تحرير ساحل الصومال (فلكس) FLCS - حركة تحرير جيبوتى (ملد) MLD
جزر الكومورو :	- حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو (مولىناكو) MOLINACO
جزر الكنارى :	- حركة تقرير مصير واستقلال الأرخبيل الكنارى (مبياك) MPAIAC

جدول رقم (٣)

المؤتمرات الأفريقية الرئيسية التى تناولت قضايا التحرير الأفريقى

المؤتمر الأول	للدول الأفريقية المستقلة ، أكرا ، ١٥ – ٢٢ أبريل ١٩٥٨
المؤتمر الأول	لحركة الوحدة الأفريقية فى شرقى ووسط أفريقيا ، موانزا ، تنجانيقا ، ١٦ – ١٨ سبتمبر ١٩٥٨
المؤتمر الأول لكل الشعوب الأفريقية	أكرا ٥ – ١٣ ديسمبر ، ١٩٥٨
مؤتمر وزراء خارجية	الدول الأفريقية المستقلة ، منروفيا ، ٤ – ٨ أغسطس ١٩٥٩
المؤتمر الثانى	لحركة الوحدة الأفريقية فى شرقى ووسط أفريقيا ، موشى ، تنجانيقا ، سبتمبر ١٩٥٩
المؤتمر الثانى	لكل الشعوب الأفريقية ، تونس ، ٢٥ – ٣٠ يناير ، ١٩٦٠
المؤتمر الثانى	للدول الأفريقية المستقلة ، أديس أبابا ، ١٥ – ٢٤ يونيه ١٩٦٠
المؤتمر الثالث	لكل الشعوب الأفريقية ، القاهرة ، ٢٣ – ٣١ مارس ١٩٦١
المؤتمر الثالث	لحركة الوحدة الأفريقية فى شرقى ووسط أفريقيا (الذى وسع هذا التنظيم وأطلق على نفسه اسم حركة وحدة الحرية الأفريقية فى شرقى ووسط وجنوب أفريقيا) أديس أبابا ، فبراير ١٩٦٢

منظمة الوحدة الأفريقية

اجتماعات رؤساء الدول والحكومات

مؤتمر القمة فى أديس أبابا	٢٢ - ٢٥ مايو ١٩٦٣
الدورة العادية الأولى ، القاهرة	١٧ - ٢١ يوليو ١٩٦٤
الدورة العادية الثانية ، اكرا	٢١ - ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥
الدورة العادية الثالثة ، أديس أبابا	٥ - ٩ نوفمبر ١٩٦٦
الدورة العادية الرابعة ، كينشاسا	١١ - ١٤ سبتمبر ١٩٦٧
الدورة العادية الخامسة ، الجزائر	١٣ - ١٦ سبتمبر ١٩٦٨
الدورة العادية السادسة ، أديس أبابا	٦ - ٩ سبتمبر ١٩٦٩
الدورة العادية السابعة ، أديس أبابا	١ - ٤ سبتمبر ١٩٧٠
الدورة العادية الثامنة ، أديس أبابا	٢١ - ٣٠ يوينو ١٩٧١

مجلس الوزراء

مؤتمر ما قبل القمة	أديس أبابا ، ١٥ – ٢١ مايو ١٩٦٣
الدورة العادية الأولى	داكار ، ٢ – ١١ أغسطس ١٩٦٣
الدورة الطارئه الأولى	أديس أبابا ، ١٥ – ١٨ نوفمبر ١٩٦٣
الدورة الطارئه الثانية	دار السلام ، ١٢ – ١٥ فبراير ١٩٦٧
الدورة العادية الثانية	ليجوس ، ٢٤ – ٢٩ فبراير ١٩٦٤
الدورة العادية الثالثة	القاهرة ، ١٣ – ١٧ يوليو ١٩٦٤
الدورة الطارئه الثالثة	أديس أبابا ، ٥ – ١٠ سبتمبر ١٩٦٤
الدورة الطارئه الرابعة	نيويورك ، ١٦ – ٢١ ديسمبر ١٩٦٤
الدورة العادية الرابعة	نيروبى ، ٢٦ فبراير – ١٩ مارس ١٩٦٥
الدورة الطارئه الخامسة	ليجوس ، ١٠ – ١٣ يونيو ١٩٦٥

الدوره الطارئه السادسة	أديس أبابا ، ٣ – ٥ ديسمبر ١٩٦٥
الدورة العادية السادسة	أديس أبابا ، ٢٨ فبراير – ٦ مارس ١٩٦٦
الدورة العادية السابعة	أديس أبابا ، ٣١ أكتوبر – ٤ نوفمبر ١٩٦٦
الدورة العادية الثامنة	أديس أبابا ، ٢٧ فبراير – ٤ مارس ١٩٦٧
الدورة العادية التاسعة	كينشاسا ، ٤ – ١٠ سبتمبر ١٩٦٧
الدورة العادية العاشرة	أديس أبابا ، ٢٠ – ٢٤ فبراير ١٩٦٨
الدورة العادية الحادية عشر	الجزائر ، ٤ – ١٢ سبتمبر ١٩٦٨
الدورة العادية الثانية عشر	أديس أبابا ، ١٧ – ٢٢ فبراير ١٩٦٩
الدورة العادية الثالثة عشر	أديس أبابا ، ٢٧ أغسطس – ٦ سبتمبر ١٩٦٩
الدورة العادية الرابعة عشر	أديس أبابا ، ٢٧ فبراير – ٦ مارس ١٩٧٠
الدورة العادية الخامسة عشر	أديس أبابا ، ١٥ – ١٩ يونيو ١٩٧١

مصطلحات الكتاب

Abreviation	Term	Arabic term
OSPAAAL	African, Asian, and latin American People's solidarity Organization	منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية وأمريكا اللاتينية .
AAPSO	African, Asian People's Solidarity Organization.	منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية
SWANLIF	South West Africa National Liberation Front.	جبهة التحرير الوطنية لجنوب غرب أفريقيا
SWADU	South West Africa Democratic Union.	اتحاد جنوب غرب أفريقيا الديمقراطى
SWANUF	South West Africa National United Front.	الجبهة القومية الموحدة لجنوب غرب أفريقيا
SWAPO	South West Africa People's Organization.	المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا
SWANU	South West Africa National Union.	الاتحاد الوطنى لجنوب غرب أفريقيا
SWANIO	South West Africa United National Independent Organization.	المنظمة الوطنية المتحدة المستقلة لجنوب غرب أفريقيا
SWACO	South West Africa Couloured's Organization.	منظمة الملونين فى جنوب غربى أفريقيا
SWAPA	South West Africa Progressive Association.	الاتحاد التقدمى لجنوب غرب أفريقيا
NUDO	National Unity Democratic Organization.	المنظمة الديمقراطية للوحدة الوطنية .

GRAE	Governo Revolucionario de Angola no Exilio.	الحكومة الثورية لأنجولا فى المنفى .
P.I. D.E	Policia Internacionale de Defesa de Estado.	الشرطة السرية البرتغالية
UNITA	Uniao Nacional Para a Independencia Total de Angola	الاتحاد الوطنى لاستقلال كل انجولا
MPLA	Movimento Popular de Libertacao de Angola	الحركة الشعبية لتحرير انجولا
OPO	Ovamboland People's Organisation	المنظمة الشعبية للاراضى الأوفمبية
Rhodesia	Zimbabwe	روديسيا
ZAPU	Zimbabwe African People's Union	إتحاد شعب زيمبابوى
FROLIZI	Front for the Liberation of Zimbabwe	جبهة تحرير زيمبابوى
U.D.I	Unilateral Declaration of Independence	إعلان الاستقلال من جانب واحد
ANC (S.R.)	African National Congress of Southern Rhodesia	حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى لجنوب روديسيا
AVA	African Voice Association	رابطة الصوت الأفريقى
MDIA	Mouvement de Defense des Interets de l'Angola	حركة الدفا ع عن مصالح أنجولا .
ALC	African Liberation Committee	لجنة تحرير أفريقيا
FLEC	Front Pour la Liberation de l'enclave de Cabinda	جبهة تحرير كابندا
CPA	Conselho de Povo Angolano = Council of the Angolan people	مجلس الشعب الأنجولى

CRC	Comite Revolutionnaire de Revoutionaire de Cabinda .	اللجنة الثورية الكابندية
ELNA	Exercito de Libertacao Nacional de Angola= Army of National Liberation of Angola .	جيش التحرير الوطنى الأنجولى
SARA	Servico de Asistencia dos Refugiados de Angola .	هيئة غوث اللاجئين الدوليين غير السياسيين
SPP	Swaziland Progressire Party .	الحزب التقدمى السوازيلاندى
FALA	Forcas Armadas de Libertacao	قوات التحرير المسلحة
PAIGC	Partido Africano da Independencia da Guine e Cabo verde .	الحزب الأفريقى للاستقلال غينيا والرأس الأخضر
FLING	Frente Para a Libertacao e Independencia de Guine Portuguesa .	جبهة تحرير واستقلال غينيا البرتغالية
FRELIMO	Frente de Libertacao de Mocambique .	جبهة تحرير موزمبيق
COREMO	Comite Revolucionario de Mocambique .	اللجنة الثورية الموزمبيقية
UDENAMO	Uniao Democratica Nacambique de Mocam-bique	الاتحاد الديمقراطى الوطنى الموزمبيقى
UNAMI	Uniao Africana de Mocambique Independente	الاتحاد الأفريقى الموزمبيقى المستقل
MOLIMO	Mozambique Liberation Front .	جبهة تحرير موزمبيق
FUMO	Mozambique United Front .	جبهة موزمبيق المتحدة

MANU	Mozambique African National Union.	الاتحاد الوطنى الأفريقى الموزمبيقى
MANCO	Mozambican African National Congress.	المؤتمر الوطنى الأفريقى الموزمبيقى
FUNIPAMO	Frente Unida Antiimperialista Popular Africana de Mocambique.	جبهة موزمبيق الأفريقية الشعبية المعادية للاستعمار
MORECO	Mozambique Revolutionary Councel.	المجلس الثورى الموزمبيقى
CLSTP	Comite de Libertacao de Sao Tome e Principe.	لجنة تحرير ساوتومى وبرنسيب
CONCP	Conferencia das Organizacoes Nacionalistas das Colonias Portugresas= Conference of Nationalist Organizations of the Portuguese Colonies.	مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية
FLCS	Front de Liberation de la Cote des Somalis.	جبهة تحرير ساحل الصومال
MLD	Mouvement de Liberation de Djibouti.	حركة تحرير جيبوتى
RDA	Rassamblement Democratique Afar.	تجمع عفار الديموقراطى
UDF	Union Democratique Afar .	اتحاد عفار الديموقراطى
PMP	Parti du Mouvement Populaire.	حزب الحركة الشعبية
MOLINACO	Mouvement de Liberation Nationale Des Comores	حركة التحرير الوطنى لجزر الكومورو
PASOCO	Parti Socialiste Comorien.	الحزب الاشتراكى الكومورى

UDC	Union Democratique des Comores.	الاتحاد الديمقراطى الكمورى
RDPC	Rassemjblement Democratique du Peuple Comorien	التجمع الديمقراطى للشعب الكمورى
MPAIAC	Mouvement Pour l'Auto determination et l'independence de l'Archipel Canarien	حركة تقرير مصير واستقلال أرخبيل كنارى
SACP	South African Communist Party	الحزب الشيوعى الجنوب أفريقى
SANROC	South African Non- Racial Olympic Committee	اللجنة الأوليمبية غير العنصرية الجنوب أفريقية
TANU	Tanganiyaka African National Union	الاتحاد الوطنى الأفريقى التنجانيقى
UPICV	Uniao das Populacaes da Guine	الاتحاد الشعبى الغينى
UPLG	Uniao Popular para a Libertacao da Guine	الاتحاد الشعبى لتحرير غينيا
KANU	Kenyan African National Union	حزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الكينى
UPC	Union des Population du Cameroun	حزب اتحاد شعب الكاميرون
I.S.C.O.R.P	Iron and Steel Corporation	اتحاد الحديد والصلب
Pan Africanist congress of Azania		حزب مؤتمر كل أفريقيا الأزانى
Azania Imbumba	The union of africans	اتحاد الأفارقة

Sabantu Saracenes		الأماكن التى يثبت فيه أن التجارة أفضل من الغزو
Limpeza de Sangue	Purity of blood	نقاء الدم
Pureza de Sangue		نقاء الدم
Assimilados		الأفارقة المندمجين
OS Rios de Cabo Verde		جزر الرأس الأخضر
Tabanka Omhonto	African Village The spear of nation	القرية الأفريقية رمح الأمة
Rehoboth		المولدون - الشرعيين
Shimonga Bantu	Armed Struggle African	الكفاح المسلح الأفريقى
MOLIMO	Mozambique Liberation Front	جبهة تحرير موزمبيق

AFRICAN LIBERATION MOVEMENTS

References

PART ONE:

1 - Roland Oliver and J. D. Page, A Short History of Africa (Harmondsworth, Penguin, 1967)

2 - Ronald Sega1 and Ruth First, South West Africa: Travesty of Trust (London, Deutsch, 1962)

3 - Barbara Rogers, 'South West Africa: Whose Responsibility? 'Race Today (January 1961)

4 - Basil Davidson, Black Mother (London, Gollancz, 1961)

5 - Bak Djibo, 'For Revolutionary Unity' evolution (Vo.1. I, No: I May 1963)

6 - Benolt Verhaegen, Rebellions au Congo (Brussels, C.R.I.S.P., 1966)

7 - Le Monde (22 - 3November 1970.and 17 - 18January 1971)

8 - Gerard Chaliand, Lulle armee en Afrique, (Paris, Maspero, 1971)

9 - Ronald Segal, African Profiles (Harmondsworth, Penguin, 1962)

10 - Sunday Telegraph (4 May 1969)

11 - Paul M. Whitaker, 'External Aid and the Portuguese African Liberation Movements', African Report (Vol. XV, No.5, 1970)

12 - The Polemic on the General Line of the International Communist Movement (pekmg, F.L.P., 1965)

13 - Amilcar Cabral, 'The War in "Portuguese" Guinea', Revolution (Vol. 1No.2, June 1963)

14 - A Revolution That Failed (London, Pall Mall, 1966)

15 - David C. Gordon, The Passing of French Algeria (London, Oxford University Press, 1966)

16 - Leopold Sedar Senghor, African Socialism, translated by Mercer Cook (New York, A.M.S.A.C., 1959)

17 - A. J. Hughes, East Africa: Kenya, Tanzania, Uganda (Harmondsworth, Penguin, 1963)

18 - Roger Ashley Leonard, ed., A Short Guide to Cfausewitz on War (London), Weidenfeld and Nicolson, 1967)

19 - Mao Tsetung Selected Military Writings (Peking, F.L.P., 1963)

20 - Mao Tsetung, 'Problems of War and Strategy'. Selected Works (Peking, F.L.P., 1965) Vol. II.

21 - Mao Tsetung, 'Be Concerned with the Well-Being of the Masses, -Pay Attention to Methods of Work', Selected Works, Vol. I.

22 - Whitaker, 'External Aid and the Portuguese African Liberation Movements.

32 - Andre Gide, Le Voyage au Congo, Retour de Tchad (Paris, 1928)

Part two:

1 - Monica Wilson and Leonard Thompson, The Oxford History of South Africa, Vol. 1 (Oxford, The Clarendon Press,1969)

2 - C. R. Boxer, The Portuguese Seaborne Empire (London, Hutchinson, 1969)

3 - Quoted in Wilson and Thompson, op. cit.

4 - Walter Fitzgerald, Africa (London and New York, Methuen and Dutton, 1957 p.187).

5 - Brian Bunting, The Rise of the South African Reich (Hannondsworth, Penguin, 1969)

6 - Wilson and Thompson, op. cit., and B. Pagan, Southern Africa (London, Thames and Hudson, 1969)

7 - Pan Africanist Congress of Azania (S.A.), Report of the National Executive Committee Meeting, Moshi, Tanzania, 19th to 22nd September, 1967 (Lusaka, PAC, 1967)

8 - J. E. Spence, Republic Under Pressure (London, Oxford University Press for the Royal Institute of International Affairs, 1965)

9 - Abram Fischer, Q.C., Statement from the Dock, Supreme Court, Pretoria, 28March 1966 (London, Mayibuye Publications, 1966)

10 - Quoted in the Unity Movement of South Africa's The Revolutionary Road for South Africa (Lusaka, Unity Movement, May 1969)

11 -Paul Fordham, The Geography of African Affairs (Harmondsworth, Penguin, 1965.)p. 210.See Bunting, op. cit., Ch. 9,pp. 158 if, for a discussion of 'South Africa's Nuremberg Laws'.

12 -David Livingstone, Missionary Travels and Researches in South Africa (London, 1857)

13 - Mary Benson, The Struggle for a Birthright (Harmondsworth, Penguin, 1966)

14 - Fischer, op cit.

15 - I. C. de Ridder, The Personality of the Urban African in South Africa: A Thematic Apperception Test Study (London, Routledge, 1961)

16 - Vittorio Lanternari, The Religions of the Oppressed (New York, New American Library, 1965)

17 - J. C. de Ridder, The personality of the Urban Africans in South Africa: A Thematic A perception Test Study (London, Routledge, 1961)

18 -Vittorio Lanternari, The Religions of the oppressed (New York, New Aroencan Library, 1965)p. 39. .Ibid .Ibid

19 -Edward Roux, Time Longer Than Rope (Madison, University of Wisconsin Press, 1966).p. 91.

20 -Edward Feit, South Africa: The Dynamics of the African National Congress (London, Oxford University Press for the Institute of Race Relations, 1962)

21 -Hans Toch, The Social Psychology of Social Movements (London, Methuen 1966)

22 - George Padmore, Pan-Africanism or Communism? (London, Dobson, 1965)

23 - Teresa Zania's 'The ICU', the African Communist (No.38, Third Quarter 1969)

24 - Programme of Action adopted at the Annual Conference of the ANC, December 1949 'This typewritten, undated, unpublished document is quoted in Feit, op. cit' .

25 - F. Meli, 'Class versus Colour in South Africa, a Reader's View', Sechaba, official organ of the ANC (Vol. 4.No.6, June 1970)

26 - Documents of the Fifth Pan-African Congress (London, Hammersmith Bookshop, 1963)

27 - Revolution (Vol. 1.No.6. 1963)

28 - The Basic Documents of the Pan Africanist Congress of South Africa (Lusaka, PAC, March 1965),p. 21.I Benson, op. cit.

29 - P. L. Tsele, Letter to the Editor, the Bantu World (28 April1956). Quoted in Feit, op.cit.p.17.

30 - Joe Matthews, 'Armed Struggle in South Africa', Marxism Today (September, 1969)

31 - Annual Report of the Anti-Apartheid Movement, October1967 / July 1968)published in London in 1969)

32 - Brian Lapping, 'Unromantic Exiles', New Society (24 July. (1969)

33 - Brian Lapping, 'Unromantic Exiles'.

34 - Jariretunda Kozonguizi, .The South African.'Left and the Struggle for Liberation', Race Today (September 1969)

35 - Omar Bamjee, Amin Cajee, Hoosain Jacobs, and Maurice Mthombeni, Why We Left' Umkhonto We Sizwe' (ANC in Exile), undated typewritten statement.

36 - The African Communist (No.38, Third Quarter, 1969)

37 - In a pamphlet, 'The Revolutionary Road for South Africa' (Lusaka, Unity Movement, May 1969)

38 - Bunting, op. cit., p. 278.

39 - From APDUSA, 'We Build a Nation', Special Edition (Vol. II, No.12, June- September 1961).published in Lusaka.

40 - From 'The Revolutionary Road for South Africa'.

41 - Leo Kuper, An African Bourgeoisie (New Haven and London, Yale University Press, 1965)

42 - APDUSA, 'We Build a Nation'.

43 - Cosmas Desmond, The Discarded People (Harmondsworth, Penguin, 1971)

44 - I.I. Potekhin, African Problems (Moscow, Nauka Publishing House, 1969)

45 - Matthew Nkoana in Crisis in the Revolution (London, Mafube Publications, 1969)

46 - David Sibeko, 'Sharpeville, the Turning Point', in 10th Anniversary of Sharpevi//e (Dar es Salaam, PAC, 1970)

47 - Azania Combat (Vo1. I, No.5, 1970)

48 - PAC, Report of the National Executive Committee Meeting, Moshi, Tanzania, 19th to 22nd September, 1967)(Lusaka, PAC, 1967)

Part three:

1 - Muriel Harrell, 'Aspect geographique du Sud-ouest Africain', Civilisations (No.3, 1967)

2 - Ruth First, South West Africa (Harmondsworth, Penguin, 1963)

3 - The Times (19 July 1966)

4 - U.N. Document 65-44467, Statement Made by Mr. Mburumba Kerina at the 1565 th Meeting of the Fourth Committee (23November 1965)

5 - U.N. Document 65-44476 (Kerina).

6 - P. T. Moon, Imperialism and World Politics, quoted in First.

7 - U.N. Document 65-44476 (Kerina).

8 - U.N. Document 65-44477.

9 - Statement Made by Mr. Nathanael Mbaeva at the 1565th Meeting of the Fourth Committee (23 November 1965)

10 - U.N. Document 65-44477 Statement Made by Mr. Nathanael Mbaeva at the 'I1565th Meeting of the Fourth Committee (23 November 1965)

11 - Ewald Tjotuku Kanguatjivi, of 19 September 1969). from Philadelphia, Pa.

12 - Windhoek Review (May/June 1969)

13 - Namibia News (London, July/December 1969).Vo1. 2.Nos. 7-12.

14 - U.N. Document 65-44477 (Mbaeva)

15 - The Star (26August 1966)

16 - John Marcum, The Angolan Revolution (Cambridge, Mass. M.I. T. Press, 1969)

17 - African Communist (No.38, Third Quarter, 1969)

18 - Namibia News (July/December 1969).Vol. 2.Nos. 21-7

Part four:

1 - Central Office of Information, British Information Services, Rhodesia, R.5864 {70 (London, April 1970)

2 - 'Background to the Zimbabwe Struggle', Zimbabwe Review (Vol. I, No.2, June 1969)

3 - Vittorio Lanternari, op cit., pp. 37-8, and Robert Kaufman, Millenarisme et acculturation (Brussels, Editions de l'institut de sociologie de L'Universite libre, 1964)

4 - 'Background to the Zimbabwe Struggle', Zimbabwe Review (Vol. I, No.2, June 1969)

5 - Background to the Zimbabwe Struggle.

6 - T. Ranger, The African Voice in Southern Rhodesia (London, Hememann, 1970)

7 - T. M. Franck, Race and Nationalism: the Struggle for Power in Rhodesia- Nyasaland (New York, Fordham University Press,(1960)

8 - John Day, International Nationalism: The Extra-Territorial Relations of Southern Rhodesian African Nationalists (London, Routledge and Kegan Paul, 1967)

9 - Zimbabwe Challenge, organ of the Zimbabwe Students Union in Europe (April 1969)

10 - Zimbabwe News (Vol. 2. No.19, 3.September 1967)

11 - The Wankie Fiasco in Retrospect, a mimeographed pamphlet (issued by Publicity and Information Secretariat of the PAC, Dar es Salaam, January 1969)

12 - 'From China with Love', the account by a ZANU deserter of his experiences and reasons for abandoning the struggle, by Musosa Kazembe in the Guardian (8 April 1968).

13 - Zimbabwe Review {Vol. I, No.2, June 1969)

14 - Francis Chenu, 'La difficile naissance de la guerilla rhodesienne', in Les Temps Modernes (No.292, November 1970)

15 - Zimbabwe News (Vol. 5. No.4, April 1970).Ibid. (Vol. 5.No.7, July 1970)

16 - Rhodesia, BIS/CIO pamphlet R.5864/70 (London, April 1970)

17 - James Chikerema in duplicated pamphlet, Reply to Observations on Our Struggle (Lusaka, ZAPU, 17 March 1970)

18 - Unpublished manuscript entitled 'Meeting between the ZANU Delegation and the British Ministers' (Salisbury, 7November 1968) signed and verified as substantially verbatim' by Robert Mugabe.

19 - Richard Gott's report in the Guardian (21 January 1971)

20 - Press communique of the Zambian High Commission London (No. 49/1971)

21 - The Times and the Guardian (2October 1971and Le Monde (3 October 1971)

Part five:

1 - C. R. Boxer, The Portuguese Seaborne Empire 1415-1825(London, Hutchinson, 1969)

2 - James Dutty, Portuguese Africa (Cambridge, Mass., Harvard, 1959)

3 - David M. Abshire, 'The Portuguese Racial Legacy' in Portuguese Africa: A Handbook, edited by D. M. Abshire and M. A. Samuels (New York, Praeger, 1969)

4 - Ronald Segal, The Race War (London, Cape, 1966)

5 - James Duffy, Portugal in Africa (Harmondsworth, Penguin, (1926)

6 - Charles and David Livingstone, Narrative of an Expedition to the Zambezi and Tributaries (New York, 1866) .p. 636,quoted in Duffy, Portuguese Africa.

7 - Charles and David Livingstone, Narrative of an Expedition to the Zambezi and its Tributaries (New York, 1966)

8 - Duffy, Portuguese Africa.

9 - David M. Abshire, 'The Portuguese Racial Legacy'.

10 - Portugal and NATO, a pamphlet of the Angola Comite (Amsterdam, October 1969)

11 - David M. Abshire, 'Strategic Implications'.

12 - 'Secretary of State Rogers' Policy Statement on Africa' (London, United States Information Service, American Embassy, 13March 1970)

13 - Paul M. Whitaker, 'Angola, Guinea, Mozambique: A Comparative Study of the International Relations of the Revolutionary Nationalist Liberation Movements of Portuguese Africa', unpublished B.A. honors thesis, Harvard College (March 1969)

14 - George Thayer, The War Business (London, Paladin, 1969)

15 - 'Black Man's War', The Economist (10 May 1969)

16 - Le Mois en Afrique/ Revue francaise d'etudes politiques africaines (November 1969)

ANGOLA:

1 - Karel Holbik, 'Angola: Economic and Social Refonns', Inter-Economics (Hamburg, No.5, 1969)

2 - Ronald H. Chilcote, Portuguese Africa (Englewood Cliffs, N. I., Prentice Hall, 1967)

3 - Douglas L. Wheeler, 'The Portuguese Army in Angola', Journal of Modern Studies (Vol. 7.No.3, 1969)

4 - Alfred Margarido, 'Portugais de "provinces d'outre-mer" d' Afrique', Le Mois en Afrique (December 1966)

5 - Colin Legum, Pan Africanism (London, Pall Mall, 1962)

6 - Mario de Andrade, 'Et les colonies de Salazar?' Democratie nouvelle (Vol. 14.No.9, September 1960)

7 - Viriato da Cruz, 'What Kind of Independence for Angola?' Revolution (Vol. 1 No.9, January 1964)

8 - Commander Joio Gonves Benedito,' Five Months of Independence in Angola', African Revolution (Vol. 1.No.1, May 1963)

9 - Robert Davezies, Les angolais (Paris, Editions du Minuit, 1965)

10 - George M. Hauser, 'Nationalist Organizations in Angola: Status of the Revolt', in John A. Davis and James K. Baker (eds.), Southern Africa in Transition (New York, Praeger, 1966)

11 - Le Monde (6-7 February 1966)

12 - Agostinho Neto, 'Angola: People in Revolution', Tricontinenta/ (No.12, May- June 1969)

13 - Gerard Chaliand, 'Problemes du nationalisme angolais', Les Temps Modernes (August 1965)

14 - Le Monde (2February 1967)

15 - Whitaker, 'Angola, Guinea, Mozambique

16 - 'UNITA et MPLA: La guerrilla et la lutte de liberation nationale', Ana/yses et documents (Paris, No.181, 18December 1969).2

Neto, 'Angola: People in Revolution', p. 68. Basil Davidson, 'The Seed of Midwinter', New Statesman (30 October 1970). .Hsinhua News Agency Daily Bulletin (27July 1971)

17 - Frantz Fanon, Peau noire, masques blancs (Paris, Maspero, 1952). Black Skin, white Masks (New York, Grove Press, 1967)

18 - Helio Felgas, Guerra em Angola (Lisbon, Livraria Classica, 1961) p. 57. Quoted in Marcum, op-. cit., p. 96 .

19 - Holden Roberto, Speech before the Organization of African Unity, Assembly of Heads of State and Government (Cairo, 21July 1964)

20 - Duffy, Portugal in Africa, p. 216. .Marcum, op. cit., pp. 143-4.

21 - Frantz Fanon, The Wretched of the Earth (London, MacGibbon and Keel, 1965),p.107.

22 - Perry Anderson, Le Portugal et la fin de l'ultra-colonialisme (paris, Maspero, 1963) , p. 108 .

23 - Jorge Alicerces Valentim, Qui libere l' Angola (Brussels, Michele Coppens, 1969)

24 - Marcum, op. cit., pp. 236--43.

25 - The Observer (18March 1962). ada Cruz, op. cit.

26 - Pierre A. Moser, La Revolution angolaise (Tunis, societe l' Action d'Edition et de Presse, 1969) pp. 79-80, and Pierre Pascal Rossi, Pour une guerre oubilee (Paris, Jul1iard, 1969) . p. 72 .

27 - George Martelli, 'Conflict in Angola', in Abshire and Samuels, op. cit., p. 410 .

28 - Paul M. Whitaker, 'External Aid and the Portuguese African Liberation Movements', Africa Report (Vol. XV, No.5, 1970) I Secretary of State William Rogers

92 - Carlos More, 'Le peuple noir a-t-il sa place dans la Revolution Cubaine'?' Presence Africaine (No.52, 4e trimestre, 1964)

30 - UNITA Central Committee.

31 - Analyses et Documents, (Paris, No.181, 31December 1969)

32 - Douglas L. Wheeler and Rene Pelissier, Angola (London, Pall Mall, 1971)

33 - 'Triumphant Development of Angolan Armed Struggle', The Afro-Asian Journalist (peking, No.2, July 1970)

34 - 'Final Communique of the Second Congress of UNITA,' Afro-Asian Journalist (Peking, No.2, July 1970)

35 - 'Press Statement on the Rome Conference' by Jorge Sangumba (London, 22June 1970)

GUINE:

1 - Basil Davidson, The Liberation of Guine (Harmondsworth, Penguin, 1969)

2 - Colin Legum (ed.), Africa Handbook (Harmondsworth, Penguin, 1969)

3 - R. I. Harrison Church, West Africa (London, Longmans, 1960)

4 - See Gerard Chaliand, Lutte armee en afrique

5 - Alfredo Margarido, 'L.archipel du Cap-Vert: perspectives politiques', Revlle francaise d 'etudes politiques africaines (No.25. January 1968)

6 - M. Archer, Terrasonde se Fala Portugues (sao Paulo, 1962 quoted in Davidson, The Liberation of Guine

7 - Chilcote, Portuguese Africa

8 - Paul M. Whitaker, 'The Revolutions of 'Portuguese'. Africa', Journal; Modem African Studies (Vol. 8,No.1, April 1970)

9 - Rent Lefort, 'Avec 1es nationa1istes de Guinee portugaise', Le Monde, 6-7 November 1970)

Mozambique

1 - G. S. Were and D. A. Wilson, East Africa Through a Thousand Years (London, Evans, 1968)

2 - Le Monde (10September 1970) and the Daily Telegraph (92December 1970)

3 - Alfredo Margarido, 'Portugais des "provinces d'outre-mer" d'Afrique'.

4 - Eduardo Mondlane, The Struggle for Mozambique (Harmondsworth, Penguin 1969)

5 - Paul M. Whitaker, 'In Memoriam: Dr. Eduardo Chivambo Mondlane, 1920-1969', Pan African Journal (Vol. II, No.1, Winter 1969)

6 - FRELIMO Circular 'Expulsion of Leo Clinton A1dridge, Jr., otherwise known by the aliases of Leo Milas and Leo Aldridge-Milas', 25 August 1964 .

7 - S. Leo Milas, 'My Explusion from FRELIMO and the Reason for It' (Cairo, September 1964)

8 - George Martelli, 'Conflict in Portuguese Africa', in Abshire and Samuel.

9 - Samora Moises Machel, 'Why We Fight', in Tricontinental (No.18, May-June 1970)

10 - Anders Johansson, 'In Mozambique with FRELIMO', in Moz Revolution (Dar es Salaam, No.35, June-September 1968)

11 - Mozambique Revolution (No.38, March-April1969).

12 - Le Monde Diplomatique (November 1968). Author's translation from the French text.

French Sao Tome:

1 - Rene pelissier, 'Sao Tome ou le poids des siecles', Revue franraise d'etudes politiques africaines (No.25, January 1969)

2 - Duffy, Portugal in Africa.

3 - 'St. Thomas and Prince: The People's Resistance to the Portuguese Presence', Tricontinental (No.40, July 1969)

4 - CONCP, La lutte de liberation national dans les colonies portugaises: la conference de Dares Salaam, (Algiers, CONCP, 1967)

French Territory of Affars and Issas:

1 - Ted Gurr, in Feliks Gross, World Politics and Areas (New York, New York University Press, 1966)

2 - M. Lewis, The Modern History of Somaliland (London, Weidenfeld and Nicolson, 1965)

3 - Iromanuel Wallerstein, Africa: The Politics of Unity (London, Pall Mall 1968)

The Comoros:

1 - Michel Legris, 'Les Comores: un archipel plus une ile', Le Monde (31 December 1970, 14 January 1971)

2 - Jean Martin, 'L'Archipel des Comores', Revue francaise d'etudes politiques africaines (No.44, August 1969)

3 - Abdou Sakari Boina, 'The Comoros: Encounter with their Reality', Tricon nental (No.49, April 1970)

4 - Martin, 'L'Archipel des Comoros'.

5 - Abdou Sakari Boina, 'The Comoros: Encounter with their Reality'.

6 - The Times (29December 1970)

7 - 'Reunion Against Colonialism', Tricontinental (Bimonthly), (No. II, March- Apri1 1969).

The Canaries:

1 - Rene Pe1issier, 'Spain's African Sandboxes', Africa Report (February 1966)

2 - Margarido, 'Les Isles Canaries'.

Part seven (a conclusion and a beginning):

1 - Philip Mason et al., Violence in Southern Africa: A Christian Assessment London, S.C.M. Press, 1970)

2 - A. R. M. Babu, 'What is Leninism Today?', Azania News (September 1970)

3 - Lin Piao, Long Live the Victory of the People's War (Peking, Foreign Languages Press, 1965)

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الڤين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	ڤالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلي النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردبا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويئل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	روميولو جالاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة برومثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة برومثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عبد إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٦٢٨ / ٢٠٠٢





قد تكون القارة الأفريقية قد استكملت- مع نهاية القرن العشرين- استقلالها السياسى، فرفعت أعلامها، وأقامت منظماتها التوحيدية... إلخ، ورغم استمرار معاناة القارة لمشاكلها الاقتصادية، وإجهاض محاولاتها فى التنمية المستقلة، إلا أنه يبقى أن جيلاً كاملاً قد قضى وهو يناضل من أجل انتزاع منطلقات الاستقلال ووضع أسسه على مدى أكثر من نصف قرن؛ لذلك فإنه لمتابعة قضايا التحرير الاجتماعى والاقتصادى والثقافى لشعوب القارة فيما بعد الاستقلال السياسى، فإنه لابد من التعرف على مسار حركات التحرير الأفريقية التى قادت إلى هذا الاستقلال.

وهذا الكتاب يقدم عرضًا مفصلاً لحركات التحرير؛ ليس فقط فى نضالها ضد النظم الاستيطانية التى شهدت نهايتها فى روديسيا (زيمبابوى) وجنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) وآخرها فى جنوب أفريقيا، رغم أنف الاستعمار وقوى الاستغلال والهيمنة، ولكنه يمتد بدراسته إلى مختلف المستعمرات التى كانت قائمة حتى السبعينيات. وقد يختلف القارئ أحيانًا مع رؤية الكاتب الأفرو أمريكى «ريتشارد چيبسون» الذى لم يخف انحيازه إلى جانب أو ضد بعض حركات التحرير الأفريقية أو مصالح أجنبية، ولكن الكتاب يبقى مصدرًا موثقًا مهمًا لمسيرة لابد أن تعرف تفاصيلها أجيال التحرير والبناء فى الوقت نفسه.